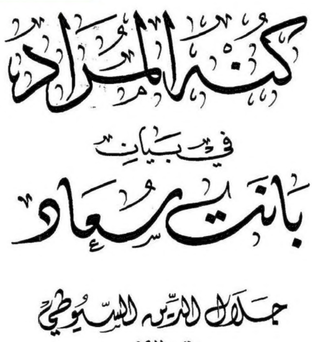




ت ٩١١هـ

دراسة وتحقيق
د. مصطفى عليان

مؤسسة الرسالة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


كنه المراد
في بيان
بانت سعاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



للطباعة والنشر والتوزيع

وطى المصيطبة
شارع حبيب أبي شهلا
بناء المسكن
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٨١٥١١٢
فاكس: ٨١٨٦١٥ (٩٦١١)
ص.ب: ١١٧٤٦٠
بيروت - لبنان

Resalah Publishers

Tel: 319039 - 815112
Fax: (9611) 818615
P.O.Box: 117460
Beirut - Lebanon

Email:
resalah@resalah.com

Web Location:
Http://www.resalah.com





المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فقد حظيت قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير بن أبي سلمى، أو قصيدة البردة كما سماها بعض الشرّاح والدارسين، بفائق العناية، ووافر الرعاية، معارضة وشرحاً ودرساً على مرّ العصور، ولا غرو في ذلك فهي من الشعر الذي شرف بسماع الرسول ﷺ له بصحيح الرواية والإسناد(١).

وجاءت شروح القدماء للقصيدة في كثير منها، تحمل اتجاهات نحوية ولغوية وأدبية، وانتحى قليل منها منحى صوفياً، يسبّح في فضاء الرموز والإشارات(٢).

وتنوعت الرؤى التحليلية للقصيدة عند المحدثين أيضاً، فكانت منطلقات أبعاد الدلالة فيها نفسية تارة، ورمزية تارة أخرى، وأسطورية تارة ثالثة، بما يشي بثراء القصيدة رؤية وتشكيلاً.

ويأتي شرح السيوطي «كنه المراد في بيان بانت سعاد» شرحاً أدبياً هاماً، إذ حاد عن الدراسة المقيدة في إعراب القصيدة وبيان لغتها، إلى اعتماد الدراسة التاريخية والاجتماعية في استحضار النصوص الغائبة ذات الصلة بالأزمنة والأمكنة والأحداث والوقائع، حين حاول توظيف عالم النص الخارجي في القراءة الداخلية للأبيات الشعرية، وإن غلب الاستطراد على منهجه في هذا المجال، غير أنه تجاوز في ذلك المعنى إلى معنى المعنى، أخذاً بانفتاح الدلالة وتأويل الإشارة، فضلاً عن التفات واعٍ إلى مرامي

---

(١) انظر القول المستجاد في بيان صحة قصيدة بانت سعاد اسماعيل بن محمد الأنصاري ص٢٩-٥٦.

(٢) انظر قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي. د. السيد ابراهيم محمد ص٨١-١٨١.

التشكيل الفني في بناء القصيدة ونسيجها.

وحققت هذا الشرح معتمداً على خمس نسخ مخطوطة متباينة الأزمنة والأمكنة، سعياً إلى إخراج النص تاماً مبرءاً من الانقطاع، أو السقط، أو الخلل، وحرصت على إضاءة جوانب الشرح بالتعليق والتحقيق لكثير من مسائله، بتوثيق الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية، ونسبة الشعر إلى قائليه، وإحالة أقوال أهل العلم إلى مصادرها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

ومهدت لتحقيق هذا الشرح ببحث شمل تحقيق عنوانه، ونسبته إلى السيوطي، ودراسة لرواية متن القصيدة وإسنادها، مقارناً ذلك بعدد من روايات أهل اللغة والأدب والحديث والتراجم، ثم اتبعت ذلك بقراءة لمنهج السيوطي في تحليل القصيدة. وانتهيت من ذلك إلى وصف النسخ التي اعتمدت عليها في تحقيق الكتاب، ثم بيان عن منهج التحقيق.

على أنني أجدني مديناً بخالص الشكر للأخ الدكتور عبدالرزاق أبوالبصل الذي ساعدني في تخريج الأحاديث النبوية وطرق رواية القصيدة.

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين

أ. د مصطفى عليان

عمّان في ١٣ شعبان ١٤٢٤هـ
الموافق ٩ أكتوبر ٢٠٠٣م



الفصل الأول

السيوطي وطرق رواية قصيدة بانت سعاد

١- جلال الدين السيوطي.

٢- إسناد القصيدة.

٣- متن القصيدة.



جلال الدين السيوطي[1]

هو أبوالفضل عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد، جلال الدين السيوطي، وكان يعرف بابن الأسيوطي. ولد بالقاهرة في مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة، ونشأ يتيماً، فحفظ القرآن دون سن الثامنة، وشرع في التأليف سنة ست وستين وثمانمائة[2].

ذكر السيوطي نفسه وترجم لذاته في كتابه حسن المحاضرة، ومما جاء فيه «ورزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع.. ودون هذه السبعة في المعرفة: أصول الفقه، والجدل، والتصريف، ودونها الإنشاء، والترسل، والفرائض، ودونها القراءات.. ودونها الطب»[3].

وهذه العلوم المنوعة هي نتاج التلقي عن عدد من علماء عصره، فقد روي السيوطي سماعاً وإجازة عن نحو مائة وخمسين عالماً، منهم علم الدين البلقيني، وشرف الدين المناوي، وتقي الدين الشبلي، ومحي الدين الكافيجي، وسيف الدين الحنفي وغيرهم ممن أوردهم في المعجم الذي جمعهم فيه[4].

غير أن السيوطي الذي كان يرى في نفسه، التلميذ الذي فاق أشياخه، والعالم الذي بذّ نظرائه، ظل إحساسه بذاته كبيراً ظاهراً، واعتداده بنفسه سافراً طاغياً، فهو لا يجد لنفسه نداً بين معاصريه بقوله: «والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها فيها، لم يصل إليه، ولا وقف عليه أحد من أشياخي، فضلاً عمن هو دونهم...، ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها، لقدرت على ذلك من فضل الله، لا بحولي ولا بقوتي، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله»[5].

---

(١) اقتصرت على ترجمة مختصرة للسيوطي، إذ حظي بتراجم واسعة صنعها محققو كتبه والباحثون في جهوده العلمية.

(٢) انظر شذرات الذهب ٨/ ٥١، والكواكب السائرة ١/ ٢٦٦ وحسن المحاضرة ١/ ٢٨٨-٢٨٩.

(٣) حسن المحاضرة ١/ ٢٩٠ ط دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) انظر حسن المحاضرة ١/ ٢٨٩-٢٩٠.

(٥) حسن المحاضرة ١/ ٢٩٠.

وفي حمى ذلك، ادعى السيوطي الاجتهاد، فإذا كان سراج الدين البُلْقيني هو المعدود على رأس المائة الثامنة والمبعوث فيها، فعسى «أن يكون المبعوث على رأس المائة التاسعة من أهل مصر»[1]. وهو يلمح في هذا ولا يصرح بأن المراد به نفسه، غير أنه كتب عدداً من الرسائل التي كان صريح الادعاء فيها بالاجتهاد كرسالة «الرد على من أخلد إلى الأرض، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض» ورسالة «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف»، ورسالة «التنبئة فيمن يبعث اللّه على رأس المائة»[2].

وقد أورث ذلك السيوطي حدة في الطبع، وخصومة في العلم مع معاصريه، ولم يقتصر الأمر فيها على حساده من أعدائه، بل شمل أشياخه وأصدقاءه، فانبرى في التشنيع عليهم بتسفيه آرائهم، وتفنيد حججهم، وإذاعة أخطائهم[3].

ولم يكن السيوطي في هذه الحدة بدعاً بين أهل العلم في مختلف العصور، بل إن شيوع ذلك أمر ظاهر في سيرهم، ويلتمس لذلك علل كثيرة؛ منها ما يرجع إلى طريقة التلقي، إذ إن التلقي عن الأشياخ مما يكسب طالب العلم هدوءاً في النفس، وليناً في الخطاب، وسعة في الصدر، يفتقدها من يكون تلقيه من الكتب مباشرة دون شيخ، ومنها ما مرده إلى الإحساس بالتفرد في العلم، والعجب بالذات، وفرط الحساسية بأخطاء الآخر، واصطدام المثال بتردي الواقع.

وأياً كان السبب في حدة السيوطي، فقد ترك آثاراً علمية كثيرة، تأليفاً وشرحاً وجمعاً وتبويباً وترتيباً، منها الرسالة ذات التعليقات الصغيرة المحدودة بالورقة والورقات، ومنها الكتب الكبيرة ذات المجلدات، وقد تباين إحصاء القدماء والمحدثين لذلك، فقد ذكر ابن إياس في تاريخ مصر أن مصنفاته بلغت ستمائة مؤلف، وأحصى له جميل العظم خمسمائة وستة وسبعين مؤلفاً[4]، وأحصى له أحمد الشرقاوي إقبال سبعمائة وخمسة

---

(١) حسن المحاضرة ١ / ٢٨٣.

(٢) انظر تحليلاً لذلك في مقدمة تحقيق كتاب تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للدكتور محمد الصباغ ص٣٧-٣٩.

(٣) انظر مقدمة تحقيق كتاب تحذير الخواص ص٤٠-٤٢.

(٤) انظر مقدمة تحقيق المزهر - لأحمد محمد جاد وزميليه ج١ / ١٩.

عشرين مؤلفاً[1]، وفي كتابي دليل مخطوطات السيوطي عدّ الأستاذان محمد لشيباني وأحمد الخازندار واحداً وثمانين وتسعمائة كتاب، فيها عدد مكرر؛ لاختلاف المصادر في تسمية بعض الكتب[2].

وتوفي السيوطي رحمه الله سنة إحدى عشرة وتسعمائة، وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة.

(١) مكتبة الجلال السيوطي، ص٧٢٥.

(٢) مقدمة تحقيق التطريف في التصحيف د. علي البواب ص٦.



رواية السيوطي لقصيدة بانت سعاد

أولاً: السند

أخلى السيوطي هذا الشرح «كنه المراد في بيان بانت سعاد» من الإسناد في رواية قصيدة كعب، وهو أمر عجب من رجل رزق التبحر في علوم سبعة؛ وهي التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع، بل إن الرغبة في أن يكون له شأن في الحديث، باتت أملاً عقد الرجاء عليه في الدعاء، وحصر النية فيه، حين حج البيت الحرام، إذ يقول: «ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور، منها أن أصل الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ بن حجر، وأفتيت من مستهل سنة إحدى وسبعين وثمانمائة وعقدت إملاء الحديث من مستهل سنة اثنتين وسبعين»(١).

ولعل السيوطي كان قاصداً إطراح الإسناد، على الرغم من أهميته في التمكين لعدد من القضايا الشرعية والأدبية؛ وذلك لسببين:

أولهما: شهرة الخبر وتداوله بين المحدثين والإخباريين من أهل السير.

ثانيهما: ذكره لأسانيد رواية القصيدة وخبرها في موضع آخر من كتبه، فقد ساق السيوطي ذلك في شرح شواهد المغني بطرق أربعة(٢):

الأول: ما أخرجه «الحاكم في المستدرك وصححه البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابراهيم ابن المنذر، حدثنا الحجاج بن ذو الرقيبة بن عبدالرحمن بن كعب بن زهير المزني عن أبيه عن جده، أن أباه كعباً وعمه بجيراً خرجا حتى أتيا أبرق العزاف فقال بجير لكعب: اثبت في هذا المكان حتى آتي هذا الرجل، يعني النبي ﷺ، فأسمع ما يقول، فجاء فأسلم، فبلغ ذلك كعباً فقال:

إلا أبلغـــا عني بجيراً رسالــة   على أي شيء ويب غيرك دلكا

---

(١) حسن المحاضرة ١/ ٢٩٠.

(٢) أفدت في تخريج هذه الطرق والحكم عليها من الدكتور عبدالرزاق أبوالبصل جزاه الله خيراً، فضلاً عن كتاب القول المستجاد.

على خلق لم تلف أمـا ولا أبـا　　　عليه ولم تدرك عليه أخـاً لكـا

سقـاك أبوبكر بكـــأس روية　　　وأنهلك المأمون منهـا وعلكـا

فلما بلغت الأبيات رسول اللّه ﷺ هدر دمه، فقال: من لقي كعباً فليقتله، فكتب بذلك بجير إلى أخيه، قال: اعلم أن رسول اللّه ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلاّ اللّه إلاّ قبل ذلك، فأسلم وقال قصيدته بانت سعاد، ثم أقبل حتى أناخ بباب المسجد، ودخل رسول اللّه ﷺ مع أصحابه مكان المائدة من القوم، متحلقون حوله فيلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم، قال كعب فعرفت رسول اللّه ﷺ بالصفة، فتخطيت حتى جلست إليه فأسلمت وقلت: الأمان يا رسول اله، قال: من أنت، قلت: أنا كعب، قال: الذي تقول، ثم التفت إلى أبي بكر فأنشده أبوبكر:

سقـاك أبوبكر بكـــأس روية　　　وأنهلك المأمون منهـا وعلكـا

فقال رسول اللّه ﷺ: مأمون والله، ثم أنشد القصيدة كلها:

بانت سعـاد فقلبي اليـوم متبول　　　متيم إثرهـا لـم يفـد مكبـول

ومـا سعاد غداة البين إذ رحلوا　　　إلاّ أغن غضيض الطرف مكحـول

وساق الحاكم القصيدة بكمالها»[١].

وهذا الإسناد الذي ذكره السيوطي أخرجه الحاكم النيسابوري وصححه في معرفة الصحابة من «المستدرك»، قال: أخبرني أبوالقاسم عبدالرحمن بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبيد بن عبدالملك الأسدي بهمدان، حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي..» فذكره بتمامه[٢] وكذلك جاء هذا الإسناد في السنن الكبرى، قال البيهقي: «أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، يعني الحاكم، ثنا أبوالقاسم عبدالرحمن بن الحسين، ثنا ابراهيم بن المنذر فذكره[٣].

---

(١) شرح شواهد المغني ص١٧٧-١٧٨، طبعة المطبعة البهية بمصر ١٩٣٦.

(٢) المستدرك ٣/٥٨١.

(٣) السنن الكبرى ١٠/٢٤٣ باب «من شبب بامرأة فلم يسم أحداً لم ترد شهادته».

وهذا الإسناد قبله العلماء وارتضوه، قال الحزامي: «لم أسمع قط في خبر كعب بن زهير حديثاً قط أتم ولا أحسن من هذا، ولا أبالي ألا أسمع من خبره غير هذا». ومن طريق الحزامي عن علي بن المديني أورده أبوالفرج الأصفهاني[١].

وقد ارتضى ابن كثير هذا الإسناد وجزم بأنه متصل فقال: «وقد رواها الحافظ البيهقي في دلائل النبوة بإسناد متصل فقال: «أخبرنا أبوعبدالله الحافظ يعني الحاكم، أخبرنا أبوالقاسم عبدالرحمن بن الحسين بن أحمد الأسدي بهمدان، حدثنا ابراهيم بن الحسين، حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي..» فذكره[٢]. ويلاحظ وجود إبراهيم بن الحسين بين شيخ الحاكم وبين ابن المنذر في هذه الرواية دون رواية «المستدرك» و«السنن الكبرى»، فربما يكون ذلك من فعل النساخ[٣].

<u>**الثاني:**</u> ما أخرجه «الحاكم والبيهقي والزبير بن بكار في أخبار المدينة من طريق علي بن زيد بن جدعان قال: أنشد كعب بن زهير رسول اللّه ﷺ في المسجد بانت سعاد، وأخرجه في الأغاني بلفظ في المسجد الحرام لا مسجد المدينة»[٤].

وهذا الإسناد أخرجه الحاكم في معرفة الصحابة من المستدرك قال: «حدثني القاضي ثنا ابراهيم بن الحسين، ثنا ابراهيم بن المنذر، حدثني معن بن عيسى، حدثني محمد بن عبدالرحمن الأوقص عن ابن جدعان قال: أنشد كعب بن زهير ابن أبي سلمى رسول الله ﷺ في المسجد»[٥].

ورواه الحافظ البيهقي بإسناده المتقدم. وقال ابن كثير: «وهو مرسل»[٦]. غير أن هذا المرسل تعددت روايته عن سعيد بن المسيب وابن عقبة وابن إسحاق فضلاً عن

---

(١) الأغاني ١٥/١٤٣.

(٢) البداية والنهاية ٤/٤٣١ وانظر دلائل النبوة ٥/٢١١.

(٣) القول المستجاد ص٤٢.

(٤) شرح شواهد المغني ص١٧٨.

(٥) المستدرك ٣/٥٨٢.

(٦) البداية والنهاية ٤/٤٣١.

علي بن زيد بن جدعان، بما يدل على شهرة الأمر عند هؤلاء الرواة، وقد قال ابن تيمية بعد أن ذكر أن الغالب على السير المراسيل والمنقطعات: «فإذا كان الشيء مشهوراً عند أهل الفن، قد تعدد طرقه، فهذا مما يرجع إليه أهل العلم بخلاف غيره».
وقال أيضاً: «إن بعض ما يشتهر عند أهل المغازي ويستفيض أقوى مما يروى بالإسناد الواحد»(١).

وعلى الرغم من أن هذا الإسناد ضعيف، إلاّ أنه حسن في الشواهد، وبيان ذلك أن رجاله تباينت الأحكام عليهم بين الضعف والتوثيق، فمعن بن عيسى القزاز (ت٩٨هـ) ثقة، ثبت، قال أبوحاتم: هو أثبت أصحاب مالك، أخرج له الستة(٢).

وعلي بن زيد بن جدعان القرشي (ت١٣١هـ) ضعفه غير واحد من الحفاظ، ووثقه العجلي وغيره، ومثله يقبل حديثه في المتابعات والشواهد، فقد أخرج له مسلم وأصحاب السنن(٣).

ومحمد بن عبدالرحمن المخزومي المعروف بالأوقص، قاضي المدينة، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال العقيلي: يخالف في حديثه، وضعفه ابن عساكر بسبب حفظه(٤)، قال الزمخشري في ربيع الأبرار: «ولم ير مثله في عفافه ونبله وظرفه مع زهده».

لكن هذا الإسناد يصلح شاهداً للخبر السابق، فهو إسناد حسن في الشواهد.

الثالث: وأخرج الحاكم والبيهقي عن موسى بن عقبة قال: لما بلغ إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف اللّه مسلول
في فتية من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا

(١) الصارم المسلول ص١٤٣ وانظر القول المستجاد ص٥٥-٥٦.
(٢) التقريب ص٥٤٢.
(٣) التقريب ص٤٠١ والجرح والتعديل ٦/ ١٨٦ ثقات العجلي ص٣٤٦ تهذيب التهذيب ٧/ ٣٢٢.
(٤) التحفة اللطيفة ٣/ ٦٣٩ ضعفاء العقيلي ٤/ ٩٧، الثقات لابن حبان ٧/ ٤٢٣، اللسان ٥/ ٢٥٢.

أشار رسول اللّه ﷺ إلى الخلق ليسمعوا، وكان بجير كتب إلى أخيه كعب يخوفه ويدعوه إلى الإسلام:

من مبلغ كعباً فهل لك في التي تلوم عليها باطلاً وهي أخرم

إلى اللّه لا العزى ولا اللات وحده فتنجو إذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت من النار إلاّ طاهر القلب مسلم

فدين زهير وهو لا شيء باطل ودين أبي سلمى عليَّ محرَّمُ

وذكر ابن إسحاق إن ذلك كان بعد قدوم النبي ﷺ من الطائف(١).

وهذا الإسناد أخرجه الحاكم في معرفة الصحابة من المستدرك قال: «وحدثنا القاضي عن إبراهيم بن الحسين ثنا ابراهيم بن المنذر، حدثني محمد بن مليح عن موسى بن عقبة قال: أنشد النبي ﷺ كعب بن زهير بانت سعاد في مسجده بالمدينة.. فذكره.

وأخرجه البيهقي قال: و حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثني محمد بن بن فليح عن موسى بن عقبة .. فذكر الخبر(٢).

والخبر في هذا الإسناد مرسل شأن خبر علي بن زيد بن جدعان، وقد سبقت الإشارة إلى أن تعدد طرق هذا المرسل وشهرته مما يجعله مرجعاً لأهل العلم بخلاف غيره، وقد أجمع التابعون بأسرهم، كما يقول الطبري على قبول المراسيل، ولم يأت عنهم إنكارها ولا عن أحد من الأئمة إلى رأس المائتين، وقد كان يحتج بها العلماء، فيما مضى كما يقول أبوداود إلى أن جاء الشافعي(٣).

على أن هذا الإسناد صححه الحاكم في المستدرك بقوله: «هذا حديث له أسانيد قد

---

(١) شرح شواهد المغني ص١٧٨.

(٢) السنن الكبرى ١٠/ ٢٤٤.

(٣) انظر القول المستجاد ص٥٦.

جمعها ابراهيم بن المنذر الحزامي، فأما حديث محمد بن فليح عن موسى بن عقبة وحديث الحجاج بن ذي الرقيبة فإنهما صحيحان»[١]. وقد وافقه الذهبي في ذلك[٢].

وهو إسناد حسن إلى موسى بن عقبة، فإن محمد بن فليح أخرج له البخاري انتقاء من روايته عن أبيه وغيره؛ لوهم يسير عنده، وقال الدارقطني: ثقة. وقال ابن معين: ما به بأس، ليس بذاك القوي، وقال ابن حجر في التقريب: صدوق يهم[٣]. فمثله لا ينحط حديثه عن الحسن، خاصة فيما نحن بصدده في هذه الرواية.

وموسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي مولى آل الزبير (ت١٤١هـ) ثقة فقيه، إمام في المغازي، أخرج له البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم، ومغازيه من أصح المغازي[٤]. وأخباره في السير كذلك، فقد ارتضاه مالك مع شدة تحريه، ورفع من شأنه الشافعي رحمه الله[٥].

الرابع: ما أخرجه محمد بن سلام في طبقات الشعراء قال: «أخبرني محمد بن سليمان عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال: قدم كعب متنكراً حين بلغه عن النبي ﷺ أنه توعده، فأتى أبابكر فلما صلى الصبح أتاه وهو متلثم بعمامته فقال: يا رسول اللّه، رجل يبايعك على الإسلام، وبسط يده وحسر عن وجهه وقال بأبي أنت وأمي يا رسول اللّه، مكان العائذ بك، أنا كعب بن زهير فأمنّه رسول اللّه ﷺ فأنشده مدحته التي يقول فيها: «بانت سعاد فقلبي اليوم متبول. حتى أتى على آخرها، فكساه رسول اللّه ﷺ بردة اشتراها معاوية بمال كثير، فهي البردة التي تلبسها الخلفاء في العيدين، ذهب إلى ذلك أبان البجلي...»[٦].

وهذا الطريق هو طريق سعيد بن المسيب، وقد أخرجه عنه غير واحد من الرواة.

---

(١) المستدرك ٣/٥٨٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/٣٦١.

(٣) تقريب التهذيب ص٥٥٢.

(٤) المصدر نفسه ٥٥٢.

(٥) أنظر سير أعلام النبلاء ٦/١١٥ وتهذيب التهذيب ١٠/١٦١.

(٦) شرح شواهد المغني ص١٧٨ وانظر طبقات فحول الشعراء ج٢/٩٩-١٠٣.

فمن طريقه أخرجه عبداللطيف البغدادي في شرح بانت سعاد[1]، والسبكي في طبقات الشافعية[2]، وأخرجه ابن قانع في معجم الصحابة من طريق الزبير بن بكار عن بعض أهل المدينة عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد[3]، وذكره ابن حجر في الإصابة[4].

وهذا إسناد حسن في الشواهد، على أن مراسيل سعيد بن المسيب من أصح المراسيل، والطريق إليه فيها محمد بن سليمان، لم أستطع تمييزه، وتابعه مبهم في رواية الزبير بن بكار، على الرغم من أن صاحب القول المستجاد وصف رواية محمد ابن سلام بأنها خالية من الجهالة[5].

تجدر الإشارة إلى أن هناك طريقاً خامساً لم يذكره السيوطي صريحاً وهو طريق محمد بن إسحاق، إذ ذكره عرضاً بقوله: «وذكر ابن إسحاق أن ذلك كان بعد قدوم النبي ﷺ من الطائف»[6].

فقد أخرج ابن إسحاق الخبر عن طريق عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً، إذ قال: «فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار.. فذكره»[7].

وهذا إسناد حسن إلى عاصم بن عمر بن قتادة التابعي الجليل (ت بعد ١٢٠هـ)، فهو ثقة عالم بالمغازي، وروى له أصحاب الكتب الستة لإمامته وعلو شأنه، وقد أنزله عمر بن عبدالعزيز في خلافته منزلة لائقة به، ثقة بعلم المغازي لديه، حيث أمره أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة بعد أن قضى عنه ديناً لزمه، وأمر له بمعونة وقال له: «إن بني أمية يكرهون هذا وينهون عنه، فاجلس

---

(١) شرح بانت سعاد ص٨٦.
(٢) طبقات الشافعية ١/٢٢٩.
(٣) ورقة ١٥٠ب.
(٤) الإصابة ٣/٢٩٥.
(٥) القول المستجاد ص٤٥.
(٦) شرح شواهد المغني ص١٧٨.
(٧) السيرة النبوية لابن هشام ٤/١٣٥٦.

فحدث الناس بذلك». قال ابن عساكر: «وكان الزهري يخلو بمحمد بن إسحاق فيتروى منه حديث عاصم»[1].

ومحمد بن إسحاق صدوق، إمام في المغازي والسير، وأثنى عليه شيخه عاصم بن عمر ابن قتادة فقال: «لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق»[2]. ويقول الشافعي: «من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق»[3].

وقد أثنى الحاكم في مستدركه على رواية ابن إسحاق إذ قال بعد تصحيح رواية الحجاج بن ذي الرقيبة ورواية موسى بن عقبة: «وقد ذكرهما ابن إسحاق القرشي في المغازي مختصراً»[4].

وخلاصة القول فيما تقدم أن هذا خبر قصيدة بانت سعاد متصل الإسناد، وهو بمجموع طرقه حسن، وقد تلقاه أهل العلم بالقبول على اختلاف طبقاتهم واتجاهاتهم في التصنيف، وفي هذا التلقي من دلائل الصحة ما لا يخفى، كما نبه على مثله أهل العلم في مقولاتهم، إذ يقول السيوطي في تدريب الراوي: «يحكم للحديث بالصحة إذا تلقاه الناس بالقبول وإن لم يكن له إسناد صحيح»[5].

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر نقلاً عن القول المستجاد ص٥ – ٥١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٦.

(٣) المصدر نفسه ٧/ ٣٦.

(٤) المستدرك ٣/ ٥٨٣.

(٥) انظر القول المستجاد ص٥٧ – ٧٤.

ثانياً : متن القصيدة

جاء عدد أبيات القصيدة في رواية السيوطي سبعة وخمسون بيتاً، وهي كما يلي :-

١- بانَتْ سعادُ، فَقَلْبي اليَوْمُ مَتْبُولُ ... مُـتَـيَّمٌ إثْرَها، لَمْ يُفْـدَ، مَكْبُـولُ

٢- ومـا سُـعـادُ غَـداةَ البَـيْنِ إذْ رَحَلوا ... إلا أغَنُّ، غَـضِيضُ الطَّرف، مَكْحُـولُ

٣- تَجْلُو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ ... كَـأنَّهُ مُنْهَلٌ بـالرَّاحِ مَـعْلُـولُ

٤- شُجَّتْ بذي شَبَمٍ، مِنْ ماءِ مَحْنِيَّةٍ ... صَاف بأَبْطَحَ، أضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ

٥- تَنْفِي الرِّياحُ القَـذَى عَنْهُ، وأَفْرَطَهُ ... مِنْ صَـوبِ سَـارِيَةٍ بِيْضٌ، يَعـالِيلُ

٦- أكْرِمْ بهـا خُلَّةً، لو أنَّهـا صَـدَقَتْ ... مَـوْعُـودَها، أوْ لَوْ أنَّ النُّصْحَ مَقْبـولُ

٧- لكِنّهـا خُلَّةٌ، قَدْ سِيْطَ مِنْ دَمِهـا ... فَـجْعٌ وَوَلْعٌ، وإخْـلافٌ وَتَبْـدِيلُ

٨- فـمـا تَدومُ على حَـالٍ تَكُونُ بهـا ... كَـمَـا تَلَوَّنُ في أثْوابِهـا الغُـولُ

٩- ولا تُمَسِّكُ بالعَـهْدِ الذي زَعَمَتْ ... إلاّ كَـمـا تُمْـسِكُ الماءَ الغَـرابيْلُ

١٠- فلا يَغُرَّنَّكَ ما مَنَّتْ وما وَعَدَتْ ... إنَّ الأمـانيَّ والأحْـلامَ تَضْلِيْلُ

١١- كانَتْ مَوَاعِيْدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلاً ... ومـا مَـواعِـيْـدُها إلاّ الأبَاطِيْلُ

١٢- أرْجُـو، وآمُلُ أنْ تَدْنُو مَـوَدَّتُهـا ... ومـا إخـالُ لَدَيْنا مِنْك تَنْوِيْلُ

١٣- أمْسَتْ سُعـادُ بأرْضٍ لا يُبَلِّغُهـا ... إلاّ العِـتـاقُ النَّجِـيْـبـاتُ المَراسِيْلُ

١٤- ولَنْ يُبَلِّغَـهـا إلاّ عُـذافِـرَةٌ ... فِـيْـهـا على الأيْنِ إرْقـالٌ وتَبْـغِـيلُ

١٥- مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرى، إذا عَرِقَتْ ... عُـرْضَتُـهـا طامِسُ الأعْـلامِ، مَجْهـولُ

١٦- تَرْمي الغُيوبَ بِعَيْنَي مُفْرَدٍ لَهِقٍ ... إذا تَـوَقَّـدت الحِـزّازُ والمِيْـلُ

١٧- ضَخْمٌ مُقَلَّدُها، عَبْلٌ مُقَيَّدُها ... في خَلْقِها عَنْ بَناتِ الفَحْلِ تَفْضِيلُ

١٨- غَلْباءُ، وَجْناءُ، عُلْكُومٌ، مُذَكَّرَةٌ ... في دَفِّـهـا سَـعَـةٌ، قُـدّامَـهـا مِـيْلُ

١٩- وجِلْدُها مِنْ أطُومٍ، مـا يُؤَيِّسُـهُ ... طِلْحٌ، بِضَـاحِـيَـةِ المَتْنَيْنِ مَهْـزُولُ

٢٠- حَرْفٌ، أخُوها أبُوها، مِنْ مُهَجَّنَةٍ ... وَعَـمُّـهـا خـالُهـا، قَـوْداءُ شِـمْليلُ

٢١- يَمْشِي القُرادُ عَلَيْها ثُمَّ يُزْلِقُهُ ... مِنْهـا لَبـانٌ، وأقْـرابٌ زَهَالِيْلُ

٢٢- عَيْرانَةٌ، قُذِفَتْ بالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ مِرْفَقُها عَنْ بَناتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ

٢٣- كَأَنَّما فاتَ عَيْنَيْها وَمَذْبَحَها مِنْ خَطْمِها، وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ

٢٤- تَمُرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ، ذا خُصَلٍ في غارِزٍ، لم تُخَوِّنْهُ الأَحالِيلُ

٢٥- قَنْواءُ، في حُرَّتَيْها لِلْبَصِيرِ بها عِتْقٌ مُبِيْنٌ، وفي الخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ

٢٦- تَخْدي على يَسَراتٍ، وهي لاحِقَةٌ ذوابِلُ، مَسُّهُنَّ الأرْضَ تَحْلِيْلُ

٢٧- سُمْرُ العُجاياتِ يَتْرُكْنَ الحَصَا زِيماً لَمْ يَقِهِنَّ رُؤوسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ

٢٨- كَأنَّ أوْبَ ذِراعَيْها إذا عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَّعَ بالقُورِ العَساقِيلُ

٢٩- يَوْماً، يَظَلُّ بِهِ الحِرْباءُ مُصْطَخِداً كَأَنَّ ضاحِيَهُ بالشَّمْسِ مَمْلُولُ

٣٠- وقالَ لِلْقَوْمِ حادِيْهِمْ، وَقَدْ جَعَلَتْ وُرْقُ الجَنادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصَا، قِيْلوا

٣١- شَدَّ النَّهارُ، ذراعا عَيْطَلٍ نَصَفٍ قامَتْ، فَجاوَبَها نُكْدٌ مَثاكِيلُ

٣٢- نَوَّاحَةٌ، رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ، لَيْسَ لَهَا لَمَّا نَعَى بِكْرَها النَّاعونَ مَعْقُولُ

٣٣- تَفْرِي اللَّبَانَ بِكَفَّيْها، ومِدْرَعُها مُشَقَّقٌ عَنْ تَراقِيْها، رَعابِيْلُ

٣٤- تَسْعَى الوُشاةُ جَنابَيْها، وَقَوْلُهُمْ: إِنَّكَ يابنَ أبي سُلْمَى لَمَقْتُولُ

٣٥- وَقالَ كُلُّ خَلِيْلٍ كُنْتُ آمُلُهُ: لا أُلْهِيَنَّكَ، إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ

٣٦- فَقُلْتُ: خَلّوا سَبِيْلي، لا أبَا لَكُمُ، فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَّحمَنُ مَفْعولُ

٣٧- كُلُّ ابنِ أُنْثَى، وإِنْ طَالَتْ سَلامَتُهُ، يَوْماً على آلةٍ حَدْباءَ مَحْمُولُ

٣٨- أُنبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللّه أَوْعَدَني، والعَفْو عِنْدَ رَسُولِ اللّه مأْمُولُ

٣٩- مَهْلاً، هَدَاكَ الذي أعْطَاكَ نافِلَةَ الـ ـقرآنِ، فِيْهِ مواعِيْظٌ وَتَفْصِيْلُ

٤٠- لا تأْخُذَنّي بأقوالِ الوُشَاةِ، وَلَمْ أُذْنِبْ، وإِنْ كَثُرَتْ فِيَّ الأقاوِيْلُ

٤١- لَقَدْ أقُومُ مَقَاماً، لَوْ يَقُومُ بِهِ، أرَى وأسْمَعُ ما لَوْ يَسْمَعُ الفِيْلُ

٤٢- لَظَلَّ يَرْعُدُ، إِلاَّ أنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الرَّسُولِ، بإِذنِ اللَّه تَنْوِيْلُ

٤٣- حَتَّى وَضَعْتُ يَميْني، لا أُنازِعُهُ في كَفِّ ذي نَقِماتٍ، قِيْلُهُ القِيْلُ

٤٤- لَذاكَ أَهْيَبُ عِنْدي إذْ أُكَلِّمُهُ وَقِيْلَ: إِنَّكَ مَنْسوبٌ وَمَسْؤُولُ

٤٥- مِنْ خَادِرٍ، مِنْ لُيُوثِ الأُسْدِ، مَسْكَنُهُ   مِنْ بَطْنِ عَثَّرَ، غِيْلٌ دُونَهُ غِيْلُ
٤٦- يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغامَيْنِ، عَيْشُهُما   لَحْمٌ مِنَ القَوْمِ، مَعْفُورٌ، خَرادِيْلُ
٤٧- إذا يُسَاوِرُ قِرْناً لا يَحِلُّ لَهُ   أنْ يَتْرُكَ القِرْنَ، إلاّ وَهْوَ مَفْلُولُ
٤٨- مِنْهُ تَظَلُّ سِباعُ الجَوِّ ضَامِزَةً   ولا تُمَشِّي بِوَادِيْهِ الأَرَاجِيْلُ
٤٩- ولا يَزالُ بِوَادِيْهِ أَخُو ثِقَةٍ   مُطَرَّحُ البَزِّ والدِّرْسَانِ، مَأْكُولُ
٥٠- إنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ   مُهَنَّدٌ من سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ
٥١- في فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَالَ قائِلُهُمْ   بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا: زُولُوا
٥٢- زَالُوا، فَمَا زَالَ أنْكَاسٌ ولا كُشُفٌ   عِنْدَ اللِّقَاءِ، ولا مِيْلٌ مَعَازِيلُ
٥٣- شُمُّ العَرانِيْنَ، أبْطالٌ، لَبُوسُهُمُ   مِنْ نَسْجِ داودَ في الهَيْجا سَرابِيْلُ
٥٤- بِيْضٌ، سَوَابِغُ، قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ   كَأَنَّها حَلَقُ القَفْعاءِ مَجْدولُ
٥٥- لا يَفْرَحُونَ إذا نَالَتْ رِماحُهُمْ   قَوْماً، وَلَيْسُوا مَجازِيْعاً إذا نِيْلُوا
٥٦- يَمْشُونَ مَشْيَ الجِمالِ الزُّهْرِ، يَعْصِمُهُمْ   ضَرْبٌ، إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابِيْلُ
٥٧- لا يَقْطَعُ الطَّعْنُ إلاّ في نُحُورِهِمْ   ومَا لَهُمْ عَنْ حِياضِ المَوْتِ تَهْلِيْلُ

بهذه الكيفية روى السيوطي أبيات قصيدة كعب بن زهير، وهي رواية متطابقة مع رواية التبريزي (أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب ت ٥٠٢هـ) في عدد أبياتها (٥٧ بيتاً) وتوالي ترتيبها، غير أنها تغايرها في الرواية الداخلية لبعض الأبيات بمباينة لفظ، أو تركيب، لكنها مباينة معدودة محدودة مثل «جنابيها» في رواية السيوطي و«بجنيها» في رواية التبريزي، وخراديل بالدال مهملة وخراذيل بالذال معجمة في رواية التبريزي، وسباع الجو، حمير الوحش، وفي فتية، وفي عصبة، لا يقع، لا يقطع... وهكذا.

ولما كان ابن هشام الأنصاري (أبومحمد جمال الدين عبدالله بن هشام الأنصاري ت٧٦١هـ) مصدراً أساساً في شرح السيوطي وتحليله لقصيدة كعب، كان طبيعياً أن يجري السيوطي في روايته تبعاً له في عدد أبيات القصيدة وتوالي ترتيبها أيضاً، على

الرغم من مغايرته له في الرواية الداخلية، مثل «ما يبلغها» عند السيوطي و«لا يبلغها» عند ابن هشام، و«تخدي» و«تخذي» و«تسعى» و«يسعى» و«يَرْعُدُ» و«يُرْعِدُ».

وتتباين رواية السيوطي بعد ذلك مع رواية أهل الأدب في شروحهم الشعرية وأصحاب السير، فقد روى السكري (أبوالحسن بن الحسين بن عبيدالله) القصيدة خمساً وخمسين بيتاً، إذ سقط من روايته البيتان(١):

غلباء وجناء علكوم مذكرة في دَفِّها سعة قدامها ميل

وجلدها من أطوم ما يؤَيسه طلح بضاحية المتنين مهزول

وأصاب ترتيب بعض الأبيات في رواية السكري تقديم وتأخير عن رواية السيوطي، من ذلك قول كعب:

فلا يغرنك ما منت وما وعدت إن الأماني والأحــلام تضليل

الذي رواه السيوطي عاشراً، جاء عند السكري ثاني عشر بعد قوله:(٢)

أرجو وآمل أن يعجلن في أبد وما لهن طوال الدهر تعجيل

وجاء قول كعب:(٣)

كأن أوب ذراعيها إذا عرقت وقد تلفع بالقور العساقيل

سابعاً وعشرين في ترتيب رواية السكري، بينما رواه السيوطي ثامناً وعشرين.

وتأتي رواية ابن الأنباري (أبي البركات عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن أبي سعيد ت٥٧٧هـ) أقل من رواية السيوطي في عدد أبياتها، إذ بلغت خمساً وخمسين بيتاً، فقد أسقط ابن الأنباري البيتين اللذين أسقطهما السكري من روايته (غلباء وجناء..) و(وجلدها من أطوم ما يؤيسه...)(٤). وغاير ابن الأنباري رواية

---

(١) انظر شرح ديوان كعب بن زهير ص١٠-١١.

(٢) المصدر نفسه ص٩.

(٣) انظر المصدر نفسه ص١٦.

(٤) انظر قصيدة البردة لكعب بن زهير ص١٠١.

السيوطي في آخر أبيات القصيدة، إذ قدّم قول كعب[1]:

لا يقع الطعن إلاّ في نحورهـــم ومالهم عن حياض الموت تهليل

على قول كعب:

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عـــرد السود التنابيـــل

وجاءت رواية البغدادي (عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد ت٦٢٦) في خمس وخمسين بيتاً أيضاً، شأن رواية السكري وابن الأنباري، إلاّ أنه غاير سابقيه في إسقاط البيتين التاليين من روايته، الأول قول كعب:[2]

كأنمـا فـــات عينيها ومذبحهـا من خطمها ومن اللحيين برطيل

وهو الثامن والعشرون في رواية السيوطي.

والثاني قول كعب:[3]

تفري اللبان بكفيها ومدرعها مشقق عن تراقيهـــا رعـابيل

وهو الثالث والثلاثون في رواية السيوطي.

فضلاً عن تأخيره قول كعب:

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عـــرد السود التنابيـــل

عن قوله:

لا يقع الطعن إلاّ في نحورهـــم ومالهم عن حياض الموت تهليل

وروى القرشي (أبوزيد محمد بن أبي الخطاب توفي أوائل القرن الرابع الهجري) القصيدة في ثمانية وخمسين بيتاً، إذ زاد فيها على رواية السيوطي ما رواه ابن هشام في السيرة؛ زهو قوله:

هيفـاء مقبلة، عجـــزاء مدبرة لا يشتكي قصر منها ولا طول

---

(١) انظر المصدر السابق ص١٢٠-١٢١.

(٢) انظر شرح بانت سعاد ص١٢٧.

(٣) نظر شرح بانت سعاد ص١٤١-١٤٢.

وقد اختلفت رواية القرشي لبعض أبيات القصيدة عن رواية السيوطي والسكري وابن الأنباري والبغدادي من أهل الأدب، خاصة أبيات وصف الناقة، ومدح الرسول ﷺ ومدح الصحابة، ففي وصف الناقة جاءت بعض الأبيات على النحو التالي[(١)]:

حرف أخوها أبوها، من مهجنة	وعمها خالها، أدماء شمليل
عيرانة قذفت باللحم عن عرض	ومرفقٌ عن ضلوع الزور مفتول
كأنما فات عينيها ومذبحها	من خطمها ومن اللحيين برطيل
تمر مثل عسيب النخل ذا خصل	بغارز، لم تخونه الأحاليل
قنواء في حرتيها للبصير بها	عتق مبين، وفي الخدين تسهيل
غلباء وجناء، علكوم، مذكَّرة	في دفّها سعة، قدامها ميل
يمشي القراد عليها ثم يزلقه	عنها لبان وأقراب زهاليل
وجلدها من أطوم، لا يؤيسه	طلح، بضاحية المتنين مهزول
تخدي على يسرات وهي لاهية	ذوابلٍ، وقعهن الأرض تحليل

وروى القرشي قول كعب في مدح الرسول ﷺ[(٢)].

تظل منه حمير الوحش ضامزة ولا تمشي بواديه الأراجيل

مقدماً على قول كعب في رواية السيوطي وغيره:

إذا يساور قرناً لا يحل له أن يترك القرن إلاّ وهو مجدول

وفي مدح الصحابة رضي اللّه عنهم، جاءت الأبيات الثلاثة التالية متباينة في روايتها بتقديم وتأخير عن رواية السيوطي ومن سبقه أيضاً: [(٣)].

يمشون مشي الجمال البزل يعصمهم	ضرب، إذا عرّد السود التنابيل
لا يفرحون إذا نالت رماحهم	قوماً، وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

---

(١) انظر جمهرة أشعار العرب ٢/٧٩٥-٧٩٦.

(٢) جمهرة أشعار العرب ٢/٧٩٨.

(٣) المصدر نفسه ٢/٧٩٩.

لا يثبت الطعن إلاّ في نحورهـــــم   وما لهم عن حيـــاض الموت تهليل

وتباين عدد أبيات القصيدة في رواية أهل السير والتاريخ والحديث، إذ جاءت على النحو التالي:

ابن هشام (أبومحمد بن عبدالملك بن هشام ت٢١٨هـ):   ٥٩ بيتاً

ابن بشران (أبوالقاسم عبدالملك بن محمد بن عبدالله بن بشران

البغدادي (ت٤٤٣)   ٤٨ بيتاً

الحاكم النيسابوري (أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عبدالله)   ٥١ بيتاً

السبكي (تاج الدين عبدالوهاب بن علي)   ٥٢ بيتاً

السهيلي (أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي ت ٥٨١)   ٥٨ بيتاً

ابن سيد الناس (محمد بن محمد بن سيد الناس العمري ت ٧٣٤) ٥٥ بيتاً

ابن كثير (أبو الفدا اسماعيل بن عمر ت٧٧٤)   ٥٤ بيتاً

والبيتان اللذان زادهما ابن هشام في السيرة هما البيت الثالث في ترتيب روايته وهو[١]:

هيفـاء مقبلة، عجـزاء مدبـرة   لا يشتكي قصر منها ولا طول

والبيت الرابع والأربعون[٢]:

مـــا زلت اقتطع البيداء مدرعاً   جنح الظلام وثوب الليل مسدول

وقد روى السهيلي البيت الأول من زيادات ابن هشام ولم يرو البيت الثاني[٣].

والبيتان اللذان أسقطهما ابن سيد الناس من روايته هما البيت الثامن عشر والتاسع عشر من رواية السيوطي لقصيدة كعب وهما[٤]:

---

(١) السيرة النبوية ٤/١٣٥٦.

(٢) السيرة النبوية ٤/١٣٦٣.

(٣) انظر الروض الآنف ٤/١٥٩ – ١٦٠.

(٤) انظر عيون الأثر ٢/٢٨٢.

غلباء وجناء علكوم مذكرة في دفها سعة، قدامها ميل

وجلدها من أطوم ما يؤيسه طلح، بضاحية المتنين مهزول

وسقط من رواية السبكي الأبيات الخمسة التالية(١):

يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما لحم من القوم، معفور، خراديل

إذا يساور قرناً لا يحل له أن يترك القرن الاّ وهو مفلول

منه تظل سباع الأرض ضامزة ولا تمشي بواديه الأراجيل

ولا يزال بواديه أخو ثقة مطرح البز والدرسان، مأكول

... بيض سوابغ قد شكت لها حلق كأنها حلق القفعاء مجدول

أما الحاكم فسقط من روايته الأبيات السبعة التالية(٢):

١- ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق إذا توقدت الحزاز والميل

٢- ضخم مقلدها، عبل مقيدها في خلقها عن بنات الفحل تفضيل

٣- غلباء، وجناء، علكوم، مذكرة في دفها سعة، قدامها ميل

٤- وجلدها من أطوم ما يؤيسه طلح بضاحية المتنين مهزول

٥- تفري اللبان بكفيها ومدرعها مشقق عن تراقيها، رعابيل

٦- وقال كل خليل كنت آمله لا ألهنيك، إني عنك مشغول

٧- إذا يساور قرناً لا يحل له أن يترك القرن إلاّ وهو مفلول

على أن الحاكم زاد بيتاً لم يرد عند غيره من الرواة، وهو(٣):

يوماً تظل حداب الأرض يرفعها من اللوامع تخليط وترجيل

---

(١) انظر طبقات الشافعية ١/٢٤١ - ٢٤٢..

(٢) انظر المستدرك ٣/٥٨١ - ٥٨٢.

(٣) المستدرك ٣/٥٨١.

وغير الحاكم رواية قول كعب التي جاءت عند الرواة:

شد النهار ذراعاً عيطل نصف　　قامت فجاوبها نكـــد مثاكيل

فجاءت في المستدرك ورواها ابن كثير عنه[١].

أوب بذي ثاكل سمطاء معولة　　قـامت تجاوبها سمط مثاكيل

هذا إلى تقـديم وتأخيـر في رواية بعض الأبيـات، وتغـييـر في بعض ألفـاظ الرواية الداخلية لبعض الأبيات.

أما ابن كثير فقد سقط من روايته أبيات أربعة هي[٢]:

غلباء، وجنـــاء، علكوم مذكرة　　في دَفّها سعة، قدامهـــــا ميـل

وجلدها من أطوم مـــــا يؤيسه　　طلح، بضاحيـــــة المتنين مهزول

سمر العجايات يتركن الحصار زيما　　لم يقهن رؤوس الأكـــــم تنعيل

كـــــأن أوب ذراعيهـــا إذا عرقت　　وقـــــد تلفـــع بالقور العساقيل

وزاد في روايته ما زاده ابن هشام وهو قول كعب[٣]:

هيفـاء مقبلة، عجــزاء مدبـرة　　لا يشتكي قصر منها ولا طول

وغيّر رواية قول كعب:

شد النهـار ذراعـا عيطـل نصـف　　قامــت، فجاوبهــا نكـد مثاكيل

فرواه كما يلي:[٤]

أدب بذي فاقد سمطاً معولة　　قامت فجاء بها نكِد مثاكيل

على أنه قدّم وأخّر في رواية بعض الأبيات في موضعين، الأول منهما في وصف الناقة:[٥]

---

(١) المستدرك ٣/٥٨١، وانظر البداية والنهاية ٤/٤٢٩.

(٢) انظر البداية والنهاية ٤/٤٢٩.

(٣) المصدر نفسه ٤/٤٢٨.

(٤) البداية والنهاية ٤/٤٣٠.

(٥) البداية والنهاية ٤/٤٢٩.

عـيـرانة قـذفت بالنخض عن عـرض   مـرفـقـهـا عن بنات الزور مـفـتـول
قنواء في حـرتيـهـا للبـصـيـر بهـا   عـتق مـبين وفي الخـدين تسـهـيل
كـأنما فـات عـينيـهـا ومـذبحـهـا   من خطمـهـا ومن اللحـيين برطيل
تمر مـثل عـسـيب النحل ذا خـصل   في غـارز لم تخـونه الأحـاليل

والثاني منهما في مدح الصحابة رضي الله عنهم:(١)

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم   ضـرب إذا عـرد السـود التنابيل
شم العـرانين أبطال لبـوسـهـم   من نسج داود في الهـيـجـا سـرابيل
بيض سـوابغ قـد شكت لهـا حلق   كـأنهـا حلق القـفـعـاء مـجـدول
ليـسـوا مـفـاريح إن نالت رمـاحـهـم   قـومـاً وليـسـوا مـجـازيعـاً إذا نيلوا
لا يقـع الطعـن إلاّ في نحـورهـم   ولا لهـم عن حـيـاض الموت تهليل

مما سبق يتبدى لنا أن السيوطي اعتمد رواية التبريزي وابن هشام في ترتيب أبيات القصيدة وتتاليها، فضلاً عن الرواية الداخلية للأبيات، وتكتسب رواية التبريزي قيمة في إسنادها عن ثقات من أهل اللغة، فقد جاء في ذلك ما يلي: «قال الشيخ الإمام الأجل العالم أوحد الزمان أبومنصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبوزكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي رحمه الله، قال كعب بن زهير بن أبي سلمى، وليس في العرب سلمى بضم السين غير هذا: يمدح النبي ﷺ وآله. أخبرنا أبومحمد الحسن بن علي بن محمد بن الحسن الجوهري قال: حدثنا أبوبكر محمد بن العباس بن زكريا بن حيوية الخزاز قال: حدثنا أبوبكر محمد ابن القاسم الأنباري، أملاء غرة صفر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، قال: حدثني عبدالله بن عمرو، قال: حدثنا ابراهيم بن المنذر قال: حدثنا الحجاج بن ذي الرقيبة ابن عبدالرحمن ابن كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني عن أبيه عن جده، قال:

(١) البداية والنهاية ٤/ ٤٣١.

خرج كعب وبجير إلى أبرق العَزَّاف..»[١].

وممّا يزيد في قيمة رواية التبريزي التي اعتمد عليها السيوطي، أن محمد بن المبارك بن ميمون البغدادي (من علماء القرن السادس الهجري) الذي كان راوية ثبتاً يتحرى الروايات الصحيحة للشعر، رواها بسند متصل عن شيوخه، فقد كتب في مطلع قصيدة كعب بن زهير سنداً معتمداً فيه على رواية التبريزي إذ يقول: «قرأت هذه القصيدة في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة على الشيخ أحمد بن السمين. ورواها لي عن أبي زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي عن أبي محمد الحسن ابن علي الجوهري، عن أبي عمرو محمد بن العباس الجزار، عن أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، عن أبيه عن عبدالله بن عمرو عن ابراهيم بن المنذر الحرامي، عن الحجاج بن ذي الرقيبة بن عبدالرحمن بن كعب بن زهير المزني عن أبيه عن جده، كعب»[٢].

---

(١) شرح قصيدة بانت سعاد للتبريزي ص١٠.

(٢) مقدمة تحقيق شعر عروة بن اذينة ص٥٧ نقلاً عن منتهى الطلب.

الفصل الثاني

منهج السيوطي في تحليل القصيدة

ملامح التأويل وظواهر التشكيل



اعتمد السيوطي، في تحليل قصيدة «بانت سعاد»، الدراسة التاريخية والاجتماعية التي تقوم على استحضار النصوص الغائبة، المتعلقة بالأزمنة والأمكنة والأحداث والوقائع، كما حدثت تاريخياً وواقعياً، وتجسدت دلالياً رمزياً، أو تعبيراً حقيقياً في النص الحاضر.

فقد حاول السيوطي توظيف عالم النص الخارجي في قراءته الداخلية للأبيات الشعرية، فوضع تمهيداً تاريخياً مستوعباً لمقاصد ثلاثة:

الأول: ترجمة ناظم القصيدة، أشار فيها إلى أدبية كعب بن زهير بقوله: «كان كعب رضي الله عنه من فحول الشعراء العرب المجيدين. والمهرة المفلقين»(١). وهي إشارة غنية الدلالة على أسلوب أدبي ذي نظام لغوي مميز، وأغراض شعرية منوعة، ونفس شعري ذي امتداد وطول في عدد أبيات القصيدة، مع ضبط لتلاحم أجزائها واتقان لتناميها. وهذه الإشارة ذات تعلق بقيم القصيدة التعبيرية.

الثاني: في سبب نظم القصيدة، وقد أتى السيوطي فيه على الحركة التاريخية الخارجية المفسرة للإشارات الداخلية، بدءاً بمحاورة بجير وكعب للوقوف على ما جاء به محمد ﷺ من دين جديد، ومروراً بإسلام بجير وما تعلق به من مراسلات بينه وبين كعب، وانتهاءً بإهدار النبي عليه الصلاة والسلام دم كعب بن زهير. وهذا المقصد ذو اتصال بمضامين النص الفكرية، وقيمه النفسية.

والثالث: في بيان ترتيب القصيدة وإخراجها في أغراض ثلاثة: الغزل ووصف الناقة والمدح(٢). وهذا البيان هام في الكشف عن بناء النص ونسيجه. ومن عجب أن السيوطي عدّ وصف الرحلة من الغزل، إذ يقول: «... ثم ذكر بعد ما بينه وبينها من المسافة في البيت الثالث عشر، ثم ذكر أنه لا يبلغه إليها إلاّ ناقة من صفتها كذا وكذا، وأطال في وصفها عى عادة العرب في ذلك من أول البيت الرابع عشر إلى آخر البيت الثاني والثلاثين، فاستوفى في وصفها تسعة عشر بيتاً، ثم أخذ في ذكر النوع الرابع

---

(١) كنه المراد في بيان بانت سعاد، مصورة عن الأصل المخطوط المحفوظ في المكتبة الظاهرية – دمشق (فهرس مجاميع المدرسة العمرية) رقم ٦٦، ورقة: ١٣٧ب.

(٢) كنه المراد ورقة: ١٣٨ب.

وهو ما يتعلق بغيرهما بسببهما، فذكر الوشاة وحاله معهم في البيت الثالث والثلاثين بقوله: «تسعى الوشاة جنابيها..» واستطرد في ذلك إلى آخر البيت الخامس والثلاثين، وهو آخر الغزل»[1].

واستشعر السيوطي في تحليله وتفسيره حياداً عن محاولات من سبقه من شراح القصيدة فقال: «وكانت الشروح الموضوعة عليها، فيما وقفت عليه قاصرة على شرح غريبها، وإعراب ألفاظها المؤدية إلى حل تركيبها، دون التعرض لمعانيها التي هي قصد طلابها»[2]. وارتضى لنفسه منهجاً حدد أركانه، وبيّن أبعاده، بأن يخلصه من شرح الغريب والإعراب، وأن «يجمع إلى حل ألفاظها بيان معانيها، ويقرب ما بعد تناوله من ثمار مقاصدها المتراكبة لاقتطاف جانيها»[3].

وبمعنى آخر فإن منهج السيوطي في شرح القصيدة وتحليلها يقوم على محاور ثلاثة:

- المفردة اللغوية (الدال والمدلول).
- تأويل المعنى (المعنى ومعنى المعنى).
- السياق وتشكيل المعنى.

أولاً: المفردة اللغوية:

عني السيوطي بالمفردة اللغوية أو الدال اللفظي، من حيث الضبط بالشكل التام، والدلالة المعجمية والسياقية، والرواية الراجحة.

وكان ضبط المفردات مطرداً في تناول السيوطي للقصيدة، إذ نصَّ على حركة كل حرف بالحركة والسكون والإدغام، وإفراد النقط وتثنيته، كقوله: «والمتبول، بفتح الميم وإسكان التاء المثناة من فوق، وضم الباء الموحدة: الفاني من شدة الضنا والسقم»[4].

---

(١) كنه المراد ورقة: ١٣٨ب.

(٢) كنه المراد ق١٣٧أ.

(٣) كنه المراد ق ١٣٧ب.

(٤) كنه المراد ق١٣٨أ.

وهذا الضبط هام من جهتين، أحدهما: تخليص المفردة من مشترك الهيئة، وتحرير دلالتها، وثانيهما: ضبط إيقاعية الشعر الخارجية من حيث التناغم مع التفاعيل تحقيقاً لاستمرارية الوزن وتكرار الإيقاع، وتعزيزاً لخاصية التوقع لدى المتلقي، فضلاً عن النبر ومتعلقاته الموسيقية المقطعية والتنغيمية.

وتتجه عناية السيوطي إلى تحديد الدال بالإحالة على الدلالة المعجمية المقيدة العامة، والنظر في الدلالة المكانية الاستبدالية بمطالب المجاورة في السياق، ومقاصد انفتاح الدلالة، كما في قول كعب:

لكنها خلة قد سيط من دمها فجع وولع وإخلاف وتبديل

إذ قال السيوطي: «... والفجع بفتح الباء وإسكان الجيم والعين المهملة: الإصابة بالمكروه والأذى، والولع، بفتح الواو وإسكان اللام والعين المهملة أيضاً: الكذب، والإخلاف بكسر الهمزة وإسكان الخاء وبالفاء في آخره. خلاف الوفاء، والمراد هنا إخلاف الوعد، بدليل قوله في البيت الذي قبله «لو أنها صدقت موعودها» والتبديل: إبدال الشيء بغيره، والمراد هنا: تبديل خليل بخليل، وهو في الحقيقة وصف الملال»[1].

وفي حمى البحث عن الدقة في تحديد معنى المفردة اللغوية، كان استئناس السيوطي منهجياً برأي علماء اللغة، كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وأبي عبيدة وأبي عمرو الشيباني والجوهري وابن الأثير، إذ إن تعدد الرؤى واختلافها في ذلك يمنح الدلالة انفتاحاً، ويهب المعاني اتساعاً[2]، إلاّ أن الاستعانة بابن هشام (محمد جمال الدين عبدالله ابن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ) كانت ظاهرة على غيره من اللغويين، فقد نصّ عليه في بعض المواضع، غير أنه غيبه في مواضع أخرى نقل فيها عنه نقلاً نصيّاً، خاصة في إعراب القصيدة وقضاياها النحوية، ومما ورد ذكر ابن هشام فيه تحليل قول كعب:

---

(١) كنه المراد:، ق ١٤٨أ.

(٢) انظر مثالاً على ذلك: كنه المراد: ق١٥٥ب – ١٥٦أ.

من كل نضاخة الذفرى إذا عرقت عرضتها طامس الاعــلام مجهول

قال السيوطي: «قوله: (من كل نضاخة الذفرى) أي: الناقة المذكورة من كل ناقة نضاخة الذفرى بالعرق إذا عرفت، ثم هو يحتمل معنيين: إما أن يريد أنها ناقة من النياق المتصفة بهذه الصفة، وإما أن يريد أن أصل وجودها من كل ناقة هي كذلك، ويكون ذلك وصفاً لها؛ لأنه وصفها بكرم الأصل، وهذا هو الذي رجحه ابن هشام في إعرابه القصيدة»[1].

وإذا كان نقل السيوطي عن ابن هشام يكشف عن تلمذة له في شرحه، ومثاقفة في تحليله، واتجاه فكره ورأيه، فإن ذلك لم يأت على ذاتية السيوطي في التفريع على فهم ابن هشام، أو تخطئة ما ذهب إليه، كقوله: «فإن قيل كيف ساغ له نفي حصول المودة بقوله (وما إخال لدينا منك تنويل) بعد رجائه بقوله (أرجو وآمل أن تدنو مودتها)؟ فالجواب عنه من وجهين، أحدهما: ما أجاب به ابن هشام: أن المودة والتنويل شيئان لا شيء واحد، ولا يمتنع أن توده بقلبها، وتمنعه من نوالها. الثاني: أن يكون نفي حصول التنويل من حيث بعدها ونزوح أرضها. كما أشار إليه في البيت الذي يليه»[2].

وكقوله: «فإن قيل هل يجوز أن يفسر الجوّ في كلامه بما بين السماء والأرض؟ فالجواب: أنه لا يمتنع ذلك، وإن خطأه ابن هشام في شرحه، لأنه قد يراد بسباع الجو: الطيور والكواسر كالنسر وغيره، ويكون في ذلك مبالغة في الشجاعة، وهو أن تخافه سباع الطير، التي هي ممتنعة عنه بأجنحتها، فما الظن بسباع الوحش التي هي ساكنة معه في البر»[3].

وقد يعرض السيوطي للاختلاف في الرأي حول مدلول اللفظ من غير إسناد، غير أنه يحتفظ لنفسه بقدر من التوجيه والاختيار يشي بإحاطة مميزة في هذا المجال، حيث يقول السيوطي في قول كعب:

---

(١) كنه المراد ق ١٥٣أ.

(٢) كنه المراد: ق١٥١ب وانظر نموذجاً آخر ق١٥٤أ.

(٣) كنه المراد: ق١٦٣أ.

تنفي القـــذى عنه وأفرطـــه		من صوب سارية بيض يعاليل

«وقد اختلف في معنى البيض اليعاليل، فقيل، البيض: الجبال، واليعاليل: الشديدة البيـاض، وهو الظاهر الذي يرشـد إليـه المعنى، ويكون البـيض: الجبـال على مـا تقـدم، واليعاليل: التي ينزل منها الماء مرة بعد أخرى، أخذاً من العلل، وهو الشرب مرة بعد مرة كما تقدم في البيت قبله، وقيل: البيض: الجبال، واليعاليل: المرتفعة، وقيل، البيض: السحب، واليعاليل التي تجيءُ مرة بعد مرة، وردّ بأنه يصير التقدير: وأفرطه بيض سحب يعاليل من صوب سارية، ويكون المعنى أن السحب البيض التي ملأت الأبطح استمدت الماء من مطر تلك السحابة السارية، وذلك يؤدي إلى أن بعض السحب تستمد المطر من بعض، وهو خلاف المراد، وغير الواقع، بل السحب لا تكون بيضاً إلاّ إذا كانت خالية من المطر، وأما إذا كانت حاملة للمطر، فإن لونها يكون أغبر»(١).

ويحيل السيوطي أحياناً في تحديد المدلول على أصل الدلالة في كلام العرب، قصداً إلى التنبيه على نسبية الثبات والعدول في التشكيل الشعري، غير أنه يعمد إلى المؤالفة بين تعدد الدلالات في تحديد المقاصد الشعرية، ما دام النص حمالاً لذلك بمرجعية السياق، كقوله: «والمتبول.. الفاني من شدة الضنا والسقم، يقال: تبلة وأتبله، إذا أسقمه، وتبلهم الدهر وأتبلهم: إذا أفناهم... والمتيم: المستعبد الذليل، يقال: تيمه الحب وتامه؛ إذا استعبده، وتامه: أذله، والمراد هنا: الأسير، بدليل قوله فيما بعد: «لم يُفْد»(٢).

وفي قول كعب بن زهير: «شجت بذي شبم من ماء محنيّة..» قال السيوطي: «أي: شجت تلك الراح بماء ذي شبم من ماء محنية صاف عن الكدر، أي: مزجت مزجاً يكسر سورتها، والأصل في الشج: الشق والكسر، ومنه الشجاج في الرأس..»(٣).

وإذا كانت مرجعية الدلالة العامة في الألفاظ لدى شراح الشعر هي أقوال العرب

---

(١) كنه المراد: ق١٤٥.

(٢) انظر كنه المراد: ق١٣٩أ.

(٣) كنه المراد: ق١٤٤أ.

وكلامهم التي تحملها الإشارة (يقال.. والأصل) فإن السيوطي أوجد للدلالة العامة والخاصة نظائر كثيرة من القرآن الكريم، وأشباهاً ملحوظة من السنة النبوية والشعر، سواء في الدوال أو الروابط، فالتضليل في قول كعب: «إن الأماني والأحلام تضليل» «تفعيل من الضلال، والمراد التضييع والإبطال ومنه قوله تعالى: ﴿ **ألم يجعل كيدهم في تضليل** ﴾، والأصل أن الأماني والأحلام ذوات تضليل، فيجعلها هي نفس التضليل للمبالغة، كما في قوله تعالى: ﴿ **هم درجات عند الله** ﴾ أي: ذوو درجات عند الله»[١].

و«لو» من الأدوات التي استنهض لها السيوطي شبهاً ونظيراً من كتاب الله إذ يقول في قول كعب: (أكرم بها خلة لو أنها صدقت...) تحتمل معنيين، أحدهما: أن تكون للتمني كما في قوله تعالى: ﴿ **فلو أن لنا كرة** ﴾ والثاني: الشرط كما في قوله تعالى: ﴿ **ولو ترى إذا المجرمون ناكسو رؤوسهم** ﴾ فيكون المعنى فيها: فيا ليتها صدقت موعودها لكانت خلة كريمة، أو لو صدقت موعودها لتمت خلالها»[٢].

وقد يعمد السيوطي أحياناً إلى الأخذ بانفتاح الدلالة في المفردة اللغوية، وذلك بذكر أكثر من احتمال في معناها، كقوله: «والوجناء، بفتح الواو وإسكان الجيم وبعد النون ألف، محتملة معنيين، أحدهما: أن يريد به العظيمة الوجنتين، وهما طرفا الخد، الثاني: أن يريد به الصلبة، أخذاً من الوجنتين، وهو ما صلب من الأرض»[٣]. على أنه في هذا المجال من انفتاح الدلالة يقيد أحياناً الدلالة القريبة والدلالة البعيدة، وذلك بالنص على الظاهر القريب والخفي البعيد كقوله: «والقلب في كلامه يحتمل معنيين، الأول: أن يريد الفؤاد، وهو الظاهر، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وختم على سمعه وقلبه** ﴾ ومحله من البدن الصدر... الثاني: أن يريد بالقلب العقل، كما في قوله تعالى: ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب** ﴾، ويكون المعنى حينئذ أن عقله من شدة الحب وغلبة العشق، قد ضعف حتى صار كالولهان الهائم الذي لا يفيق ولا يعي»[٤].

---

(١) كنه المراد: ق ١٥٠ب.

(٢) كنه المراد: ق١٤٦ب.

(٣) كنه المراد: ق١٥٤أ وانظر مثالاً آخر في معنى التفضيل: ق١٥٤أ.

(٤) كنه المراد: ق ١٣٩أ.

ولا يترك السيوطي هذه الاحتمالات بغير سببية أو تبرير، لكن اختياره من أي منها إنما يرتكز على علة بلاغية أو سياقية معنوية، يتبدى ذلك من أخذه بالمعنى البعيد الدلالة في مفردة «أمست» من قول كعب: «أمست سعاد بأرض لا يبلغها..» فقوله: «أمست» يحتمل معنيين، أحدهما: أن يكون المراد دخلت في وقت المساء، فيكون مقابلاً لغداة من قوله في البيت الثاني من القصيدة (وما سعاد غداة البين إذ رحلوا) ويكون المعنى أنها ارتحلت غدوة، وأمست بأرض بعيدة، ويكون قد وصفها في رحيلها بسرعة السير، بحيث سارت في اليوم الواحد إلى مسافة لا تدرك إلاّ بالعتاق النجيبات المراسيل من الإبل.. خصوصاً وقد تقدم في البيت الثاني أنه عبر عن رحيلها بلفظ الجمع، إشارة إلى أنها رحلت مع قومها...

الثاني: أن يكون أمست بمعنى صارت، ويكون المراد أنها وصلت في رحيلها إلى أرض بعيدة في الجملة من غير تقدير، وهو أبلغ في بعد المسافة؛ لأن الوصف مستلزم لطول زمن السير، وهذا هو الظاهر»(١).

ووقف السيوطي أحياناً عند الترادف في الألفاظ وسيلة من وسائل تخليص الدلالة من عوالق الاشتراك، وعوائق الإبانة، وحشو التعبير، كقوله: «وآمل: بمد الهمزة وضم الميم معناه أن أرجو أيضاً، يقال: أملت الشيء آمله بضمهما مع المد، إلاّ أن الرجاء لا يكون إلاّ في الممكن، والأمل يكون في الممكن والمستحيل، ولذلك حسن الجمع بينهما لحصول مغايرة ما»(٢).

وقوله: «والطامس الأعلام: المراد به الطريق الدارس الذي محيت آثاره.. والمجهول: الذي لا يعرف، وهو تأكيد لقوله: «طامس الاعلام» مجهول: ضرورة»(٣).

وتأتي تنبيهات السيوطي على البدائل اللفظية في رواية الشعر علامة دالة على وعي بطبيعة التمكن اللغوي للفظ في سياق البيت الشعري، وهو وإن لم يحاول ربط قيمة ذلك

---

(١) كنه المراد: ق١٥٢أ.

(٢) كنه المراد: ق١٥١ب.

(٣) كنه المراد: ق١٥٣أ.

بوحدة النص وسياقه العام، فقد تنبه للدلالة السياقية وتمييزها على نحو ما عن الدلالة العامة، إذ نظر في هيئات لغوية ثلاثة: المتجانسات، المترادفات، المتناظرات.

ففي التجانس اللفظي اكتفى السيوطي بذكر ما يشاكل الرواية المعتمدة لديه في متن النص، دون علة، استئناساً بما ذهب إليه ابن جني في « تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني » الذي قرر فيه أن الاشتراك في بعض حروف الكلمة يكفي أحياناً للاشتراك في الدلالة[١]، وإن استعان السيوطي في بعض المواضع برأي غيره في تسويغ التمكين الدلالي للرواية أو نفيه، من ذلك ما نقله عن ابن هشام في استدراكه على رواية (قد سيط من دمها): « قال ابن هشام: ويجوز أن تقرأ بالشين (شيط) بدل المهملة، لأنه يقال: شاطه، أي: بمعنى ساطه »[٢].

وفي قول كعب بن زهير: (ضرب إذا عرد السود التنابيل) قال السيوطي: « ويروى (غرَّد) بفتح الغين، المعجمة، قال التبريزي: « وهو الطير الشديد الداء من الطرب » قال ابن هشام في شرحه: ولا معنى لهذه الرواية »[٣].

فقد قنع السيوطي بموافقة ابن هشام في التعليل لتمكن الرواية اللغوية وقلقها، على الرغم من أن ابن هشام أصاب في رفضه لرواية « غرد » وأخطأ في إجازته لرواية « شيط »، لأن مدار المعنى في تقليبات دلالة « شيط » على الاحتراق والذهاب، لا على الخلط والامتزاج[٤].

وفي المترادفات اللفظية كان موقف السيوطي إيجابياً ظاهراً في توجيه الدلالة وتفسيرها في سياق معطيات البيت الشعري، من ذلك قول كعب:

أكرم بها خلة لو أنهـــا صدقت موعودها أو لو أن النصح مقبول

حيث استوعب السيوطي روايات البيت المختلفة بقوله: « ويروى (فيها لها خلة)

---

(١) انظر الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني – تحقيق محمد علي النجار، ط دار الكتب المصرية ١٩٥٥ – ج٢/ ١٤٥–١٥٢.

(٢) كنه المراد: ق١٤٨أ.

(٣) كنه المراد: ق١٦٥أ.

(٤) انظر لسان العرب: مادة سوط ج٨/١٩٨–١٩٩ ومادة شيط ج٩/ ٢١١.

بدل (أكرم بها خلة)، ويروى أيضاً (يا ويحها خلة) . . .، ويروى (يا ويلها خلة) ثم وجه كل رواية بقوله: « وإن أنشد على الرواية المشهورة وهي: (أكرم بها خلة) كان ذلك في غاية المدح . . . وإن أنشد (فيا لها خلة) على الرواية الثانية بتقدير ألا فاعجبوا لها، أو فيا لها خلة، كان التعجب من كونها اشتملت على حسن الصورة وبديع الجمال . . . وإن أنشد (يا ويحها خلة) على الرواية الثالثة، كان ذلك من باب التأسف عليها حيث لم تتخلق بأخلاق الكرام المناسبة لبديع منظرها وكرم حسبها . . . وإن أنشد (يا ويلها) على الرواية الرابعة، كان من باب الدعاء على المحبوب المطلوب فيه عدم الإجابة . . . »[١] .

وفي رواية المتناظرات الدلالية مثل « حواليها » و« جنابيها » و« أهيب » و« أرهب » و« مفلول » و« مجدول » و« عبل » و« فعم » سوّى السيوطي بين كثير من هذه الأمثلة في الدلالة بقوله: « وهو بمعناه »، غير أنه اعتمد أحكام السياق والصنعة التعبيرية وما يتعلق بأناقتها وفنيتها أساساً في التوجيه والترجيح، فبتلاؤم الوصف، وانسجام أجزاء مشهده بعيداً عن التكرار والحشو، قوى السيوطي رواية « وجناء » على « قنواء » في قول كعب:

قنواء في حرتيها للبصير بها   عتق مبين وفي الخدين تسهيل

إذ أبان أن القناء عيب في الإبل والخيل كما هو منقول عن العرب، « وإن أنشد على الرواية الأخرى وهي « غلباء » لزم منه التكرار، لتقدم هذا الوصف في البيت الثامن عشر في قوله « غلباء » إلاّ أنه تقدم هناك تفسير الوجناء بمعنيين، أحدهما: الصلبة، والثاني: العظيمة الوجنتين، فيجوز أن يكون قصد هناك معنى الصلبة، لأنه هناك تكلم عن عظم خلقها، والمناسب لعظم الخلقة هو الصلابة والقوة، وأن يكون هنا قصد العظيمة الوجنتين، لأنه هنا تكلم في حسن الوجه والرأس من الأنف والأذنين والخدين، فلا يلزم منه تكرار المعنى، وإن تكرر في اللفظ، وهو أولى الوصف مما يعد عيباً في الإبل »[٢] .

---

(١) انظر كنه المراد: ق١٤٦أ.

(٢) كنه المراد: ق١٥٦ب.

وفي قول كعب:

تخدي على يسرات وهي لاحقة ذوابل مسهن الأرض تحليل

قال السيوطي وهو يأخذ في ترجيح الرواية مجانبة الشعر للتكرار والحشو: «وإن أنشد على الرواية الأخرى «وهي لاهية» بدل قوله «لاحقة» كان المعنى أنها لاهية عن السير، غير مكترثة به، مع إسراعها فيه، وذلك سجية لها، فهي تعقله مع غفلتها له، وهو أولى من حيث تعدد المعنى، إذ اللاحقة والذوابل متقاربان في المعنى»[١].

وإذا كان من وظائف الاختيار والانتقاء في العمل الأدبي أن يقصد في غايته العامة إلى إيصال انطباع وجداني لدى القارئ، فإن تحميل الكلمة أبعاداً جمالية خاصة، هو مظهر من مظاهر الاختيار في الأسلوب، فضلاً عن أنه أساس في الكلمة الدقيقة. وقد كان في قصيدة كعب شاهد ذلك، مما جعل السيوطي يعمل ذوقه وإدراكه في الإبانة عن ذلك بالتساؤل تارة، والتقرير تارة أخرى، كقوله: «فإن قيل لِمَ خصَّ الشج دون سائر أنواع المزج المتقدمة، فالجواب أيضاً من وجهين»[٢]. وقوله: «فإن قبل لِمَ خصَّ ماء المطر دون غيره من المياه (من صوب غادية) فالجواب من خمسة أوجه»[٣]. وقوله: «إنما خصَّ الأكم، التي هي الروابي بالذكر دون غيرها من الأرض؛ لأنها قليلة السلوك...»[٤]. وقوله مقرراً «قال أبوالسعادات ابن الأثير في نهايته: وإنما خص ماء محنية بالذكر، لأنه يكون أصفى وأبرد»[٥].

ومنح السيوطي الدال أبعاداً ثقافية نافعة، حين حمله الاستطراد إلى مقالات معرفية في القلب ومحله وقول أهل التشريح في وصفه، ورأي أهل الإدراك والمعرفة فيه؛ بأنه المخاطب والمطالب والمعاقب[٦]، وكذلك يقال عن الرياح وتعريفها ورأي الفلاسفة في تكونها، والحديث عن أصولها وأنواعها الأربعة: الصبا، الدبور، والشمال والجنوب.

---

(١) كنه المراد: ق١٥٧أ.

(٢) انظر كنه المراد: ق١٤٤ب.

(٣) انظر كنه المراد: ق١٤٥ب.

(٤) كنه المراد: ق١٥٧أ.

(٥) كنه المراد: ق١٤٥أ.

(١) كنه المراد: ق١٣٩أ.

ثانياً: تأويل المعنى (معنى المعنى)

التزم السيوطي في تحليل القصيدة تقديم معنى للبيت مجملاً، يأتي فيه على منطوق الألفاظ الظاهرة، غير أن ذلك لم يصرفه عن وضع المعنى العام في سياق من المعاني السابقة، طلباً للسببية والاتصال، وقصداً إلى ربط المعاني الجزئية بالمعنى المحوري للغرض، (الغزل، وصف الناقة، المدح) ولكن دون الالتفات إلى المعنى المحوري في القصيدة إلاّ نادراً، فمن الأبيات التي ربطت بالغزل قول كعب:

شجت بذي شبم من مـــاء محنية صاف بأبطح أضحى وهو مشمول

قال السيوطي: «ومعنى البيت أن الماء الذي مزجت به تلك الراح بارد وصاف، أخذ من منعطف الوادي في مسيل واسع، تربته دقاق الحصى، وكان أخذه منه في وقت الضحى، بعد أن ضربته ريح الشمال حتى برد، وذلك أنه لما شبه ثغرها بمنهل معلول بالراح على ما تقدم في البيت الذي قبله، شرع في وصف «الراح» الذي شبه الثغر بها، فوصفها أولاً بأنها مزجت بالماء»[١]. وكقوله: «ومعنى البيت.. وذلك أنه وصفها في البيت السابع والثامن والتاسع بتسعة أوصاف، وهي الإصابة بالمكروه والكذب... ومن كان بهذه الصفة لا ينبغي أن يوثق له بقول، ولا يتعلق له بوعد، ومن تعلق بالأماني، ووقف مع التمني، فقد طمع في المال، وأقل ما لا يرجى، فأتعب نفسه، وشتت خاطره[٢].

ومما جاء ارتباط معناه بوصف الناقة، قول كعب:

ترمي الغيوب بعني مفرد لهق إذا توقفت الحـــــــزاز والميل

الذي معناه: «أن هذه الناقة إذا اشتد الحر، وتوقدت الرمال والأمكنة الصلبة بحر الهواجر، وقرت العيون لشدة تأثير الشمس، كانت حينئذ في غاية تحدق البصر لمعرفة

---

(١) كنه المراد: ق١٤٤أ.

(٢) كنه المراد: ق١٥٠ب.

الطريق الدارسة الآثار، وذلك أنه لما ذكر في البيت الذي قبله أن همتها الطريق الطامس الأعلام، المجهول المسالك، بين في هذا البيت وجه اهتمامها بذلك، فشبهها بالثور الوحشي الذي قد ألف البراري والفلوات...»[1].

وندت عن السيوطي بعض الإشارات المحدودة إلى الحالات النفسية في النص، كالتأسف والتلطف والاستعطاف، وهي ذات قيمة على نحو ما في تأكيد أن المعنى الشعري نتاج التآلف بين الأفكار والمشاعر، ففي قول كعب:

أكرم بهـا خلة لو أنهـا صدقت موعودها أو لو أن النصح مقبول

بلور السيوطي إحساس التأسف الذي أظهره كعب لتباين جمال سعاد الخلقي الباطن عن الجمال الحسي الظاهر، إذ يقول: «ولما كانت سعاد من الحسن والجمال على الوصف الذي قدم ذكره، إلاّ أنها كانت سيئة العشرة، قليلة الموافاة، تأسف عليها لكونها لم تكمل خلالها، ولم تتم خصالها، ولم يصده ما لاقاه من سوء عشرتها، وقلة موافاتها عن محبته لها، ولم يثن عنانه عن مودتها، بل لم يزد فيها إلاّ هياماً، ولم يحدث عنده إلاّ وداً»[2].

وقد رصد كعب بن زهير الغزل ووصف الناقة للتنصل والاستعطاف في قوله:

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول اللّه مأمول

وقوله:

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ ـقرآن فيـــه مواعيظ وتفصيل

الذي جاء «كالتتمة للبيت الذي قبله: لاشتماله على تمام الاستعطاف في ثلاثة أوجه...»[3].

ويتشكل المعنى في قصيدة كعب بن زهير بالنظر إليه من خلال ائتلاف محورين، أحدهما، أفقي موضعي يتخد من أركان البيت الشعري منطلقاً له في تشكيل العلائق

---

(١) كنه المراد: ق١٥٠ب.

(٢) كنه المراد: ق١٤٦ب - ١٤٧أ.

(٣) انظر كنه المراد: ق١٦٠ب.

الفكرية والصفات الشعرية، والثاني: رأسي يتجلى بإحالة المعنى الأفقي الموضعي إلى المعنى العام في النص أو الصفة الجامعة، قصداً إلى وضع المعنى في السياق العام بالتنبيه على التوصيلات الدقيقة الجامعة له. ومن أمثلة ذلك قول كعب:

حرف أخوها أبوها من مهجنة وعمها خالها قوداء شمليل

وتناول السيوطي ذلك بالقول: «واعلم أنه قد صدر البيت بقوله «حرف» وقد تقدم أن المراد بالحرف: الصلبة القوية، ثم اتبعه بذكر تداخل نسبها، إشارة إلى أن مثل ذلك يؤثر في الإبل القوة، لرجوعها إلى نسب محقق في ذلك، إلاّ أن مثل ذلك إذا وقع في الآدميين أثر الضعف ونحافة البدن... ثم إنه أثبت للناقة كرم الأصل بقوله: «من مهجنة» وخلوص النسب بقوله «أخوهما أبوها وعمها خالها» رتب لها ذلك على صفتين من صفات كرائم الإبل الصفة الأولى؛ طول الظهر والعنق، وهو المعنى بقوله: «قوداء» على ما تقدم شرحه، وهو من أوصاف الإبل التي يتمدح بها. الصفة الثانية: الخفة والسرعة، وهو المراد بقوله: «شمليل»، وهو من أجمل الأوصاف التي فيها.

فإن قيل: قد ذكر وصف الخفة والسرعة بقوله: «النجيبات المراسيل» على ما تقدم، ثم أعاده هنا ووصفه بطول العنق بقوله: «قوداء». الجواب أن ذكر السرعة أولاً راجع إلى الوصف العام في الإبل، حيث قال:

أمست سعاد بأرض لا يبلغها إلاّ العتاق .... البيت، وذكره هنا مقصوراً على هذه الناقة المخصوصة. وكيف ما كان، فالخفة والسرعة هي المطلوبة في الناقة لهذه الحالة، إذ الغرض سرعة توصله إلى محبوبته مع بعد مسافة ما بينه وبينها. أما وصف طول العنق فإن في قوله: «قدامها ميل» جعله وصفاً مستقلاً بهذا المعنى، وفي قوله: «قوداء» أراد به طول الظهر، وطول العنق جافيته»(١).

ويذهب السيوطي إلى التأويل في الكشف عن خفايا المعنى والدلالة، إذ لا يكتفي بمنطوق البيت الذي كان يدل عليه بلازمة «ومعنى البيت» مباشرة بعد تحديده للدوال المفردة، بل كان مرماه المعنى الثاني المتأول، أو معنى المعنى الأبعد، وقد توسل إلى ذلك

---

(١) كنه المراد: ق٥٥أ.

بأساليب منها النص على احتمالات المعنى كقوله: «ثم لما أشار إلى عدم وفائها بالوعد لقوله «لو أنها صدقت» أتبع ذلك بوصف آخر وهو عدم قبول النصح، وهو محتمل لمعنيين: الأول.،... المعنى الثاني»[١]، بل إن السيوطي يربط الاحتمالية في إدراكه للمعاني بالتأويل نصاً في قوله: «وهو يحتمل تأويلين: الأول... التأويل الثاني، وذلك في تناوله لقول كعب: «كأنه منهل بالراح معلول»[٢].

وكثيراً ما يستبدل السيوطي باحتمالات المعاني مقاصد الشاعر التي يرمي إليها، جرياً مع المذهب ذاته الآخذ بتأويل المعاني وطلب انفتاح الدلالة فيها كقوله: «وقد اشتمل البيت على ثلاثة مقاصد»[٣]، وقوله: «ثم معنى البيت يرجع إلى مقصدين»[٤].

وتأتي الإشارة وسيلة أخرى من وسائل السيوطي في الكشف عن المعاني غير الظاهرة، فكعب بن زهير «وإن لم يصرح بالحرّ فقد أشار إليه من وجهين...»[٥] وفي قول كعب «أمست سعاد بأرض لا يبلغها...» كانت «الإشارة في البعد من وجهين»[٦]. وفي وضع كعب لكفه في يمين رسول الله ﷺ «أشار في بعض كلامه إلى ثلاثة مقاصد»[٧].

وتعزز الأسئلة التي يطرحها السيوطي أسلوباً آخر في انتاج المعنى المتأول الأبعد، إذ يحمل السؤال المتوقع أو المتخيل إجابة لخصوص التصور، ودقيق المقصدية في مطالب الموقف والتفكير والتعبير من النواحي النفسية والفنية. فمما كان السؤال فيه كاشفاً لدقائق الموقف الشعري قوله: «فإن قيل كيف ساغ أن يتغزل بامرأة في قصيدة أنشدها بين يدي النبي ﷺ؟ فالجواب: أنه جرى في ذلك على عادة العرب في أشعارهم، وسماع

---

(١) انظر كنه المراد: ق١٤٧ب.

(٢) انظر كنه المراد: ق١٤٢أ - ١٤٢ب.

(٣) كنه المراد: ق١٦٢ب.

(٤) كنه المراد: ق١٥٢أ.

(٥) كنه المراد: ق١٥٧ب.

(٦) كنه المراد: ق١٥٢ب.

(٧) كنه المراد: ق١٦٦ب.

النبي ﷺ لذلك دليل الجواز إذ يحتمل أنه قصد امرأة معينة كانت حليلته وبانت عنه فتغزل فيها، وقد نص العلماء رضي الله عنهم على أنه إنما يمتنع التغزل فيها إذا كان الشخص معين أو امرأة أجنبية، أما إذا كان بحليلة أو غير معين فلا منع فيه كما تقدم، على أن محبتهم كانت غير مفضية إلى الخنا والقبح. ويحتمل أنه لم يقصد بذلك امرأة معينة، بل جرى فيه على أكثر عادة الشعراء في ذلك، ولا منع فيه»(١).

وقوله: «فإن قيل لم قدم وصف الغنة على وصف غض الطرف، ووصف غض الطرف على وصف الكحل؟ فالجواب أن الغنة من صفات الصوت، والغالب سماعه مع عدم الرؤية، ثم تلاه بوصف غض الطرف الذي لا يمكن النظر إليه إلاّ مع انطباق الجفن؛ ثم تبعه بذكر الكحل الذي لا يمكن رؤيته إلاّ مع انفتاح العين، وكأنه لمّا سمع صوتها استحلاه، فدعاه ذلك إلى رؤيتها، فاحتال على نظرها، فرأى جفنها منسدلاً لغلبة الحياء عليها، فدعاه ذلك إلى رؤية داخل عينها، فسارقها النظر حتى رآها، فرأى في كل الحالات ما أبهج خاطره، وهيّج بلباله»(٢).

ومن ذلك قوله: «فإن قيل لأي معنى اختار ذكر الممزوجة في كلامه على الصرفة، حيث قال «شجت»؟ فالجواب: من وجهين،... فإن قيل لم خص الشج دون سائر أنواع المزج المتقدمة؟ فالجواب أيضاً من وجهين...»(٣).

ومن الأسئلة التي طارد بها السيوطي الدلالة البنائية لقول كعب:

ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق   إذا توقـــــــدت الحزاز والميلُ

قوله: «فإن قيل لم خص الثور الوحشي بالتشبيه به في حدة البصر دون غيره من الحيوانات، ولم خصه بذلك في حال تفرده دون غيره؟ الجواب: أن الثور الوحشي من أحد الوحوش نظراً، وإن انفرد عن أنيثته، يكثر حينئذ تحديقه في النظر، ويقوى نشاطه وخفته. فإن قيل لم خصه بالبياض ولا مدخل للون في تشبيهه الناقة بالثور في

(١) كنه المراد: ق ١٤٠ب.

(٢) كنه المراد: ق١٤٢أ.

(٣) كنه المراد: ق ١٤٤ب.

حدة البصر؟ فالجواب في ذلك معنى آخر غير تحديق النظر وحدته، وهو الحسن، لأن عين البقر الوحشية في غاية من السواد، فإذا كان الثور منها مع سواد عينيه أبيض، كان في غاية الحسن»(١).

ومما أدرك به السيوطي الدلالة البعيدة، متجاوزاً بها حدود اللغة المقيدة ظاهرياً، قول كعب:

يمشي القراد عليها ثم يزلقه منهــا لبان وأقراب زهاليل

إذ يقول: «فإن قيل عطف قوله «يزلقه» بثم وهي للتراخي.. فمقتضى قوله أن القراد لا يزلق عنها بسرعة بل يبقى زماناً؟ الجواب: أن ثم تقع في كلام العرب لغير الإمهال كما في قوله الشاعر:

كهز الرديني تحت العجـــاج جرى في الأنابيب ثم اضطرب

إذ ليس المراد تأخر اضطراب الرمح عن زمن جريان هذه الأنابيب، فكذلك لا يراد هنا تطاول زمن مشي القراد عليها وتراخي الإزلاق عنها»(٢).

وانعطف السيوطي بمعنى المعنى في القصيدة إلى آفاق إنسانية واجتماعية، حين استنهض خبرته في الفهم والتلقي مستوعباً بها مدارات المعاني الشعرية، وما يرتبط بفلكها، وما ينزاح عنها، بالأسئلة تارة وبالتقرير تارة أخرى. فقد وصل السيوطي السؤال عن مسوغ وصف كعب لمحبوبته الذي لا يليق بعدو فضلاً عن حبيب، بجواب قائم على بعد اجتماعي وإنساني في آن، حين جعل ذلك متعلقاً بأحوال المحبة من الوصل والهجر وما شاكل ذلك من جهة، وبتنفير الآخر من طلبها، وتقليل الرغبة في حبها من جهة أخرى(٣).

وجاء قرار السيوطي تعليمياً إنسانياً في تحليله لفراق سعاد ورحيلها عند قول

---

(١) كنه المراد: ق١٥٣ب.

(٢) كنه المراد: ق١٥٥ب.

(٣) انظر كنه المراد: ق١٤٩ب.

كعب: «وما سعاد غداة البين إذ رحلوا...» إذ يقول: «واعلم أن بعد الأحباب عذاب، وإذا كان المحب مع قرب الدار لا يشفي غليله، ولا يشقي عليله، فكيف يصبر على البلاء، أو يلذ له الرقاد؟»(١).

وفي حمى هذا الانعطاف جاء الاستطراد إلى قيم دينية وعلمية وأدبية، تضع المعنى الشعري في أصوله التي نبت منها، أو جذوره التي تفرع عنها، ففي قول كعب:

تسعى الوشاة جنابيها وقولهم إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

كان حديث السيوطي متصلاً بالبيت حين استوعب الوشاية بين الأحبة بحكم شرعي في قوله: «واعلم أن السعي والمشي بالنميمة، وإفساد ما بين الأحبة، خصوصاً بالزور والبهتان، أمر مذموم شرعاً، وقد ورد الكتاب والسنة بذمه، والنهي عنه قال اللّه تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾ فأمر بالتبين والثبيت فيما ينقله الساعي، ويمشي به النمام... وسماه فاسقاً بقوله ﴿**إن جاءكم فاسق**﴾ والمعنى فيه أنه إذا نمّ ومشى في السعاية، خرج عن أن يكون ثقة، وقد ذمه الله تعالى، ونهى عن طاعته واتباعه بقوله: ﴿**ولا تطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتدٍ أثيم**﴾ ووعده بالويل بقوله: ﴿**ويل لكل همزة لمزة**﴾ والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل، وقد قال ﷺ «أبغضكم إليَّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة»(٢).

وفي قول كعب يمدح الصحابة رضي اللّه عنهم بلبس الدروع:

شمّ العرانين أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل

دفع السيوطي شبهة هذا الوصف وسلبية دلالته بشبيه شعري، ونظير فني، من خلال منهجية السؤال والجواب، وذلك بقوله: «فإن قيل: كيف حسن مدحهم بلبس

---

(١) كنه المراد: ق١٥٣أ.

(٢) كنه المراد: ق١٥٨ب.

الدروع، والقتال دون لبسها أعلى في رتبة الشجاعة، وقد أنكر عبدالملك بن مروان علي كُثَيِّر حين امتدحه بقوله:

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة ... أجـــــاد المسدي سردها فأذالها

يؤم ضعيف القوم حمــــل قناته ... ويستضلع القرم الأشم احتمالهــــا

ولم يمدحه بمثل قول الأعشى في قيس بن معد يكرب:

وإذا أتى بكتيبة ملمومـــــة ... شهباء يخشى الدارعون نهالها

كنت المكرم غير لابس جبـــة ... بالسيف تضرب معلماً أبطالها

فالجواب: ما أجاب كثير عبدالملك في قوله: «يا أمير المؤمنين، قد وصفتك بالحزم، ووصف الأعشى صاحبه بالجنون.... وإنما وقع من كثير لعبدالملك هو من باب المبالغة، وفيما قاله يريد نظر الحزم، فإن الحزم دليل القوة... ومن تمام الحزم الاحتراز، كما أشار إليه كثير، ولذلك أمر اللّه تعالى في قوله: ﴿ **وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم** ﴾ فيكون المدح بلبس الجبة أتم، ولذلك ذهب إليه كعب في مدح المهاجرين»(١).

وكان الشعر قيمة أدبية ظاهرة الحضور في تعزيز الدلالة في تحليل السيوطي، وقد تباين اعتماده عليه تبايناً واضحاً بين أغراض القصيدة الثلاثة، إذ إنه حشد أكثره في الغزل، فكان عدد الأبيات المستشهد بها مائة وسبعين بيتاً (١٧٠)، في حين لم تجاوز نماذجه أربعة عشر بيتاً في وصف الناقة ومثلها في غرض مدح الرسول ﷺ، فهل يعني ذلك أن خبرة السيوطي في تلقي الغزل وفهمه أوسع مجالاً؟ أم أن طبيعة الغرض تفرض خبرات معينة في التلقي؟ أياً كان الأمر في ذلك، فإن هذه المقطعات التي فيها البيت وفيها البيتان وفيها الخمسة أبيات أيضاً حدّاً أقصى، تشكل ديواناً شعرياً صغيراً، على أن الجدول التالي يعطي مزيداً من بيان عن هذه الخبرة:

---

(١) كنه المراد: ق١٦٤أ.

البيت	عدد الأبيات	المقطعات المنسوبة	المقطعات غير المنسوبة	الشواهد
الأول	٢٠	٧	٣	١٠
الثاني	١٥	٦	٤	١٠
الثالث	١٦	٦	٨	١٤
الرابع	١٢	٨	٢	١٠
الخامس	٤	-	٢	٢
السادس	١٨	٥	٦	١١
السابع	١٨	٧	٣	١٠
الثامن	١١	١	٢	٣
التاسع	٢٦	١١	٤	١٥
العاشر	١٦	٧	٢	٩
الحادي عشر	٦	٥	١	٦
الثاني عشر	٤	١	٢	٣
الثالث عشر	٨	-	٥	٥
	١٧٠	٦٤	٤٤	-

فهذا الإحصاء يشير إلى أن السيوطي كان معنياً بالدلالة وآفاقها الشعرية دون النظر إلى توثيق نسبتها، ذلك أن نسبة غير المعروف (٤٠ر٧) كبيرة إذا قيست بنسبة المعروف (٥٩ر٣)، فضلاً عن الإشارة إلى أن الشعر كان مكثف الحضور في الإبانة عن المقاصد الخفية، ملاحقاً لها، فثمانية أبيات من ثلاثة عشر بيتاً من قصيدة كعب استحضر السيوطي فيها أكثر من تسع مقطعات شواهد تفسيرية توضيحية.

ولم يكن الشاعر المشهور بالغزل والمتخصص في قوله في هذا الحشد من المقطعات، هو محط عناية السيوطي، بل إن مرجعيات المعنى وتحديد الدلالة هي الأساس في استحضار النموذج الشعري، فبينما كان التمثل بشعر مجنون ليلى وكثير عزة وجميل بثينة والعباس بن الأحنف ونصيب وابن الطثرية محدوداً في المرة الواحدة غالباً، وفي

المرتين نادراً، فإنا نجد شعر أبي نواس يتمثل به ثلاث مرات، والبحتري ثلاثاً، وابن الفارض ثلاثاً أيضاً.

وقد أتى السيوطي في انتخابه الشعري في الغزل وتوابعه من المعاني على أزمان الشعر العربي، قديمه ومحدثه، شرقية ومغربيه، فضلاً عن مقليه ومكثريه، واتجاهاته الحسية والعذرية والإشارية الصوفية. فمن الجاهلية كان عمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد، ومن عصر الإسلام جرير والفرزدق، ومن العصر العباسي أبوتمام وبشار والوأواء الدمشقي والطغرائي وابن نباته، والسري الرفاء، وعتيق بن محمود الوراق، ومن الأندلس ابن خفاجة والمستعين بالله بن الحكم الأموي، وأبوعبدالله محمد بن الأغلب بالله محمد بن يوسف نصر بن الأحمر، ومن المتصوفة ابن الفارض والبوصيري والقشيري.

وكان مدار الأبيات الغزلية على البيت والبيتين والثلاثة غالباً، والأربعة نادراً، ولم يتجاوز السيوطي ذلك إلى الخمسة أبيات والستة إلاّ في موضعين، أما الاستدلال في الموضع الأول فكان مكيناً في الدلالة على المعنى، فقد جاء قول المستعين بالله بن الحكم الأموي، أحد خلفاء الأندلس:

عجباً يهاب الليث حد سناني ... وأهاب لحظ فواتر الأجفان

وأقارع الأهوال لا متهيباً ... منها سوى الإعراض والهجران

وتملكت نفسي ثلاث كالدّمى ... زهر النجوم، نواعم الأبدان

حاكمت فيهن السلو إلى الصبا ... فقضى بسلطان على سلطان

فأبحن من قلبي الحمى وتركنني ... في عزّ ملكي كالأسير الفاني

شاهداً على التتيم، والأسر والرق والذل في قول كعب بن زهير «متيم إثرها» وتعبيراً عن قول السيوطي: «إن المحب إذا تعلق قلبه بالمحبوب، واشتغل خاطره به، صار قلبه في يد محبوبه يتصرف فيه كيف يشاء، ويديره في قبضته كيف شاء، فليس منه مخلص، ولا إلى غيره منه مهرب، فأشبه الأسير المستعبد الذليل في يد من أسره»[1].

---

(١) كنه المراد: ق ١٤٠ب.

وأما الاستدلال بالأبيات الستة في الموضع الثاني، فقد جاء استطراداً لتمكين معلومة غير أساسية في السياق اللغوي، كقول تأبط شرّاً:

ألا مَــنْ مبلغ فتيـــان فهـم — بمـــا لاقيت عند رحى بطان
بأني قـــد لقيت الغول يهوي — بسيف كالصحيفة صحصحان
فقلت لهــا: كليث من ضوار — أخو سفر فخلّى لي مكـــان
فشدت شدة نحـوي فـأهوت — لهـا كف بمصقول يمـــان
فأضربهـــا بـــلا دهشٍ فخرت — صريعـــاً لليدين وللجـــران

الذي ساقه السيوطي دلالة على زعم العرب أن الغول (نوع من الشياطين) «كانت تتراءى لهم في الفلاة بألوان شتى، وتأخذ جانباً عن الطريق، فيتبعها من يراها ظاناً أنها على طريق، فيـضل عن الطريق فيـهلك، وربما قـالوا أنهـا تعـتـرضـهـم في الطريق فتجاريهم»[1].

ومنح السيوطي الاستطراد في هذه المنتخبات الشعرية قيمة أدبية من خلال ثلاثة أساليب، **الأول**: إصدار أحكام ذوقية انطباعية على بعض نماذجها بقوله: «ما أحسن قـول القـائل..». «ما أحلى قـول القـائل»، «ولله در القـائل»، الذي نجده في تناول السيوطي لقول كعب: «إن الأماني والأحلام تضليل» قال: «إلاّ أن العاشق ربما استراح إليه وعلل به نفسه، كما يعلل نفسه في طول العمر بالأمل... وأما الحلم بالمحبوب وزيارة طيفـه في المنام، فـإنه الحـال الحـائل والوصـال الذي ليس تحتـه طائل، ولله در القائل:

قد زارني طيف من أهوى على جلد — من الوشاة وداع الصبح قـــد هتفا
فكدت أوقـظ من حولي به فرحـــاً — وكـــان يهتك ستر الحب بي شغفـــا
ثم انتهيت وآمـــــالــــي تخيبني — نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفـــا

---

(١) كنه المراد: ق١٤٨ب.

وما أحسن قول ابن القطان البغدادي:

زال الخيال نحيلاً من مرسله لما شفاني منه الضم والقبل

ما زارني قط إلاّ كي يوافقني على الرقاد فيغنيه ويرتحل

ولما كان الطيف بهذه المثابة لم يرضه بعضهم، بل نفاه وطرده، كما قال طرفة بن العبد:

فقل لخيال الحنظلية ينقلب إليها فإني واصل حبل من وصل

على أن بعض المحبين يأنس بالخيال ويتسلى به، كما قال البحتري:

إذا ما الكرى أهدى إليَّ خيالها شفا علة التبريح لو نفع الصدا

ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا نعذب أيقاظاً وننعم هجدا

بل بالغ التهامي حتى فضله على اليقظة فقال:

وصل الخيال ووصل الجود إن بخلت سيان ما أشبه الوجدان بالعدم

الطيف أحسن وصلاً إن لذته تخلو عن الإثم والتنغيص والندم»[١]

الثاني- تحليل النماذج الشعرية الشواهد تحليلاً دلالياً قاصداً الإبانة عن أبعاد المعنى الشعري في قصيدة كعب بن زهير، مقارنة له بما تداوله الشعراء العرب مخالفة أو مؤالفة، من ذلك قول عمرو بن كلثوم:

مشعشعة كأن الحصّ فيها إذا الماء خالطها سخينا

قال السيوطي: «قال أبوعمر الشيباني: كانوا يسخنون لها الماء في الشتاء، والحصّ في البيت بضم الحاء والصاد المهملتين: الورس، وقيل الزعفران، جعل أن الماء إذا خالطها سخناً أثار منها رائحة طيبة، ولعل ذلك كان يقع لهم في البرد الشديد الذي تجمد فيه الخمر لشدته، فإذا وضع الماء السخن فيها لطفها ورققها، بخلاف البارد، فإنها تزيد

---

(١) كنه المراد: ق١٥٠-١٥١أ.

جموداً إلى جمودها. وإلى هذا المعنى يشير القاضي الفاضل رحمه الله تعالى واصفاً لشدة البرد: «في ليلة قد جمد خمرها، وخمد جمرها..»(١).

ورصد السيوطي هذا التدقيق اللغوي لوضع المعنى الشعري عند كعب في قوله «شجت بذي شبم من ماء محنية...» في سياق الاتجاه الشعري في هذا المجال فقال: «واعلم أن ما ذكره من وصف ماء المزج بالبرد، جرى فيه على الغالب، وربما وقع في كلامهم مزجها بالماء الحار كما أشار إليه عمرو بن كلثوم بقوله في أبيات».

وفي قول الحريري:

تفتر عن لؤلؤ رطب وعن بـرد   وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

قال السيوطي: «فشبه ثغرها باللؤلؤ الشديد بياضه ونقائه، ففيه دلالة على وصفين آخرين مما يستحسن ويرغب إليه؛ الأول: حداثة السن، فإن الإنسان كلما طعن في السن تغير لون أسنانه عن البياض إلى الصفرة أو الخضرة، الثاني: النظافة، لأن تغيّر الأسنان إنما يصدر عن ترك السواك وعدم تعهد الأسنان»(٢).

ركان انعطاف السيوطي إلى هذا التحليل الفني تنبيهاً على مذهب كعب المؤالف للذوق العربي في «أن بياض الأسنان مما يستحسن في الإنسان وتتطلع إليه النفوس، وتنبعث إليه الخواطر»(٣).

الثالث- مناقضة أصحاب المنتخبات الشعرية التي أستأنس بها، بتوجيه معانيها تأييداً وتأكيداً، ورداً ونفياً، فمن ذلك ما جاء من نماذج شعرية في مذهب الشعراء في معالجة إعراض المحبوب وكراهيته للمحب، قال السيوطي: «ولأهل المحبة مذهبان، أحدهما: التحمل والصبر... وثانيهما: أخذ المحبوب بالقهر إن لم يسمح بالوصل كما قال السلطان أبوعبدالله محمد بن الأغلب بالله محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر الأندلسي في ذلك:

أيا ربة القرط التي حسنت هلكي   على كل حال كان لا بد لي منكِ

---

(١) كنه المراد: ق١٤٤ب.

(٢) كنه المراد: ق١٤٣أ.

(٣) كنه المراد: ق١٤٣أ.

فإمـــــا بذل فهو أليق بالهوى وإمـــــا بعز فهو أليق بالملكِ

على أن صلاح الصفدي لم يرتض هذا المذهب، فقال راداً على ابن الأحمر:

تمسك بذل فهو أليق بالهوى لتنظم مع أهل المحبة في سلك

متى لاق بالعشاق عز وسطوة كأنك من ذل المحبة في شكِّ

ولا شكَّ أن ابن الأحمر تكلم على قدر مقامه، وعزيز مكانه في السطوة والقهر، والصلاح الصفدي تكلم عن ما يليق بمقام العشق في نفس الأمر، فالعشق يذل الأسود، ويلين الصلد، إلاّ أنه إذا دار الأمر بين الذل والوصل، فالوصل بالعز أولى، كما قلت منتصراً لابن الأحمر وراداً على الصفدي:

إذا لـم يكن وصل إلى الحب مسعف وأمسيت تحت الضير والعشق والضنك

ولـم أستطع صبراً على الذل والهوى فبالعز وصل الخود أولى من الترك[١]

فهذان البيتان جاءا في سياق مناقضة تامة، التزم فيها السيوطي الوزن (الطويل) والقافية (الكاف)، كانت غايتها هدمية لشعر يوسف بن نصر، وتعزيزية لشعر الصفدي.

وللسيوطي مشاركة أخرى بشعره كانت في سياق مناقشة المعاني الشعرية وآفاق الدلالة التي يولدها شعر كعب، وهي وإن كانت محدودة معدودة في مقطوعتين في أربعة أبيات فقط، إلاّ أنها ذات بيان عن اعتداد السيوطي برؤيته الشعرية الموافقة أو المخالفة، فمما جاء في معاناة المحب وما يقاسيه من الوشاة قوله[٢]:

احرص على طرد الرقيب وبعده إن تغتنم وصل الحبيب تلاعبه

كم ليلة بـات الحبيب بجانبي لكنني خوف الرقيب أجانبه

وفي تكذيب دعوى المحبوب في التذرع بالعوائق عن الوصل يقول:[٣]

تقيـم معاذيراً وتزعـم صدقها وتطمـع آمـالي بهـا فـألـين

(١) كنه المراد: ق١٥١أ.

(٢) كنه المراد: ق١٤٨أ.

(٣) كنه المراد: ق١٤٨أ.

وتحلف لو تستطيع جادت بوصلها　　وليس لمخضوب البنـــان يمـــين

وهذه الأبيات الثمانية هي مجموع ما ضمنه السيوطي هذا الشرح من شعره، وإذا كان هذا العدد لا يمنح الدارس رؤية شمولية في التقويم، إلاّ أنه شاهد على اتجاه شعر العلماء والفقهاء في النزوع المنطقي المتجافي في خطابه عن مطالب الفن في الانفعال والخيال.

وانتخاب السيوطي لنماذجه الشواهد في شرح المعاني وتفسيرها لم يكن في مستوى متوحد من الأدبية، بل تسللت بعض النصوص الضعيفة التركيب، الباهتة العاطفة، كقول الشاعر[١]:

يا حسن الوجـه توق الخنـا　　لا تبـــدل الزين بالشـــين

ويا قبيح الوجه كن محسنا　　لا تجمعـــن بين قبيحـــين

٣- السياق وتشكيل المعنى

كان من مقاصد السيوطي في تحليل القصيدة «بيان ترتيب هذه القصيدة وسياقتها التي سيقت عليها». فعرَّفَ بأنماط النسيب الأربعة التي تتعلق بالمحب والمحبوب، من حيث الصفات التي هي أسباب المحبة كالشغف والنحول والذبول من جهة المحب، وحمرة الخدود ورشاقة القد والحياء من جهة المحبوب، وما يتعلق بالمحب والمحبوب من هجر وصد ووصل وسلوى واعتذار ووفاء، وما يتعلق بغيرهما بسببهما من الوشاة والرقباء. «والناظم قد أتى في قصيدته قبل التخلص إلى المدح بالأنواع الأربعة»[٢].

وعدّ السيوطي وصف الرحلة أو وصف الناقة من البيت الرابع عشر إلى آخر البيت الثاني والثلاثين من النوع الثالث من النسيب: إذ يقول «فاستوفى في وصفها تسعة عشر بيتاً، ثم أخذ في ذكر النوع الرابع، وهو ما يتعلق بغيرهما بسببهما، فذكر الوشاة وحاله معهم في البيت الثالث والثلاثين بقوله: (تسعى الوشاة جنابيها..) واستطرد في ذلك إلى آخر البيت السادس والثلاثين. وهو آخر الغزل»[٣].

---

(١) كنه المراد: ق١٤٧أ.

(٢) كنه المراد: ق١٣٨أ.

(٣) كنه المراد: ق١٣٨أ.

ولعل السيوطي أدرك على نحو ما أن كعباً خرج عن المألوف في شعره وشعر غيره من أن الناقة وسيلة من وسائل التسرية وتشتيت الهم، حين جعلها وسيلة للوصول إلى المحبوب ووصله(١).

غير أن السيوطي الذي يرى في هذا الموضع التنظيري أن حديث كعب عن الوشاة استطراد في دائرة الغزل من قوله (تسعى الوشاة جنابيها) إلى قوله: (فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم...) نجده في موضع التطبيق والتحليل يخص قول كعب (تسعى الوشاة حواليها...) بأنه نقطة العبور، ومجاز الدخول إلى المدح، إذ يقول بعد أن تحدث عن مقصدين في البيت هما: (سعيهم عندها وإيغار صدرها عليه)، (وإرجافهم وتخويفهم له، وإظهار الشماته به): « ومن هنا تخلص إلى ذكر قصة نفسه، وكيف كان ابتداء أمره مع النبي ﷺ، فانتقل من ذكر سعي الوشاة به عند سعاد إلى تخويفهم له بالقتل الذي كان أوعده به النبي ﷺ حين هدر دمه قبل إسلامه، وهذا هو النوع الرابع من أنواع النسيب. وهو المتعلق بغير المحب والمحبوب بسببهما كما تقدم في أول الشرح، وهو كالتوطئة لما يأتي بعده من المدح »(٢).

لقد منح السيوطي الأبيات الثلاثة ارتباطاً بالغزل؛ لأنها ذات تعلق بالوشاة والرقباء بسبب المحب والمحبوب وعلاقتهما، وفي هذا الربط مجانبة للصواب لأسباب بعضها لغوي وبعضها الآخر فقهي تفسيري.

فقد ارتضى السيوطي رواية « تسعى الوشاة حواليها » ولم يأخذ برواية « تسعى الغواة » فانحرفت به القراءة التلازمية بين الوشاة والعشاق، والرؤية التضمينية لما يكون من سعيهم في التفريق بين المتحابين، إلى توجيه البيت إلى معنى الغزل ومطالبه، حيث صار الوشاة ذوي وظيفة ثنائية وغائية ازدواجية في سعيهم عند سعاد وإيغار صدرها عليه، وإرجافهم وتخويفهم له بالقتل. ولو التفت إلى رواية « تسعى الوشاة حواليها » لأدرك عدداً من الدلالات البينة على غير ما ذهب إليه، فرواية « يسعى الغواة حواليها » التي لم

---

(١) قصيدة كعب بن زهير بانت سعاد وأثرها في التراث العربي، د. محمد السيد ص٦١.

(٢) كنه المراد: ق١٥٥ب.

يأخذ بها السيوطي، أليق بالسياق من رواية «يسعى الوشاة حواليها»، إذ في الغواية والغواة دلالات مفتوحة علي الغي الذي هو الضلال والفساد وعدم الرشاد، ومجانبة الإثابة إلى العقل والاحتكام إليه، مما هو شديد الالتصاق بالتوجيه العقلي والتصور الفكري العقدي، وهو ما لا يحققه «الوشاة» في دلالته النفسية المقيدة بتكدير الصفو، وتزويق الأحاديث، وتزيين الكلام وخلطه، فمحط توجيه الغواة هو الاعتقاد، ومناط تعلق الوشاة هو الاحساس والنفس، ولا شكَّ أن كعباً كان قراره بالتوجه إلى المدينة للقاء رسول اللّه ﷺ اعتقادياً تصحيحياً وليس شعورياً عابراً.

وجعل السيوطي متعلق الضمير في جنابيها وحواليها: «بسعاد»، «أي جانبي سعاد لا الناقة»، ولو قلب الأمر فجعله متعلقاً بالناقة وهو عائد الضمير ومرجعه الأقرب؛ لتبدى له أن الرحلة بالناقة كان اتجاهها إلى رسول الله ﷺ لا إلى سعاد، وإن نشاط الغواة وحركتهم كان حول الناقة بالتفزيع له والتخويف صرفاً له عن قراره، وبالشماته به والسخرية منه، عطفاً له عن عزمه، وتثبيطاً له عن مسيره. وتكون العلاقة الركنية بين سعي الوشاة وقولهم: «إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول توافقية سواء أكانت رواية «قولهم» بالضم أم بالنصب.

على أن الرحلة التي بدأت في الظاهر تطلب سعاد «ولن يبلغها إلاّ عذافرة...» انتهت بمفارقة ذات مفاجئة بتغيير وجهة رحلة الناقة، فإذا بها تتجه صوب رسول اللّه ﷺ، يتبدى ذلك بهذه المحاورة في قول الوشاة: «إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول» وإجابة كعب: «خلوا سبيلي.. فكل ما قدر الرحمن مفعول» وعلى ذلك كانت حركة الناقة تحمل خفقان القلب، واهتزاز النفس بالأمل. والإشفاق من عدم تحقيقه، وتبلور العزم والتصميم الجاد على الوصول وتحقيق المراد، فالموعد المهم في وصال سعاد غلبه وعيد أهم، ولذلك كان الانحراف بالاتجاه مؤتلفاً بالسياق العام وإن كان مفاجئاً، غير أنه ليس استطراداً وليس غزلاً، بل هو مجاز بالناقة إلى المدح.

وأياً كان الأمر فإن السيوطي أدرك على نحو ما هذا التخلص بقوله: «ومن هنا تخلص إلى ذكر قصة نفسه، وكيف كان ابتداء أمره مع النبي ﷺ»، وهذا التخلص وإن لم يمنحه السيوطي بعداً نقدياً من الحسن والبراعة (حسن التخلص وحسن الانتقال)،

على الرغم من استحقاقه لذلك بما أشرت إليه سابقاً، فإنه يكشف عن عناية ظاهرة في الوقوف على متوالية متماسكة للنص، وبناء متكامل للقصيدة.

فقد التمس السيوطي لتماسك النص نقطة ارتكاز نفسية تلتقي عندها أفكار النص وتداعيات معانيه، التقطها من ابن هشام[١] في قول كعب:

أُنبئت أن رسول اللّه أوعدني والعفو عند رسول اللّه مأمول

قال السيوطي: «جميع ما تقدم توطئة لهذا السبب، فإن غرضه من القصيدة التنصل والاستعطاف»[٢]، وقد سبق عبداللطيف البغدادي ابن هشام والسيوطي في تحديد هذا المرتكز عند شرحه للبيت بقوله: «هذا هو الغرض المقصود من القصيدة، وسائرها مقصود لهذا البيت، وهو التماس العفو»[٣].

وكان يمكن لهذا المرتكز النفسي أن يكون مفتاحاً ضوئياً للكشف عن تلاحم أجزاء النظم، لو أن السيوطي ومن سبقه في الإشارة إليه وسعوا مفهومه، ومنحوه الأهمية في ربط ظاهرة التباين في الأغراض والمعاني في النص[٤].

ودلل السيوطي على منهجه هذا إما بجمع الأبيات ذات التلازم الظاهر وشرحها معاً، وكان ذلك قليلاً محدوداً في موضعين، في البيت الحادي والأربعين والثاني والأربعين، وفي البيت الرابع والأربعين، والخامس والأربعين، وكان تعليله لذلك بقوله: «هذان البيتان مرتبط أحدهما بالآخر مع تواليهما، فحسن الكلام عليهما جملة واحدة»[٥]، أو بالتماس أوجه اتصال الأفكار سياقياً، وهو كثير.

وكانت وحدة المعنى في سياق المعنى الخاص أو الفكرة العامة محط عناية السيوطي

---

(١) انظر شرح قصيدة بانت سعاد ص١٨٧.

(٢) كنه المراد: ق١٥٩ب.

(٣) شرح قصيدة بانت سعاد ص١٤٨.

(٤) انظر تطبيقات على هذا المرتكز النفسي في الباب الرابع «مرويات شعرية وقيم جمالية» من كتاب نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده ص٣٣٧-٤٤٣.

(٥) كنه المراد: ق١٦١أ.

في تحليل النص، وذلك بإيجاده علة الارتباط بين معاني الأبيات موضعياً، أو اتصالها رأسياً كقوله: «والمعنى في البيت ظاهر، وحاصله: أنه لما ذكر حال نفسه، وما أعقبه الفراق من الضنك، شرع في وصف ذكر محبوبته التي يهواها، وما اشتملت عليه من المحاسن.. فشبهها بظبي موصوف بأحسن الصفات...»[1] وكقوله: «لما وصف الماء الذي شجت به الراح في البيت الذي قبله بما يرجع حاصله إلى الكثرة والبرودة والصفاء على ما تقدم تقديره هناك، أتبعه في البيت بما يؤكده. فوصفه بخمسة أوصاف...»[2]، ومن ذلك قوله: في تناول قول كعب (مهلاً هداك الذي عطاك نافلة القرآن..): وهو كالتتمة للبيت الذي قبله، لاشتماله على تمام الاستعطاف في ثلاثة أوجه..،» وفي قول كعب: (لا تأخذني بأقوال الوشاة...) قال: «وهذا من تتمة الاستعطاف والتلطف في القول المتوصل به إلى استجلاب القلوب واستمالة الخواطر... وقد وقع الاستعطاف والتلاطف فيه من ثلاثة أوجه...»[3].

والسيوطي يستعين أحياناً بابن هشام في هذا المجال كقوله: «هذا البيت في الحقيقة مؤكد لقوله: «وجلدها من أطوم... البيت المتقدم. قال ابن هشام: «ولو ذكره إلى جانبه كان أولى». وذلك أنه في ذلك البيت وصف جلدها بالصلابة، بحيث أن الطلح الذي هو القراد لا يؤثر فيه لصلابته، وهذا قدر زائد على ذلك، وهو ملاسة جلدها، بحيث أن القراد يزلق من عليه»[4].

وفي اتصال الأبيات رأسياً في السياق العام للقصيدة، تجاوز السيوطي العلاقات الموضعية بين البيت والآخر إلى الكشف عن العلاقات الفكرية بوسائل منطقية عقلية، وأخرى لغوية فنية، وهما الجانبان الأساسان في عملية تنسيق النص وبلورة نظامه، ففي الغزل ذكر كعب بن زهير فراق سعاد بقوله: «بانت سعاد» ثم أتبعه بالبيت بالثاني

---

(١) كنه المراد: ق١٤١أ.

(٢) كنه المراد: ق١٤٥ب.

(٣) كنه المراد: ق١٦٠ب.

(٤) كنه المراد: ق١٥٥ب.

بقوله: «وما سعاد غداة البين إذ رحلوا» وأتى على ذكر أوصافها المحمودة من الحسن والجمال الذي لا يلوم على العشق معه لائم، ولا يليق عند الإنصاف أن يعدل معه عادل، ثم أعقبه بذكر أوصافها في العشرة من الصد والجفاء وما في معناه في الأبيات المتعددة بعد ذلك، ثم أعقبه بذكر ما حملته عليه المحبة من الطمع والأمنية بقوله «أرجو وآمل أن تدنو مودتها» ثم استبعد ذلك في بقية لو كانت ربما أمكن استلطافها بالتودد والتملق وغيرهما من أسباب الوصلة..»[١].

وفي وصف الناقة أوجد السيوطي عللاً وأسباباً للصفات التي حملها وصف كعب لها، فقوله: «قوداء شمليل» وإن بدا أنه إعادة لوصف الخيل بالخفة والسرعة في قوله: «النجيبات المراسيل» وطول العنق في قوله: «قدامها ميل» إلاّ أن بين هذا وذاك عموم «راجع إلى الوصف العام في الإبل» وخصوص «مقصور على هذه الناقة المخصوصة» واستقلال الصفة بذاتها في الموضع، واتصالها بغيرها من الأعضاء[٢].

ويقف السيوطي أيضاً عند صورة الأسد التي شكلها كعب بن زهير على التفصيل في الأبعاد البنائية، وعلى الاعتراض المتقاطع مع تتالي السياق والمتآلف مع حركة المدح وتنامي صوره:

فلهو أخوف عندي إذ أكلمه	وقيل إنك منسوب ومسؤول
من ضيغم بضراء الأرض مخدره	في بطن عثر غيل دونه غيل
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما	لحم من الناس معفور خراديل
إذ يساور قرناً لا يحل له	أن يترك القرن إلاّ وهو مغلول
منه تظل سباع الجو نافرة	ولا تمشي بواديه الأراجيل
ولا يزال بواديه أخو ثقة	مضرج البز والدرسان مأكول

قال السيوطي: «فلما فرغ من وصف الأسد وجعل هيبته من رسول الله ﷺ أشد

---

(١) كنه المراد: ق١٥٢أ.

(٢) كنه المراد: ق١٥٥أ.

من هيبته له، رجع إلى تمام مدحه للنبي ﷺ »[١].

ومن النظام اللغوي ذي الامكانيات غير المحدودة، التي تتيح للشاعر وسائل تعبيرية تمكنه من التعبير عن أفكاره ومشاعره، نبه السيوطي على عدد من أدوات الربط بين الأفكار، وأساليب تشكيل المعاني، كالالتفات والتشبيه والتكرار والتقديم والتأخير وغيرها.

فالالتفات الذي هو تغيير في نسق الكلام، وأحد قواعد الربط بين المعاني، عمد إليه كعب للتخلص من غرض إلى آخر في قوله:

أمست سعاد بأرض لا يبلغها   إلاّ العتاق النجيبات المراسيل

يقول السيوطي منبهاً على وظيفته الاتصالية: «وسعاد هي المحدث عنها أولاً، وأعاد اسمها بعد قوله: «أن تدنو مودتها» بلفظ الغيبة؛ لأنه قصد استئناف نوع آخر من الكلام، وهو: وصف أرضها بالبعد، وذكر ما يتوصل بذلك إلى وصف الناقة»[٢].

واستخدم كعب الالتفات أيضاً لكسر التواتر في الخبر من حديث عن الغائب إلى خطاب النفس، قصداً إلى تعزيز الدلالة التي جاءت قراراً مُخْرجاً للنفس من ضلالها وأحلامها:

فلا يغرنك ما منت وما وعدت   إن الأماني والأحلام تضليل

وفي ذلك: «التفات من التكلم إلى الغيبة، ومن حيث أنه صدر الكلام في البيت الأول من القصيدة بصيغة التكلم بقوله: «فقلبي اليوم متبول» ثم رجع هذا من التكلم إلى الخطاب لنفسه بقوله: «فلا يغرنك ما منت وما وعدت» فيكون قد انتقل من التكلم إلى الخطاب، وهو نوع من الأنواع الستة المذكورة في أنواع البديع»[٣].

وبالصورة البيانية التي فصل بين طرفيها بألوان من الجمل المعترضة ذات الخبر والحال

---

(١) كنه المراد: ق١٦٣ب.

(٢) كنه المراد: ق١٥٢أ.

(٣) كنه المراد: ق١٤٩ب.

والوصف للمبالغة في صورة المشبه، جمع السيوطي بين البيت الثامن والعشرين:

كأن أوب ذراعيها إذا عرقت   وقد تلفع بالقور العساقيل

والبيت الحادي والثلاثين:

شد النهار ذراعاً عيطل نصف   قامت فجاوبها نكد مثاكيل

بالتركيب النحوي والبلاغي، إذ إن قوله (ذراعا عيطل) هو خبر كأن في قوله.. (كأن أوب ذراعيها إذا عرقت)... والتقدير: كأن أوب ذراعيها، أي: أوب ذراعي هذه الناقة كالعيطل.. المرأة السباطة القائمة... والمعنى أن ذراعيها في سرعة السير كذراعي امرأة طويلة قامت تلطم وجهها لشدة حزنها على ولدها، فجاوبها نسوة فقدن أولادهن، وذلك أنها إذا رأت حزن غيرها على ولدها، وشدة ما عليه من اللطم، اشتد فعلها، وقوي ترجيع يديها عند النائحة، وهذا التشبيه في غاية الحسن»(١).

وتجدر الإشارة إلى أن عناية السيوطي بتحليل التشبيه المُشَكِّل للمعاني كانت ظاهرة، فهو يرى أن مرجعية التشبيه عند الشعراء هي البيئة التي يختزن منها الشاعر صوره التشبيهية «إذ كل أحد إنما يقع له التشبيه بما في خزانة خياله، ألا ترى لتشبيهات ابن المعتز في شعره إنما باللآلئ واليواقيت، وأصناف الجوهر، وتشبيهات العرب إنما هي بالشيح والقيصوم وأزهار البادية وما شاكل ذلك»(٢).

ويحرص السيوطي على استكناه الأبعاد النفسية للتشبيه بالكشف عن خصوصيات انتقائه وانتخاب جزئياته، ففي تشبيه سعاد بالظبي (وما سعاد غداة البين إذ رحلوا..) تساءل السيوطي عن التشبيه وقت الرحيل: «فإن قيل لِمَ خص تشبيهها بالظبي بحالة الرحيل فالجواب من وجهين...»(٣)، وعن سرّ تشبيه كعب للناقة بالثور في قوله: (ترمي الغبوب بعيني مفرد لهق...) تبصر السيوطي عدداً من الاحتمالات النفسية في إجابته عن الأسئلة التالية: «فإن قيل لم خصَّ الثور الوحشي بالتشبيه به في حدة البصر

---

(١) كنه المراد: ق١٥٧ب – ١٥٨أ.

(٢) كنه المراد: ق١٤١أ.

(٣) كنه المراد: ق١٤١أ.

دون غيره من الحيوانات؟ ولم خصه بذلك في حال تفرده دون غيره؟... فإن قيل لم خصه بالبياض ولا مدخل للون في تشبيهه الناقة بالثور في حدة البصر؟»[١]، وكذلك يتبدى منهج السيوطي النفسي في تحليل التشبيه في تساؤلاته المتلاحقة عن جزئيات صورة الأسد: «فإن قيل لم خصَّ الأسد ببطن عثر؟... فإن قيل ما المعنى في جعله في غيل داخل غيل؟... فإن قيل لم خصَّ وصف ذهابه إلى الاصطياد بالغدوة؟... فإن قيل لم ذكر أولاده بالتثنية؟... فإن قيل لم خصَّ أطفالهما بلحم الآدميين؟.. فإن قيل لم وصف اللحم بكونه يلقى على التراب وكونه قطعاً صغاراً؟»[٢].

والتكرار الذي هو الوسيلة الأسلوبية ذات الآثار التأكيدية والإيقاعية في النص الأدبي، التفت السيوطي إلى مواقعه في وصف الناقة مفسراً لدلالته الوضعية في تناسبه أفقياً غالباً، وتجاوز ذلك أحياناً إلى تشابكه رأسياً في العرض نفسه، دون إسقاط القيمة الفنية في تكامل الوصف واستيفاء أجزائه في الصورة والنظم، ففي قول كعب:

غلباء وجناء علكوم مذكرة في دفِّها سعة، قدامها ميل

قال السيوطي: «ومعنى البيت أنها مشتملة على القوة والصلابة، وذلك أنه وصفها بستة أوصاف، الأول: غلظ العنق، وهو المعنى بقوله: «غلباء» على ما تقدم ذكره، وقد تقدم في البيت الذي قبله ما يوافقه من شرح قوله: «ضخم مقلدها»، فيكون هذا الوصف قد تكرر معه في بيتين متواليين، وهو أخف من تخصيص المقلد بموضع القلادة على ما تقدم من كلام العسكري، أن النجائب إنما توصف برقة المذبح.

والوصف الثاني: عظم الوجنتين «وجناء»... إن حمل على الصلبة، وهو التفسير الثاني فيها كان ذلك موافقاً لأحد أمرين في العذافرة في البيت الرابع عشر:

ولـــن يبلغهـــا الاّ عذافرة فيها على الاين إرقال وتبغيل

لأن المراد بها الصلبة العظيمة على ما تقدم.

---

(١) كنه المراد: ق ١٥٣ب.

(٢) انظر كنه المراد: ق ١٦٣أ.

والوصف الثالث: كونها شديدة وهو المراد بالعلكوم، وهو المراد بالقوة، وقد تكرر وصفها به، فلا شكَّ أنه أعلى أوصافها.

والوصف الرابع: كونها عظيمة الخلقة، وهو المعنى بالمذكرة، وقد تكرر الوصف به أيضاً...، والوصف الخامس كونها واسعة الجنبين، وهو مؤكد للوصف الرابع وصفاً لاستلزام عظم الخلقة، والوصف السادس وإن حملناه «قدامها ميل» طول العنق، وهو المراد بقوله: على سعة الخطو كان وصفاً لها بسرعة السير، الذي هو المقصود الأعظم، وقد تكرر»[1].

وفي قول كعب الذي شبه الناقة فيه بحمار الوحش قصداً إلى تشكيل المعنى بمعارض بيانية:

عيرانة قذفت بالنحض عن عرض   مرفقهـا عن بنـات الزور مفتول

قال السيوطي: «وقد تكرر له وصف الصلابة في الناقة في غير موضع، إلاّ أنه بألفاظ مختلفة، فحسن التكرار في موقعها، وقد يريد بذلك التأكيد، فإن هذا الوصف هو المقصود الأعظم من الإبل على ما تقدم ذكره من قبل»[2].

وفي كناية كعب عن السمن في قوله: «قذفت بالنحض عن عرض» قال السيوطي أيضاً: «وقد تكرر هذا الوصف أيضاً بألفاظ مختلفة»[3].

وبالمبالغة التي تقوم صنعة الشعر عليها في تشكيل المعاني ومنحها جمالية القيمة، كرر كعب بن زهير تأكيد صورة سير الناقة بقوله:

نواحة رخوة الضبعين ليس لها   لما نعى بكرها الناعون معقول

خاصة إذا أخذ برواية «وهي لاهية»، فقد شبّه ذراعي الناقة في سرعة الحركة

---

(١) كنه المراد: ق١٥٤أ - ١٥٤ب.

(٢) كنه المراد: ق١٥٥ب.

(٣) كنه المراد: ق١٥٥ب.

بذراعي النواحة، قال السيوطي مدركاً للرابط اللغوي بين أجزاء الصورة: «قوله «نواحة» أي: كأن ذراعيها في تلك الحالة ذراعا عيطل نواحة» «وقد وقع المبالغة في أربعة أوجه: أحدها: صيغة «نواحة» مبالغة مقتضية لكثرة النواح....»[1].

على أن قول كعب:

تفري اللبان بكفيها ومدرعها   مشقق عن تراقيهـــا رعابيل

«كالمؤكد للذي قبله (نواحة رخوة...) في ذهاب العقل، والمراد: تشبيه الناقة بها في هذه الحالة، أنها صارت مسلوبة الإدراك والعقل، لا تحس بما تلاقيه من الألم في بدنها وما يفسد من ثيابها»[2].

بهـذه المحاور الثلاثة، شكّل السيـوطي رؤية في تحليل القـصـيـدة، حين دمج وعيه بمجرى النص، فأقام حواراً منوّع المستويات، تفاعل فيه مع موضوعاته، فانتهى بالمعاني إلى دلالات منوعة، ومقاصد متعددة، تنم عن وعي فردي مميز في تلقي النص واستكشاف آفاقه، والغوص إلى أعماقه[3]، متجاوزاً بمنطلقاته من سبقه من الدارسين والشرّاح بجدارة واقتدار معجب.

---

(١) كنه المراد: ق١٥٧أ – ١٥٨أ.

(٢) كنه المراد: ق١٥٨أ.

(٣) انظر المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، وليم راي ص١٧، ص٧٣.



الفصل الثالث

منهج التحقيق

عنوان الكتاب

تباين اسم الكتاب في المخطوطات التي اعتمدت عليها في تحقيق الكتاب، إذ إن اسمه ورد كما يلي:

في نسخة المكتبة الظاهرية: شرح بانت سعاد.

وفي نسخة دار الكتب المصرية: كنه المراد في شرح بانت سعاد.

وفي نسخة المكتبة الوطنية - برلين: شرح بانت سعاد.

وفي نسخة مركز الملك فيصل - الرياض: كنه المراد في شرح بانت سعاد.

وفي نسخة دار الكتب المصرية: شرح بانت سعاد المسمى كنه المراد.

والملاحظ أن ثلاثة من هذه المخطوطات تتضمن عنوانه «كنه المراد» بالتقديم أو التأخير، وأن «شرح بانت سعاد» جملة مشتركة في العنوان أيضاً بينها، لذا فكأن نسخة دار الكتب المصرية «كنه المراد في شرح بانت سعاد» أكمل العناوين.

ويرجح هذه التسمية مخطوطة دار الكتب الوطنية بتونس المسماة «كنز المراد في بيان بانت سعاد» والمنسوخة سنة ١٢٣٣[(١)]هـ، إذا تجاوزنا «كنز» التي هي تحريف «كنه».

وجاء هذا العنوان في كشف الظنون، وإن جاء منسوباً إلى ابن حجر الهيثمي إذ قال حاجي خليفة واهماً: «وشرحها جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ... وشرحها الشهاب أحمد بن حجر الهيثمي وسماه «كنه المراد» أوله: الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب...»[(٢)].

ونصّ أحمد الشرقاوي إقبال على هذه التسمية المتوافقة مع مخطوطات الشرح فقال: «كنه المراد في شرح بانت سعاد» هو شرح على قصيدة بانت سعاد لكعب بن

---

(١) فهرس دار الكتب الوطنية - تونس.

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - حاجي خليفة، ج٢ ص١٣٣٠.

زهير بن أبي سلمى...»[١] وبمثل ذلك سماه أيضاً في موضع آخر: «كنه المراد من شرح بانت سعاد»[٢].

وكان السيوطي قد حرر هذه التسمية مما انتابها في التداول عبر القرون، إذ قال: «وسميته كنه المراد في بيان بانت سعاد»[٣].

نسبة الكتاب

نسب السيوطي الكتاب «شرح بانت سعاد» لنفسه في حسن المحاضرة[٤]، وذكر السيوطي هذا الشرح في شرحه شواهد المغني عند قول كعب بن زهير:

كل ابن انثى وإن طالت سلامته   يوماً على آلة حدباء محمول

إذ عرض لطرق رواية القصيدة الأربعة[٥] ثم قال: «قال المصنف في شرح هذه القصيدة، أول شيء اشتملت عليه هذه القصيدة النسيب، وهو عند المحققين من أهل الأدب جنس يجمع أربعة أنواع، أحدها: ذكر ما في المحب من الصفات الحسية والمعنوية كحمرة الخد ورشاقة القد... والثاني: ذكر ما في المحب من الصفات أيضاً كالتحول والذبول... والثالث: ذكر ما يتعلق بهما من هجر ووصل... والرابع: ذكر ما يتعلق بغيرهما بسببهما كالوشاة والرقباء.

وبيان النسيب فيها أنه ذكر محبوبته وما أصاب قلبه عند ظعنها، ثم وصف محاسنها وشبهها بالظبي، ثم ذكر ثغرها وريقتها وشبهها بخمر ممزوجة بالماء، ثم إنه استطرد من هذا إلى وصف ذلك الماء، ثم من هذا إلى وصف الأبطح الذي أخذ منه ذلك الماء، ثم رجع إلى ذكر صفاتها، فوصفها بالصد وإخلاف الوعد والتلون في الود، وضرب لها عرقوب مثلاً، ثم لام نفسه على التعلق بمواعيدها، ثم أشار إلى بعد ما بينه

---

(١) مكتبة الجلال السيوطي ص٢٩٤.

(٢) بانت سعاد في المامات شتى ص٤٨.

(٣) كنه المراد ورقة ١٣٧ب.

(٤) حسن المحاضرة ١/٢٩٤.

(٥) شرح شواهد المغني ص١٧٧-١٧٨، ط المطبعة البهية بمصر ١٩٣٦، وقد سبق عرضها في الفصل الأول.

وبينها، وأنه لا يبلغه إليها الاّ ناقة من صفتها كيت وكيت، وأطال في وصف تلك الناقة على عادة العرب في ذلك، ثم أنه استطرد من ذلك إلى ذكر الوشاة... ثم خرج إلى المقصود الأعظم وهو مدح سيدنا رسول اللّه ﷺ.. ثم إلى مدح أصحابه المهاجرين»(١).

هذه المقدمة في تحليل النسيب إلى أنواعه الأربعة التي اتبعت بعرض عام لمحاور القصيدة الرئيسة في ذلك، ثم ذكر الوشاة فمدح الرسول ﷺ، كل ذلك اختصار لما نجده في المقصد الثالث من مقاصد القصيدة الثلاثة التي ذكرها السيوطي في التمهيد لشرح القصيدة بقوله: «ولا بد للمتصدي لشرحها من الإحاطة بها»(٢).

ونازع في صحة نسبة كنه المراد في بيان بانت سعاد للسيوطي أمران، أولهما: ما ذكره حاجي خليفة من نسبة كنه المراد إلى الشهاب أحمد بن حجر الهيثمي، وذلك في قوله: «وشرحها الشهاب أحمد بن حجر الهيثمي، وسماه كنه المراد، أوله الحمد للّه الذي جعل قصيدة كعب... الخ مهد في أوله ثلاثة مقاصد»(٣). وأغلب الظن أن حاجي خليفة وهم في ذلك، لأن ما ذكره متطابق مع شرح السيوطي، ولا يستقيم الأمر في التصور أن مقدمة الكتابين متشابهة متوافقة(٤). أو لعل مخطوطة وقعت بين يديه كمخطوطة الظاهرية وقد كتب الناسخ عليها أنها لابن حجر الهيثمي فاعتمد حاجي خليفة ذلك من غير تمحيص.

ثانيهما: أن مخطوطة المكتبة الظاهرية مستلة من مجموع خال من صفحة العنوان التي تكون عادة في أول المخطوط مستقلة بعنوانه. واسم مؤلفه، ومن تداوله من المالكين وما أشبه. وقد تبيّن للدكتور عزة حسن أن عبارة «شرح بانت سعاد للإمام

---

(١) شرح شواهد المغني ١٧٨-١٧٩.

(٢) كنه المراد ورقة ١٣٨ب.

(٣) كشف الظنون ٢/١٣٣٠.

(٤) قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي ص٧٧ هامش (٢).

العلامة ابن حجر المكنى الهيثمي رحمه الله تعالى » التي كتبت في بداية الورقة الأولى هي خط عثمان بن الحاج أبي بكر نفسه الذي قابل مخطوطة الظاهرية على الأصل[1].

وأتمنى أن أتمكن يوماً من الحصول على شرح الهيثمي لقصيدة بانت سعاد الذي يوجد مخطوطاً في الجزائر، وليبزج وميونخ كما أخبر بذلك بروكلمان في تاريخه[2]؛ لتأكيد نسبة الكتاب للسيوطي دون غيره.

---

(١) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ص٣٦٢.

(٢) تاريخ الأدب العربي ج١، ص١٥٩.

النسخ المعتمدة في التحقيق



اعتمدت في تحقيق شرح السيوطي لقصيدة بانت سعاد على خمس نسخ مخطوطة[1] وهي:

أولاً: نسخة المكتبة الظاهرية.

وهي إحدى رسائل مجاميع دار الكتب الظاهرية ذات الرقم ٦٦، وعدتها ثمانية وعشرون ورقة من ١٣٦ب - ١٦٥ مسطرتها ٢١ X ١٥ سم، وهي متباينة عدد الأسطر بين الصفحات، إذ إنها كما يلي:

	أ	ب
الورقة الأولى :	٢١	٢١
الورقة الثانية :	٣٠	٣٤
الورقة الخامسة:	٣٥	٣١
الورقة السادسة:	٣٣	٢٩

فمتوسط الأسطر هو ٣٠-٣٥، لأن الورقة الأولى لا يقاس عليها، فقد كتبت بخط أكبر قليلاً وأوضح من خط نسخ بقية المخطوط، وفي الإحصائية السابقة شاهد ذلك؛ ولعل الناسخ أخذته فاعلية الأناقة والترتيب في ابتداء نشاطه، ثم حزبه أمر الانتهاء منه والفراغ من كتابته في زمان معدود ومكان محدود، فأعجل القلم في تسويد ذلك وتسطيره.

وكتب في أول المخطوط بخط مغاير لخط الأصل «شرح بانت سعاد للإمام العلامة ابن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى». وهذه الإضافة ذات إشكالية في نسبة الكتاب إلى مؤلفه، وقد سبقت الإشارة إليها.

---

(١) لشرح السيوطي عدد من المخطوطات موزعة في عدد من المراكز العالمية التالية: (المكتبة الظاهرية، بدمشق والمتحف البريطاني، ومكتبة جامعة كامبردج وتاريخ نسخها ١١١٤، والمكتبة الوطنية تونس نسخ محمد بن علي حمود وتاريخ نسخها ١٢٣٣هـ، ودار الكتب المصرية (نسختان) وبرلين، والرياض وفيها نسختان إحداهما تاريخ نسخها القرن الثاني عشر وهي برقم ١٨٠٩ وتاريخ نسخ الثانية سنة ١٢٦٧هـ.

والمخطوط مكتوب بخط مغربي معتاد، وكتبه محمد بن محمد بن علي المغربي المكناسي، الذي دوّن في نهايته قوله: «تم شرح بانت سعاد، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً آمين. ووافق الفراغ من نسخه في نهار الأحد الحادي والعشرين من المحرم الحرام سنة إحدى وثلاثين بعد الألف، على يد أفقر عباد اللّه، وأحوجهم إلى مغفرة ربه العزيز الغفار محمد بن محمد بن علي المغربي المكناسي، غفر اللّه له ولوالديه ولجميع المسلمين. آمين، وصلى اللّه على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد للّه رب العالمين.

وفي آخره قيد مقابلة بخط عثمان بن الحاج أبي بكر: «أنهاه مقابلة الفقير عثمان ابن الحاج أبي بكر في أوقات آخرها بين الظهر والعصر في مدرسة أبي عمر بصالحية دمشق في جماد أول سنة ١١٢١هـ»[١] وهو الخط نفسه الذي كتب به في أول الأصل أنه من تأليف ابن حجر الهيثمي المكي[٢].

وذيّل المخطوط بعد ذلك بخط عثمان بن الحاج أبي بكر بحديث عن خاصية سورة الإخلاص بالقول: «في خاصة سورة الإخلاص تقرأها في جوف الليل خمسة آلاف مرة، فإن حاجتك تقضى مهما كانت، وتقرأ هذا الدعاء في رأس كل مائة، وهو هذا: «اللهم يا من مكتفي عن خلقه جميعاً ولا يكتفي عنه أحد[٣] من خلقه، يا واحد من لا أحد له، وتقطع الرجاء إلاّ منك، وخابت الآمال إلاّ فيك، يا غياث المستغيثين أغثني ثلاث (مرات)».

ثم تكرر هذا التذييل بخط نسخي مغاير لخط المقابلة السابقة حيث يقول: «فيا هذا الدعاء في خاصة الاخلاص، تقرأها في جوف الليل خمسة آلاف مرة، فإن حاجتك تقضى بإذن اللّه...« ثلاث مرات». وأغلب الظن أنه من تكرار مقابلة ثانية،

---

(١) كنه المراد: ورقة ١٦٥ب.

(٢) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، عزة حسن ص٣٦٢.

(٣) في الأصل: «أحداً» وهو لحن من الناسخ.

إذ إنها بالخط نفسه الذي جاء زيادة على الأصل في الورقة الأولى ١٣٧. وفي هامش الورقة الأخيرة قول: «ومن شعره»:[١]

فإن تسألي الأقـــوام عني فإنني	أنا ابن أبي سلمى على زعم من زعم
أنا ابن الذي قـد عاش تسعين حجة	فلم يخز يومـــاً في معد ولم يلم
أقول شبيهات بمـا قـال عالمـاً	بهن، ومـن يشبه أباه فمـا ظلم

وهذه النسخة كثيرة السقط والتصحيف والتحريف واللحن، إلاّ أنني اتخذتها أصلاً؛ فهي أقدم النسخ تاريخاً (١٠٣١هـ)، ورمزت لها أحياناً بالحرف (ظ).

ثانياً: مصورة نسخة دار الكتب المصرية.

وهي مصورة عن الأصل المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦١٤٩ أدب. ومسطرتها ١٧ × ١١ سم، وعدد الأسطر فيها ثلاثة وعشرون سطراً، وعدد أوراقها (٧١) إحدى وسبعون ورقة، وفي ورقة العنوان جاء ما يلي: شرح بانت سعاد للحافظ السيوطي رحمه الله» وفي ورقة الفهرسة: «كنه المراد في شرح بانت سعاد لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي».

وهي نسخة تامة، جاء في أولها: «بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر، الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب على ناظمها أبرك كعب...» وفي خاتمتها: «تم شرح بانت سعاد بحمد الله وعونه. وحسن توفيقه في يوم الثلاث المبارك تاسع شهر جمادى الأول من شهور سنة إحدى وسبعين[٢] وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام. على يد الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير والراجي عفو ربه القدير محمد بن عمر ابن غيث التيمي المقري الشافعي، غفر الله له ولوالديه ولمن نظر فيه ولجميع المسلمين آمين، وصلى الله على سيدنا محمد إمام المرسلين وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين دائماً أبداً إلى يوم الدين وسلم. آمين، آمين، آمين».

---

(١) أي: من شعر كعب بن زهير.

(٢) في الأصل: سنة أحد وسبعين.

وهذه المخطوطة مكتوبة بخط نسخي جميل، وتتفق مع نسخة ب كثيراً، فكأن إحداهما نقلت عن الأخرى.

ينبه الناسخ في هذه المخطوطة على الأبيات الشعرية بكلمة (شعر) بعد القول (يقول / القائل)، والتصويبات في هوامشها نادرة جداً، غير أن لحناً ظاهراً في تعداد أبيات قصيدة بانت سعاد، خاصة بعد العقود (العشرون، الثلاثون، الأربعون، الخمسون) كقوله البيت الحادي والعشرين، وقوله: البيت الحادي والثلاثين والحادي والأربعين والحادي والخمسين، وهكذا يستمر اللحن.

وقد رمزت لهذه النسخة بحرف (ك).

ثالثاً: مصورة عن نسخة برلين.

وهي مصورة عن الأصل المحفوظ في برلين تحت رقم (٧٤٩٧)، وعدة أوراقها تسعة وثمانون ورقة، وعدد الأسطر في كل صفحة تسعة عشر سطراً.

وجاء في ورقة العنوان ما يلي: « هذا كتاب شرح بانت سعاد للإمام، العلامة الجلال السيوطي رحمه اللّه تعالى، ونفعنا به في الدنيا والآخرة، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ». وكتب تحتها أربعة أبيات شعرية هي:

ومن عجبي أن الأسنة والظبا ... غمض بأيدي القوم وهي ذكور

وأعجب منها أنها في أكفهم ... تأجج ناراً والأكف بخور

وأعجب من هذين أنك قادر ... على عدل انصاف وأنت تحور

وأعجب من هذي العجائب كلها ... مكاني قريب والبعيد تزور

والمخطوطة تامة، بدأت من قوله: « بسم اللّه الرحمن الرحيم، الحمد للّه الذي جعل قصيدة كعب على ناظمها أبرك كعب.. » وختمت بقول ناسخها: « تم شرح بانت سعاد لخاتمة الحفاظ الشيخ عبدالرحمن جلال الدين السيوطي نفعنا اللّه به، وعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته آمين، في يوم السبت المبارك تاسع عشر المحرم الحرام سنة ألف ومائة وخمس وأربعين ».

وعلى الرغم من أن المخطوط امتزج فيه خط النسخ بالرقعة بجمال ووضوح، أبرز الكاتب بعض العناوين والمطالب وأرقام الأبيات بخط أكبر وأوضح، كالمقصد الأول والمقصد الثاني والثالث، وضبط الأبيات من قصيدة بانت سعاد أحياناً، إلاّ أن ذلك لم يكن منهجاً مطرداً.

وتتطابق هذه النسخة مع نسخة المكتبة الظاهرية، إلاّ أن أخطاء الناسخ هنا أقل، وتشير الهوامش فيها إلى مقابلة بنسخة أخرى، إذ كثرت الإشارة إلى ذلك تصويباً ومغايرة بالقول: نسخة.

وقد رمزت لهذه النسخة بحرف (ل).

رابعاً: مصورة عن الأصل المحفوظ في الرياض.

وهي مصورة عن الأصل المحفوظ في مركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم ٥٣٠٩، وعدد أوراقها ٩٥، ورقة ومسطرتها ٢٢ × ١٦ سم، وعدد أسطرها تسعة عشر سطراً، وفي صفحة العنوان: «هذا كتاب كنه المراد في شرح بانت سعاد للحافظ جلال الدين السيوطي رضي اللّه تعالى عنه، ونفعنا به آمين يا رب العالمين آمين».

وهي نسخة تامة تبدأ ببسم اللّه الرحمن الرحيم «الحمد للّه الذي جعل قصيدة كعب على ناظمها أبرك كعب...» وتنتهي بالقول: «واللّه أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين، وكان الفراغ من الكتابة في يوم الخميس المبارك الموافق أربعة عشر خلت من ذي الحجة سنة ١٢٦٧ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية».

وخط هذه المخطوطة نسخي معتاد واضح، ولكن فيها أخطاء غير قليلة، وفيها بعض التحريفات والسهو وسقط لبعض التراكيب أحياناً، وبعض الأسطر أحياناً أُخر.

وقد رمزت لهذه النسخة بحرف (ض).

خامساً: صورة عن الأصل المحفوظ بدار الكتب المصرية.

وهذه النسخة محفوظة تحت رقم ز ١٦٦٥٦، وعدد أوراقها سبعون ورقة، ومسطرتها ٢٤ × ١٦سم، تبدأ بديباجة المخطوطات السابقة نفسها، غير أن خاتمتها خلت من تاريخ

النسخ، إذ جاء فيها: «وقد مضى القول على ذلك مرة واحدة، واللّه أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى اللّه على سيدنا محمد» وذكر اسم بخط مجرد مغاير لخط الكتابة، وكأني به توقيع المالك أو الكاتب «عبداللّه بن الحسين بن اسماعيل الغزالي».

وفي ورقة العنوان كتب فيها ما يلي: «هذا شرح بانت سعاد المسمى كنه المراد للعلامة السيوطي رحمه الله تعالى آمين».

والمخطوطة مكتوبة بخط فارسي رقعي معتاد، وهي تتفق في أخطائها وبعض تحريفاتها مع نسخة ك، غير أنني أظنُّ أنها أقدم نسخاً منها، فهي سابقة لعام ١٠٧١هـ، ولو تأكد لي ذلك لاتخذتها أصلاً.

وفي حواشي هذه المخطوطة ما يشير إلى مقابلة بنسخة أخرى، ففي هوامشها استدراك لما سقط من الكلمات والتراكيب كقوله: «بتقدير صح» وقوله «وضخامة صح» وقوله: «وما يتصل به من الاضلاع والزور صح». ولما سقط من أبيات شعرية ساقها السيوطي شواهد على الشرح.

وقد رمزت لهذه النسخة بحرف (ب).

منهج التحقيق

حققت شرح السيوطي لقصيدة بانت سعاد معتمداً على النسخ الخمسة التي سبق وصفها، وكان عملي في ذلك محدداً بما يلي:-

أولاً: اتخذت نسخة المكتبة الظاهرية أصلاً قابلت به بقية النسخ (دار الكتب المصرية، برلين، الرياض)، على الرغم من كثرة أخطائها في التحريف والتصحيف واللحن والسقط، إذ إنها أقدم النسخ التي بين يدي تاريخاً مدوناً، وإن كنت أظن ظناً أن نسخة (ب) أقدم النسخ تاريخاً، ولكن ذلك من غير دليل.

وأشرت إلى نسخة الظاهرية بكلمة «الأصل» إلاّ إذا اتفقت مع غيرها فذكرتها بالرمز «ظ».

ثانياً: ضبطت نص قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير بالشكل التام لجميع حروف الكلمات.

ثالثاً: ضبطت نص السيوطي (شرح القصيدة) ضبطاً تاماً يتجاوز المشكل من الألفاظ إلى جميع حروف الكلمات، ورقمته بالأدوات المحددة للمعنى.

رابعاً: استدركت بعض ما سقط من الشرح إما بالرجوع إلى المصادر التي أخذ السيوطي عنها، وإما بدلالة السياق، وقد وضعت ذلك بين معكوفتين دلالة عليه.

خامساً: قابلت رواية السيوطي للشعر بتسع عشرة رواية، هي رواية السكري وابن بشران والتبريزي وعبداللطيف البغدادي وعبدالملك بن هشام وأبي البركات بن الأنباري وأبي العباس الأحول، وابن هشام الأنصاري والسهيلي وابن سيد الناس والحاكم وابن كثير والسبكي والبيهقي، وابن قتيبة وابن سلام الجمحي وعبدالقاهر الجرجاني وأبي أحمد العسكري والقرشي، تعزيزاً لذلك وتقويماً.

سادساً: نسبت أكثر الشعر الذي أورده السيوطي أثناء الشرح إلى أصحابه، وهو كثير، من خلال مصادره من الدواوين أو المصادر الأدبية أو اللغوية، ولم أتمكن من تخريج ستة أبيات.

سابعاً: وثقت الآيات القرآنية وأتممت ما نقص منها في الهامش.

ثامناً: خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة، وذكرت ما كان صحيحاً أو ضعيفاً منها.

تاسعاً: عزوت النقول التي نصَّ السيوطي على أصحابها والتي لم ينص عليها أيضاً، إلى مظانها، سواءً أكان ذلك شرحاً معروفاً سابقاً، أو معلومات شواهد.

عاشراً: وضّحت بعض المفاهيم التي وردت عند السيوطي مختصرة في مصطلحات اللغة والبلاغة خاصة.

حادي عشر: ترجمت للأعلام والشعراء المغمورين بالنص على عصورهم وما تميزوا به من معارف فكرية وخصائص أدبية.

ثاني عشر: صنعت فهارس للكتاب في الآيات والأحاديث النبوية واللغة والشعر والأعلام والقبائل والأماكن.

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

شرح بانت سعاد للإمام العلامة
ابن حجر المكي الهيتمي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب على إلحاحها أبرك كعب وأنطقه بذكر سعاد تفاؤلا لانفتاح الإسعاد بما سهل عليه من طرق الرشاد كل صعب وأفاض على المداح سيب سيل المنهمر من غيث بكف وماتح بدلوه نازح بغرب وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجنب قائلها موارد الأكدار وتحمي منتحلها عن مواقع السوء والإذار وتحقق الدامي من الصيف وتصون الوجوه من النار وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي جوزي بغنائم القلوب بمحبته الغلوب بعد النفار وعرف بالعفو والصفح لذي الغدر فأمن الخائف وأسرع إليه القطار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين تمكنوا في محبته الأخلاق أسمى الرتب الكمال وتنوعت في طلب رضاه مفاخرهم فمن مادح بلسان وذاب بسيف ومجاهد بمال صلاة تفوق بمحبتها جميع المدائح ويترتب لها أسنى الجوائز فيظهر قائلها بأكرم المنائح وبعد فلما كان المدح أرفع مقاصد الشعر وأعلاها وأنفعها وأغلاها إذ هو أس مال الشاعر الذي يعول عليه ومقصده الذي يرجع في التوسل لمقاصده الشريفة إليه وكان منها على البالغة في الأليق بمقام النبوة تعاطيه مع ما فيه مما لا يليق بجلالة قدره وعوضه سبحانه من ذلك بأن جعل الشعراء مطبقين على مدحه مسارعين إليه مثنى وفرادى الكثار منه منكبين عليه حتى بلغت بمدحه الدواوين وشحنت بالوغا فيه صحيفة بكثرته الأقلام ونفدت دون نفاذه المحابر وكانت قصيدة كعب بن زهير المعروفة ببانت سعاد هي أنفس المدائح عقدا وأعلاها مقاما وأعظمها وردا إذ أنشدت بين يديه صلى الله عليه وسلم فنالت أعلى المخلف ورقى [illegible] بالتقدم في الفضل على ما بعدها ما ترك الأول للآخر وكانت الشروح الموضوعة عليها فيما وقفت عليه قاصرة على شرح غريبها وإعراب ألفاظها المؤدية إلى حل تركيبها دون التعرض لمعانيها التي هي قصد طلابها وأعربته مقرونة بشرح غريبها وإعرابها اقتضت إشارة

● نموذج (١) الورقة الأولى من نسخة المكتبة الظاهرية (ظ)

ويروى بابا الشتاء من اسفل فالدبا فاعل المستعمله مقصور وهو الاصل فيه وعليه في التثنية [illegible]

ولكن الاستعمال على الكثير فحذف الام في الافراد والتثنية وقوله نهيل مصدر [illegible]

[illegible] اذا [illegible] متعلقة بالتعليل [illegible] مصدر [illegible]

[illegible] اعلم [illegible]

[illegible] وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

ووافق الفراغ من نسخه في نهار الاحد الحادي والعشرين

من المحرم الحرام سنة احدى وثلاثين بعد الالف على يد افقر

عباد الله واحوجهم الى مغفرة ربه العزيز الغفار محمد بن محمد بن

علي المغربي الكناسي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

امين

وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

في فاتحة الخلاص تقراها في جوف الليل خمسة الاف مرة فان حاجتك تقضى

مهما كانت وتقرا هذا الدعا في راس كل مائة وهو هذا اللهم يا من هو مكتفي

عن خلقه جميعا ولا يكتفي عنه احد من خلقه يا واحد من لا احد له وتقطع

الرجاء الا منك وخابت الامال الا فيك يا غياث المستغيثين اغثني ٣

بيا هذا الدعا في خاصة الاخلاص

تقراها في جوف الليل خمسة الآف مرة فان حاجتك تقضى باذن الله

مهما كانت وتقرا الدعا في راس كل مائة وهو هذا اللهم يا من هو مكتفي

عن خلقه جميعا ولا يكتفي عنه احد من خلقه يا واحد من لا احد له

وتقطع الرجا الا منك وخابت الآمال الا فيك يا غياث المستغيثين اغثني ٣ مرات

انتها مقابلة العبد عثمان ابن الحاج [illegible] احرها بين الظهر والعصر في مدرسة ابي عمر بصالحية دمشق في جماد اول سنة ١١٢١

● نموذج (٢) الورقة الأخيرة من نسخة المكتبة الظاهرية (ظ)

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب على ناظمها ابرك كعب. وانطقه
بذكر سعاد تفاؤلا فغاز من الاسعاد بما سهل عليه من طرق الرشاد
كل صعب. وافاض على المداح سبب سبل المنهمر فمن مغترف
بكف ومانح بدلو ونازح بغرب واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة تحسن قائلها موارد الاكدار وتحمي
منهلها عن مواقع السوء في الدارين فتحقن الدماء من السيف
وتصون الوجوه من النار واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذي جلب بمغناطيس محبته القلوب فالفها بعد النفار وعرف
بالعفو والصفح لدى القدرة فامنه الخائف واسرع اليه الطائر
صلى الله عليه وعلى اله واصحابه الذين تابدوا في محبته الاخلا
فسموا الى رتب الكمال، وتنوعت في طلب رضاه مقاصدهم
فمن مادح بلسان وذائد بسيف وجائد بمال، صلاة تفوق
بهجتها جميع المدائح، ويترقب لها اسنى الجوائز فيظفر قائلها
باكرم المنائح وبعد فلما كان المدح ارفع مقاصد الشعر واعلاها
وانفسها واغلاها اذ هو راس مال الشاعر الذي يعول عليه
ومقصده الذي يرجع في التوسل للقاصد التحية اليه، وكان مبناه
على المبالغة في الذي لا يليق بمقام النبوة تعاطيه مع ما فيه عما لا يليق
بعلا قدره وعوضه سبحانه وتعالى من ذلك بان جعل الشعرا
مطبقين على مدحه مسارعين اليه منتا فسين في الاكثار منه يكبين
عليه، حتى ملئت بمدحه الدواوين وشحنت به الدفاتر، وحفيت
بكثرته الاقلام ونفدت دون نفاده المحابر، وكانت قصيدة كعب
ابن زهير المعروفة ببانت سعاد هي انفس المدائح عقدا، واعلاها
مقاما

• نموذج (٣) الورقة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية (ك)

والمثنية وقوله تهاليل مصدر هللا عن الشي اي تاخر عنه يقول لا يتاخرون عن حياض الموت اذا تاخر غيرهم عنها ونكص وعن متعلقة بالتهليل وان كان مصدرا وقد مضى القول على ذلك مرة واحدة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

تم شرح بانت سعاد بحمد الله وعونه

وحسن توفيقه في يوم الثلاث المبارك

تاسع شهر جمادي الاول من شهور

سنه احد وسبعين والف

من الهجرة النبوية

على صاحبها

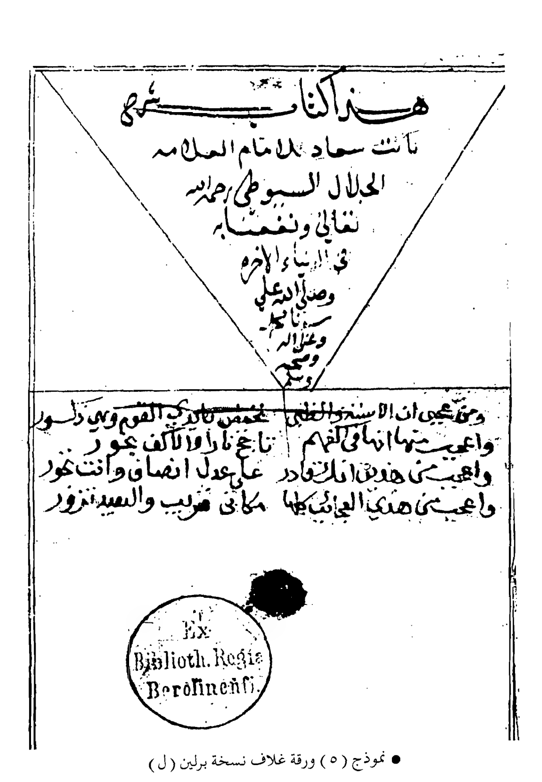
افضل الصلاة

واتم

السلام

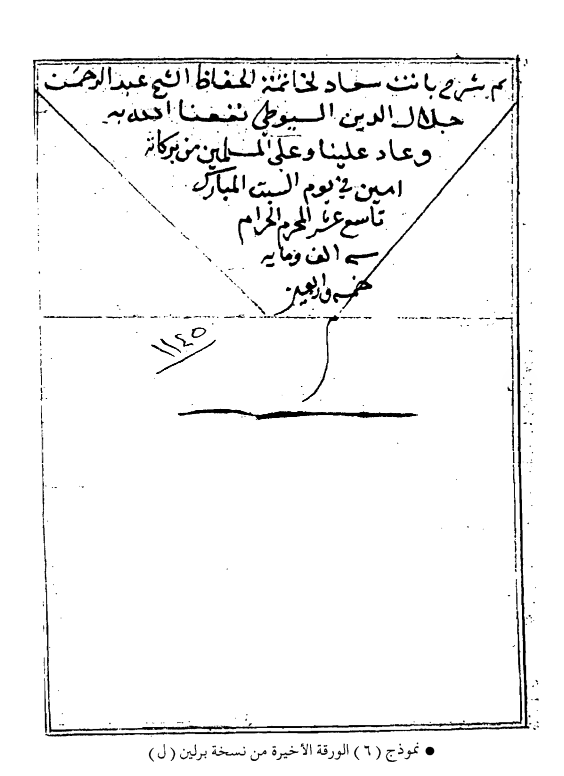
على يد الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير الراجي عفو ربه القدير محمد ابن عمر بن غيث النبهي المقري الشافعي غفر الله له ولوالديه ولمن نظر فيه ولجميع المسلمين امين وصلى الله على سيدنا محمد امام المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين دايما ابدا الى يوم الدين وسلم امين امين امين

● نموذج (٤) الورقة الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية (ك)


هذا كتاب شرح
بانت سعاد للإمام العلامة
الجلال السيوطي رحمه الله
تعالى ونفعنا به
في الدنيا والآخرة
وصلى الله على
سيدنا محمد
وعلى آله
وصحبه
وسلم

ومن عجبي أن الأسنة والظبى ... تخمش تأثير القوم وهي ذكور
واعجب منها أنها في أكفهم ... تأجج نارا والأكف بحور
واعجب من هذين أنك نادر ... على عدل إنصاف وأنت تجور
واعجب من هذي العجائب كلها ... مكانك قريب والبعيد تزور

● نموذج (٥) ورقة غلاف نسخة برلين (ل)


تم شرح بانت سعاد لخاتمة الحفاظ الشيخ عبد الرحمن
جلال الدين السيوطي نفعنا الله به
وعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته
امين في يوم السبت المبارك
تاسع عشر المحرم الحرام
سنة الف ومايه
خمس واربعين

١١٤٥

● نموذج (٦) الورقة الأخيرة من نسخة برلين (ل)

للسيوطي

هذا كتاب كنه المراد في شرح بانت سعاد

للحافظ جلال الدين السيوطي

رضي الله تعالى عنه

ونفعنا به آمين

يا رب

العالمين

آمين

م

● نموذج (٧) ورقة غلاف نسخة مركز الملك فيصل بالرياض (ض)

لانه يقال قطر الدم وقطرته والمعنى تقطر الكلوم الدم
واما تمييز على ان الالف واللام زايدة كقوله
رايتك لما ان عرفت وجوهنا صددت وطبت النفس ياقيس عن
ويروى بالياء المثناة من اسفل فالدما فاعل استعمله
مقصورا وهو الاصل فيه وعليه في التثنية
دميان قال الشاعر
فلو انا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين
ولكن الاستعمال على الكثرة بحذف لامه في الافراد
والتثنية وقوله تهليل مصدر هلل عن الشي اي تاخر
عند يقول لايتاخرون عن حياض الموت اذا تاخر
غيرهم عنها ونكص وعن متعلقة بالتهليل وان كان
مصدرا وقد مضى القول على ذلك مرة واحدة والله
اعلم بالصواب واليه المرجع والماب
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله
وصحبه
وسلم
وكان الفراغ من الكتابة في يوم الخميس المبارك الموافق
اربعة عشر خلت من ذي الحجة سنة ١٢٦٧ من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل الصلاة والتحية

● نموذج (٩) الورقة الأخيرة نسخة مركز الملك فيصل بالرياض (ض)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب على ناظمها أبرك كعب وانطلقه
بذكر سعاد تغا ولا فخرا من السعاد ما سهل عليه من طرق
الرشاد كل صعب وأفاض على المداح سيب سبيل المنهل من معترف
بكد ومانح بدلو ونازح بغرب وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تجنب قائلها موارد الأكدار وتنجي منتحلها
من سوء مواقع السوء في الدارين وتحقن الدما من السيف وتصون
الوجوه من النار وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي
جذب بعفوها طيب محبته القلوب فألفها بعد النفار وعرف
بالعفو والصفح لدى القدرة نادم الخايف وأسرع إليه المطالب
صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين ما بدوا إلى محبته
إلا منه سموا إلى رتب الكمال وتنوعت في طلب رضاه مقاصدهم
من مادح بلسانه ومجاهد بسيف ومجاهد بمال منالة تتنوق
بهجتها نسيم المادح وتبرق لها ألسن الجوائز تستقر قائلها بأكرم
المنايح وبعد فلما كانت المدح إلى صحبتنا قصيد الشعر وأعلاها
وأنفسها وأغلاها الذي هو أساس ما الكلام الذي يعول عليه ومقصده
الذي يرجع في التوصل للمقاصد الحسنة إليه وكان مبناه
على المبالغة في الذي لا يليق بمقام النبوة تعاطيه مع ما فيه
ما لا يليق بجلالة قدره وعوضه سبحانه وتعالى عن ذلك بأن
جعل الناس مطبقين على مدحه مسارعين إليه متينا فسيق
في الإكثار منه منكبين عليه مكبين بمدحه المراوين وشمنت

● نموذج (٩) الورقة الأولى نسخة دار الكتب المصرية (ب)

وهو الاصل فيه وعليه في التثنية دميان قال الشاعر

فلوانا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين

ولكن الاستعمال على الكثرة بحذف حرف اللام في الافراد والتثنية

وقوله تهليل مصدر هلل عن الشي اي تاخر عنه يقول الابطال خوفوني

عن حياض الموت اذا تاخر بعضهم عنها ونكص وعن متعلقة

بالتهليل وان كان مصدرا وتقدم معنى القول على

ذلك مرة واحدة والله اعلم بالصواب

واليه المرجع والماب

وصلى الله عليه

سيدنا محمد

● نموذج (١٠) الورقة الأخيرة نسخة دار الكتب المصرية (ب)



بسم الله الرحمن الرحيم

/ الحَمدُ لله الذي جَعَلَ قَصيدةَ كَعْب، على ناظمها أبْرَكَ كَعْب[1]، وأنْطَقَهُ (١٣٧أ) بذِكْرِ سُعادَ تَفاؤلاً، فَفَازَ[2] منَ الإسْعادِ بما سَهَّلَ[3] عَلَيْه منْ طُرُق الرَّشادِ كُلَّ صَعْب، وأَفاضَ على المُدّاحِ سَيْبَ[4] سَبيلِ[5] المُنْهَمِرِ[6]؛ فَمِنْ مُغْتَرِفٍ بكَفٍّ، وماتِحٍ[7] بدَلْوٍ، ونَازِحٍ بغَرْبٍ[8]، وأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، شَهادةً تُجَنِّبُ قائلَها مَواردَ الأكْدارِ، وتَحْمي مُنْتَحِلَهَا عن مَواقعِ السُّوءِ في الدَّارَيْنِ، فَتَحْقِنُ الدِّماءَ منَ السَّيْف، وتَصُونُ الوُجوهَ منَ النَّار، وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، الذي جَذَبَ[9] بمِغْنَاطيسِ مَحَبَّته القُلُوبَ، فَأَلَّفها بَعْدَ النِّفار، وعُرِفَ بالعَفْوِ والصَّفْحِ لَدَى[10] القُدْرَة، فأَمَّهُ الخائفُ، وأَسْرَعَ إلَيْهِ المُطَارُ[11]، ﷺ[12]، وعلى آله

---

(١) الكعب: الشرف والعلو، يقال: أعلى الله كعبه، أي: أعلى جدَّهُ، ويقال: أعلى شرفه، قال ابن الأثير: «والأصل فيه كعب القناة، وهو أنبوبها ... وكل شيء علا وارتفع فهو كعب» (اللسان، مادة: كعب، ج١ / ٤١٢ ط بولاق).

(٢) كذا في الأصل (ظ) و ل، ك، ض، وفي نسخة ب: «فحاز».

(٣) في ض «ما سهل».

(٤) في ل: «صيب».

(٥) في ك: «سيل».

(٦) في ل: «منهمر».

(٧) في الأصل ونسخة ل: «ومانح» وهو تصحيف.

(٨) الغَرْبُ: الدَّلو العظيمة.

(٩) في الأصل: «جذب بمغناطيس القلوب» وصوبت في الهامش «وجذب بمغناطيس محبته القلوب» وفي ك: «جلب بمغناطيس محبته القلوب» وفي بقية النسخ «جذب بمغناطيس محبته القلوب».

(١٠) «في الأصل: «لذي» بذال معجمة وهو تصحيف.

(١١) في الأصل: «المطّار» بتشديد الطاء، والمطار: من قولهم فرس مطار، حديد الفؤاد ماض (اللسان مادة طير ٦ / ٥٨١).

(١٢) «ﷺ» ساقطة من الأصل.

وأَصْحابه الذين تَأَبَّدوا[١] في مَحَبَّته الأَخلاَّءَ، فَسَمَوْا إلى رُتَب الكَمَال، وتَنَوَّعَتْ في طَلَب رِضَاهُ مَقَاصِدُهُمْ، فمنْ مَادحٍ بلسَان، وزائرٍ[٢] بسَيْفٍ، وَجائدٍ بمَالٍ، صَلاةً تفوقُ بِبَهْجَتِها جَمِيعَ المَادِحِ، ويُتَرَقَّبُ[٣] لَهَا أَسْنَى الجَوائِز، فَيَظْفَرُ[٤] قائلُها بأَكْرَمِ المَنائِحِ.

وبعْدُ، فَلَمّا كانَ المَدْحُ أَرْفَعَ مَقَاصد الشُّعراءِ وأَعْلاَهَا، وأَنْفَسَها وأَغْلاها، إذْ هُوَ رَأْسُ مالِ الشّاعرِ الذي يُعَوِّلُ عَلَيْه، ومَقْصَدُهُ الذي يَرْجِعُ في التَّوسُّلِ[٥] للْمَقَاصد السَّنِيَّة[٦] إليه، وكَانَ مَبْنَاهُ على المُبَالَغَة في الذي لا يَليقُ بمَقَام النُّبُوَّة تَعاطيه، مَعَ ما فيْه ممَّا[٧] يَليقُ بجَلاَلَة قَدْرِه. وعَوَّضَهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى[٨] منْ ذلكَ، بأَنْ جَعَلَ النَّاسَ[٩] مُطْبِقينَ[١٠] على مَدْحه، مُسَارعينَ إليه، مُتَنَافسينَ في الإكْثَار منْهُ، مُنْكَبِّينَ[١١] عَلَيْه، حَتَّى[١٢] مُلِئَتْ بمَدْحه الدَّواوينُ، وشُحنَتْ به الدَّفاترُ، وحَفيَتْ بكَثْرَته الأَقْلامُ، ونَفَدَتْ دونَ نَفَاده[١٣] المَحَابرُ.

وكَانَتْ قَصيدَةُ كَعْبِ بنِ زُهَيْرٍ المَعْرُوفَةُ ببَانَتْ سُعَادُ، هِيَ أَنْفَسُ المَدائِحِ عِقْداً،

---

(١) في ض: «تأيدوا» بياء تحتية وهو تصحيف، وزاد فيها: «الذين تأيدوا بلسان في محبته».

(٢) في ض: «وزائد» وهو تصحيف؛ والزائر: الذي يزأر، تشبيهاً له بصوت الأسد.

(٣) في ب، ض: «وتبرق».

(٤) في الأصل: «فيظهر».

(٥) في ب، ض: «في التوصل».

(٦) المقاصد السنية: الغايات المرتفعة الرفيعة، يقال: إن فلاناً لسني الحب، والسنا من الرفعة، والسني: الرفيع، وفي الحديث: «بشر أمتي بالسنا»، أي: بارتفاع المنزلة والقدر عند الله. (اللسان مادة: سنا).

(٧) في ظ، ك، ل: «مع ما فيه عما لا يليق بجلالة قدره». وفي ب، ض: «مع ما فيه مما لا يليق بجلالة قدره». والصواب ما أثبته.

(٨) «تعالى» ساقطة من الأصل.

(٩) كذا «الناس» في ب، ل، ض، وفي الأصل وك: «الشعراء».

(١٠) في ض: «مطيقين» بيائين.

(١١) في ك، ل: «مكبين».

(١٢) «حتى» ساقطة من ب، ل، ض.

(١٣) في ك، ل: «ونفذت دون نفاذه» بالذال معجمة وهو تصحيف، وفي ض «ونفرت».

وأعْلاَهَا[١] مَقامَاً، وأَعْذَبُها[٢] ورْداً، أُنْشدتْ بَيْنَ يَدَيْه ﷺ، فَنالَتْ أَعْلَى المَفاخِرِ، وَقَضَتْ[٣] بالتَّقَدُّمِ في الفَضْلِ على ما بَعْدَها، ما تَرَكَ الأَوَّلُ للآخِرِ.

وكانَت الشُّروحُ المَوْضُوعَةُ عَلَيْهَا، فيما وَقَفْتُ عَلَيْه، قاصِرَةً على شَرْحِ غَريبِها، وإعْرابِ أَلْفَاظِهَا المُؤَدِّيَة إلى حَلِّ تَرْكِيبِها، دونَ التَّعَرُّضِ لمَعَانِيهَا التي هِيَ قَصْدُ طُلاَّبِها. وأَعْرَيتُ[٤] مُقَدِّمَتِي شَرْحَ غَرِيْبِها وإعرابَها، اقْتَضَتْ[٥] ذلكَ إشارَةُ/ بَعْضِ إخْواني في الله تَعالى مِمَّنْ (١٣٧ب) تُؤْثَر طاعَتُهُ[٦]، ولا يَسَعُ مُخَالَفَتَهُ[٧]، أَنْ أَقْتَضِبَ عَلَيْهَا[٨] شَرْحاً، يَجْمَعُ إلى حَلِّ أَلْفاظِها بَيانَ[٩] مَعَانيها، ويُقَرِّبُ ما بَعُدَ تَنَاوُلُهُ مِنْ ثِمارِ مَقَاصِدِها المُتراكِبَة، لاقْتطاف[١٠] جانِيْهَا، فاسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالى، وبَادَرْتُ إلى ما أَشارَ، على الوَجْه[١١] الذي يَقْصِدُ، والمعنى الذي يُرِيدُ، مُتَيَمِّناً في ذلكَ، ورَأْيُ السَّعيد سَعيدٌ[١٢]، وسَمَّيْتُهُ: «كُنْهَ المُراد في بَيَانِ بانَتْ سُعادُ». وإلى الله تَعَالَى أَرْغَبُ، أَنْ يَجْعَلَه وَسيلَةً إلى المَمْدوحِ بِهَا في الشَّفاعَة في المَحْشَرِ، وأَمَاناً مِنَ النَّارِ إذا اشْتَدَّ الخَوْفُ يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وما تَوْفِيقي إلاَّ بالله، عَلَيْه تَوَكَّلْتُ، وإليه أُنيبُ.

---

(١) في ب: «وأغلاها» بالغين معجمة وهو تصحيف.

(٢) في ض: «وأعزبها» بالزاي معجمة.

(٣) طمس في الأصل أصاب حرفي الضاد والتاء من «قضت».

(٤) كذا «وأعريت» في ب، وفي الأصل وك، ل، ض «وأعربت» وفي ض: «وأغربت» بغين معجمة، وأعراه من الشيئ وعرّاه: إذا جرده، قال شمر: «ويقال لكل شيء أهملته وخليته قد عريته» (اللسان، مادة عرى ١٩/ ٢٧٢، ٢٧٤).

(٥) كذا «اقتضت» في الأصل وفي هامش نسخة ب، وفي بقية النسخ «اقتضى ذلك».

(٦) كذا في ب، ل، ض، وفي ظ، ك: «متأمن تأثير طاعته».

(٧) كذا في الأصل وفي ك «ولا يسع مخالفته» وفي بقية النسخ «ولا تسع مخالفته».

(٨) في الأصل: «أن اقتضت عليها».

(٩) في الأصل ونسخة ب، ل، وهامش ك: «وبيان»، وفي نسخة ك، ض «ببيان»، ولعل ما أثبته الأصوب.

(١٠) في ض: «لا قطاف».

(١١) زاد في ك: «إلى ما أشار علي، على الوجه».

(١٢) في ب، ض: «ورأي السعيد سديد».

تمهيد

ولا بُدَّ[1] لِلْمُتَصَدي مِنْ هذهِ القَصيدةِ[2] قَبْلَ الخَوْضِ في شَرْحِها مِنَ الإِحاطةِ بثلاث مَقَاصدَ[3]:

المَقْصَدُ الأَوَّلُ: في تَرْجَمَة ناظِمِها رَضِيَ اللَّهُ تَعالَى[4] عَنْهُ.

هُوَ[5]: أبو المُطَرِّف[6] كَعْبُ بنُ زُهَيرِ بنِ أَبي سُلْمَى، بِضَمِّ السِّين، واسْمُهُ رَبيعَةُ ابنُ رِياحٍ، بالرَّاءِ المُهْمَلَةِ واليَاءِ وحاءِ آخرِ الحُروفِ[7]، المُزَنيُّ، مِنْ مُزَيْنَةَ بنِ أُدٍّ[8] بنِ طَابِخَةَ بنِ إِلياسَ بنِ مُضَرَ بنِ مَعْدِّ بنِ عَدْنَانَ[9]، قالَ الحَافِظُ أَبو عُمَرَ[10] بن عَبْدِ البَرِّ،

(١) كذا «ولا بدّ» في الأصل، وفي بقية النسخ: «لا بد» بدون الواو.

(٢) كذا «للمتصدي من هذه القصيدة» في النسخ جميعاً، ولعل الصواب: «للمتصدي للقصيدة، قال تعالى: ﴿فأنت له تصدى﴾ أي: تتعرض، يقال: تصدى له، أي: تعرض له، قال عمر بن أبي ربيعة: «قالت: تصدي له يا أخت ليعرفنا».

(٣) كذا «ثلاث» في النسخ جميعاً، وذلك بالنظر إلى لفظ الجمع في المعدود، وهو رأي يراه البغداديون، إذ المعتبر عند غيرهم تذكير الواحد وتأنيثه، لا تذكير الجمع وتأنيثه. (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ج٤ ص٦١).

(٤) «تعالى» ساقطة من ب و ل وض.

(٥) كذا «هو» في الأصل، وفي بقية النسخ: «وهو» بزيادة الواو.

(٦) كذا في ب، ك، ل. وفي الأصل ونسخة ض «أبو المطر» وهو تحريف.

– ويكنى كعب بن زهير أبا عقبة، وقيل: هو أبو المُضَرَّب. (المؤتلف والمختلف ص٣٤٢). قال ابن قتيبة: «وكان لكعب ابن يقال له عقبة شاعر، ولقبه المُضَرَّب، وذلك انه شبب بامرأة من بني أسد... فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف، فلم يمت، وأخذ الدية، فسمي المضرب» (الشعر والشعراء ص٦٠).

(٧) سقط "وحاء" من الأصل ونسخة ك، إذ العبارة فيهما: «والياء آخر الحروف».

(٨) في الأصل وب، ل، ض: «ابن أدد»، وفي ك «من مزينة بن أود». والصواب ما أثبته.

– ومزينة: هي أمُّ عمرو بن أُدّ، وهي بنت كلب بن وبرة. (الأغاني ج١٠ ص٢٨٨).

(٩) يكاد الرواة يتفقون على ستة عشر اسماً بين اسم زهير واسم مضر (انظر الأغاني ج١٠ ض٢٨٨ والمعمرون والوصايا ص٨٣).

(١٠) في الأصل: «قال الحافظ أبو عمرو».

– الحافظ أبو عمر بن عبد البر: هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ولد سنة ٣٦٨ هـ في قرطبة، ثم غادرها إثر الفتنة البربرية إلى غرب الأندلس حيث أخذ عن عدد كثير من العلماء، كان فقيهاً حافظاً مكثراً، عالماً بالقراءات، وكان يميل في الفقه إلى أقوال الشافعي، وله تآليف عديدة، بعضها موسوعات، وبعضها رسائل صغيرة، أحصى له منها محقق بهجة المجالس ثلاثين كتاباً، ومات أبو عمر في شاطبة سنة ٤٦٠ هـ. (جذوة المقتبس ٣٦٧-٣٦٩ وفيات الأعيان ج٧ ص٦٦-٧٢ ومقدمة محمد مرسي الخولي لكتاب بهجة المجالس ق١ ص٧-٢٧).

رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى : « وما وَقَعَ مِنْ انْتِهاء هذه النِّسْبَةِ[١] إلى غَطَفَانَ، مُسْتَنِدَةٌ أَنَّ زُهَيْراً وَبَنِيه كانَتْ مَحِلَّتُهُم بني غَطَفَانَ، فَوَقَعَ الظَّنُّ به[٢] أَنَّهُ مِنْهُمْ »[٣]. قالَ: « كانَ كَعْبٌ رضيَ اللهُ تَعالى عَنْهُ مِنْ فُحولِ شُعراءِ العَرَبِ[٤] المُجِيْدِيْنَ[٥]، والمَهَرَةِ المُفْلقِيْنَ، ومِنْ مُسْتَحْسَنِ شِعْرِه[٦]:

---

(١) كذا « وما وقع من انتهاء هذه النسبة » في الأصل، وفي نسخة ب، ك، ل: « وما وقع من أن هذه النسبة ». وسقط « ما وقع » من نسخة ض.

(٢) « به » ساقطة من الأصل.

(٣) في ض: « أن منهم ».

– في الاستيعاب في معرفة الأصحاب. « وكانت محلتهم في بلاد غطفانَ، فيظن الناس أنهم من غطفان، وهو غلط » (ص٦٢٨).

– يقصد بقوله: « وقع الظن به أنه منهم » أنه غطفاني لا مُزَني قال محمد بن سلام الجمحي: « كان أبو سلمى وأهل بيته في بني عبد الله بن غطفان، فيهم يعرفون، وإليهم ينسبون، فقال كعب يثبت أنه من مزينة:

.... هم الأصل مني حيث كنت وإنني — من المُزَنيين المُصَفَّيْنَ بالكـرم

قال ابن سلام: ولقد أخبرني بعض أهل العلم من غطفان أنهم من بني عبد الله بن غطفان، وأن اعتزاءه إلى مزينة كقول هؤلاء، وأما العامة فهو عندهم مزني ». (طبقات فحول الشعراء ج١ ص١٠٦ – ١٠٧، ١٠٩–١١٠).

قال ابن هشام: « زهير أحد بني مزينة بن أُد، ويقال زهير بن أبي سلمى من غطفان، ويقال: حليف غطفان » (السيرة النبوية ج١ ص١١٩). والذي يطمئن إليه الباحث أن زهيراً مزني النسب، غير أنه غطفاني المولد والنشأة، قضى حياته في غطفان، وقد نقل أبو الفرج الأصفهاني عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني قصة أبي سلمى في غزوه مع خاله أسعد بن الغدير الذي منع نصيبه من الغنيمة، وارتحاله إلى مزينة، ثم تركه مزينة ودخوله في أخواله بني مرة، إذ لم يزل فيهم هو وولده. (الأغاني ج١٠ ص٢٩١ –٢٩٣).

(٤) « العرب » ساقطة من نسخة ب.

(٥) في الأصل وفي نسخة ك، ض: « المجدين » وهو تحريف.

– في الاستيعاب: « كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر، مقدماً في طبقته ». (ص٦٢٩).

– قول أبي عمر بن عبد البر « من فحول شعراء العرب المجيدين » كان قد ذهب إليه ابن سلام، إذ عدّه ثالثاً في الطبقة الثانية من فحول شعراء الجاهلية (انظر ج١ ص٩٧) وإلى ذلك ذهب ابن قتيبة بقوله: « كان كعب فحلاً مجيداً » (ص٧٦) وإليه ذهب الآمدي (المؤتلف والمختلف ص٢٤٣).

(٦) مازال الكلام موصولاً بقول ابن عبد البر. (انظر الاستيعاب : ص٦٢٩).

– الأبيات الثلاثة في ديوان كعب بن زهير صنعة السكري ط الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٦٥ ص٢٢٩ وهي من البحر البسيط. قال عبد القادر البغدادي: « ورواها أبو تمام في مختار أشعار القبائل لقعنب بن أم صاحب، والله أعلم » (حاشية على شرح بانت سعاد ج١/ ٣٩).

لو كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لأَعْجَبَني   سَعْيُ لفَتَى وَهْو مَخْبوءٌ لَهُ القَدَرُ[١]
يَسْعى الفَتَى لأُمورٍ لَيْسَ يُدْرِكُها   والنَّفْسُ واحِدةٌ، والهَمُّ مُنْتَشِرُ[٢]
والمَرْءُ ما عاشَ مَمْدودٌ لَهُ أمَلٌ   لا تَنْتَهِي العَيْنُ حتَّى يَنْتَهي الأَثَرُ[٣]

المَقْصَدُ الثَّاني: في سَبَبِ نَظْمِهِ في هذه القَصيدةِ.

ذَكَرَ أَصْحابُ السِّيَرِ[٤] أَنَّهُ كانَ لِكَعْبٍ أَخٌ اسْمُهُ بُجَيْرٌ[٥]، فَخَرَجَ هو وأَخُوهُ إِلى

---

(١) في نسخة ب و ض: «لو كنت أعجب من شيئ لأعجب من».
- في ب: «مخبوء له القدر» بدون «وهو». وفي ض: «مخبول به القدر».

(٢) في رواية الديوان: «ليس مدركها».
- في نسخة ل، ض: «فالنفس».

(٣) في ض: «مرود له أمل» وهو تحريف.
- في ب و ض: «لا ينتهي الطرف».
- زاد في هامش الأصل: ومن شعره:

فإن تسألي الأقوام عني فإنني   أنا ابن أبي سلمى على رغم من رغم
أنا ابن الذي قد عاش تسعين حجة   فلم يَخْزَ يوماً في مَعَدٌ ولم يلم
أقول شبيهات بما قال عالماً   بهن ومن يشبه أباه فما ظلم

- والأبيات في ديوان كعب بن زهير والاستيعاب ص٦٢٩-٦٣٠.

(٤) منهم: محمد بن اسحاق (ت ١٥١هـ) وعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت٢١٨هـ) وأبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري.

(٥) بجير بن زهير بن أبي سلمى: هو أحد ثلاثة أبناء لزهير، إذ أخواه كعب وسالم، وكان بجير شاعراً، غير أنه أقل شأناً في الشعر من كعب، وإن كان يشار إليه في تواصل الشعر في ولد زهير بقولهم: «كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره، وكان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة». (الأغاني ج١٠/٣١٤). أما سالم فمات أو قتل فجزع عليه زهير جزعاً شديداً، ورثاه بشعر. (انظر الأغاني ج١٠/٣١٥). ولا يستطيع الباحث ترجيح أيهما أكبر سناً، كعب أم بجير، إذ إن رواية إسلام بجير تجعل أمر ذهابه إلى النبي ﷺ مسنداً إلى كعب تارة، وإلى بجير تارة أخرى.

أَبْرَق العَزَّاف[١]، وهو رَمْلَةٌ[٢] بالحجاز لبَني سَعْد بالقُرب من زَرُود[٣]، فَقَالَ بُجَيْرٌ لكَعْب: اثْبُتْ في الغَنَم حَتَّى آتيَ هذا الرَّجُلَ[٤]؛ يَعْني النَّبيَّ ﷺ، فَأَسْمَعُ كَلامَهُ، وَأَعْرِفُ ما عنْدَهُ. فَأَقامَ كَعْبٌ، ومَضَى بُجَيْرٌ، فَأَتى رَسولَ الله ﷺ، فَسَمِعَ كلامَهُ، فَآمَنَ به، وذلكَ أَنَّ زُهَيْراً أَبَاهُما، فيما زَعَموا، كانَ مُجَالِس[٥] أَهْلِ الكتَاب، وسَمِعَ[٦] منْهُمْ: أَنَّهُ قَدْ آنَ مَبْعَثُ النَّبيِّ ﷺ، الذي يُبْعَثُ[٧] في آخر الزَّمان، ورأى زُهَيْرٌ في مَنَامه أَنَّهُ قَدْ[٨] مُدَّ بِسَبَبٍ مِنَ السَّمَاء[٩]، وأَنَّه مَدَّ يَدَهُ ليَتناوَلَهُ

---

(١) في الأصل: «برق الغداف» بالغين والدال وبها روى ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/١٦٨) وفي نسخة ب، ك «أبرق العراف» بالعين والراء المهملتين. وفي نسخة ل، «أبرق العراق» وفي ض: «أبرق الفراق».
– والمشهور في ذلك: «أبرق العزّاف» بالعين المشددة المهملة والزاي المعجمة. ذكر ذلك ابن هشام الأنصاري (ص٩) والتبريزي في شرحه (ص١٠) وابن الأنباري في شرحه (ص٨٨) والبغدادي في حاشيته (١/٥٦).

(٢) في الأصل: «وهو رمل».
– قال البكري: «قال الخليل: العزّاف: رمل لبني سعد، وقال غيره: سميت تلك الرملة أبرق العزاف؛ لأن فيها الجن، وهي يَسْرة عن طريق الكوفة قريب من زرود» (معجم ما استعجم ٢/٩٤٠ وانظر اللسان مادة عزف ج١١/١٥٠). وقال ياقوت: «ماء لبني أسد بن خزيمة بن مدركة، وهو في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة، يجاء من حومانة الدراج إليه، ومنه إلى بطن نَخْل ثم إلى الطَّرَف ثم إلى المدينة» (معجم البلدان).

(٣) زرود: بفتح أوله وبالدال المهملة في آخره، جبل رمل بين ديار بني عبس وديار بني يربوع، وفي زرود وقع يومان من أيام العرب في الجاهلية، الأول كان بين بكر وعبس، والثاني بين خزيمة وبني يربوع، (معجم ما استعجم ج١/٦٩٧).

(٤) لعل في قول بجير هذا «أثبت في الغنم ...» ما يرجح أنه كان أسن من كعب، على أن في رواية الأصفهاني «فقال كعب لبجير: الحق الرجل وأنا مقيم ههنا، فانظر ما يقول لك» (الأغاني ١٧/٨٦) ما يشير إلى أن كعباً كان أسن من بجير.

(٥) كذا «كان مجالس» في ل، ض أيضاً، وفي ك، ب: «كان يجالس».

(٦) كذا «وسمع منهم» في ل، ض أيضاً، وفي ك، ب «ويسمع منهم».

(٧) «الذي» مطموسة في الأصل.

(٨) «قد» ساقطة من الأصل.

(٩) روى ابن هشام «ورأى زهير في منامه أنه قد مدَّ سبب من السماء» (شرح قصيدة بانت سعاد ص٩-١٠)
وروى أبو البركات بن الأنباري: «لأن زهيراً – فيما روى– كان قد قال لبنيه: يا بني! إني رأيت كأني رفعت إلى السماء بسبب ثم قُصِرَ بي» (شرح قصيدة البردة ص٨٨) (وانظر الخبر بلفظ مختلف في الأغاني ١٧/٨٨ مروياً عن عمر بن شبة).

فَفَاتَهُ، فَتَأَوَّلَهُ بالنَّبيِّ[1] ﷺ، وأنَّهُ لا يُدْرِكُهُ، وأَخْبَرَ بَنيه بذلكَ، وأَوْصَاهُمْ إنْ أَدْرَكوا ذَلكَ، وهو النَّبيُّ ﷺ، أنْ يُسْلِموا[2]، فَأَسْلَمَ/ بُجَيْرٌ[3]، فَعِنْدَ ذلكَ شَقَّ إسلامُ بُجَيْرٍ (١٣٨أ) على أخيه كَعْبٍ، فَكَتَبَ إليه بهَذه الأبْياتِ[4]:

ألا أبْلغَا عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً ... فَهَلْ لكَ فيما قُلْتَ وَيْحَكَ هَلْ لَكَا

سَقَاكَ بِهَا المأمونُ كأساً رَوِيَّةً ... فَأَنْهَلَكَ المأمُونُ منها وعَلَّكَا[5]

---

(١) في الأصل: «فتناوله النبي» وقوله «فتأوله بالنبي» هي رواية ابن هشام أيضاً. (انظر ص١٠).

(٢) قال أبو زيد عمر بن شبه: «ومما يروى من خبر زهير أنه كان نظاراً متوقياً..» (الأغاني ١٧/ ٨٨) ويقول ابن قتيبة: «وكان زهير يتأله ويتعفف في شعره، ويدل شعره على إيمانه بالبعث» (الشعر والشعراء ص٥٨). وروى ابن حبيب أن زهيراً ممن كان حرم الخمر على نفسه في الجاهلية (المحبر ص٢٣٨) وروى القرشي: «أن زهيراً كان يقول: «لولا أن تفندون لسجدت للذي يحي الأرض بعد موتها» (جمهرة أشعار العرب ١/ ٢٧٠). وبناءً على هذه الروايات فإن وصية زهير لأبنائه بأن يسلموا إن أدركوا النبي، قيل إن ظاهرها أنه آمن به ﷺ قبل وجوده، فينفعه ذلك، فيكون مثل ورقة بن نوفل» (حاشية على شرح بانت سعاد لعبد القادر البغدادي ج١/ ٥٨).

(٣) الراجح أن بجيراً أسلم في السنة الثامنة للهجرة، إذ يروي ابن سلام أن بجيراً شهد مع الرسول ﷺ فتح مكة وحنيناً (طبقات فحول الشعراء ١/ ٩٩) وأكد ابن قتيبة أنه شهد فتح مكة أيضاً (الشعر والشعراء ٦٧) ومعروف أن فتح مكة كان في رمضان، وغزوة حنين كانت في شوال من السنة الثامنة نفسها. (انظر قراءة في قصيدة بانت سعاد د.عبد العزيز المانع/ مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد الثالث والثلاثون ج٢-٣/ ص٣٥٧).

(٤) الأبيات الأربعة الأولى في ديوان كعب ص٣-٤ وهي من البحر الطويل مع اختلاف في رواية بعض ألفاظ البيت الأول (بالخيف بدلاً من «ويحك») وفي البيت الثاني (شربت مع المأمون بدلاً من سقاك بها المأمون) وفي البيت الثالث، (وخالفت بدلاً من وفارقت) وفي البيت الرابع (على خلق بدلاً من على مذهب، ولم تدرك بدلاً من ولم تعرف). ورواية الديوان هي رواية السيرة (انظر ٤/ ١٣٥٤).

– والأبيات أربعة كذلك في رواية أبي بكر الأنباري (ص ٣-٤) ورواية التبريزي ص١٠.

– البيت الخامس (فإن أنت لم تعرف... وقع في رواية ابن هشام في السيرة ٤/ ١٣٥٤ وفي شرح قصيدة بانت سعاد لجمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري ص١٠. وقد جاء البيت في رواية السيرة رابعاً تارة، وخامساً تارة أخرى، وفي شرح القصيدة جاء البيت خامساً مع اختلاف في رواية (فإن أنت لم تفعل) بدلاً من (فإن أنت لم تعرف). ورواية السيوطي بعد ذلك المفارقة لرواية الديوان والسيرة موافقة لرواية شرح بانت سعاد لابن هشام الأنصاري ص١٠ ولرواية عبد القادر البغدادي عن أبي العباس الأحول ج١/ ٦٠).

(٥) في الأصل: «المومون» وهو تحريف.

فَفَارَقْتَ أَسْبَابَ الهُدى وتبِعْتَــهُ　　على أيِّ شيءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ دَلَّكا[1]

على مَذْهَبٍ لم تَلْفَ أُمّاً ولا أَبــا　　عَلَيْه ، ولم تَعْرِفْ عليه أَخــاً لَكـا

فإنْ أَنْتَ لم تَعْرِفْ فَلَسْتُ بآسِفٍ　　ولا قائلٍ إنْ ما عَثَرتَ لَعــاً لَكَــا[2]

وأَرْسَلَ بهـا إلى بُجَيْرٍ، فَلَمّا وقَفَ عَلَيْهـا، أَخْبَرَ بهـا النَّبِيَّ[3] ﷺ، فَلَمّا سَمِعَ رسولُ اللهِ ﷺ : « سَقَاكَ بها المَأْمونُ » قالَ: « مَأْمونٌ واللهِ[4] »، وكانوا يُسَمّونَ رسولَ اللهِ ﷺ الأَمينَ، فَقـالَ رسـولُ اللهِ ﷺ[5] : « مَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ[6] كَـعْبَ بنَ زُهَيْـرٍ

---

(١) وَيْب: كلمة مثل وَيْل ، ويباً لهذا الأمر، أي: عجباً له، تقول: ويبك وويب زيد، كما تقول ويلك، معناه ألزمك الله ويلاً، وهو منصوب على المصدرية، فإن جئت باللام قلت: وَيْبٌ لزيد، فالرفع مع اللام على الابتداء أجود من النصب، والنصب مع الإضافة أجود من الرفع (لسان العرب مادة: ويب ج٢/٣٠٥).

(٢) في الأصل وفي نسخة ض: «لعلكا» وهو تحريف.

- لَعَاً: كلمة يدعى بها للعاثر، معناها الارتفاع، قال أبو زيد: إذا دعي للعاثر بأن ينتعش قيل: لعاً لك، ومثله دَعْ دَعْ، قال أبو عبيدة: ومن دعائهم: لا لعاً لفلان، أي: لا أقامه الله، والعرب تدعو على العاثر من الدواب إذا كان جواداً بالتعس، فتقول: تعساً له، وإن كان بليداً كان دعاؤهم له إذا عثر: لعاً لك. (اللسان مادة لعا ج٢٠/١١٦). وقد أبدل الرسول ﷺ هذا الدعاء الجاهلي بدعاء إسلامي بقوله: «لا تقولوا لع لع، ولا دع دع، ولكن قولوا اللهم ارفع وانفع».

(٣) كذا في الأصل: «أخبر بها النبي» وفي بقية النسخ «أخبر بها رسول الله».

(٤) قوله: «قال مأمون والله» ساقط من ض.

- وخبر بجير وكعب أخرجه إبراهيم بن المنذر في جزئه وعنه أخرجه ابن ديزيل في جزئه (رقم ١٥ ص٥٣) فقال: حدثنا إبراهيم بن المنذر به نحوه، وذكرها ابن حجر في الإصابة وقال: «وقعت لنا بعلو في جزء إبراهيم ابن ديزيل الكبير» (الإصابة ٣/٢٩٥) وأخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/١٦٨ رقم ٢٧٠٦) عن يحيى بن عمر المعروف بجريج، قال: نا ابراهيم بن المنذر الحزامي، نا حجاج بن ذي الرقيبة بن عبد الرحمن بن كعب بن زهير بن أبي سلمى عن أبيه عن جده ، قال: خرج كعب وبجير أبناء زهير حتى أتيا أبرق الغداف به» ومن طريق أبي نعيم في معرفة الصحابة (٢/١٦٠ ب).

- وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٥٧١) وعنه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٤٣-٢٤٤) وفي دلائل النبوة أيضاً (٥/٢٠٧، وأخرجه أبو بكر بن خير الأشبيلي في فهرس ما رواه عن شيوخه (ص٤٠٠).

(٥) «رسول الله ﷺ» ساقط من الأصل.

(٦) «منكم» ساقط من الأصل.

فَلْيَقْتُلْهُ» . فَكَتَبَ إِليهِ أَخوهُ بُجَيْرٌ بهذهِ الأَبياتِ(١) :

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْباً ، فَهَلْ لَكَ في التي تَلُومُ بها باطِلاً وَهِيَ أَحْزَمُ(٢)

إِلى اللهِ ، لا العُزَّى ولا اللاَّتِ بَعْدَه فَتَنْجو إِذا كانَ النَّجاةَ فتَسْلَمُ(٣)

لَدَى يَوْمٍ لا يَنْجُو ولَيْسَ بِمُفلتٍ مِنَ النَّاسِ إلا طاهِرُ القَلْبِ مُسْلِمُ(٤)

فَدينُ زُهَيْرٍ وهو لا دينَ دِيْنُهُ وَدينُ أَبـي سُلْمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ(٥)

وكَتَبَ بَعْدَ هذه الأبياتِ(٦) يُخْبِرُهُ أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قَدْ أَهْدَرَ دَمَهُ، وأَنَّهُ قَتَلَ رجالاً بِمَكَّةَ مِمَّن كَانَ يَهْجُوهُ ويُؤْذِيْهِ(٧)، وأَنَّ مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعَراءِ قُرَيْشٍ كابنِ الزِّبَعْرَى(٨)

---

(١) الأبيات من البحر الطويل، وهي في سيرة ابن هشام ٤ / ١٣٥٥ وفي ديوان كعب ط- الدار القومية ص٤ .

(٢) في الأصل «من مبلغاً» وهو لحن من الناسخ.
- في نسخة ب، ل: «فهي».
- في ض: «تلوم حبان باطلاً فهي أحرم».
- في رواية السيرة «تلوم عيها باطلاً» وكذلك رواية الديوان.

(٣) في الأصل: «لا لعزى».
- في رواية ابن هشام والديوان: «ولا اللات وَحْدَهُ».
- في رواية ابن هشام والديوان: «إذا كان النَّجاء وتَسْلَمُ».

(٤) في الأصل: «لذا».
- كذا «من الناس» في رواية ابن هشام، وفي رواية الديوان: «من النار».
- في الأصل: «ظاهر» بظاء معجمة، وهو تصحيف.

(٥) في رواية ابن هشام والديوان: «لا شيء دينه».
- يحمل قول بجير عن دين أبيه زهير «لا شيء دينه» على ما قبل الوصية، وفيه أنه ﷺ قال: «أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه». (حاشية على شرح بانت سعاد للبغدادي١ /٥٨).

(٦) كذا في ض أيضاً، وفي بقية النسخ: «وكتب بعدها».

(٧) كذا «ممن كان يهجوه ويؤذيه» في ض، وفي بقية النسخ «ممن كانوا يهجونه ويؤذونه».

(٨) هو عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي، عدّه ابن سلام في أول طبقة شعراء مكة، كان شاعر قريش الأول الذي يتصدى بشعره دفاعاً عنها في النصر والهزيمة، وكان خبيث اللسان، يؤذي رسول الله ﷺ، ثم أسلم بعد الفتح واعتذر إليه ومدحه. (معجم الشعراء ص١٣٢ طبقات فحول الشعراء ١ /٢٣٣، ٢٤٢).

وهُبَيْرَةَ بن وَهْب[١]، قَدْ هَرَبُوا في كُلِّ وِجْهَةٍ، وما أَحْسَبُكَ ناجياً، فإنْ كانَ لكَ في نَفْسكَ حاجةٌ[٢] فطرْ إليه، فإنَّهُ يَقْبَلُ مَنْ أَتاهُ تائباً، ولا يُطالبُ بما تَقَدَّمَ قَبْلَ الإسلام[٣]. فلمَّا بَلَغَ كَعْباً الكتابُ[٤]، أتى إلى قَبيلَة مُزَينَةَ لتُجيرَهُ منْ رَسول الله ﷺ، فَأَبَتْ ذلكَ[٥]، فَضاقَتْ عَلَيْه الأَرْضُ بما رَحُبَتْ، وأَشْفَقَ على نَفْسه، وأَرْجَف به[٦] مَنْ كان منْ عَدُوِّه فَقالوا: هو مَقْتولٌ، فَقالَ هَذه القَصيدَةَ يَمْدَحُ فيها رَسُولَ الله ﷺ، ويذكُرُ خَوْفَهُ، وإرْجافَ الوُشاة به منْ عَدُوِّه، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى وَصَلَ المَدينَةَ، فَنَزلَ على رَجُلٍ منْ جُهَينَةَ[٧] كانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ[٨]، فَأَتَى به إلى المَسْجد[٩]، ثُمَّ أَشارَ إلى رَسُول الله ﷺ، فَقالَ: هَذا رَسولُ الله ﷺ، فَقُمْ إليه واسْتَأْمنْهُ، وعَرَفَ كَعْبٌ رسولَ الله ﷺ بالصِّفَة التي وَصَفَهُ لَهُ بها النَّاسُ، وكانَ مَجْلسُ رَسُول الله ﷺ منْ أَصْحَابه مثْلَ مَوْضعِ المائدَة منَ القَوْمِ، يَتَحَلَّقونَ حَوْلَهُ حَلْقَةً ثُمَّ حَلْقَةً، فَيُقْبِلُ على

---

(١) هو هبيرة بن أبي وهب بن عامر بن عائذ بن عمران بن مخزوم، زوج أم هانئ، أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أمه وأبيه، وأسلمت يوم الفتح، وفرّ زوجها هبيرة، ولحق بنجران، ومات على شركه، كان شاعراً معدوداً في شعراء قريش بمكة، شديد العداوة لله ولرسوله، فأخمله الله ودحقه. (سيرة النبي لابن سيد الناس ج٤ ص١٤٩ وطبقات فحول الشعراء ج١/ ٢٣٥، ٢٥٧).

(٢) كذا في ك «حاجة»، وهي ساقطة من الأصل ومن بقية النسخ.

(٣) في الأصل: «بما تقدم في الإسلام».

(٤) «الكتاب» ساقطة من ض.

(٥) أبت ذلك: رفضت إجارته، إذ كانت مزينة قبيلة مسلمة، فقد أسلمت في النصف الثاني من السنة الخامسة للهجرة في أربع مئة رجل، وشاركت في فتح مكة بألف رجل تحت لواء خزاعي بن عبد نهم. (طبقات ابن سعد ١/ ٢٩١-٢٩٢).

(٦) أرجف به: أرجف القوم بالشيء إرجافاً، إذا أكثروا من ذكر الأخبار السيئة وأشاعوها.

(٧) هو رجل مجهول عند سائر الرواة.

(٨) كذا «كانت بينه وبينه معرفة» في سيرة ابن هشام ٤/ ١٣٥٥، وشرح ابن هشام الأنصاري ص١١ أيضاً، وفي بقية النسخ «كانت له به معرفة».

(٩) روى ابن سلام بسنده عن سعيد بن المسيب أن كعباً أتى أبا بكر، فلما صلى الصبح أتى به وهو ملتثم بعمامته (طبقات فحول الشعراء ١/ ٩٩ - ١٠٠)، وروى نفطويه النحوي في شرحه عن سعيد بن المسيب، أن كعباً أتى علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، وقيل أتى أبا بكر الصديق. (انظر عبد القادر البغدادي حاشية على شرح بانت سعاد ١/ ٦٦ وانظر الخبر تاماً رواه السبكي في طبقات الشافعية ١/ ٢٢٩-٢٣١).

هؤلاءِ فَيُحَدِّثُهم، ثُمَّ يُقْبِلُ على هؤلاءِ فَيُحَدِّثُهُمْ، فَقَامَ إليه كَعْبٌ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ في يَدِه[١] ثُمَّ قالَ: يا رَسولَ الله، إنَّ كَعْبَ بنَ زُهَيْرٍ جاءَ لِيَسْتَأْمِنَ مِنْكَ تائباً[٢]، فَهَلْ أَنْتَ قابِلٌ مِنْهُ إن أنا جِئْتُكَ به؟ قَالَ: نَعَمْ، قال: يا رسُولَ الله، أَنَا كَعْبُ بنُ زُهَيْرٍ[٣]، فَقَالَ: الذي يَقولُ ما يَقُولُ، ثُمَّ أَقْبَلَ على أبي بَكْرٍ فاسْتَنْشَدَهُ الشِّعْرَ، فأَنْشَدَهُ أَبو بَكْرٍ:

سَقَاكَ بها المأمونُ كأساً رَوِيَّةً ...... البيت.

فَقالَ لَهُ[٤]: لم أَقُلْ هذا، وإنَّما قُلْتُ: سَقَاكَ أبو بَكْرٍ بكَأْسٍ رَوِيَّةٍ فأَنْهَلَكَ المأْمونُ[٥]. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَأْمونٌ والله[٦]».

فَوَثَبَ عليه رَجُلٌ منَ الأَنْصارِ فَقالَ: يا رَسُولَ الله: دَعْني وَعَدُوَّ الله أَضْرِبُ عُنُقَهُ، فقال: دَعْهُ عَنْكَ، فإنَّهُ قَدْ جاءَ تَائِباً نازِعَاً[٧]، ثُمَّ أَنْشَدَ[٨] القَصيدَةَ بَيْنَ

---

(١) «في يده» ساقطة من ل.

(٢) زاد في سيرة ابن هشام وشرح ابن هشام الأنصاري: «تائباً مسلماً».

(٣) كذا في الأصل: «يا رسول الله أنا كعب بن زهير» وفي بقية النسخ: «أنا يا رسول الله كعب بن زهير» وبها روى ابن هشام في السيرة، وابن هشام الأنصاري في شرحه.

(٤) «له» ساقطة من الأصل.

(٥) تكملة البيت: «فانهلك المأمون منها وعلّكا».

– أجاب عبد القادر البغدادي عن الحكمة في إنشاد أبي بكر لهذا البيت دون سائر الأبيات، بأنه أراد منها ما يعطفه عليه ويحننه، ففطن إليه كعب فجادله بقوله: إنما قلت: «سقاك أبو بكر». (حاشية على شرح بانت سعاد ج١/ ٦٨).

(٦) قال ابن اسحاق: «وإنما يقول كعب «المأمون» (ويقال المأمور في قول ابن هشام لقول قريش الذي كانت تقوله في رسول الله ﷺ» (٤/ ١٣٥٥).

– وقال السهيلي: «ويروى «المحمود» في غير رواية ابن اسحاق، أراد بالمحمود محمداً، وكذلك المأمون والأمين، كانت قريش تسمى بهما رسول الله ﷺ قبل النبوة» (الروض الأنف).

(٧) كذا «قد جاء تائباً نازعاً» في رواية ابن هشام الأنصاري، وفي بقية النسخ «قد جاءنا تائباً نازعاً».

– نازعاً: كافاً مُقْلعاً عنه، وفي اللسان: «نزع عن الأمر ينزع نزوعاً: كف وانتهى، وربما قالوا نزوعاً» (مادة نزع ج١٠/ ٢٢٧).

– انظر رواية هذا الخبر في رواية السكري (شرح ديوان كعب ص٥) ورواية ابن سلام (طبقات١/ ٩٩--١٠٠) ورواية ابن قتيبة (الشعر والشعراء ص٦٨ – ٦٩).

(٨) في نسخة ك: «ثم أنشده».

يَدَيْ رَسولِ اللهِ ﷺ، وهو يَسْمَعُ، وفي روايةِ أَبي بَكْرٍ الأَنْباريِّ[1]: أَنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إلى قَوْلِه:

إنَّ الرَّسولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضاءُ به مُهَنَّدٌ مِنْ سُيوفِ اللهِ مَسْلُولُ

فَعِنْدَها رَمى رَسُولُ اللهِ ﷺ بُرْدَةً كانَتْ عَلَيْه[2]، و إنَّ معاويَةَ بنَ أَبي سُفيانَ رضي اللهُ تَعالى عَنْهُ بَذَلَ[3] لَهُ فيها عَشْرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ، فقالَ: ما كُنْتُ أُوثِرُ بِثَوْبِ / (١٣٨ب) رَسولِ اللهِ ﷺ أحداً، فَلَمّا ماتَ كَعْبٌ رضي اللهُ عَنْهُ[4]، بَعَثَ مُعاوِيَةُ إلى وَرَثَتِه

---

(١) – أبو بكر الأنباري: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري النحوي، كان علامة وقته في الآداب، وكان صدوقاً ثقة ديناً خيراً من أهل السنة، صنف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث والوقف والابتداء، كان ولادته سنة إحدى وسبعين ومائتين، وتوفي سنة ثمان وعشرين وقيل سبع وعشرين وثلاثمائة. (وفيات الأعيان ٤/ ٣٤١-٣٤٢ وحاشية على شرح بانت سعاد للبغدادي ج١/ ٥٣).

– كذا «أبو بكر الأنباري» في ض، وفي بقية النسخ «أبو بكر بن الأنباري».

(٢) رواية أبي بكر الأنباري في قوله: «أنه لما وصل إلى قوله... بردة كانت عليه» نقله السيوطي من شرح ابن هشام (ص١٢) وذكر ابو البركات بن الأنباري ذلك في شرحه لقول كعب:

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عـرّد السود التنابيل

بقوله: «جاء في الحديث أنه لما بلغ في إنشاده هذه القصيدة إلى قوله (لا يقع الطعن إلا في نحورهم...) نظر رسول الله ﷺ إلى من كان بحضرته من قريش، كأنه يومئ إليهم أن اسمعوا، فلما قال: (يمشون مشي الجمال...) فعرض بالأنصار.. فمدحهم وقال (من سره كرم الحياة فلا يزل...) فكساه الرسول ﷺ بردته واشتراها معاوية..». (ص١٢١).

– لعل رمي الرسول ﷺ البردة على كعب بن زهير فيه الدلالات التالية:

– الفرح بتوبة كعب، إذ إن الله ليفرح بتوبة عبده كما جاء في الحديث.

– إعطاؤه جائزة على مدحه.

– الإعجاب بجودة القصيدة خاصة البيت المذكور في شرف معناه وشرف لفظه، وإذا كنت أميل إلى الاحتمال الأول، فإن الاحتمال الثاني قال به عبد القادر البغدادي بقوله: «ويؤخذ منه أن إعطاء الشاعر جائزة في مقابلة مدحه سنة متبعة». (ج١/ ٧٠) غير أن عطايا الرسول ﷺ لشعراء الدعوة زمن الرسالة كانت معنوية بالدعاء بقوله لحسان (اللهم أيده بروح القدس) ولعبد الله بن رواحة (وإياك فثبت)، والمادية منها كانت شبه معنوية، وذلك ببناء منبر لحسان في المسجد لينشد عليه الشعر، تكريماً له.

(٣) في الأصل «بدل» بدال مهملة، وهو تصحيف.

(٤) كذا «رضي الله عنه» في نسخة ب، وزاد في بقية النسخ «رضي الله تعالى عنه».

بعِشْرِينَ ألفاً، فَأَخَذَها مِنْهُمْ، وهِيَ البُرْدَةُ التي عِنْدَ السَّلاطِينِ إلى اليَوْمِ[1]، و في الاستيعابِ لابْنِ عَبْدِ البَرِّ، أنّه لما بَلَغَ إلى قَوْلِه:

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَني والعَفو عِنْدَ رَسولِ اللهِ مَأْمولُ

أَشَارَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى مَنْ حَوْلَهُ أَن اسْمَعوا[2].

المَقْصَدُ الثَّالِثُ: في بَيَانِ تَرْتِيبِ هذه القصيدَةِ وسِيَاقَتِها[3] التي سِيقَتْ عَلَيْها.

اعْلَمْ أَنَّهُ كانَ عادةُ أَكْثَرِ شُعراءِ العَرَبِ، أَنَّهُمْ إذا أَتوا بِقَصِيدَةِ مَدْحٍ افْتَتَحوها

---

(١) قوله «وهي البردة التي عند السلاطين إلى اليوم» يدفعه ما ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء، أن البردة التي اشتراها معاوية فقدت عند زوال دولة بني أمية» (ص٢٣) إذ إن الرسول ﷺ خلع بردته الشريفة على غيره في موقفين: الأول: لما أنشده كعب بن زهير قصيدته بانت سعاد، وهذا الخبر أخرجه السلفي في «الطيوريات» بسنده عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، وهذه البردة التي يقال إن معاوية بعث في طلبها بماله، وهي التي قال كثيرون إنها المتداولة عند خلفاء آل العباس.

الثاني: لما كتب عليه الصلاة والسلام لأهل أيلة أماناً، أعطاهم بردة مع كتابه، وهي البردة التي عند خلفاء بني العباس، أخرج ذلك الذهبي في تاريخه عن يونس بن بُكَيْر عن أبي اسحاق في قصة غزوة تبوك. (تاريخ الخلفاء ص٢٣).

- وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن عروة بن الزبير أن ثوب رسول الله ﷺ الذي توارثه الخلفاء، كان يخرج فيه للوفد، رداء حضرمي طوله أربع أذرع وعرضه ذراعان وشبر، وكانت هذه البردة على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم، وأظنها فقدت في فتنة التتار، وفي إسناد هذا الخبر ابن لَهِيْعَة (تاريخ الخلفاء ص٢٤).

تجدر الإشارة إلى أن الدكتور عبد العزيز المانع شكك في خبر البردة اعتماداً على عدم وروده في مصادر أدبية (طبقات فحول الشعراء، الشعر والشعراء، مجالس ثعلب، الأغاني، العمدة) وخلو كتب السنة من الإشارة إليها (صحيح البخاري، صحيح مسلم ...) وقول ابن كثير إن هذا الخبر من الأمور المشهورة، لكنه لم يجده في إسناد يرتضيه. (انظر قراءة في قصيدة بانت سعاد ٣٨٠-٣٨٥ والبداية ٤ / ٣٧٣).

ومن المعروف أن كتب الأدب ليست مصدراً للسنة النبوية، لعدم الوثوق برواياتها وأسانيدها، أما المشهور من الروايات الذي ذكره ابن كثير فهو يعني أنه مروي من طرق متعددة تؤكد أصل المسألة، يقول ابن كثير في مثل ذلك (حديث قس بن ساعدة الإيادي): «وأصله مشهور، وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة» (السيرة النبوية ١ / ١٤١-١٥٣) وقال البيهقي: وإذا روى الحديث من أوجه أخر وإن كان بعضها ضعيفاً، دل على أن للحديث أصلاً (دلائل النبوة ١ / ٤٥٣-٤٦٦).

(٢) الاستيعاب ص٦٢٩.

(٣) في الأصل: «وسيقتها».

بالنَّسيب[١]، وهو المُعَبَّرُ عَنْهُ بالغَزَلِ، وهو عِنْدَ المُحَقِّقينَ مِنْ أَهْلِ الأَدبِ يَشْتَمِلُ على أَرْبَعَةِ أَنْواعٍ:

النَّوْعُ الأَوْلُ: ذِكْرُ ما في المُحبِّ مِنَ الصِّفَاتِ التي هِيَ أَسْبابُ المَحَبَّةِ الدَّالَّةِ على المَحَبَّةِ، كالشَّغَفِ والنُّحولِ والذُّبولِ والحُزنِ والأَرَقِ ونَحْوَ ذلكَ.

النَّوْعُ الثّاني: ذِكْرُ ما في المَحْبوبِ مِنَ الصِّفاتِ التي هِيَ أَسْبَابَ المَحَبَّةِ، سَواءٌ كانَتْ حِسِّيَّةً[٢] كَحُمْرَةِ الخُدودِ، ورَشَاقَةِ القَدِّ، وما في مَعْنَاهُما، أو مَعْنَويَّةً كالجَلالَةِ والخَفَرِ، وما أَشْبَه ذلكَ، ويُسَمَّى هذا النَّوْعُ من النَّسيبِ تَشَبُّباً[٣] أَيْضَاً.

النَّوْعُ الثالثُ: ذِكْرُ[٤] ما يَتَعَلَّقُ بالمُحبِّ والمَحْبُوبِ جَميعاً مِنْ[٥] هَجْرٍ[٦] وصَدٍّ ووَصْلٍ وسَلْوَى واعتذارٍ ووَفَاءٍ واخْتِلافٍ وَنَحْوِ ذلكَ.

النَّوْعُ الرَّابعُ: ذِكْرُ[٧] ما يَتَعَلَّقُ بغَيْرِهما بِسَبَبِهما مِنَ الوُشَاةِ والرُّقَباءِ وَنَحْوِهما.

قَالَ: والنَّاظِمَ[٨]، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى، قد أَتَى في قَصِيْدَتِه قَبْلَ التَّخَلُّصِ إلى المَدْحِ بالأَنواعِ الأَرْبَعَةِ، وذَلكَ أَنَّ القَصِيدَةَ اشْتَمَلَتْ على سَبْعَةٍ وَخَمْسينَ بَيْتاً[٩]. فابْتَدأ[١٠]

---

(١) كذا في الأصل «بالنسيب» وفي بقية النسخ «بالتشبيب».

(٢) «حسيّة» ساقطة من ض.

(٣) كذا في الأصل، وفي نسخة ل، ب، ض: «وسمى هذا النوع من التشبب تشبباً». وفي ك: «ويسمى هذا النوع من التشبب تسبباً». وهو تحريف.

(٤) زاد في الأصل «في ذكر».

(٥) كذا «جميعاً من» في ك، والكلمتان ساقطتان من بقية النسخ.

(٦) في ب، ل: «وهجر».

(٧) زاد في الأصل «في ذكر».

(٨) كذا «قال»: «والناظم» في ك، وفي بقية النسخ «فإن الناظم».

(٩) كذا «سبعة وخمسون بيتاً» جاء تعدادها في رواية التبريزي وابن هشام الأنصاري، وتباين العدد في مختلف الروايات، فهي في رواية عبد الملك بن هشام تسعة وخمسون بيتاً، وفي رواية أبي البركات بن الأنباري خمسة وخمسون بيتاً وكذلك عددها في رواية السكري في ديوان كعب. (انظر ما سبق تحليله في رواية متن القصيدة ص٢١-٣١).

(١٠) في الأصل «فابدأ».

بالنَّوْعِ الأَوَّلِ بذكْرِ حَالِ نَفْسه، وما عَراهُ بِسَبَبِ الفراق في البَيْت الأَوَّل بقَوله: «بانَتْ سُعَادُ»، ثُمَّ أَخَذَ في ذكْرِ النَّوعِ الثَّاني، وهو ما يَتعلَّقُ بمَحْبُوبَته، فَشَبَّهَها بالظَّبي المَوْصوف بحُسْنِ الصفات في البَيْت الثَّاني بقَوْله: «وما سُعادُ غداةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلوا إلا أَغَنُّ[١] .... البيت»، ثُمَّ ذَكَرَ ثَغْرَها وريقَها، وشَبَّهَهُ بالرَّاحِ في البَيْت الثَّالث، ثم ذَكَرَ مَزْجَ الرَّاحِ بالماء، واسْتَطرَدَ فَوَصَفَ ذَلكَ الماءَ[٢]، ثُمَّ الأَبْطُحَ الذي أُخذَ منْهُ الماءُ في البَيْت الرَّابعِ، ثُمَّ أَكْمَلَ وَصْفَ ذلكَ الأَبْطُحِ في البَيْت الخَامس، ثُمَّ أَخَذَ في ذكْرِ النَّوعِ الثَّالث[٣]، وَهُو ما يَتعلَّقُ بهما جَميعاً، فَذكَرَ إِخْلافَها للوَعْد، وعَدَم قَبُولها النُّصْحَ في البَيْت السَّادسِ بقَوْله: «أَكْرِمْ بها خُلَّةً لو أَنَّها صَدَقَتْ مَوْعُودَها ... البيت».

ثُمَّ أَكْمَلَ ذَلكَ في البَيْت السَّابعِ، ثُمَّ وَصَفَها بالتَّلَوُّنِ في الوُدِّ في البَيْت الثَّامنِ، ثُمَّ وَصَفَها بعَدَمِ الوفاء بالعَهْد[٤] في البَيْت التَّاسعِ، ثُمَّ أَكَّدَ بَعْدَ ذَلكَ[٥]، فَأَخْبَرَ بأَنَّ ما تَعدُهُ، أَمانيَ لا حَقيقَةَ لَهَا في البَيْت العَاشرِ، ثُمَّ ضَرَبَ لها مَواعيْدَ عُرْقوبٍ مَثَلاً في البَيْت الحَادي عَشَرَ، ثُمَّ لامَ نَفْسَهُ على التَّعلُّق[٦] بمَواعيْدها في البَيْت الثَّاني عَشَرَ، ثُمَّ ذَكَرَ بُعْدَ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَها منَ المَسافَة في البَيْت الثَّالثَ عَشَرَ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ لا يُبَلِّغُهُ إليها إلاّ ناقةٌ منْ صفَتها كَذا وكَذا، وأَطَالَ في وَصْفها، على عَادَة العَرَب في ذلك، منْ أَوَّلِ البَيْت الرَّابعَ عَشَرَ إلى آخرِ البَيْت الثَّاني والثَّلاثيْنَ، فَاسْتَوْفَى في وَصْفها تسْعَةَ عَشَرَ بَيْتاً[٧]، ثُمَّ أَخَذَ في ذكْرِ النَّوْعِ الرَّابعِ، وَهُوَ ما يَتَعَلَّقُ بغَيْرِهما بسَبَبهما؛ فَذكَرَ الوُشَاةَ

---

(١) زاد في ل، ب، ض: «إلا أغن غضيض الطرف».

(٢) الهمزة من «الماء» ساقطة من ك، ب، ل، ض.

(٣) زاد في ض: «ثم أخذ في ذكر البيت النوع الثالث».

(٤) كذا «بعدم الوفاء بالعهد» في الأصل، وفي بقية النسخ «بعدم الوفاء».

(٥) كذا «ثم أكد بعد ذلك» في الأصل، وفي بقية النسخ «ثم أكد ذلك».

(٦) في الأصل: «لام نفسه بالتعلق» وفي ض: «لام نفسه على التعليق». وما أثبته هو الصواب، ففي اللسان: «لامه على كذا، يلومه لوماً وملامة ولومة» (مادة لوم ١٦ / ٣١).

(٧) في الأصل: «أربعة عشر بيتاً»، وفي بقية النسخ «تسعة عشر بيتاً». وما أثبته الصواب بالنظر إلى وصف الناقة في القصيدة الذي يبدأ من البيت الرابع عشر في قوله:

ولن يبلغها إلا عذافرة ... البيت» في قوله إلى البيت الرابع والثلاثين: تفري اللبان بكفيها ومدرعها... البيت».

– وجاء تصويب العدد «أربعة» بهامش الأصل «تسعة» صح.

وحالَهُ مَعَهم في البَيْتِ الثَّالثِ والثَّلاثِيْنَ[1]. بقَوْلِه: «تَسْعَى الوُشَاةُ جَنَابَيْهَا[2] ... البيت» واستَطْرَدَ في ذلكَ إلى آخرِ البَيْتِ الخامسِ والثَّلاثِيْنَ، وهُوَ آخرُ الغَزَلِ[3]، ثم تَخَلَّصَ إلى المَدْحِ في البَيْتِ السَّادسِ والثَّلاثِيْنَ[4] بقوْله:«نُبِّئْتُ أنَّ رسُولَ الله أَوْعَدَني ... البَيْتُ»، واسْتَطْرَدَ في ذَلكَ إلى آخرِ البَيْتِ الثامنِ والأَرْبَعينَ[5]، ثُمَّ خَرَجَ إلى مَدْحِ المُهَاجِرِيْنَ[6] منَ الصَّحَابَةِ[7]، رَضِيَ اللهُ تَعَالى[8] عَنْهُم، في البَيْتِ التَّاسِعِ والأَرْبَعِينَ[9] بقَوْلِه: «في فِتْيَةٍ منْ قُرَيْشٍ ... البَيْتُ»، واسْتَطْرَدَ في ذلكَ إلى آخرِ البَيْتِ السَّابِعِ والخَمْسِينَ، وهُوَ آخرُ القَصِيدَةِ.

ولم يَتَعَرَّضْ فيها لمَدْحِ الأَنْصَارِ، قيلَ إنَّهُ[10] وَجَدَ في نَفْسه[11] منَ الَّذي قالَ منْهُم: دَعْني يا رَسولَ اللهِ وعَدوَّ اللهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ، على ما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، فإنْ صَحَّ

---

(١) كذا في الأصل وجميع النسخ الأخرى: «في البيت الثالث والثلاثين» والصواب «في البيت الرابع والثلاثين»، وهو قوله «تسعى الوشاة ...» وهو ما سيأتي في ترقيمه السابق في رواية السيوطي خلافاً لرواية الديوان.

(٢) كذا «تسعى الوشاة جنابيها» في الأصل، وفي بقية النسخ «تسعى الوشاة حواليها».

(٣) عد السيوطي وصف الناقة من الغزل، إذ كان مسبباً عنه في الوصول إليها «ولن يبلغها إلا عذافرة...».

(٤) كذا «في البيت السادس والثلاثين» في نسخة ك أيضاً، والصواب «في البيت الثامن والثلاثين» كما سيأتي ترتيب البيت المذكور «نبئت أن رسول الله أوعدني .. البيت» في رواية السيوطي.

- قوله «وهو آخر الغزل ... في البيت السادس والثلاثين» ساقط من ب، ل، ض.

(٥) في الأصل: «إلى آخر البيت الثامن والأربعون» وهو لحن من الناسخ.

(٦) في الأصل «ثم خرج إلى مدح المهجرين» وهو تحريف.

(٧) في الأصل «من أصحابه» وفي نسخة ب «زمن الصحابة».

(٨) «تعالى» ساقطة من الأصل.

(٩) الصواب: «البيت الحادي والخمسون» كما سيأتي ترتيبه في رواية السيوطي.

(١٠) في الأصل «لأنه».

(١١) وجد في نفسه: غضب، جاء في اللسان: «وجد عليه في الغضب يَجُدُ ويَجِدُ وَجْداً وجِدَة ومَوْجِدة وَوِجداناً: غضب.. ووَجَدَ به وجداً في الحُبِّ لا غير، وإنه لَيَجِدُ بفلانة وجداً شديداً، إذا كان يهواها ويحبها حباً شديداً، ... ووَجَدَ الرجل في الحزن وَجْداً بالفتح ووَجِد كلاهما عن اللحياني: حزن». (مادة وجد ج٤/٤٥٩).

ذلكَ(١)، فيكونُ قَوْلُهُ ارتجالاً للْوَقْت(٢)، ولا يَبْعُدُ ذلكَ؛ لأَنَّهُ منْ فُحول الشُّعَراء على ما تَقَدَّمَ ذكْرُهُ، خُصُوصاً وَقَدْ حَصَلَ لَهُ الإمدادُ النَّبَويُّ والإسْعَاد المُحَمَّدي، ويُقالُ إِنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لَهُ بَعْدَ ذلكَ: لَوْ ذَكَرْتَ الأَنْصَارَ بخَيْرٍ، فَإِنَّ الأَنْصَارَ لذَلك أَهْلٌ(٣)، فَقَالَ(٤):

١- مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الحَيَاةِ فَلا يَزَلْ   في مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِ الأَذْكَارِ(٥)

---

(١) قوله: «فإن صح ذلك» يجعل إغفال كعب مدح الأنصار مجالاً للبحث عن علة أخرى غير المذكورة، ولعلنا نجدها في العداوة بين مزينة والخزرج منذ الجاهلية، وقد ذكر السكري خبرها وهو يعرض لقصيدة كعب في قتال مزينة للخزرج:

لقـــــد ولى أَلِيّتَه جُؤَيٌّ   معاشر غير مطلول أخوها

(انظر شرح ديوان كعب ص٢٠٠، ٢٠٩-٢١٢ و د. عبد العزيز المانع: قراءة في قصيدة البردة ص٣٧٨-٣٨٠).

(٢) قوله: «فيكون قوله ارتجالاً للوقت» يعني أن كعباً ارتجل قصيدته في موقف إسلامه من غير إعداد. على أن ابن رشيق فرّق بين الارتجال والبديهة، فالارتجال ما كان انهماراً وتدفقاً لا يتوقف فيه قائله، وأما البديهة فبعد أن يفكر الشاعر يسيراً، يكتب سريعاً من غير إبطاء ولا تراخٍ. (العمدة ج١/ ١٨٩-١٩٢)، على أن من أهل العلم من سوى بينهما.

- والقول بان كعباً ارتجل قصيدته للوقت مرجوح بأمرين:

الأول: أن كعباً ووالده زهير من اتباع مدرسة الصنعة الجاهلية، التي تذهب إلى تحكيك الشعر وصقله بالتهذيب،

والثاني: إهدار دمه، ثم تردده في الوفود على رسول الله ﷺ، ثم عزمه على إعلان إسلامه، وقد كان الشعر في عام الوفود مدخلاً يتقدم إسلام الأفراد والقبائل فيحرص أهله على إعداده بما يليق ومقام النبوة.

(٣) قوله: «ويقال إن النبي ﷺ قال له بعد ذلك... لذلك أهل» ذكره عبد الملك بن هشام في السيرة (انظر ٤/ ١٣٦٧ وسيرة ابن كثير ج٣ ص٧٠٨) وروى أبو العباس الأحول في شرحه، أن الأنصار لامت كعباً وقالوا: هلا ذكرتنا مع إخواننا؟ فقال كعب يمدح الأنصار، ويذكر بلاءهم وصبرهم مع النبي ﷺ..» (حاشية على شرح بانت سعاد ج١ ص٧٤).

(٤) الأبيات من البحر الكامل، وهي من قصيدة عدتها اثنان وثلاثون بيتاً. (انظر شرح ديوان كعب - صنعة السكري ص٢٥)..

(٥) كذا «فلا يزل» في نسخة ك والديوان، وفي الأصل: «فلا يزال» وهو تحريف، وفي بقية النسخ: «فلم يزل» والوزن واحد ومستقيم.

- في نسخة ض: «في مقضب». ومِقْنَب: بكسر الميم وسكون القاف وفتح النون، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل، أي: فرسانها.

- كذا «من صالح الأذكار» في نسخة ك، ل، وفي نسخة ب، ض «من صالح الأنصار» وبها روى الديوان (ص٢٥) والسيرة (٤/ ١٣٦٦). تجدر الإشارة إلى أن رواية الديوان والسيرة وأبي العباس الأحول (حاشية ١/ ٧٤) «من صالحي».

٢- وَرِثوا المَكَارِمَ كابراً عَنْ كابرٍ إنَّ الخِيَارَ هُمُ بَنُو الأَنْصَارِ[١]

(١٣٩أ) ٣- / المُكْرِمِيْنَ السَّمْهَرِيَّ بأَذْرُعٍ كَسَوالِفِ الهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ[٢]

٤- والبائعينَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعانُقٍ وكِرارِ[٣]

٥- والنَّاظِرِيْنَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ كالجَمْرِ، غَيْرِ كَلِيْلَةِ الأَبْصَارِ[٤]

٦- يَتَطَهَّرونَ يَرَوْنَهُ نُسُكاً لَهُمْ بدِمَاءِ مَنْ عَلِقوا مِنَ الكُفَّارِ[٥]

وأَبْيَاتٌ أُخرى[٦] تَرَكْتُها خَوْفَ الإِطالَةِ، واقْتَصَرْتُ على ذلِكَ.

---

(١) في رواية الديوان: «ورثوا السيادة».

- كذا «إن الخيار هم بنو الأنصار» في نسخة ك، ل، وفي ب، ض: «إن الاخيار هم بنو الأخيار» وهي رواية السيرة، أما رواية الديوان فهي: «إن الكرام هم بنو الأخيار».

(٢) في رواية السيرة والديوان وأبي العباس الأحول (حاشية ١ / ٧٥) «المكرهين».

- في رواية الديوان: «كصواقل». وفي رواية أبي العباس الأحول: «كسوافل».

(٣) كذا رواه ابن هشام في السيرة، ورواه السكري وأبوالعباس الأحول كما يلي:

والباذلين نفوسهم لنبيهم يوم الهياج وقبة الجبار

(٤) في الأصل: «غير كيلة الأبصار» وهو تحريف.

- في رواية الديوان والسيرة: «الإبصار».

- في رواية السيرة تقدم هذا البيت في ترتيب روايته على سابقه.

(٥) في الأصل وفي نسخة ب: «ليطهرون بروية».

- في راية الديوان: «كأنه نسك».

- كذا هي عدة الأبيات (ستة) في نسخة ك أيضاً، وزاد في بقية النسخ (ب، ل، ض) بيتين هما:

وإذا حَلَلْتَ ليمنعوكَ إليهِمُ أَصْبَحْتَ عِنْدَ معاقِد الأغفار

لو تَعْلَمُ الأقوامُ عِلْمِي كُلَّه فيهِمْ لَصَدَّقني الذينَ أُماري

وفي ألفاظ البيتين اختلاف عن رواية السيرة والديوان.

(٦) زاد في الأصل «في أبيات أخرى» وفي ض: «وأبيات أخر».



البَيْتُ الأَوَّلُ

بانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيّمٌ إثْرِهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ[1]

يُقالُ: بانَتِ المَرْأَةُ مِنْ زَوْجِها: إذا فارَقَتْهُ، وَ هُوَ مَعْروفٌ في عُرْفِ الشَّرْعِ بالطَّلاقِ غَيْرِ الرَّجْعِيِّ[2]، وسُعَادُ: اسمٌ لِمَحْبُوبَتِهِ[3] التي بَنَى[4] مَطْلَعَ القَصيدَةِ على

(١) كذا «إثرها» في رواية أكثر الرواة (ابن هشام في السيرة٤/١٣٥٦وابن سيد الناس في عيون الأثر ٢/ ٢٨٠ والعسكري في المصون ٢٠٢ والحاكم في المستدرك ٣/٥٨٠ والقرشي في الجمهرة ٢/٢٨٩. وعبداللطيف البغدادي في شرحه ص١٠٠)

– قال ابن هشام: «ويروى (عندها) بدل (إثرها) (شرح بانت سعاد ص٢٧) و«عندها» هي رواية ابن بشران (اسلام كعب وقصيدته – عالم الكتب مجلد٢ عدد ١ مايو سنة ١٩٨١ ص٨٠) وابن كثير في البداية والنهاية (٤/٤٢٨) والسبكي في طبقات الشافعية (١/٢٣٠) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٤٣).

– روى أكثر الرواة: «لم يفد».

– روى أبو العباس الأحول والسكري ونفطويه «لم يجز»، قال أبو العباس: «لم يجز: لم يثب، من الجزاء، (حاشية البغدادي ١/٢٨٠) وقال السكري: «ويروى لم يفد من الفداء» (ص٦) وبرواية الأحول والسكري روى ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص٦٨ والأصفهاني في الأغاني (١٧/٨٦) والقرشي في الجمهرة (٢/٧٨٩).

– قال ابن هشام في شرحه (ص٢٨) ويروى «لم يُشْفَ» وبها روى ابن سلام في طبقات فحول الشعراء (١/١٠٠) والسبكي في طبقات الشافعية (١/٢٣٠). قال عبد القادر البغدادي: «لم يشف» هو من شفاه الله من علته، إذا خلصه منها، وهذه الرواية مناسبة لمتبول، ولهذا قال البغدادي (عبد اللطيف) في شرحه: ويجوز على هذه الرواية أن يكون لم يشف صفة متبول أو حالاً من ضميره خبراً كان أو صفة» (حاشية ١/٢٨٠).

– قال البغدادي «ويروى» مغلول «فيحتمل أن يكون من الغلة وهي العطش .. ويحتمل أن يكون بمعنى مكبول، من قولك: غلت يده إلى عنقه إذا شددتها بالغُلّ، قال صاحب العين: الغُل بالضم جامعة يشد بها العنق واليد» (حاشية على شرح بانت سعاد ١/٢٨٢) ورواية «مغلول» تفرد بها عبد القادر الجرجاني (دلائل الإعجاز ص١٧).

– والقصيدة من بحر البسيط وعروضها مخبونة وضربها مقطوع.

(٢) الطلاق غير الرجعي: هو الطلاق البائن بينونة كبرى، وهو المكمل للثلاث، إذ رتب الله على الطلاق في المرة الثالثة نفي الحل حتى تتزوج المطلقة رجلاً آخر زواجاً صحيحاً، ودخوله بها دخولاً حقيقياً، ثم انتهاء هذه الزوجية بطلاق أو وفاة.

(٣) في الأصل: «اسم لمحبوبيه».

(٤) في الأصل وفي نسخة ض: «التي هي».

التَّشْبِيْب بها، والتَّغَزُّل فيها، كما كانَ مَجْنونُ لَيْلَى(١) يُشَبِّبُ بلَيْلَى، وذُو الرُّمَّة(٢) يُشَبِّبُ بمَيَّ(٣)، وقَيْسٌ(٤) يُشَبِّبُ بلُبْنَى، وكُثَيِّرٌ(٥) يُشَبِّبُ(٦) بعَزَّةَ، إلى غَيْرِهِم مِنَ المُتَيَّمِينَ في الجاهليَّة والإسلامِ(٧). والقَلْبُ في كلامه يَحْتَمِلُ مَعْنَيَين، الأَوَّلُ: أَنْ(٨) يُرِيْدَ به الفُؤَادَ، وهو الظَّاهِرُ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ **وخَتَمَ على سَمْعِهِ وقَلْبِهِ** ﴾(٩)، ومَحَلُّهُ مِنَ البَدَنِ الصَّدْرُ، قَالَ تَعالى: ﴿ **فإنَّها لا تَعْمَى الأَبْصَارُ ولكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ**

---

(١) مجنون ليلى: هو قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس.. بن عامر بن صعصعة ويقال هو قيس بن معاذ من بني عامر ثم من بني عقيل، وقيل إن المجنون اسم مستعار لا حقيقة له، وليس له في بني عامر أصل ولا نسب، وقد حملت أشعار كثيرة عليه في حب ليلى، وهو شاعر إسلامي عاش في العصر الأموي. (انظر في خبره الأغاني ج٢ / ١-٩٥)

(٢) ذو الرمة: هو غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود، من بني صعب بن ملكان بن عدي بن عبد مناف، شاعر إسلامي عاش في العصر الأموي، وهو أحسن أهل الإسلام تشبيهاً. (انظر طبقات فحول الشعراء ج٢ / ٥٣٤، ٥٤٩ وما بعدها، الشعر والشعراء ٣٣٣-٣٤٢ والأغاني ج١٨ / ١-٥٢).

(٣) كذا «يشبب بميّ» في نسخة ب وض أيضاً، وفي نسخة ك، ل «يشبب بميّة».

(٤) قيس: هو قيس بن ذريح من بني كنانة من بني ليث، وكان رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أرضعته أم قيس، شاعر إسلامي، عاش في العصر الأموي (انظر الشعر والشعراء ٣٩٩ - ٤٠٠ والأغاني ج٩ / ١٨٠-٢٢٠).

(٥) كثير: هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة من خزاعة، وكان رافضياً غالياً في التشيع، يذهب مذهب الكيسانية، له نصيب وافر في التشبيب، لكنه كان يتقول فيه، ولم يكن صادقاً، على الرغم من فحولته وتقديم بعض النقاد له بأنه أشعر أهل الإسلام، مات سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك (انظر طبقات فحول الشعراء ج٢ / ٥٣٤، ٥٤٠-٥٤٨، الشعر والشعراء ٣١٦- ٣٢٩ والأغاني ج٩ / ٣-٣٩).

(٦) قوله: «بليلى وذو الرمة يشبب بمية، وقيس يشبب بلبنى، وكثير يشبب» ساقط من نسخة ل.

(٧) قوله: «من المتيمين في الجاهلية والإسلام» ليس دقيقاً، لأن من ذكرهم من المتيمين هم من شعراء الإسلام فقط، ومن الشعراء المتيمين في الجاهلية الذين يعد شعرهم نواة للغزل العفيف: المرقشان الأكبر (وهو عمرو ابن سعد بن مالك) والمرقش الأصغر (ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك) وهو ابن أخي المرقش الأكبر، وكلاهما من ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وكان الأكبر يتعشق ابنة عمه أسماء بنت عوف، وكان الأصغر يتعشق فاطمة بنت المنذر، ومن المتيمين عنترة العبسي، وعبد الله بن العجلان النهدي الذي تزوج فتاة من قومه اسمها هند، وأكره على طلاقها لأنها كانت عاقراً، فظل يذكرها في شعره.

(٨) كذا «أن» في ك، ل، وفي ب، ض: «أنه».

(٩) سورة الجاثية: آية رقم ٢٣.

- تمامها: ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله، أفلا تذكرون** ﴾.

الَّتي في الصُّدور﴾(١)، ومَحلُّهُ منَ الصَّدْرِ الجَانِبُ الأَيْسَرُ منْهُ، قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الحَقَائقِ: وهذا هو السِّرُّ في كَوْنِ الطَّائف يَجْعَلُ البَيْتَ على يَسَارِه ويَطُوفُ؛ لأَنَّ القَلْبَ كالمَلِك في الجَسَدِ، والبَيْتَ كالمَلِك في الأَرضِ، فإذا جَعَلَ البيتَ على يَسارِه وطَافَ، كَأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ المَلِكَيْنِ في جِهَةٍ واحِدَةٍ. قَالَ أَهْلُ التَّشْرِيحِ: وهو جِسْمٌ صَنَوْبَرِيُّ الشَّكْلِ، لَحْمِيُّ الجَوْهَرِ، لَهُ جَوْفٌ يَحْوي الدَّمَ والرُّوحَ الحَيَوانيَّ(٢)، ومِنْهُ يَنْصَبُّ في الشَّرايين؛ وهي عُروقٌ دِقَاقٌ، فَيَصيرُ منْها إلى جَميعِ البَدَنِ، وبَيْنَهُ وبَيْنَ الدِّماغِ شُعْبَةٌ دَقيقَةٌ مُتَّصلَةٌ بغِشَايَةٍ مُنْبَثَّةٍ في جَميعِ جِرْمِه، يُدْرِكُ بها(٣) القُوى الحَيَوانيَّةَ التي تَنْفَعِلُ بالانْفعالاتِ النَّفْسَانيَّةِ كالغَضَبِ والخَوْفِ والحُزْنِ والسُّرورِ(٤)، بواسطَةِ أَنَّ الحَواسَّ تُدْرِكُهَا(٥) منَ الخَارِجِ فَتُؤَدِّيها إلى النَّفْسِ(٦) فَتَصِلُ آثارُها(٧) بالقَلْبِ فَيَنْفَعِلُ عَنْها. قَالَ الغَزَالي(٨) في الإحياءِ: وهذا القَلْبُ(٩) لا تَعَلُّقَ لَهُ بالأَغراضِ الدِّينيَّةِ، وإِنَّما يَتَعَلَّقُ بذلكَ غَرَضُ الأَطبَّاء، وهذا القَلْبُ مَوْجودٌ للْبَهائمِ(١٠)، بَلْ للْمَيِّتِ، فإِنَّهُ قِطْعَةُ لَحْمٍ لا قَدْرَ لَهَا، وهي(١١) منْ عالمِ المُلْكِ والشَّهادَةِ، إذ تُدْرِكُهُ البَهائمُ بحاسَّةِ البَصَرِ، فضلاً

---

(١) سورة الحج: آية رقم ٤٦.

- تمامها: ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾.

(٢) قوله: «وهو جسم صنوبري ... والروح الحيواني» ينحو نحو قول الغزالي: «لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود، هو منبع الروح ومعدنه».(إحياء علوم الدين ج٣/ص٣).

(٣) في الأصل: «يدرك به».

(٤) في ض: «والشرور».

(٥) كذا «تدركها» في ب، ك، وفي الأصل: «يدركها» وفي ل، ض «تدبرها».

(٦) في ل «إلى المفس».

(٧) في الأصل «أثرها» وصوبت «آثارها» بالهامش.

(٨) الغزالي: هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفي سنة ولد بطوس سنة ٤٥٠هـ، وقيل بطابران، كان والده يغزل الصوف ويبيعه، فقيه شافعي، كان مجتهداً في الزهد والعبادة، صنف كتباً عديدة، منها المنقذ من الضلال، تهافت الفلاسفة، الوسيط، البسيط، توفي سنة ٥٠٥هـ (وفيات الأعيان ج٤/٢١٦-٢١٩).

(٩) أي: اللحم الصنوبري، وما زال الحديث موصولاً بالمعنى الأول للقلب عند الغزالي.

(١٠) كذا «للبهائم» في نسخة ل، ض والإحياء، وفي ك، ب «في البهائم».

(١١) في الإحياء: «وهو» والضمير عائد على القلب، أما في نص السيوطي فالضمير عائد على قطعة لحم.

عَن الآدميينَ، بل المُرادُ بالقَلْب[1] عندنا: لَطيفَةٌ رَبَّانيَّةٌ رَوْحَانيَّةٌ لَهَا بهذا القَلْب الجِسْمَانيِّ[2] تَعَلُّقٌ، وتلْكَ اللطيفَةُ هي حَقيْقَةُ الإنْسَان، وهُوَ المُدْرِكُ العَالِمُ العَارِفُ، وهُوَ المُخاطَبُ والمُطَالَبُ[3] والمُعاقَبُ، قَالَ: وقَدْ تَحارُ[4] عُقُولُ أكْثَرِ الخَلْق[5] في إِدْراك وَجْه عَلاقَتها[6] بالقَلْب الجسْمانيِّ، فإنَّ تَعَلُّقَها به يُضاهي تَعَلُّقَ الأعْرَاضِ بالأجْسَامِ، والأوْصَاف بالمَوْصُوفات، أو تَعَلُّقَ المُسْتَعْمِلِ للآلَة بها، أو المُتَمَكِّنِ بالمَكَان[7].

الثَّاني: أنْ يُريدَ بالقَلْب: العَقْلَ، كما في قَوْله تَعالى: ﴿**إنَّ في ذلكَ لَذكْرَى لمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ**﴾[8]، ويكونُ المَعْنَى حينَئذ: أَنَّ عَقْلَهُ منْ شدَّة الحُبِّ وغَلَبَة العشْق، قد ضَعُفَ حَتَّى صَارَ كالولْهَان الهائم الذي لا يُفيقُ ولا يَعي، واليَوْمُ: المُرادُ به هنا مُطْلَقُ الزَّمان، كَمَا في قَوْله تَعَالَى: ﴿**وآتوا حَقَّهُ يومَ حَصَادِه**﴾[9] وقَوْله:

---

(١) «بالقلب» ساقطة من ض.

– قوله: «بل المراد بالقلب عندنا» هو المعنى الثاني للقلب عند الغزالي (انظر ج٣/ ص٣).

(٢) في الأصل «الجثماني».

(٣) كذا في نسخة ك، ل والإحياء، وفي نسخة ب، ض «والطالب».

(٤) في الإحياء: «وقد تحيرت».

(٥) في ض: «الخلائق».

(٦) في الإحياء: «وجه علاقته». والهاء في نص السيوطي عائد إلى اللطيفة، وفي الإحياء يعود الضمير إلى القلب وعلاقته باللطيفة.

(٧) كذا «والمتمكن بالمكان» في الإحياء وسائر النسخ، وفي الأصل «أو التمكن بالمكان».

– قوله: «وهذا القلب لا تعلق له ... أو المتمكن بالمكان» من كتاب إحياء علوم الدين ج٣ ص٣.

(٨) سورة ق: آية ٣٧.

– وتمامها: ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾.

– ذهب ابن هشام إلى أن القلب على معان أربعة: الفؤاد، وهو المراد هنا، والعقل، وخالص كل شيئ ومحضه، ومصدر قلبه (شرح قصيدة بانت سعاد ص٢٣) قال البغدادي: «لا يخفى أن هذه الأربعة راجعة إلى معنيين، الأول راجع إلى الرابع أو الثالث، والثاني راجع إلى الثالث». (حاشية على شرح بانت سعاد ج١/ص٢٠٣).

(٩) قوله «اليوم: المراد به هنا مطلق الزمان... يوم حصاده» من ابن هشام في (شرح قصيدة بانت سعاد ص٢٤)، وهذا الاستخدام مجازي، لأن اليوم في الأصل مقيد بحدود من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فالمجاز هنا مرسل. (انظر حاشية بانت سعاد بعبد القادر البغدادي ج١/ ٢١٣-٢١٤).

– والآية من سورة الأنعام برقم ١٤١.

– تمامها: ﴿**وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات و النخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه، كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده، ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾.

﴿ يَوْمئذٍ يفْرَحُ المؤْمنُونَ بنَصْرِ الله، ينْصُرُ منْ يشَاءُ ﴾[١] ونَحْوَ ذَلكَ.

والمَتْبُولُ، بفَتْحِ الميْم وإسْكَانِ التَّاء المُثَنَّاة منْ فَوْقُ، وضَمِّ البَاء المُوحَّدَة: الفَاني منْ شِدَّة الضَّنَا والسَّقَمِ، يُقالُ: تَبلَهُ وأَتْبلَهُ: إذا أَسْقَمَهُ، وتَبلَهُمْ الدَّهْرُ وأَبْتَلَهُمْ[٢]: إذا أَفْنَاهُمْ[٣].

قَوْلُه: «مُتيَّمٌ إثرَهَا لم يُفْدَ مَكْبُولُ» أي: فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبُولٌ على ما تَقَدَّمَ، مُتَيَّمٌ إثْرَ سُعادَ، ولم يُفْدَ منْ أَسْرِها[٤]، مَكْبُولٌ في هوَاها، والمُتَيَّمُ: المُسْتَعْبَدُ[٥] الذَّليلُ، يُقالُ: تَيَّمَهُ الحبُّ وتَامَهُ: إذا استَعْبَدَهُ[٦]، وتامَهُ: أَذَلَّهُ[٧]، والمُرادُ هُنا الأَسيرُ، بدَليلِ قَوْلِه فيما بَعْدُ «لم يُفْدَ». والإثْرُ في كَلامه بكسْرِ الهَمْزَة وإسْكان الثَّاء المُثَلَّثة: مَحَلُّ المَشْي، ومَوْضعُ القَدَمِ منَ الأَرْضِ، ويُقَالُ فيه أَثَرٌ بالتَّحريك، كَقَوْله[٨] تَعالَى: ﴿ ونَكْتُبُ ما قَدَّموا وآثارَهُمْ ﴾[٩]، ومَعْنَى لم يُفْدَ: لم يَقَعْ لَهُ فداءٌ منْ أَسْرِه الَّذي وَقَعَ فيْه، إمّا بمَعْنَى أَنَّه لم يَجدْ مَنْ يَفْديه ويُخَلِّصُهُ منَ الأَسْرِ، وإما[١٠] بمَعْنَى أَنَّه لم يَخْتَرِ الفداءَ، بل كانَ أَسْرُ المَحَبَّة إليه أَحبَّ.

---

(١) سورة الروم: آية رقم ٤-٥.

- تمامها: ﴿ في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء، وهو العزيز الرحيم ﴾.

(٢) في نسخة ل: «يقال بتله وأبتله إذا أسقمه، وبتلهم الدهر وأبتلهم».

(٣) في شرح ابن هشام: «ويقال: تبلهم الدهر، أي: أفناهم» (ص٢٥).

(٤) في نسخة ض: «من أثرها».

(٥) في نسخة ل، ض: «المستبعد».

(٦) في ل، ض: «إذا استبعده».

(٧) قوله: «يقال تيمه الحب... أذله» من شرح ابن هشام ص ٢٥.

(٨) كذا «كقوله» في ض أيضاً، وفي ك، ب، ل: «وقوله».

(٩) سورة يس: آية رقم ١٢.

- ﴿ إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم، وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾.

(١٠) في نسخة ب: «إمّا» بدون الواو.

ويُرْوَى «لم يُشْفَ» بَدَلَ «لم يُفْدَ»(١) بمَعْنَى أَنَّهُ بَعْدَ تَبْلِ قَلْبِه ومَرَضِه، لم يُجْعَلْ(٢) لَهُ شِفَاءٌ مِنْهُ، وَيَكُونُ ذلكَ(٣) عَائداً على قَوْلِه / «مَتْبُولُ»، لا على قَوْلِهِ «مُتَيَّمٌ»(٤). (١٣٩ب)

والمَكْبُولُ، بفَتْحِ المِيْمِ وإسْكَانِ الكاف وضَمِّ الباء، يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُما(٥) أَنْ يُرِيدَ به القَيْدَ(٦)، يُقالُ: كَبَلَ الأَسِيرَ بالتَّخْفيف، وكَبَّلَهُ بالتَّشْديد، إذا قَيَّدَهُ، الثَّاني: أَنْ يُرِيدَ بِهِ المَسْجُونَ، يُقالُ: كَبَلَهُ بالتَّخْفيف؛ إذا حَبَسَهُ في سِجْنٍ أو غَيْرِه(٧).

والمعنى: أَنَّ قَلْبَهُ بسَبَبِ فِراقِ مَحْبُوبَتِه صَارَ في غايَةِ الضَّنَا والسُّقْمِ، والأَسْرِ والذُّلِّ، والقَيْدِ والسِّجْنِ، لا يَجِدُ لَهُ(٨) هَرَباً مِنَ الأَسْرِ، ولا فَكَاكاً مِنَ الرِّقِّ، وذلكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَبْنَى ابْتِداءِ هذه القَصِيدَةِ على الغَزَلِ والنَّسِيْبِ(٩)، جَرْياً على عَادَةِ أَكْثَرِ(١٠) الشُّعراءِ في ابتداءِ قَصائِدِ المَدْحِ بمِثْلِ ذلك، على ما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ في مُقَدِّمَةِ هذا الشَّرْحِ، وكانَ من جُمْلَةِ أَنْواعِ النَّسيبِ(١١) ذِكْرُ ما في المُحبِّ مِنْ صِفاتِ المَحَبَّةِ والشَّغَفِ وَنحْوِهِ على ما تَقَدَّمَ بَيانُهُ(١٢). مَعَ(١٣) أَنَّ تَأْجِيجَ نَارِ المَحَبَّةِ، وتَهْيِيجِ بَلابِلِ الشَّوْقِ،

---

(١) ذكر هذه الرواية «لم يشف» ابن هشام (شرح قصيدة بانت سعاد ص٢٨).

(٢) كذا «لم يجعل» في ك، ل أيضاً، وفي ب، ض: «لم يحصل».

(٣) في ض: «ويكون لك».

(٤) قال عبد القادر البغدادي: «وهذه الرواية (لم يشف) مناسبة لمتبول، ولهذا قال البغدادي(عبداللطيف) في شرحه: ويجوز على هذه الرواية ان يكون لم يشف صفة متبول أو حالاً من ضميره خبراً كان أو صفة" (حاشية على شرح بانت سعاد ج١ / ٢٨٠).

(٥) كذا «أحدهما» في ك أيضاً، وفي بقية النسخ: «الأول».

(٦) في ب، ض: «أن يريد به المقيد».

(٧) قال عبد اللطيف البغدادي: «ويروى (مغلول) ويحتمل أن يكون من الغُلَّة، وهي العطش» (حاشية على شرح بانت سعاد ج١ / ٢٨٢).

(٨) في نسخة ض: «لا تجد».

(٩) كذا «النسيب» في الأصل، وفي بقية النسخ «التشبيب» وقد مضى تفريق الشارح بينهما.

(١٠) كذا في ك أيضاً، وهي ساقطة من بقية النسخ.

(١١) كذا «النسيب» في ك أيضاً، وفي بقية النسخ «التشبيب».

(١٢) انظر ص١١٢-١١٣.

(١٣) في نسخة ض: «على أن».

إِنَّما يَعْظُمُ ويَشْتَدُّ عِنْدَ حُصُولِ الفراق، صَدَّرَ كَلامَهُ بِذِكْرِ الفراقِ المُقْتَضِي لِذلكَ، لِيُرَتِّبَ عَلَيْهِ ما يَأْتي عَلَيْه مِنْ لَوازِمِ المَحَبَّةِ وعَوارِضِها.

ولا شَكَّ أَنَّ فِراقَ الأَحِبَّةِ مِنْ أَشَدِّ الآلامِ، وأَعْظَمِ الأَحْزانِ، وناهيْكَ ما أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى به عَنْ يَعْقُوبَ عَلَيْه السَّلامُ[١] في فِراقِه لِيُوسُفَ بِقَوْلِه تَعَالَى[٢]: ﴿ **وتَولَّى[٣] عَنْهُمْ وقَالَ يا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيم** ﴾[٤]. قِيْلَ: ما غَفَتْ عَيْنَا يَعْقُوبَ عَلَيْه السَّلامُ[٥] مِنْ حِيْنِ فِراقِه لِيُوسُفَ إِلى حِيْنِ لِقائِه، ثَمانِيْنَ عَامًا[٦]، ولله دَرُّ القائِلِ[٧]:

إِنِّي لأَكْـــرَهُ أَنْ أَنَـــامَ فَأَلْتَقِي ... بِكِ في الكَرَى خَوْفَ الفِراقِ الثَّاني

ويُرْوَى أَنَّ الحَسَنَ[٨] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَكَى عَلَى وَلَدٍ أو غَيْرِه، فَقِيلَ لَهُ في ذلِكَ، فَقَالَ: «ما رَأَيْتُ اللهَ تَعَالَى[٩] جَعَلَ الحُزْنَ عاراً على يَعْقُوبَ».

ومن المَعَاني المُسْتَحْسَنَةِ ما قِيلَ إِنَّ الشَّمْسَ تَحْمَرُّ عِنْدَ الطُّلُوعِ لِمَعْنَى اللِّقاءِ، وتَصْفَرُّ عِنْدَ الغروبِ لِمَعْنَى الفِراقِ، وإِلى ذَلِكَ يُشِيرُ أَبو العَبَّاسِ الضَّبِّيُّ[١٠] بِقَوْلِه[١١]:

---

(١) زاد في ل، ب، ض: «عليه الصلاة والسلام».

(٢) «تعالى» ساقطة من الأصل.

(٣) في الأصل وفي نسخة ل، ك «فتولى عنهم» وهو تحريف.
– في نسخة ب، ض «فتول عنهم» وهو تحريف أيضاً.

(٤) سورة يوسف: آية رقم ٨٤.

(٥) زاد في ب، ل، ض: «عليه الصلاة والسلام».

(٦) في الكشاف: «قيل ماجفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً». (ج٢/٤٩٧).

(٧) البيت من البحر الكامل.
– البيت من غير عزو في نهاية الأرب ٢/٢٤٤.

(٨) في الأصل: «أن الحسين».

(٩) كذا «تعالى» في ك أيضاً، وساقطة من بقية النسخ.

(١٠) أبو العباس الضبي: هو أحمد بن إبراهيم، شاعر كاتب، كان الصاحب بن عباد استصحبه منذ الصبا، فاصطنعه لنفسه، وقدمه بفضل الاختصاص على سائر ندمائه، وإليه آلت بلاغة العصر بعد الصاحب والصابي، فصار لسان خراسان في ذلك. (انظر يتيمة الدهر ٣/٢٨٧-٢٩٤).

(١١) البيتان من مجزوء الكامل.
– البيتان في يتيمة الدهر (ج٣/٢٩١).

لا تَرْكَنَنَّ إلـى الفـراق فإنَّـهُ مُرُّ المَـذاقِ
فالشَّمْسُ عِنْدَ غُروبِهـا تَصْفَرُّ مِنْ أَلَمِ الفِراقِ(١)

ومِنْ كَلامِ بَعْضِهِمْ: «ما خُلِقَ الفِراقُ(٢) إلا لِتَعْذِيبِ العُشَّاقِ»، وكانَ يُقالُ: «حَقُّ الفِراقِ أَنْ تَطِيرَ لَهُ القُلُوبُ(٣)، وتَطِيشَ مَعَهُ العُقُولُ، وتَطِيحَ مَعَهُ النُّفُوسُ»، ويُقالُ: «هَوْلُ السِّباقِ(٤) أَهْوَنُ مِنْ أَلَمِ الفِراقِ» ومِنْ كَلامِ النَّظَّامِ(٥): «لو كانَ صُورةً لَراعَتْ مِنْهُ القُلُوبُ، وهُدَّتْ مِنْهُ(٦) الجِبالُ، ولَجَمْرُ الغَضَى أَهْوَنُ تَوْبِيخاً(٧) مِنْ نارِ الفِراقِ، ولله دَرُّ أَبي تَمَّامٍ الطَّائِيِّ(٨) حَيْثُ يَقُولُ(٩):

(١) في الأصل: «تسفر» بالسين مهملة.
- في رواية الثعالبي: «الشمس... تصفر من فرق الفراق». (اليتيمة ج٣/ ٢٩١).
(٢) في هامش الأصل: «ما خلق الله» صح.
(٣) كذا «تطير له القلوب».
(٤) كذا «السباق» في نسخة ب، وفي الأصل وبقية النسخ «السياق» بياء تحتية، وهو تصحيف.
(٥) «ومن كلام النظام» ساقط من نسخة ب، ل، ض.
- النظام: أبو اسحاق، ابراهيم بن سيار النظام البصري، شيخ الجاحظ، وأحد رؤوس المعتزلة، وتنسب إليه الفرقة النظامية، ناظر كثيراً من الزنادقة والمجوسية والدهرية، وناقض كثيراً من آراء الفلاسفة وفندها، وكان يسعى من وراء ذلك إلى تقرير عقيدة التوحيد، واثبات قضية العدل الالهي، توفي في خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين. (انظر الملل والنحل ج١/ ١٧ والفرق ص١١٣ والفهرست لابن النديم ص٤٧٤).
(٦) «منه» في الجملتين ساقطة من الأصل.
(٧) الغضى: قال ابن سيدة: وقال ثعلب: يكتب بالألف، ولا أدري لم ذلك، واحدته غضاة. (اللسان مادة غضا ج١٩/ ٣٦٥)، وهو شجر من الأثل، خشبه من أصلب الخشب، وهو من أجود وقود العرب، لأن جمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ، ويكثر هذا الشجر في نجد، ولذلك سمي أهل نجد بأهل الغضا. وأرض غيضاء: كثيرة الغضى (اللسان مادة غضا، والمعجم الوسيط ج١/ ٦٦١).
- قوله «أهون توبيخاً من نار الفراق» ساقط من نسخة ب.
(٨) كذا «ولله در أبي تمام» في نسخة ل، ض أيضاً، وفي نسخة ك: «ولله أبو تمام».
- قوله: «ولله در أبي تمام الطائي» ساقط من نسخة ب.
- أبو تمام: حبيب بن أوس، الشاعر العباسي المعروف.
(٩) «حيث يقول» ساقط من نسخة ب وفي ض: «حيث قال».
- البيتان من البحر الكامل، وهو من قصيدة في مدح نوح بن عمر السكسكي، وعدد أبياتها (٣٠) بيتا. (انظر الديوان بشرح التبريزي تحقيق محمد عبده عزام مجلد ٣ ص٦٦).

لَوْ حـارَ مُرْتَــــادُ المَنِيَّةِ لم يَجِدْ غَيْرَ الفِراقِ إلى النُّفوسِ دَليلاً(١)

إِنِّي نَظَرْتُ إلى الفِراقِ فَلَمْ أَجِـدْ لِلْمَوْتِ لَوْ فُقِدَ الفِراقَ سَبِيلاً(٢)

وما أَحْلَى قَولِ الطُّغْرائيِّ(٣) حَيْثُ يَقُولُ(٤):

إِنِّي لأَذْكُرُكُمْ وَقَدْ بَلَغَ الظَّمـا مِنِّي فَأَشْرَقُ بالزُّلالِ البَــارِدِ(٥)

وأَقولُ لَيْـتَ أَحِبَّتِي عايَنْتُـهُـمْ قَبْلَ المَماتِ ولو بيَوْمٍ واحِـدِ(٦)

ثُمَّ لما ذَكَـرَ الفِـراقَ أَشَارَ إلى أَنَّ قَلْبَهُ عَـرَضَ لَهُ بسَبَبِ ذلكَ عَـوارِضُ مِنْ مُنَغِّصـاتِ الحُبِّ، تأَثَّر بهـا، وخَصَّ ذلكَ بالقَلْبِ دُونَ سَـائِرِ الجَسَـدِ، إشَـارةً إلى أَنَّ القَلْبَ هو المُتَـأَثِّرُ(٧) بالمَحَـبَّـةِ، وعَنْهُ تَنْشَـأُ عـوارِضُـهـا مِنَ الضَّنَا والسُّـقْمِ وغَـيْـرِ ذلِكَ، قـالَ

---

(١) رواية البيت في الديوان على النحو التالي:

لو حـــار مرتاد المنية لم يرد إلا الفراق على النفوس دليلا

– وروايته في كتاب الزهرة (ج١ ص٢٧٤) على النحو التالي:

لو حار من قـاد المنية لم يرد إلا الفراق على النفوس دليلا

(٢) البيت من البحر الكامل وهو ليس في ديوان أبي تمام برواية التبريزي، وهو مع آخر في كتاب الزهرة لعلي بن محمد العلوي الكوفي (ج١ / ٢٧٤) على النحو التالي:

ولقد نظرت إلى الفراق ولم أجد....

– في الأصل «أنا نظرت» وهو تحريف.

(٣) في ض: «الطغري» وهو تحريف.

– الطغرائي: هو أبو اسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، والطُّغْرائي نسبة إلى من يكتب الطغرى، وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة، ومضمونها نعوت الملك وهي كلمة أعجمية، وله قصيدة لامية العجم، قتل ظلماً بتهمة الإلحاد سنة خمس عشرة وخمسمائة (وفيات الأعيان ج٢ / ١٨٥–١٩٠ ومعجم الأدباء، ج٩ / ٥٦ والطغرائي لعلي جواد الطاهر).

(٤) حيث يقول «ساقطة من الأصل».

(٥) البيت من البحر الكامل، وهو مطلع لقصيدة عدد أبياتها تسعة، (ديوان الطغرائي تحقيق علي جواد الطاهر ود. يحيى الجبوري – دار القلم – الكويت – ط ثانية ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م – ص١٤١).

(٦) البيت من البحر الكامل.

– البيت غير موجود في ديوان الطغرائي.

(٧) في الأصل: «هو المؤثر».

الزَّمَخْشريُّ[١]: «لا شَيْءَ في بَدَنِ الإنْسانِ أَلطَفُ منَ الفُؤادِ، ولا أَشَدَّ تَأَلُّماً بأَذاهُ[٢]، إذا لَمَسَهُ منْهُ»[٣]، وأَيْضاً فإنَّ القَلْبَ هو المُعْتَبرُ والمُعَوَّلُ عَلَيْهِ في الجَسَدِ، وسَائرُ الأَعْضاءِ أَتْبَاعُهُ، قَالَ بَعْضُ الحُكَماء: «القَلْبُ مَلِكُ الأَعضاءِ، وجَميعُ الجَوارِحِ جُنودُهُ، والأَعْضَاءُ تَخْدُمُهُ، فالعَقْلُ وَزِيرُهُ، والفَهْمُ عاضِدُهُ[٤]، والعَيْنَان رائدُهُ، والأُذُنان طَلِيعَتُهُ»[٥]. على أنَّ بَعْضَهُم قد خالَفَ فَجَعلَ ابْتداءَ الحُبِّ إنَّما يَنْشَأُ عَن القَلْبِ بواسِطَةِ الفِكْرِ دُونَ الحَواسِ، وإلى ذلكَ يُشيْرُ بَشَّارٌ[٦] بقَوْلِه:

وما تُبْصِرُ العَيْنَانِ في مَوْضِعِ الهَوَى ... ولا تَسْمَعُ الأُذنانِ إلاَّ مِنَ القَلْبِ[٧]

ثُمَّ قَدْ[٨] ذَكَرَ أَنَّه عَرَضَ لِقَلْبِه بسَبَبِ الفِراقِ أَرْبَعُ عَوارِضَ:

الأول: التَّبْلُ، وهُوَ المُرادُ بقَوْلِهِ «مَتْبُولُ»، فإن حَمَلْنا القَلْبَ في كَلامِهِ على

---

(١) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ) والزمخشري: نسبة إلى زَمَخْشَر، وهي قرية كبيرة من قرى خوارزم، ترك آثاراً قيمة في التفسير والحديث والنحو واللغة، مثل الكشاف في التفسير والفائق في غريب الحديث والمستقصي في أمثال العرب، والمنهاج في الأصول. (انظر وفيات الأعيان ج٥ ص١٦٨ – ١٧٤).

(٢) كذا «بأذاه» في ك أيضاً، وفي بقية النسخ «بأذى».

(٣) «منه» ساقطة من الأصل.

(٤) في نسخة ب، ض «والفهم عماده».

(٥) في الأصل: «والأذنان خليفته».

(٦) بشار بن برد: شاعر من مخضرمي الدولتين العباسية والأموية، فارسي الأصل، ذهب الرواة والنقاد إلى تقدمه طبقات المحدثين من الشعراء، قال الجاحظ إن بشاراً كان يدين بالرجعة ويصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين، قتله المهدي بزندقته، وقد ناهز ستين سنة (انظر أخباره في الأغاني ٣/١٣٥–٢٥٠).

(٧) البيت من البحر الطويل.

– ليس البيت في ديوان بشار المجموع.

– البيت مع ثلاثة أبيات أخرى لبشار في عبدة (يزهدني في حب عبدة..) (الأغاني ج٣/ ٢٣٨، وزهر الآداب ج١/ص١٩٤ والأمالي للقالي ج٢/٥٥).

– والبيت في ديوان كثير عزة في المنسوب له مع أربعة أبيات (تحقيق د. إحسان عباس ص٥٢٤).

(٨) كذا «ثم قد» في ك، وساقطة من ب، ل، ض.

الفُؤادِ(١) كـانَ المُرادُ بالتَّبْلِ الضَّنَى والسَّقَم، كمـا تَقَدَّمَ ذلكَ، وذلكَ أَنَّـهُ اسْتَوْلى عَلَيْـهِ الحُبُّ، وغَلَبَ عَلَيْه العشْقُ، وعَراهُ السَّهَرُ وتَقْليلُ الطَّعام والشَّراب، واسْتَوْلَى عَلَيْه الفكْرُ والوُسْواسُ، فَرُبَّما عَرَضَ لَهُ منْ ذلكَ رقٌّ(٢) إثْرَ الضَّنىَ والسُّقْم في قَلْبه، وسَرَى منْـهُ إلى سائرِ بَدَنـه(٣)، قالَ الأَحْنَـفُ بنُ قَيْس(٤): «بَيْنَمـا(٥) أنـا أَطـوفُ وإذا بثلاث جَوارٍ(٦) أَتْراب، فَدَنَتْ إحداهُنَّ إليَّ(٧) وقالت: يا أَبا البِشْرِ(٨)! أَنْتَ القَائلُ:

ماذا لَقيتُ منَ الهَوى وعَذَابه ... فُتحَتْ عَلَيَّ بَليَّةٌ منْ بابـه(٩)

قُلْتُ(١٠): نَعَمْ، فَقَالَتْ: كَذَبْتَ والله، لَوْ كُنتَ عاشقاً لَكُنْتَ مثْلي، وكَشَفْتَ عَنْ إشاحٍ(١١) على ريَّةٍ منَ اللَّحْم(١٢)، وأَنْشَأَتْ تَقُولُ(١٣):

---

(١) لم يتقدم الفؤاد من معاني القلب، وإنما تقدم معنيان، القلب: الجسم الصنوبري والقل، والذي ذكر الفؤاد من معاني القلب هو ابن هشام بقوله: «وللقلب أربعة معان، أحدها، الفؤاد، ومنه ﴿**ختم الله على سمعه وقلبه**﴾ وهو المراد هنا» (أنظر شرح قصيدة بانت سعاد ص٢٣).

(٢) كذا «رق» بالراء المهملة في ك، ل، وفي الأصل ونسخة ب «دق» بالدال، وهو تحريف، وسقطت الكلمة من نسخة ض.

(٣) كذا «سائر بدنه» في ل أيضاً، وفي بقية النسخ «سائر جسده».

(٤) الأحنف بن قيس السعدي التميمي، يكنى أبابحر، كان قد أدرك النبي ﷺ ولم يره، ودعا له النبي، إذ أسلم على عهده، وكان أحد الجلة الحكماء الدهاة العقلاء، يعد في كبار التابعين في البصرة، توفي بالكوفة في إمارة مصعب بن الزبير سنة سبع وستين. (الاستيعاب ص٧٧).

(٥) كذا «بينما» في ك، ل، وفي ب، ض: «بينا».

(٦) في الأصل والنسخ الأخرى: «بثلاث جواري».

(٧) كذا «فدنت إحداهن إلي» في ب، ك، وفي ل، ض «فدنت إلي إحداهن».

(٨) كنية الأحنف هي أبو بحر (الاستيعاب ص٧٧).

(٩) البيت من البحر الكامل.

(١٠) في نسخة ض: «فقلت».

(١١) الإشاح: الوشاح على البدل، كما يقال مكاف وإكاف، والوشاح من حلي النساء، ينسج من أديم عريضاً، ويرصع بالجواهر، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها. (اللسان، مادة وشح، ج٣/ ٤٧٢- ٤٧٣).

(١٢) الرِّيَّةُ من اللحم: الامتلاء والسِّمَن، قالوا: فرس ريَّان الظهر: إذا سمن متناه، وتروت مفاصل الدابة: إذ اعتدلت وغلظت (اللسان مادة: روى ج١٩ ص٦٥- ٦٦).

(١٣) البيتان من بحر الطويل.

– قائلتهما: أم حمادة الهمذانية (الزهرة ج١/ص٩٢).

– والبيتان من مقطوعة عدد أبياتها ثلاثة.

إذا مــــا شَكَوْتُ الحُبَّ قالَتْ كَذَبْتَني فمالي أَرى الأَعْضاءَ مِنْكَ كَواسِياً[١]

فَــلا حُــبَّ حَتَّى يُلْصَقَ الجِلْدُ بالحَشَا وَتَخْرَسَ حَتَّى لا تُجيبَ المُنَادِيَـا »[٢]

بَلْ رُبَّما أَدَّى بِهِ الحُبُّ إِلى المَوْتِ والهَلاكِ، كَمَا اتَّفَقَ لِكَثيرٍ مِنَ المُتَيَّمينَ، وكِتابُ مَـصـارِعِ العُـشَّـاقِ لأبي جَـعْـفَـرِ بنِ السَّـراجِ[٣]، وطَوْقِ الحَـمَـامَـةِ لابنِ حَـزْمٍ[٤]،

---

(١) وقع البيت في رواية أبي بكر محمد بن داود الظاهري أول الأبيات وهو على النحو التالي:

شكوت إليها الحب قالت كذبتني ألست أرى الأجلاد منك كواسيا

(٢) في نسخة ض: «وتخرج» وهو تحريف.

- وقع هذا البيت ثالثاً في رواية أبي بكر محمد بن داود الظاهري وهو على النحو التالي:

ويأخذك الوسواس من لوعة الهوى وتخرس حتى لا تجيب المناديا

- ووقع البيت آخر مقطوعة من ستة أبيات نسبها أبو بكر محمد بن داود الظاهري لقيس بن ذريح ، ولكن باختلاف رواية العجز: (انظر الزهرة ج١/٤٠٣)

فلا حب حتى يلصق العظم بالحشا ولا وجـد حتى لا يكون بكــــاء

(٣) في الأصل: «مسارع العشاق» وهو تصحيف.

- ابن السراج: هو أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد ابن جعفر القاري البغدادي، كان حافظ عصره، وله شعر أكثره في الزهد والفقه، ولد سنة سبع عشرة وأربعمائة ببغداد وتوفي بها سنة خمسمائة. (وفيات الأعيان ١/٣٥٧ - ٣٥٨ معجم الأدباء ٥/١٥٣).

(٤) طوق الحمامة في الإلف والإلاف: يرى بعض الباحثين أن هذا الكتاب صورة واقعية أو اعترافات ذاتية لجانب من حياة ابن حزم العاطفية وحياة بعض معاصريه، على الرغم من أنه يقول: «إني سالك فيه مسلك حاكي الحديث عن نفسه، فهذا مذهب المتحلين بقول الشعر، وأكثر من ذلك فإن إخواني يجشموني القول فيما يعرض لهم على طرائقهم ومذاهبهم». وللكتاب أيضاً غاية أدبية بلاغية نقدية ذات علاقة بالاتجاه المدافع عن أدب الأندلس، وإن تأثر فيه ابن حزم بكتاب الزهرة لمحمد بن داود الظاهري، (انظر عصر سيادة قرطبة ص٣٤١، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة ص٣٩٥ تيارات النقد الأدبي في الأندلس ص٣٧٨ وما بعدها).

- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) فقيه ظاهري كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث، مستنبطاً للأحكام، وله في الآداب والشعر نفس واسع وباع طويل. (انظر ترجمته في الجذوة ص٣٠٨ -٣١١ والذخيرة ق١ م١ ص١٦٧ وما بعدها).

مَشْحونان(١) بِذِكْرِ أَخْبارِهِمْ مِنْ ذَلِكَ، ولِلّه الشَّيْخُ(٢) شَرَفُ الدِّينِ بنُ الفارِضِ(٣) حَيْثُ يَقُولُ(٤):

وَعِشْ سالِماً فالحُبُّ راحَتُهُ عَناً ... وَأَوَّلُهُ سُقْمٌ وآخِـــرُهُ قَتْلُ(٥)

وإِنْ حَمَلْنَا(٦) القَلْبَ في كلامِه عَلَى العَقْلِ، كانَ المُرادُ بالتَبْلِ ضَعْفُ العَقْلِ، ويكونُ المَعْنَى: أَنَّه انْتَهى به الحُبُّ إِلى الوَلَه والهُيَام، بحَيْثُ اختَلَّ عَقْلُهُ، فَصارَ كالمَجْنُون الهائِم على وَجْهِه الذي لايَدْري أَيْنَ يَقْصِدُ، ولا أَيْنَ يتوَجَّهُ، وهُوَ مُوافقٌ(٧) لِما يَقُولُهُ الأَطِبَّاءُ مِنْ أَنَّ العِشْقَ نَوْعٌ مِنَ (المَلَنْخُوليا)(٨)، وإِلى ذلك يشيرُ قَيْسٌ(٩)

---

(١) في ض: «مشحوناً».

(٢) كذا «ولله الشيخ ..» في نسخة ك، وزاد في ب، ل، ض: «ولله در الشيخ ...».

(٣) شرف الدين ابن الفارض: هو أبو حفص وأبو القاسم، عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي، يعرف بابن الفارض، وينعت بشرف الدين، ويلقب بسلطان العاشقين، وهو حموي الأصل، مصري المولد والدار والوفاة، ولد سنة ٥٧٦ بالقاهرة وتوفي بها سنة ٦٣٢ هـ. (وفيات الأعيان ج٣/ ٤٥٤-٤٥٥).

(٤) في ض: «حيث قال».

(٥) البيت: من بحر الطويل.

- البيت من قصيدة عدد أبياتها ٦٠ بيتاً. (ديوانه ص٣٢٣).

- كذا «فالحب راحته عنا» في نسخة ك، وفي بقية النسخ «فالحب راحته عني».

- كذا «وأوله» في نسخة ك والديوان، وفي بقية النسخ «فأوله».

(٦) في الأصل: «وإنما حملنا».

(٧) كذا «وهو موافق» في ب، ك أيضاً، وفي ل، ض: «وهذا موافق».

(٨) كذا في الأصل، وفي ك، ب، ل: «الماليخوليا». وفي ض: «الماليحوليا» بحاء مهملة.

- الملنخوليا في رأي القدماء: مرض عقلي، من مظاهره فساد التفكير، ينشأ من تغلب أحد الأخلاط الأربعة، وهي السوداء في الدم، وذلك لعجز الطحال عن امتصاصها منه. وعند المحدثين مرض عقلي من مظاهره اضطراب الوجدان وتغلب الحزن والقلق والتشاؤم، وسببه اضطراب في نشاط الغدد الصماء. (المعجم الوسيط - ملنخوليا - ج٢/ص٨٩٤).

(٩) هو قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وقيل قيس بن معاذ، غلب عليه اسم مجنون ليلى أو مجنون بني عامر، والأقوال في حقيقته وشعره مختلفة (انظر الأغاني ج٢/ ١-٩٥).

بِقَوْلِه[١]:

قالوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ ... العِشْقُ أَعْظَمُ مِمّـا بالمَجَـانِينِ

العِشْقُ لا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرُ صاحِبُـهُ ... وإنَّمـا يُصْـرَعُ المَجْنونُ في الحِيْنِ

ثُـمَّ قد تَقَدَّمَ أَنَّ المُرادَ باليَـوْمِ مُطْلَقُ الزَّمَـنِ[٢]، وَحِينَئذٍ فَيَكُونُ المُرادُ أَنَّه[٣] صارَ في الضَّنَى والسُّقْمِ والهُيامِ والوَلَه[٤] على مَمَرِّ الزَّمانِ، وتَعَاقُبِ[٥] الأَيَّام[٦].

العَارِضُ[٧] الثَّاني: التَّـتَـيُّـمُ[٨]، وهو الأَسْرُ والرِّقُّ[٩] والذُّلُّ، وإِلَيْهِ أَشارَ بِقَوْلِه: «مُتَيَّمٌ»، وذَلِكَ أَنَّ المُحبَّ إِذا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بالمَحْبوبِ، واشْتَغَلَ خاطِرُهُ به، صارَ قَلْبُهُ في يَدِ مَحْبوبِهِ يَتَصَرَّفُ فيهِ كَيْفَ شاءَ، ويُديرُهُ[١٠] في قَبْضَتِه كَيْفَ شَاءَ، فَلَيْسَ لَهُ[١١] مِنْهُ

---

(١) كذا «بقوله» في ك، وفي ب، ل، ض: «يشير بقوله».
- البيتان من بحر البسيط.
- البيتان في ديوان مجنون ليلى، وهما الأول والثاني من مقطوعة عدد أبياتها ثلاثة، وروايتهما على النحو التالي:

قالت: جننت على رأسي فقلت لها ... الحـب أعظم ممـا بالمجـانين

الحب ليس يفيق الدهـر صاحبـه ... وإنمـا يصرع المجنون في الحـين

(٢) في ل، ض: «مطلق الزمان».
(٣) كذا «فيكون المراد» في ب، ك، وفي ل، ض «فيقول أنه».
- «فيكون المراد» ساقط من ل، ض.
(٤) في ب، ض: «فالوله».
- الوله: الحزن، وقيل: هو ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد، وفقدان الحبيب، وفعله: وَلِهَ يَلِهُ، مثل ورم يرم، ويَوْلَهُ على القياس. (اللسان مادة: وله ج١٧/ ٤٥٩).
(٥) في الأصل: «وتعاقبت».
(٦) قوله: «صار في الضنى... وتعاقب الأيام» مطموس في ب.
(٧) «العارض» ساقطة من ب.
(٨) في الأصل: «التَّيْمُ»، وفي بقية النسخ: «التَّتَيُّمُ» وسيأتي اعتماد هذا المصدر فيما بعد.
- التَّيْمُ: أن يستعبد الهوى الإنسان، وقد تامه، ورجل متـيّم. وقيل التيم: ذهاب العقل وفساده، قال الأصمعي: تيمت فلانة فلاناً تُتَيِّمه، وتامته تَتِيْمُه تيماً. (اللسان مادة تيم ج١٤/ ٣٤١-٣٤٢).
(٩) في الأصل: «والبرق» وهو تحريف.
(١٠) في ل: «ويدبره».
(١١) «له» ساقطة من ب، ل.

مُخَلِّصٌ[1]، ولا إلى غَيْرِه منْهُ مَهْرَبٌ، فَأَشْبَهَ الأَسيرَ المُسْتَعْبَدَ الذَّليلَ[2] في يَدِ مَنْ أَسَرَهُ، وإلى ذلكَ يُشيرُ المُسْتَعينُ باللهِ[3] بنُ الحَكَمِ الأُمَويُّ، أَحَدُ خُلَفاءِ الأَنْدَلُسِ[4] حَيْثُ يَقُولُ[5]:

عَجَباً يَهَابُ اللَّيْثُ حَـدَّ سِنانِي ... وأَهابُ لَحْظَ فواترِ الأَجْفَـانِ[6]

وأُقَـارِعُ الأَهْوالَ لا مُتَهَيِّبـاً ... منها سِوى الإِعْراضِ والهُجْرانِ[7]

وتَمَلَّكَتْ نَفْسيَ ثَلاثٌ كالدُّمـا ... زُهْرُ النُّجـومِ، نواعِمُ الأَبْـدانِ[8]

حاكَمْتُ فيهِنَّ السُّلُوَّ إِلى الصِّبـا ... فَقَضَى بِسُلْطانٍ عَلَيَّ سُلْطانِ[9]

فَأَبَحْنَ مِنْ قَلْبِي الحِمـا وتَرَكْنَني ... في عِزِّ مُلْكي كالأَسيرِ الفَاني[10]

---

(١) في ل، ض: «فليس منه تخلص».

(٢) في الأصل: «الدليل» بدال مهملة وهو تصحيف.
- «الذليل» ساقطة من ب، ل، ض.

(٣) زاد في ل: «المستعين بالله تعالى».

(٤) المستعين بالله : هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، بويع بقرطبة منتصف ربيع الأول سنة أربعمائة، ثم خلع عنها، وعاد إليها ثانية، ودام ملكه فيها ست سنين وعشرة أشهر، كانت شداداً نكدات، غير أنه كان شاعراً شرف الشعر باسمه ، ومدت له في الأدب غاية، ورفعت له في الشعر راية كما يقول ابن بسام. (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١ م١ ص٣٥- ٣٦، وص٤٦).

(٥) الابيات من بحر الكامل.
- الأبيات من مقطوعة عدتها عشرة أبيات (انظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١ م١ ص٧٤).

(٦) في ض: «حدّ سنانه».

(٧) في ض: «سوى الأغراض».
- في الذخيرة: «فأقارع الأهوال».

(٨) في ل «زهر الوجوه».

(٩) في ب، ل، ض: «إلى الضنا» بالضاد معجمة.
- في ب، ل، ض: «فقضى لسلطان».

(١٠) كذا «فأبحن» في ك، ل، وفي الذخيرة أيضاً، وفي الأصل: «فالجفى» وفي ب: «والجن»، وفي ض«فالجن».
- في ض: «وتركتني».
- في الذخيرة: «كالأسير العاني» وهو الأصوب.

(١٤٠ب) ثُمَّ/ [إنْ](١) أُنْشدَ على الرِّوايَةِ المَشْهورَةِ وَهيَ(٢): «مُتَيَّمٌ إِثْرَها»، كانَ المَعْنَى أنَّ قَلْبَهُ صارَ مُقْتَضياً لآثارِها(٣)، يَرْحَلُ لِرَحيلِها، ويُقيمُ بإقامَتِها، كَما أنَّ العَبْدَ الذي قَيَّدَهُ الرِّقُّ(٤)، وذُلُّ العُبوديَّة، يَسيرُ بِسَيرِ سَيِّدِه، ويُقيمُ بإِقامَتِه، ولِلّه القائِلُ(٥):

قالَ لي مَـنْ أُحِبُّ والبَيْنُ قَد جَد د وفي مُهْجَتي لَهيبُ الحَـرِيْقِ(٦)

ما الَّذي في الطَّرِيْقِ تَصْنَعُ بَعْدي قُلْتُ أَبكي عَلَيْكَ طُولَ الطَّريقِ(٧)

فَعِنْدَ ذلكَ بقي استمرارُهُ في الأَسْرِ والرِّقِّ.

[**العارِضُ الثَّالثُ**: مَنْعُ الفدا](٨) وهُوَ المُرادُ بِقَولِه: «لم يُفْدَ»، فَإِنْ حَمَلْنَاه(٩) على أَنَّهُ لم يَجِدْ مَنْ يَفْديهِ فَيَخْلُصَ مِنَ الأَسْرِ(١٠)، فإذا طَالَ أَسْرُهُ، ودامَ رِقُّهُ، مَعَ ما هو

---

(١) زيادة يقتضيها استقامة النص والمعنى.

(٢) زاد في ب، ض: «ثم إن مشينا على الرواية المشهورة، وأن المراد القلب على بابه وهي».

(٣) كذا «مقتضياً لآثارها». في ض أيضاً وفي بقية النسخ «مقتفياً».

– كذا «لآثارها» في الأصل، وفي بقية النسخ: «لأثرها».

(٤) في الأصل: «قيد الرّق».

– «الرق» ساقطة من ل.

(٥) زاد في ب، ل، ض: «ولله در القائل حيث قال».

– زاد في ك: «ولله القائل حيث يقول».

– البيتان من بحر الخفيف.

– قائلهما: الوزير المهلبي، أبو محمد الحسن بن محمد من ولد قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، كان وزير معز الدولة أحمد بن بويه في تدبير أمور العراق، له ترسل مليح وشعر لطيف، توفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة (يتيمة الدهر ٢/٢٢٣ وفيات الأعيان ٢/١٢٤ – ١٢٧).

(٦) في الأصل «فالي».

(٧) كذا «ما الذي في الطريق تصنع بعدي» في نسخة ب، ل، ووفيات الأعيان. وفي ض: «ما الذي في الطريق يصنع بعدي». وفي ك «ما الذي في الطريق تصنع بي».

– في اليتيمة (٢/ ٢٣٨):

قال لي من أحب والبين قد بد د دمعي مواصـــلاً الشهيق

– في الأصل: «ما الذي تصنع في الطريق بعدي» وهو مختل عروضياً.

(٨) زيادة يقتضيها السياق والترقيم، وهي ساقطة من جميع النسخ.

(٩) في ض: «فارت حملناه».

(١٠) في الأصل: «من اليسر».

عَلَيْه مِنَ الضَّنَى والسَّقَمِ، انضَمَّ(١) إلى ما هُوَ فِيْه(٢) مِنْ ذلكَ، أَلَمُ اليأْسِ مِنَ الخَلاصِ، فَزادَ أَلَماً إلى أَلَمه، وشَجَناً إلى شَجَنه(٣).

وإنْ حَمَلْنَاهُ على(٤) أنَّ مَنْعَ الفِدا لِعَدَمِ اختِيارِه لَهُ، كانَ المَعْنَى أنَّ في العِشْقِ ملاذاً(٥) يَحْمِلُ على الصَّبْرِ على الأَمَدِ، ويَبْعَثُ(٦) على الازْدِيادِ منه، وقَدْ قالَ الجُنَيْدُ(٧) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «العِشْقُ(٨) آلةٌ رَحْمَانِيَّةٌ، وإلهامٌ شَوْقِيٌّ، أَوْجَبَهُما(٩) كَرَمُ اللَّه تَعَالَى على كُلِّ ذي رُوحٍ؛ لِتَحْصُلَ اللَّذةُ العُظْمَى التي لا يُقْدَرُ على مِثْلِها إلا بِتِلْكَ الأُلْفَةِ»، وما أَحْسَنَ قَوْلَ القَائِلِ(١٠):

ومِنْ عَجَبي(١١) أنِّي جَرِيحٌ وكُلَّما رَمَتْني بِسَهْمٍ بَعْدَ سَهْمٍ يَلَذُّ لي

العَارِضُ الرَّابعُ(١٢): التَّقْييدُ، وهو المُرادُ بقَوْله: «مَكْبولُ»، وذلكَ أنَّ فيه تأْكيداً بِعَدَمِ الخَلاصِ، إذِ الأَسيرُ إذا كانَ عَرِيًّا عنِ القَيْدِ رُبَّما أَمْكَنَهُ الهَرَبُ، إذا اخْتَارَ الفِراقَ،

---

(١) «انضم» ساقطة من ل.

(٢) كذا «إلى ما هو فيه» في ك أيضاً، وفي بقية النسخ «إلى ما هو عليه».

(٣) في ض: «وسجناً إلى سجنه» بالسين مهملة.

(٤) «على» ساقطة من ل.

(٥) في ك: «ملاذ» وهو لحن من الناسخ.

(٦) في ك: «تتحمل... وتبعث» وفي ب، ل، ض: «تحمل... وتبعث».

(٧) في ض: «الجنيدي».

– الجنيد: هو أبو القاسم، الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزار القواريري، الزاهد المشهور، ولد في العراق ونشأ فيها، كان شيخ وقته، وفريد عصره، تفقه على مذهب الشافعي، وقيل على مذهب سفيان الثوري، توفي سنة سبع وتسعين ومائتين، وقيل سنة ثمان وتسعين. (وفيات الأعيان ج١/٣٧٣ – ٣٧٤).

(٨) «العشق» ساقطة من ض.

(٩) في الأصل: «أوجبها».

(١٠) البيت: من بحر الطويل.

– قائله: لم أقف عليه.

(١١) في ض: «ومن عجب».

(١٢) كذا في ظ و ك: «العارض الرابع» وفي بقية النسخ «العارض الثالث».

فإذا[١] كانَ مُقَيَّداً، ضَعُفَتْ قُوَّتُهُ، وقلَّتْ حِيلَتُهُ، وأَيْضاً فإنَّ في القَيْدِ زيادةَ مَذَلَّةٍ وإهانَةٍ.

واعلَمْ أنَّ هذه العوارضُ الأَرْبَعُ التي ذَكَرْناها تَرْجِعُ إلى وَصْفَيْنِ مِنْ أَوْصافِ الحُبِّ هُمَا[٢]: التَّبلُ والتَّتَيُّم، والعَارِضان الآخران وهما: عَدَمُ[٣] الفدا والكَبْلُ من لَوازِم[٤] التَّتَيُّمِ؛ الذي هو الأَسْرُ. ولَمَّا كانَ التَّبلُ والتَّتَيُّمُ مِنْ أَعْلَى مراتِبِ الحُبِّ، اقتَصَرَ في تَغَزُّلِه عَلَيْهِما[٥]، واكْتَفَى بِهِما[٦] عَمَّا دُونَهما[٧].

فَإِنْ قيلَ كَيْفَ سَاغَ[٨] أَنْ يَتَغَزَّلَ بامرأةٍ[٩] في قَصيدةٍ أَنْشَدَها بَيْنَ يَدَيْ النَّبيِّ ﷺ؟ فالجَوابُ: أنَّه جَرَى في ذلكَ على عَادَةِ العَرَبِ في أَشْعارِهِمْ وسَمَاعُ النَّبيِّ ﷺ ذلكَ[١٠]، وإقرارُهُ عَلَيْه، دَلِيْلُ الجوازِ، إذْ يُحْتَمَلُ[١١] أَنَّهُ قَصَدَ امْرَأَةً مُعَيَّنَةً كانَتْ حَلِيلَتَهُ[١٢] وبانَتْ عَنْهُ، فَتَغَزَّلَ فيها. وقد نَصَّ العُلَماءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم[١٣] على أَنَّهُ إنما[١٤] يَمْتَنِعُ التَّغَزُّلُ إذا كان لِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ، أو امرأةٍ أَجْنَبِيَّةٍ، أما إذا كانَ بِحَلِيلَةٍ[١٥] أو غَيْرِ مُعَيَّنٍ فلا مَنْعَ فيه

---

(١) في ل: «وإذا كان».

(٢) في ب، ل: «وهما».

(٣) «عدم» ساقطة من ظ.

(٤) في ل، ض: «من لزوم».

(٥) «عليهما» ساقطة من ب، ل، ض.

(٦) في ض: «واكتفى بها».

(٧) في ب، ل، ض: «عما دونهم».

(٨) في الأصل: «كيف شاع».

(٩) في الأصل: «بارة».

(١٠) في ب: «لذلك».

(١١) في الأصل: «إذ ويحتمل».

(١٢) في الأصل: «كانت حليلة» على التنكير.

(١٣) زاد في ب: «رضي الله تعالى عنهم».

(١٤) «إنما» ساقطة من ب، ل، ض.

(١٥) في ب، ض: «أما إذا كان حليلة».

كما تَقَدَّمَ[1]، على أن مَحَبَّتِهِمْ كانَتْ غَيْرَ مُفْضِيَةٍ إلى الخَنَا[2] والقَبِيحِ.

ويُحْتَمَلُ أنَّه لم يَقْصِدْ بذلكَ امرأةً مُعَيَّنَةً، بل جَرَى فيه على أكْثَرِ عادَةِ الشُّعراءِ في ذلكَ، ولا مَنْعَ فيه كما تَقَدَّمَ، ولذلكَ[3] هَلَكَ[4] كثيرٌ مِنَ المُتَيَّمِينَ في عشقِ مَنْ أَحَبُّوهُ صَبْراً على الوِصالِ، أو تَقْدِيماً[5] للْمُروءَ عَلَى الشَّهْوَةِ[6]، ورُبَّما اجْتَمَعَ الواحِدُ مِنْهُمْ بمَنْ يُحِبُّهُ في الخَلْوَةِ، ثُمَّ لا يَكُونُ بَيْنَهما أَمْرٌ؛ عِفَّةً مِنَ الرِّجالِ، وصِيانَةً مِنَ النِّساءِ، وقد قِيلَ لرَجُلٍ مِنْ بَنِي[7] عُذْرَةَ: «ما للرَّجُلِ[8] مِنْكُم يَمُوتُ في هَوَى امْرَأَةٍ؟! فَقالَ[9]: لأَنَّ فِينا جَمالاً وعِفَّةً»[10].

وقد ذَكَرَ المَرْزُبانِيُّ[11] أنَّ أَعْرابِياً قالَ: «عَلِقْتُ بامرأةٍ كُنْتُ آتِيها فَأُحَدِّثُها، وما

---

(1) قال الشافعي في شروط إباحة الغزل: «ومن شبب بامرأة بعينها ليست ممن يحل له وطؤها حين شبب فأكثر فيها، وشهرها شهر مثلها بما يشبب - وإن لم يكن زنى - ردت شهادته، ومن شبب فلم يسم أحداً، لم ترد شهادته؛ لأنه يمكن أن يشبب بامرأته وجاريته، وإن كان يسأل بالشعر أو لا يسأل فسواء». (الأم ٦ / ٢١٢ ومناقب الشافعي للبيهقي ٢ / ٦٠).

(2) الخنا: من قبيح الكلام، والخنا من الكلام: أفحشه، وفي الحديث: «من لم يدع الخنا والكذب فلا حاجة لله في أن يدع طعامه وشرابه» (اللسان مادة خنا ج١٨ / ٢٦٧ -٢٦٨).

(3) في ك: «وكذلك».

(4) «هلك» ساقطة من الأصل.

(5) في الأصل: «وتقديماً».

(6) كذا «على الشهوة» في نسخة ب أيضاً، وفي ك، ض: «عن الشهوة». وفي ل: «على الشهرة».

(7) «بني» ساقطة من ك، ل، ض.

(8) كذا «ما للرجل» في الأصل، وفي بقية النسخ «ما بال الرجل».

(9) في ض: «قال».

(10) في الأصل: «لأن فينا جمال وعفة» وهو لحن من الناسخ.

(11) المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيد الله البغدادي المولد، الخراساني الأصل، كان راوية للأدب، صاحب أخبار، وكان ثقة في الحديث، وله تآليف كثيرة، منها الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، أشعار النساء. توفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وكانت ولادته سنة سبع وتسعين ومائتين. (وفيات الأعيان ٤ / ٣٥٤-٣٥٥، معجم الأدباء ١٨ / ٢٦٨، ميزان الاعتدال ٣ / ٦٧٦).

جَرَتْ بَيْنَنَا رِيبَةٌ قطُّ[١]، إلا أنِّي[٢] رَأَيْتُ بَيَاضَ كَفِّها في لَيْلَةٍ ظَلْماءَ، فَوَضَعْتُ يَدَها على يَدِي وقالَتْ: مَهْ[٣]! لا تُفْسِدْ ما صَلَحَ، فَإِنَّهُ ما نُكِحَ الحبُّ إلا فَسَدَ». ولِلَّهِ القائلُ[٤] حَيْثُ يَقولُ[٥]:

أُنَــــزِّهُ في رَوْضِ المحاسِنِ مُقْلَتِي وأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مُحَرَّماً[٦]

ولِذلكَ نَصَّ العُلَماءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ على أَنَّ المَيِّتَ عِشْقاً مَعْدودٌ من الشُّهداءِ كالمَبْطونِ والمَطْعونِ والغَريقِ ونَحْوِهِم، مُحْتَجِّينَ بما رَواهُ الدَّارَقُطْنِيُّ[٧] في جُزْئِه[٨] من حَديثِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما[٩]: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَكَتَمَ فماتَ فهو شَهِيدٌ»، وإِنْ كانَ الحَديثُ فيه ضَعْفٌ[١٠]. وإِلى هذا المَعْنَى يُشِيرُ أبو

---

(١) في ب، ل، ض: «وما جرى بيننا وبينها قط».
- قط: ظرف لاستغراق الزمان الماضي.

(٢) في الأصل: «إلا أن رأيت».

(٣) مه: زجر ونهي، وهي كلمة بنيت على السكون، وهو اسم سمي به الفعل، معناه: اكفف؛ لأنه زجر، فإن وصلت نونت، قلت: مَهٍ مَهٍ، وكذلك صه قلت صَهٍ صَهٍ، وفي الحديث فقالت الرحم: مَهْ، هذا مقام العائذ بك، وقيل هو زجر مصروف إلى المستعاذ منه، وهو القاطع، لا إلى المستعاذ به تبارك وتعالى. (لسان العرب مادة مهه ج١٨ ص٤٣٩).

(٤) كذا «ولله القائل» في ك، وفي بقية النسخ «ولله در القائل».

(٥) حيث يقول «ساقطة من الأصل».
- البيت من بحر الكامل.
- قائله: أبو بكر محمد بن داود الظاهري من أبيات قالها في مناظرة أبي العباس بن سريج في مجلس الوزير ابن الجراح.

(٦) البيت في مصارع العشاق ٢/١٣٧، وفيات الأعيان ٤/٢٦٠.

(٧) زاد في الأصل «رواه الدارقطني والدراغي».

(٨) في ب: «في جزئيه».

(٩) في الأصل: «رضي الله عنه».

(١٠) حديث: «من عشق فعفَّ فكتم فهو شهيد» أخرجه ابن حبان في المجروحين (١/٣٥٢) والدارقطني في تعليقاته على المجروحين (انظر ص١١٩ - ١٢٢) وابن طاهر في تذكرة الحفاظ برقم ٨٦١، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥/١٥٦، ٢٦٢) و(٦/٥٠-٥١) و(١١/٢٩٨) و(١٣/١٨٤) ومن طريق جعفر السراج في مصارع العشاق (١/١٣، ١٤) وابن الجوزي في ذم الهوى وذكر طرقه واستوعبها رحمه الله (١٧٩ -١٨٠) ثم قال:

القاسمِ القُشَيْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بِقَوْلِه[1]:

إِنَّ المحبَّ إذا تُوفِيَ صَابــراً كانَتْ منازِلُهُ مَعَ الشُّهداءِ

= «وهذا حديث باطل على رسول الله ﷺ قطعاً، لا يشبه كلامه، وقد صح عنه أنه عدّ الشهداء ستاً، فلم يذكر منهم قتيل العشق شهيداً، وقد أنكر حفاظ الاسلام هذا الحديث على سويد» (ص١٨٠) وذهب الألباني إلى أنه موضوع (سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/٤٠٤-٤٠٨).

- أشار ابن تيمية إلى الحديث السابق وقال: إنه حديث أبي يحيى القتات، وفي حديثه نظر، ولكن ابن تيمية يرى أن معنى الحديث دلّ عليه الكتاب والسنة من حيث العفة والصبر ثم الكتمان، حتى لا يحرك نفوس الآخرين، فيشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ويقول ابن تيمية في هذا أيضاً: «وقد ذكر الناس من أخبار العشاق ما يطول وصفه، فإذا ابتلي المسلم ببعض ذلك، كان عليه أن يجاهد نفسه في طاعة الله تعالى، وهو مأمور بهذا الجهاد ... فتكون المجاهدة في طاعة الله ورسوله». (دقائق التفسير ٢/١٠٨-١٠٩).

(١) البيت من بحر الكامل.

- البيت لعبد الكريم القشيري في ديوان الصبابة (ص٢٥٨).

/ البَيْتُ الثَّاني[(١)]

ومـــــا سُعَادُ غداةَ البَيْنِ إذْ رحلُوا إلاّ أغنُّ غضيْضُ الطَّرْفِ مكْحُول[(٢)]

أي: وما سُعَادُ غداةَ البَيْنِ إذ رَحلُوا وهي مَعَهُمْ، إلا ظَبْيٌ أغَنُّ الصَّوْتِ، غَضِيضُ الطَّرْفِ، مَكْحولُ العَيْنِ.

وسُعادُ: هي مَحْبُوبَتُهُ التي أشارَ إليها في البَيْتِ الأوَّلِ، والغَداةُ[(٣)]: اسمٌ لمُقابلِ العَشيِّ، قَالَ تَعَالى: ﴿ **يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَداةِ والعَشِيِّ** ﴾[(٤)]، وقَدْ يُرادُ بها مُطْلَقُ الزَّمانِ كما تَقَدَّمَ[(٥)] في قَوْلِه: «فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ»، وكلامُهُ في البَيْتِ يَحْتَمِلُهما، والبَيْنُ: الفراقُ. وأتَى في قَوْلِه: «رَحَلوا» بضَميرِ الجَمْعِ، وإنْ كانَ المُحَدَّثُ عَنْهُ[(٦)] إنَّما هو سُعادُ فَقَطْ، إشارَةً إلى أنَّها[(٧)] رَحَلَتْ[(٨)] مَعَ قَوْمِها، ويُحْتَمَلُ أنَّه قَصَدَ تَعْظيمَها[(٩)]،

---

(١) في الأصل: «الباب الثاني» وهو تحريف.

(٢) روى ابن قتيبة: «وما سعاد غداة البين إذ عرضت» (الشعر والشعراء ص٦٨) وروى أبو أحمد العسكري (المصون ص٢٠٢) وعبد القاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز ص١٧) «إذ رحلت».

– قال البغدادي: «ويروى إذ ظعنوا» وهو بمعنى «رحلوا» (حاشية ١/٣٦٥) وبها روى ابن بشران (ص٨٠) والسبكي (طبقات الشافعية ١/٢٣٤) والحاكم في (المستدرك ٣/٥٨٠) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٤٣).

– قال ابن هشام: «إن النصب في قوله (إلا أغن) جائز بقول ابن يونس والفراء وبقية الكوفيين» (شرح قصيدة بانت سعاد ص٣٨).

– قال ابن هشام: «ويروى بعد هذا البيت: (ص٤١ وانظر السيرة ٤/١٣٥٦).

هيفاء مقبلة، عجزاء مدبرة لا يشتكي قصر منها ولا طول

وقد رواه ابن عبد ربه (العقد ٥/٢٨٨) والقرشي (الجمهرة ٢/٧٩٠) وابن كثير (البداية والنهاية ٤/٤٢٨) والسهيلي (الروض الأنف ٤/١٥٩).

(٣) في الأصل: «والغدا».

(٤) سورة الأنعام: آية رقم ٥٢، وتمامها: ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء، فتطردهم فتكون من الظالمين** ﴾.

(٥) قوله: «والغداة: اسم... كما تقدم» منقول من شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام ص٣٠.

(٦) في نسخة ب: «والمضاف المحدث عنه» وفي ل، ض: «والمكان المحدث عنه».

(٧) كذا في الأصل: «إشارة إلى أنها». وفي بقية النسخ: «إشارة إليها أنها».

(٨) في ب: «أنها دخلت».

(٩) قوله: «إشارة إلى أنها... قصد تعظيمها» منقول من شرح ابن هشام (انظر ص٣٦).

فَعَبَّر عنها بلَفْظ الجَمْع[١]. والأغَنُّ: منْ صفَات الظَّبْي، فَصَارَ لغَلَبَة الاسْتعْمال كَأنَّه مُخْتَصٌّ به[٢]، وغَضيْضٌ: بمَعْنَى مَغْضُوضٍ، كَذَبيْحٍ بمَعْنَى مَذْبوحٍ[٣]، وكَسيرٍ بمَعْنَى مَكْسورٍ، ونَحْوَ ذلكَ، والطَّرْفُ: المُرادُ به هنا: العَيْنُ، ثُمَّ الأَصلُ في غَضِّ الطَّرْف تَرْكُ التَّحْديق[٤]، واسْتيْفاءُ النَّظَر[٥]. وكَلامُ البَيْت[٦] يَحْتَملُ أَمْرين، أَحَدُهما: أَنْ يُريدَ به كَسْرَ الجُفون وفُتورَهَا على عَادَة الشُّعَراء في مثْل ذلكَ، الثَّاني: أَنْ يُريدَ به الحَياءَ والخَفَرَ، وكلاهُما مما يُمْتَدَحُ به، على ما سَيَأْتي بَيَانُه، إنْ شاءَ اللهُ تَعالَى.

والمَكْحُولُ: وَصْفُ الظَّبْي الأَغَنِّ، وهُوَ إمَّا منَ الكَحَل بفَتْح الكَاف والحَاء، وهو سَوادٌ يَعْلُو العَيْنَيْنَ[٧]، وإمَّا منَ الكُحْل بضَمِّ الكاف[٨]، وهو الإثْمدُ.

والمَعْنى في البَيْت ظاهرٌ، وحاصلُهُ: أَنَّه لَمَّا ذَكَرَ حالَ نَفْسه، وما أَعْقَبَهُ الفراقُ منَ الضَّنَك، شَرَعَ في وَصْف ذكْر مَحْبُوبَته[٩] التي يَهْواها، وما اشْتَمَلَتْ عَلَيْه منَ المَحاسن التي لا يَقْدرُ مَعَها على الأَسَف على فراقها، وإتلاف[١٠] المُهْجَة[١١] في مَحَبَّتها، فَشَبَّهَها بظَبْيٍ مَوْصوفٍ بأَحْسَن الصِّفَات.

---

(١) هذا من تعظيم الغائب، وفي إجازته ومنعه، لأنه غير ثابت في كلام العرب، خلاف. (انظر حاشية على شرح بانت سعاد ج١/٣٦٥).

(٢) قوله: «والأغن من صفات .. مختص به» منقول من قول ابن هشام: «وهو وصف لازم لكل ظبي، فصارت لغلبة الاستعمال فيهن كأنها مختصة بهن» (ص٣٧).

(٣) قوله: «وغضيض بمعنى مغضوض كذبيح بمعنى مذبوح ....» فيه نظر إلى قول ابن هشام «غضيض : هو فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح وذبيح» (ص٣٩).

(٤) في ض: «طرق التحديد» وهو تحريف.

(٥) قوله: «الأصل في غض الطرف ترك التحديق واستيفاء النظر» مأخوذ من قول ابن هشام: «غض الطرف في الأصل عبارة عن ترك التحديق واستيفاء النظر» (ص٣٨).

(٦) زاد في الأصل: «وهو كلام البيت».

(٧) كذا في الأصل : «يعلو العينين» وفي بقية النسخ: «يعلو العين».

(٨) في الأصل : «إما من الكحل بالضم». وهي عبارة ابن هشام (ص٤٠).

(٩) في ض: «شرع في ذكر وصف محبوبته» وهو الأصوب.

(١٠) في النسخ جميعاً «وتلاف» وما أثبته الصواب.

(١١) في ض «وتلاف المبهجة» وهو تحريف.

وأَعَادَ ذِكْرَها(١) للتَّعْظِيمِ كَمَا في قَوْلِه تَعالى: ﴿ **وأَصْحابُ اليَمِيْنِ ما أَصْحابُ اليَمِيْنِ** ﴾(٢)؛ ولأَنَّ اسمَ المَحْبُوبِ مِمّا يُلْتَذُّ بذِكْرِه(٣)، ولِلَّهِ القَائِلُ(٤):

يا مَنْ إِذا ذُكِرَ اسمُهُ في مَجْلِسٍ لَذَّ الحَدِيْثُ بِه وطَابَ المَجْلِسُ

وخَصَّ التَّشْبِيهَ بالظَّبْيِ(٥) جَرْياً على عادَةِ العَرَبِ في التَّشْبِيه بها؛ لِمُخَالَطَتِهِمْ لها بواسطَةِ سُكْنَاهَا الفَلَوات، وبُطون الأَوْدِيَة، إذ كُلُّ أَحَدٍ إِنَّما يَقَعُ لَهُ التَّشْبِيهُ بما في خزانَةِ خَيَاله، أَلا تَرَى لِتَشْبِيهات ابنِ المُعْتَزِّ(٦) في شِعْرِه، إِنَّما هِيَ باللآلِئِ واليَوَاقِيْتِ وأَصْنَافِ الجَوْهَرِ، وتَشْبِيهاتُ العَرَبِ إِنَّما هِيَ بالشِّيحِ والقَيْصُومِ وأَزْهارِ البادِيَةِ وما شَاكَلَ ذلكَ، وأَوْضَحُ شاهدٍ بذلكَ(٧) ما أَخْبَرَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعَالَى(٨) به عن حكَايَةِ الهُدْهُدِ بقَوْلِه: ﴿ **أَلاَّ يَسْجُدوا لله الذي يُخْرِجُ الخَبْءَ(٩) في السَّموات والأَرْض** ﴾(١٠) فَعَبَّرَ بإِخْراجِ الخَبْءَ دونَ عِلْمِ الغَيْبِ، وإِنْ كانَ عِلْمُ الغَيْبِ أَعَمَّ مِنْهُ، إِذ كانَ(١١) مِنْ عَادَتِه(١٢) إِخراجُ المُخَبَّآتِ لِسُليمانَ عَلَيْه السَّلامُ(١٣)، حَتَّى يُقالُ إِنَّهُ يَنْظُرُ الماءَ تَحْتَ

---

(١) في ب، ض: «وإعادة ذكرها».

(٢) سورة الواقعة: آية رقم ٢٧.

(٣) قوله: «وأعاد ذكرها للتعظيم ولأن اسم المحبوب مما يلتذ بذكره» ناظر فيه إلى قول ابن هشام «وإن اسم المحبوب يلتذ بإعادته»(ص٢٩).

(٤) زاد في ب، ل، ض: «ولله درّ القائل حيث يقول».
– البيت من بحر الكامل.
– البيت مع آخر من غير عزو في ديوان الصبابة ص٩٦.

(٥) في الأصل: «بالظبا».

(٦) في ب، ل، ض: «بن المعتز».

(٧) في ب، ل: «وأوضح شاهد لذلك».

(٨) «تعالى» ساقطة من الأصل.

(٩) في ظ، ض: «الخباء».

(١٠) سورة النحل: آية رقم ٢٥، وتمامها: ﴿ **ألا يسجدو لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون** ﴾.

(١١) كذا «إذا كان» في ب، وفي بقية النسخ: «إذا كانت».

(١٢) كذا «من عادته» في ب، ك، ل، وفي الأصل: «من عاداته» وفي ض: «من عادة».

(١٣) كذا «لسليمان عليه السلام» في ك أيضاً، وفي بقية النسخ «لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام».

الأَرْضِ، ولذلكَ تَراهُ يَضْرِبُ بِمِنْقارِهِ في الأَرْضِ لِيُخْرِجَ الدُّودَ مِنْ داخِلِها فَيَأْكُلُهُ.

واعْلَمْ أَنَّ التَّشْبيهَ(١) بالظِّباءِ إِنَّما هو منِ استحْسانِها في جِنْسِ الوَحْشِ، لا أَنَّها أَحْسَنُ منَ الآدَميِّ في نَفْسِ الأَمْرِ، قَالَ تَعالَى(٢): ﴿**لَقَدْ خَلَقْنا الإِنْسانَ في أَحْسَنِ تَقْويمٍ**﴾(٣) وقالَ عَزَّ وجلَّ: ﴿**وصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُم**﴾(٤)، ولِذَلكَ قالَ الفُقَهاءُ(٥) رَحِمَهُمُ اللهُ تَعالَى(٦): لو قَالَ [رَجُلٌ](٧) لِزَوْجَتِه: إِنْ لم تَكُوني أَحْسَنَ مِنَ الشَّمْسِ والقَمَرِ فَأَنْتِ طالِقٌ، لم تَطْلُقْ، وإِن كانَتْ زِنْجِيَّةً سَوْداءَ(٨).

ثُمَّ لَمَّا شَبَّهَها بالظَّبْيِ(٩)؛ وَصَفَهُ بثلاثِ صِفاتٍ تُسْتَحْسَنُ في الظَّبْي:

الصِّفَةُ الأُولى: الغُنَّةُ في الصَّوْتِ، وهُوَ مِمَّا يُلْتَذُّ بِسَمَاعِه، ولذلكَ قيلَ في وَصْفِ الرِّياضِ الحَسَنَة: رَوْضَةٌ غَنَّاءُ، مِنْ حَيْثُ أَنَّ صَوْتَ الرِّياحِ(١٠) في الشَّجَرِ المُلْتَفَّةِ، يُشْبِهُ الصَّوْتَ الخارِجَ بِغُنَّةٍ، وقَدْ جَاءَ في وَصْفِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ: «أَنَّهُ كانَ فيهِ(١١) غُنَّةٌ حَسَنَةٌ»(١٢).

(١٤١ب) واعْلَمْ أَنَّ العِشْقَ كما يَقَعُ بواسِطَةِ النَّظَرِ/ كذلكَ يَقَعُ بواسِطَةِ سَمَاعِ الصَّوْتِ(١٣)،

---

(١) في ض: «واعلم أن التشبيب».

(٢) في ب: «فقال تعالى».

(٣) سورة التين: آية رقم ٤.

(٤) سورة غافر: آية ٦٤.

– وتمام الآية: ﴿**الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء، وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات، ذلكم الله ربكم، فتبارك الله رب العالمين**﴾.

(٥) في الأصل: «ولذلك قالوا الفقهاء».

(٦) في الأصل: «رضي الله عنهم».

(٧) زيادة يقتضيها السياق.

(٨) في ب: «وإن كانت زوجته سودا».

(٩) في ض: «لما شبهها بالظباء».

(١٠) في النسخ جميعاً «من حيث أن صوت الرياض» وما أثبته الصواب.

(١١) في ض: «أنه كان في غنة».

(١٢) قال ابن الأثير في النهاية: «الأغن من الغزلان وغيرها: الذي في صوته غنة، ثم أنشد بيت كعب هذا وقال: ومنه الحديث: «كان في الحسين غنة حسنة».

(١٣) زاد في ظ (الأصل): «بواسطة استصحاب سماع الصوت».

فَقَدْ قيلَ: إنَّ سَبَبَ المَحَبَّة ثَلاثَةُ أَشْيَاءَ؛ رُؤْيَةُ صُورَةٍ[١]، أَوْ سَمَاعُ نَغْمةٍ، أَوْ سَمَاعُ صِفَةٍ. حُكِيَ أَنَّ أَبَا تَمَّامٍ الطَّائِيَّ سَمِعَ جاريةً تُغَنِّي بالفارِسِيَّةِ، فَشَجَاهُ صَوْتُها، ولم يَفْهَم كلامَهَا، فَأَنْشَدَ وهو يقُولُ[٢]:

فَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانيها ولكِنْ ... شَجَتْ قَلْبي فَلَمْ أَحمِلْ شَجَاها[٣]

فكُنْتُ كَأَنَّني أَعْمَى فَغَنَّى ... بحُبِّ الغانياتِ ولَمْ أراها[٤]

قالَ أَبو هلالٍ العَسْكَرِيُّ في كتَابه الأَوائِلِ: وأَمْرُ الصَّوت عَجَبٌ، منْهُ ما يَقْتُلُ كَصَوْت الصَّاعِقَة، ومنْهُ ما يَسُرُّ ويُبْهِجُ[٥] حَتَّى يُرْقِصَ ويُقْلِقَ، ومنْهُ ما يُبْكي[٦]، ومنْهُ ما يُزِيلُ العَقْلَ[٧] ويُورِثُ الغَشَا، وبه يُنَوِّمونَ الصِّبْيانَ، وبه تُسْتَخْرَجُ الحَيَّةُ مِنْ جُحْرِها[٨]. وأَهْلُ الصِّناعاتِ إذا خَافوا[٩] المَلالَ تَرَنَّموا، وتُسْقَى الدَّوابُ بالصَّفيرِ، وتُصْغي بآذانِها[١٠] إذا غَنَّى لها المُكاري[١١]، وتَزيدُ الإبِلُ في مَشْيِها إذا حَدَا بها الحَادي، وفي أُمورٍ أُخْرَى ذَكَرَها مِنْ تَأْثيرِ الصَّوْتِ[١٢].

---

(١) في ض: «رؤية صوت» وهو تحريف.

(٢) زاد في ب، ل: «وهو يقول هذه الأبيات».

- البيتان ليسا في ديوان أبي تمام، وهما في زهر الآداب ج١ ص١٩٣ وترتيبهما الثالث والرابع من مقطوعة عدد أبياتها أربعة.

- البيتان من بحر الوافر.

(٣) في رواية زهر الآداب: «ولم أفهم» بدل «فلم أفهم» وعجز البيت «درت كبدي فلم أجهل شداها» بدل «شجت قلبي فلم أحمل شجاها».

(٤) كذا «ولم أراها» في الأصل، وفي ك، ل: «ولا يراها» وفي ض: «ولا يراها» وفي ك: وفي ب: «ولم يراها» وهو لحن. وفي رواية المزهر «ولا يراها».

(٥) في ل: «ما يسر ويهيج» وفي ض: «ومنه ما يسر كصوت يهيج».

(٦) «ومنه ما يبكي» ساقطة من ب، ل، ض.

(٧) كذا «ما يزيل العقل» وفي ب، ل، ض«ما يزيد انعقل».

(٨) في ل: «من حجرها».

(٩) في ض: «إذا تخافوا».

(١٠) كذا «وتصغي بآذانها» في ك، ل، وفي ظ (الأصل) «وتصغي آذانها» وفي ب، ل: «وتصغي بأذنها».

(١١) المكاري: هنا الحادي (انظر اللسان مادة كرا ج٢٠ / ٨٢).

(١٢) قوله: «وأمر الصوت... من تأثير الصوت» تصرف السيوطي في بعض الجمل (انظر كتاب الأوائل تحقيق د. محمد السيد الوكيل ص٨٨-٨٩).

وَقَدْ قِيلَ: «إنَّ صَدَقَةَ الحاديَّ سَأَلَهُ الرَّشيدُ أَوْ غَيْرُهُ منَ الخُلَفاءِ؛ عَمَّا بَلَغَهُ منْ حُسْنِ حُدائه فَقَالَ[١]: أَنْ تَعْطَشَ الإبِلُ ثَلاثاً[٢]، ثُمَّ أَحْدُو[٣]، فَتَدَعُ الشُّرْبَ وتُصْغي إِلى صَوْتي، فَأَمَر بالإبلِ فَعُطِّشَتْ، ثُمَّ أَحْضَرَهُ، وأَمَرَ بالإبلِ، فَنوديَ لها بالماء، فلما مَجَّتْ مَجَّتَيْنِ[٤] أَو ثَلاثاً، أَمرَ صَدَقَةَ بالحُدا، فَحَدا بها[٥] فَقَطَعَت الشُّرْبَ، وَرَفَعَتْ رُؤوسَها إليه، فَسَكَتَ، فَعَادَتْ إِلى الشُّرْبِ، ثُمَّ حَدا فَتَرَكَت الشُّرْبَ وأَقْبَلَتْ، فَفَعَلَ ذلكَ مراراً، فقالَ الخَليفَةُ: قَتَلْتَهَا عَطَشاً وَيْلَكَ، دَعْهَا تَشْرَبْ».

وعَنْ عَمْرو الوادي قالَ: «بَيْنَما[٦] أَنا أَسيرُ بَيْنَ الرَّوْحاءِ والعَرْجِ[٧]، إِذْ سَمِعْتُ إِنْساناً يُغَنِّي غناءً[٨] لم أَسْمَعْ مِثْلَهُ، فَأَصْغَيْتُ إِليه، فإذا هو يَتَغَنَّى في شِعْرِ كُثَيِّرٍ[٩]:

وكنتُ إذا مـــــا جِئْتُ ليلى أَزورُهـــــا   أَرى الأَرْضَ تُطْوَى لي ويَدْنو بَعيْدُها[١٠]

---

(١) «فقال» ساقطة من ل.

(٢) كذا «ثلاثاً» في ب، ك، ل، ض، وفي الأصل: «ثلاثة أيام».

(٣) في ب، ل: «أحدوا» بزيادة الألف بعد الواو.

– حدا الإبل وحدا بها يحدو حدواً وحُداء ممدود، وحدا الشيء يحدوه حدواً: تبعه (اللسان مادة حدا ج١٨ / ١٨٣).

(٤) في الأصل: «مجت مرتين».

(٥) في ب: «فحدى لها» وفي ل: «فحذي بها» بالذال معجمة والياء، وفي ض: «فحدي بها» بالياء. وألف الفعل واوية وليست يائية.

(٦) كذا «بينما» في الأصل وفي بقية النسخ «بينا».

(٧) الرَّوْحاءُ: قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة، بينهما واحد وأربعون ميلاً، وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده، لَيُهلَّنَّ ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو لَيَثْنينَهُما». (معجم ما استعجم ١ / ٦٨٠).

– العرج: قرية جامعة على طريق مكة من المدينة، ووادي العَرْج فيها يدعى المنبجس، إذ فيه عين في شعب بين جبلين، وعلى ثلاثة أميال منها مسجد ﷺ يدعى مسجد العَرْج. (معجم ما استعجم٣ / ٩٣٠).

(٨) زاد في ب، ل: «يقول ويغني».

(٩) «في شعر كثير» زيادة في الأصل وساقطة من بقية النسخ.

– البيتان من بحر الطويل.

– البيتان في ديوان كثير ص٢٠٠ وترتيبهما السادس والسابع من قصيدة عدد أبياتها خمسة وعشرون بيتاً.

(١٠) في رواية الديوان والأمالي ج١ / ١١٤ «وكنت إذا ما زرت سعدى بأرضها».

من الخَفرات البِيْض وَدَّ جَليسُهـــــــــــا إذا مـــــا انقضَتْ أُحْدوثَةٌ لو تُعيْدُهـــــا

فَكِدْتُ أَسْقُطُ طَرَباً عن راحِلَتي، وَقُلْتُ لأَلْتَمِسَنَّ صاحِبَ هذا الصَّوْت، فَأَصِيرُ إليْه ولو بذَهاب نَفْسي، فيمَّمْتُهُ إلى أنْ وَصَلْتُ إليه، فإذا هو راعِي غَنَمٍ، فسَأَلْتُهُ أنْ يُعيدَ الصَّوْتَ إليَّ[1] فقالَ: نَعَمْ، ولو حَضَرَني قرىً أقْرَيْكَهُ ما أَعَدْتُهُ[2]، ولكنِّي أجْعَلُهُ قِراكَ، فَرُبَّما تَرَنَّمْتُ[3] به، والله وأنا غَرْثانُ[4]، فَأَشْبَعُ، وظَمْآنُ فَأَرْوَى، ومُسْتَوْحِشٌ فَآنَسُ، وكَسْلانُ فَأَنْشَطُ، قالَ: فَأَعادَهُما عَليَّ حَتَّى أَخَذْتُ لَحْنَهُما[5] عَنْهُ، فوالله ما كانَ زادي حَتَّى وَلَجْتُ المَدينَةَ غَيْرَهُما».

قُلْتُ: وأَخْبَرني بَعْضُ الأَصْحاب عَمَّن أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ سارَ[6] مِنَ اليَمَنِ إلى مَكَّةَ، ومَعَهُ رَفيقٌ[7] مِنْ بَوادي اليَمَن، فَمَرَّ في طَريقه بشَجَرَةٍ فَوْقَ الذِّراع[8]، فَوَقَفَ تجاهَهَا وَصَفَّقَ وغَنَّى لها بِغناءٍ مَخْصوصٍ، فَجَعَلَتْ تَتَمايَلُ يَميناً وشِمالاً، فَلَمَّا سَكَتَ سَكَنَتْ[9].

وكُنْتُ في شَكٍّ مِنْ ذلكَ إلى أَنْ أَخْبَرَني مَنْ أَثِقُ به: أَنَّ الشَّيْخَ ناصرَ الدِّين بنَ المَيْلَق[10]، رَحِمَهُ اللهُ، قَبْلَ أَنْ يَلِيَ قاضي القُضاة بالدِّيارِ المِصْرية، كَانَ سَاكِناً[11]

---

(١) في الأصل «أن يعيد ذلك لي».

(٢) كذا «أعدته» في ل، وهو الصواب وفي الأصل وبقية النسخ «ما عدته».

(٣) في ض: «ترثمت به».

(٤) غرثان: الغرث أيسر الجوع وقيل شدته، وقيل هو الجوع عامة، وفعله غَرِث بالكسر يَغْرثُ غرثاً وغرثان والأنثى غرثى وغرثانه (اللسان مادة غرث ج٢ /٤٧٨).

(٥) كذا «حتى أخذت لحنهما عنه» في ب، ك، ل، ض، وفي الأصل: «حتى حفظتهما عنه» وما أثبته الصواب.

(٦) كذا «سار» في ك أيضاً، وفي ب، ل، ض: «سافر».

(٧) في ل: «ومعه رقيق».

(٨) كذا «فوق الذراع» في ك أيضاً، وفي بقية النسخ «فوق ذراع».

(٩) في ض: «فلما سكت سكتت».

(١٠) في ض: «ناصر الدين ميلق». بدون أل التعريف.

– ناصر الدين بن الميلق.

(١١) «كان» ساقطة من ظ وض ول.

بمَنْظَرَة(١) بغَيْط السِّناني بالقُرْب منْ بُولاقَ، وكانَ فيه شَجَرةٌ منْ هذا النَّوعِ، وكانَ يَقِفُ أَمامَها(٢)، ويُصَفِّقُ لها بيَدَيْه، ويُغَنِّيها بأَبْيات، فَتَتَمايَلَ يَميناً وشمالاً(٣)، ثُمَّ سَكَنَ المَنْظَرَةَ بَعْدَهُ(٤) رَجُلٌ(٥) منْ أَهْلِ العلْمِ، وكانَ يَفْعَلُ لتلْكَ الشَّجَرَةِ كَذلكَ، ثُمَّ أَخْبَرَني بَعْضُ أَهْلِ بلادِ اليَمَنِ(٦) بالدِّيارِ المِصْرِيَّةِ أَنَّ هَذهِ الشَّجَرَةَ مَوْجودَةٌ(٧) عِنْدَهُمْ إلى الآن.

ولَمَّا كانَ أَمْرُ الصَّوْتِ مِنَ التَّأْثيرِ على ذَلكَ، حُقَّ لَهُ أَنْ يَتَغَزَّلَ بالغُنَّة، الَّتي هِيَ مِنْ أَلَذِّ(٨) الأَصوات.

الصِّفَةُ الثَّانيَةُ: غَضُّ الطَّرْف، فَإِنْ حَمَلْنَاهُ على كَسْرِ الجُفونِ وفُتُورِها، كانَ ذلكَ منْ بابِ الزِّيادَةِ في الحُسْنِ والجَمَالِ، إذِ النُّفوسُ تَميلُ إلى ذلكَ في الغالب، وتَرْغَبُ إليه، ولَمْ تَزَلِ الشُّعراءُ في القَديمِ والحَديث تَتَغَزَّلُ في ذلكَ(٩)، وَقَدْ قيلَ أَغْزَلُ بَيْتٍ قالَتْهُ العَرَبُ قَوْلُ جَريرٍ(١٠):

---

(١) المنظرة: المرقبة، قد تكون في رأس جبل فيه رقيب، وهي موضع الربيئة أيضاً في الأصل، وهنا موضع للاستجمام والتنزه.

(٢) زاد في ض: «وكان يقف من أمامها».

(٣) من قوله: «وشمالاً، فلما سكت سكنت... فتتمايل يميناً وشمالاً» ساقط من ل.
– «شمالاً» ساقطة من ك.

(٤) في ض: «بعدن».

(٥) كذا «رجل» في الأصل، وفي بقية النسخ «آخر».

(٦) في ل: «ثم أخبرني بعض أهل البلاد اليمن».

(٧) في الأصل: «أن هذه الشجرة موجود».

(٨) في ض: «من آلة الأصوات».

(٩) فيض: «يتغزل».

(١٠) انظر هذا الحكم النقدي في ديوان المعاني (ج١/٧٦).
– البيتان من بحر البسيط.
– البيتان هما السادس عشر والسابع عشر من قصيدة عدتها ثمانية وستون بيتاً. (انظر ديوان جرير بشرح محمد ابن حبيب – تحقيق د. نعمان محمد أمين طه – ط دار المعارف – القاهرة ١٩٧١ ج١ ص١٦٨).

إنَّ العُيونَ الَّتي في طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِيْنَ قَتْلانَا[1]
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حَتَّى لا حِراكَ بِه وهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ إِنْسَاناً[2]

وإِنْ حَمَلْنَاهُ على الحَيَاءِ والخَفَرِ، كَانَ أَبْلَغَ في ذلكَ، إذِ الحَيَاءُ مما يُتَمَدَّحُ به عَقْلاً وشَرْعاً، وَقَدْ مَدَحَ اللهُ تَعَالَى الحُورَ[3] بقَوْلِه: ﴿ **قاصراتُ الطَّرْفِ عِينٌ** ﴾[4]، فَأَخْبَرَ بأَنَّهنَّ[5] قاصراتُ الطَّرْفِ[6] مَعَ كَوْنِهنَّ عِينٌ، إشارةً إلى أنَّ غَضَّ الطَّرْفِ فيهنَّ لَيْسَ لِضَعْفٍ في العُيونِ، ولا مَرَضٍ[7] في الجُفُونِ. وأَمَرَ تَعَالَى[8] بغَضِّ البَصَرِ حَيَاءً[9] وعِفَّةً[10]، فَقَالَ تَعالى: ﴿ **قُلْ لِلْمؤمنينَ يَغُضُّوا من أَبْصارِهم** ﴾[11] ﴿ **وقُلْ لِلْمُؤْمنات يَغْضُضْنَ من أَبْصَارِهنَّ** ﴾[12].

الصِّفَةُ الثَّالثةُ: سوادُ العُيُونِ، وهو المُرادُ بقَوْلِه: «مَكْحُولُ». فَإِنْ جَعَلْنَاهُ مِنَ

---

(١) في الأصل: «الذي».
- في ل: «في طرقها» بالقاف.
- في ب، ض: «في طرفها حور» وهي رواية الديوان.
- في ل: «ثم لم تحيين».

(٢) في ل: «تصرعن».
- في ل: «وهن أضعف خلق الله أركانا» وهي رواية أبي هلال العسكري في ديوان المعاني (ج١ / ٧٦) ورواية الديوان أيضاً.

(٣) زاد في ب، ل: «الحور العين».

(٤) سورة الصافات: آية ٤٨، وتمامها: ﴿ **وعندهم قاصرات الطرف عين** ﴾.
- في ل: «قاصرات الطرف» وسقطت «العين» من الآية.

(٥) كذا «بأنهن» في ب، ل، ض، وفي ظ وك: «بأنها».

(٦) قوله: «فأخبر بأنهن قاصرات الطرف» ساقط من ل.

(٧) في ك: «لمرض».

(٨) كذا «وأمر تعالى» في ك أيضاً، وزاد في ب، ل، ض: «وأمر الله تعالى».

(٩) في ل: «حيا».

(١٠) في ك: «أو عفة».

(١١) سورة النور: آية ٣٠، وتمامها: ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون** ﴾.

(١٢) سورة النور: آية ٣١، وتمامها: ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها..** ﴾.

الكَحَلِ الذي هو سَوادُ جُفونِ العَيْنَيْنِ[1] مِنْ غَيْرِ تَكَحُّلٍ[2]،فهو في غَايَةِ المدْحَة، لاستغْنائه عن التَّكْحيلِ. وقد جاءَ في وَصْفِه ﷺ :«في عَيْنَيْه كَحَلٌ[3]»، وبالجُمْلَة فَسَوادُ العيونِ ممَّا يُسْتَحْسَنُ، وتَميْلُ إليه النُّفُوسِ، ولله درُّ القائلِ[4]:

تَغَارُ الشَّمْسُ منهـا حِينَ تَبْدو ... كَغُصنِ البَانِ في خُضْرِ البُرودِ

بأطرافٍ مِـن الحِنَّـاءِ حُمْرٍ ... وألحاظٍ كَبِيْضِ الهِنْدِ سُودِ[5]

بَلْ هُوَ أَكْمَلُ من الحُسْنِ في الفُتورِ في الجُفُونِ، وأَعْلى رُتْبَةً في الجَمَالِ، وأَشَدُّ تَأْثيراً[6] في القُلُوبِ، وإلى ذلكَ يُشيْرُ أبو اسحاقَ الغَزِّيُّ[7] بقَوْلِه[8]:

راشَ الفُتورُ لَـهُ سَهْمـاً فَأَخْطَأَهُ ... حَتّى أُبيْحَ لَهُ سَهْمٌ مِنَ الكُحْلِ[9]

---

(١) في ب، ك، ض: «جفون العين».

(٢) كذا في ب، ض: «من غير تكحل»، وفي ظ، ل، ك،: «من غير تكحل».

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية ص٨ برقم ٦ من حديث علي رضي الله عنه في وصف رسول الله ﷺ وقال: «أدعج العينين، أهدب الأشفار». ونقل الترمذي في تفسير صفة النبي ﷺ قوله: الأدعج: الشديد سواد العين.

ومن حديث جابر بن سمرة بلفظ: «أشكل العين» قال: طويل شعر العين (الشمائل ص١١-١٢ برقم ٨) وانظر جمع الوسائل في شرح الشمائل للعلامة القاري ج١ / ٣١ وشرح المناوي على الشمائل وانظر مختصر الشمائل المحمدية للألباني ص١٦-١٧ وص٢٦).

(٤) في ك: «ولله القائل».

- البيتان من بحر الوافر.

- قائلهما: ابن حجلة المغربي إذ نسبهما لنفسه في ديوان الصبابة ص٧٨، ورواهما مع بيتين آخرين سابقين لهما في موضع آخر (ص٢٣٨) وروى السمر بدلاً من الشمس.

(٥) في ل: «حمير».

(٦) في الأصل: «وأشد تأثير» وهو لحن من الناسخ.

(٧) أبو اسحاق الغزي: هو ابراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الأشهبي، شاعر محسن، ولد في غزة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، ورحل إلى دمشق ثم بغداد في طلب العلم ، وانتهى الأمر به في بلاد خراسان شاعراً مادحاً وراثياً لجماعة من رؤسائها، توفي ما بين مرد وبلخ من بلاد خراسان سنة أربع وعشرين وخمسمائة. (وفيات الأعيان ١ / ٥٧ - ٦٠).

(٨) البيت من بحر البسيط .

(٩) كذا «حتى أتيح له سهم من الكحل» في ب و ل، وفي ظ وك: «حتى أبيح له سهماً من الكحل» وفي ض: «حتى أتيح له سهماً». وما أثبته الصواب.

وإنْ جعَلْنَاهُ من التَّكَحُّلِ(١) بالإثْمد لكَوْنه يَكْسُو العَيْنَ سَواداً، فالذي(٢) يَظْهَرُ أَنَّهُ يُرِيدُ انْضمامَ ذلكَ إلى الكَحَلِ الخَلْقيِّ، لا أَنَّ(٣) التَّكَحُّلَ لفَقْد الكَحَلِ في العَيْنَيْن، فإِنَّ ذَلكَ نَقْصٌ في الحُسْنِ، وهو خلافُ المَعْهود، ولله دَرُّ القائلُ(٤):

زادَتْ على كَحَلِ العُيون تَكَحُّـلاً   أَيُسَمُّ نَصْلَ السَّيْفِ وَهُوَ قَتُولُ(٥)

فَإِنْ قيلَ لِمَ خَصَّ تَشْبِيهَهَا(٦) بالظَّبْي بحالَة الرَّحيلِ، فالجَوابُ منْ وَجْهَيْن:

الأَوَّلُ: يَحْتَـملُ أَنَّهُ أَشارَ بذلكَ إلى صفَـة رابعَـة مما يُتَـمَـدَّحُ(٧) بهـا، وهي أَنَّهـا كـانَتْ(٨) مُـخَـدَّرَةً لا تُرَى لاخْـتـبَـائهـا، وإنَّمـا تَوَصَّلَ إلى رُؤْيَتـهـا عنْدَ الرَّحـيل(٩)؛ لاقْـتـضـائه البُـروزَ مـنَ الخـبـاء، والخُـروجَ منَ الخـدْر(١٠)، فكانَ ذلكَ أَوَّلَ وُقـوعِ بَصَـرِه عَلَيْـها، وعلى ذَلكَ يَـنْطَبقُ حَـمْـلُ قَـوْله فـي البَـيْت: «غَـضـيضُ الطَّـرْف» علـى الحَـيـاء والخَفَر، ثُمَّ يَجُوزُ أَنَّهُ قَدْ أَحَبَّها(١١) على الوَصْف، وعَشقَها على السَّماعِ، فإنَّ العشْقَ قَدْ يَقَعُ بِمثْلِ ذلكَ على ما تَقَدَّمَ ذكْرُهُ، ولَذلكَ(١٢) نَهَى النَّبيُّ ﷺ [المرأَة أَنْ تَنْعَتَ

---

(١) كذا «التكحل بالإثمد» في الأصل، وفي بقية النسخ «التكحيل».

(٢) في ب، ل: «والذي».

(٣) كذا «لا أن» في نسخة ب، وفي الأصل وبقية النسخ «لأن» وما أثبته الصواب.

(٤) في ك: «ولله القائل».

- البيت من بحر الكامل.

- البيت من غير عزو في نزهة الأبصار في محاسن الأشعار ص٣٤١

(٥) صدر البيت مطموس في ب.

- في رواية شهاب الدين أبي العباس العنابي (الجفون) بدلاً من (العيون) و (و يُسَمَّ) بدلاً من (أيسم).

(٦) في ب، ض: «تشبهها».

(٧) كذا «يتمدح بها» في ب، ك، ل، وفي الأصل: «يمدح بها» وفي ض: «يمتدح بها».

(٨) في الأصل: «وهي إن كانت».

(٩) في الأصل: «عند الترحيل».

(١٠) في ض: «الخروج من الحذر» بحاء مهملة.

(١١) في الأصل: «ثم إنه يجوز أنه قد أحبها» وفي بقية النسخ: «ثم أنه قد يجوز أنه». ولعل ما أثبته الصواب.

(١٢) في ك: «وكذلك».

غَيْرَهَا][١] لزَوْجها كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إليها[٢] خَشْيَةً مِنْ تَعَلُّقِ قَلْبِه بها، ومَيْلٍ[٣] نَفْسه إليها، ولله بَشَّارٌ[٤] حَيْثُ يقولُ[٥]:

يَا قَوْمِ أُذْني لِبَعْضِ الحَيِّ عاشِقَةٌ ... والأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أحْيانَا

قالوا بِمَنْ لا تَرَى تَهْوى فَقُلْتُ لَهُمْ ... الأُذْنُ كالعَيْنِ تُوفي القَلْبَ ما كَانَا[٦]

ويَجُوزُ أنْ يكونَ قَدْ أَحَبَّها على حالَةِ وُقوعِ بَصَرِه عليها، فإنَّ النَّظَرَ بَريدُ العِشْقِ[٧]، ورائدُ المَحَبَّةِ[٨]، قالَ أعرابيٌّ: «العِشْقُ نَبْتٌ بَذْرُهُ النَّظَرُ، وماؤُهُ المُزاوَرَةُ، وثِمارُهُ الوَصْلُ، وحَصادُهُ التَّجَنِّي». ومِنْ كلامِ الحكماءِ: «المَرْأةُ تَمُرُّ بالرَّجلِ[٩] فَتَتَحَرَّكُ نَفْسُهُ بمُجَرَّدِ النَّظَرِ إليها، فإنْ كَرَّرَ النَّظَرَ إليها ازْدادَ حُبُّهُ فيها، فإنْ جَلَسَ حَتَّى يَراها، كانَ الذي به أَضْعافَ ما كانَ، فإنْ نَظَرَتْ إليه نَظْرَةً افتَتَنَ بها، وصارَ في جُمْلَةِ العاشِقينَ». وقَدْ قيلَ: «مَنْ أَطْلَقَ ناظِرَهُ أتْعَبَ خاطِرَهُ، ومَنْ كَثُرَتْ لَحَظاتُهُ، زادَتْ حَسَراتُهُ[١٠]»، وَلِلّهِ دَرُّ القائِلِ[١١]:

---

(١) تصويب يستقيم به السياق، إذ في النسخ جميعاً " نهى النبي ﷺ أنه قال إن المرأة لزوجها.

(٢) يشير السيوطي بقوله: «نهى النبي.. كأنه ينظر إليها» إلى حديث النبي ﷺ الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح – باب: لا تباشر المرأة المرأة لزوجها – عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تباشر المرأة المرأة، تنعتها لزوجها حتى كأنه ينظر إليها» (ج٦ ص١٦٠).

(٣) في ض: «ويميل».

(٤) كذا «ولله بشار» في ك أيضاً، وفي بقية النسخ «ولله در بشار».

(٥) البيتان من بحر البسيط.

– البيتان من مقطوعة من ثلاثة أبيات في ديوانه ج٤ /٢٢٨ بتحقيق محمد الطاهر بن عاشور.

(٦) «توفي» ساقطة من الأصل.

– في رواية الديوان «تهذي» بدلاً من «تهوى».

(٧) كذا «بريد العشق» في ب، ل، وفي ظ، ك، ض: «يزيد».

(٨) في ض: «وزائد المحبة».

(٩) كذا «تمر بالرجل» في الأصل، وفي بقية النسخ «تمر على الرجل».

(١٠) كذا «زادت حسراته» في الأصل، وفي بقية النسخ «دامت حسراته».

(١١) في ك: «ولله القائل».

– البيتان من بحر الطويل.

– البيتان من غير عزو في الزهرة (ج ١ ص٥٤) ومن غير عزو أيضاً في مصارع العشاق (ج٢ ص١٩٤) والحماسة تحقيق د. عسيلان (ج٢ / ص١٥) وعيون الأخبار (٤/ ٢٢).

وكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رائداً لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْهُ المَنَاظِرُ[١]

رَأَيْتَ الذي لا كُلُّهُ أَنْتَ قادرٌ عَلَيْه، و لا عَنْ بَعْضِه أَنْتَ صابرُ

الثّاني: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خَصَّ تَشْبيهها بالظَّبْي بحالَة الرَّحيلِ مُبالَغَةً في حُسْنِها، فَإِنَّ الشَّخْصَ عنْدَ الرَّحيلِ يَكُون في أَرَثِّ حالاته مَعَ ما يَنْضَمُّ إلى ذلكَ منَ التَّأَثُّرِ بفراقِ الوطَن، خُصوصاً إذا كانَ مَعَ ذلكَ فراقُ حَبيْبٍ، وتَوْديعُ صَديقٍ.

فإنْ قيلَ: لمَ قَدَّمَ وَصْفَ الغُنَّة على وَصْف غَضِّ الطَّرْف، ووَصْفَ غَضِّ الطَّرْف على وَصْف الكَحَلِ؟ فالجوابُ: أَنَّ الغُنَّةَ منْ صفات الصَّوت، والغالبُ سَماعُهُ مَعَ عَدَمِ الرُّؤْيَة، ثُمَّ تلاهُ بوَصْف غَضِّ الطَّرف الذي لا يُمْكنُ النَّظَرُ[٢] إليه إلاّ[٣] مَعَ انطباقِ الجَفْنِ، ثُمَّ تَبِعَهُ بذكْرِ الكَحَلِ الذي لا يُمْكنُ رُؤْيَتُهُ إلاّ مَعَ انفتاحِ العَيْن، وكَأَنَّهُ[٤] لَمَّا سَمِعَ صَوتَها اسْتَحْلاهُ، فَدَعاهُ ذلكَ إلى رُؤْيَتها، فاحْتالَ على نَظَرِها، فَرأى جَفْنَها مُنْسَدلاً[٥] لغَلَبَة الحَيَاء عَلَيْها، فَدَعاهُ ذلكَ إلى رُؤْيَة داخلِ عَيْنها، فَسارَقَها[٦] النَّظَرَ حَتَّى رآها، فَرَأَى في كُلِّ الحالاتِ ما أَبْهَجَ خَاطِرَهُ، وَهَيَّجَ بِلْبالَهُ[٧]. واللهُ تَعالَى أَعْلَمُ بالصَّوابِ[٨].

---

(١) في الأصل: «تعبتك».
- في الزهرة: «أتعبتك» بدلاً من «أتعبته».
- في الحماسة: «إذا» بدلاً من «متى».

(٢) «النظر» ساقطة من الأصل.

(٣) «إلا» ساقطة من الأصل.

(٤) في ب، ض: «كأنه».

(٥) في ض: «مندلاً» وهو تحريف.

(٦) في ب، ل، ض: «وسارقها».

(٧) كذا «بلباله» في الأصل، وفي بقية النسخ: «بلابله».

(٨) كذا «والله تعالى أعلم بالصواب» في الأصل، وفي ك، ل: «والله تعالى أعلم» وفي ب، ض: «والله أعلم».



البيْتُ الثَّالثُ

/ تَجْلُو عوارِضَ ذي ظلمٍ إذا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّـــهُ مُنْهَلٌ بالــــرَّاحِ مَعْلُولُ[1] (١٤٢ب)

قَوْلُهُ: «تَجْلو عوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ» أيْ: تَجْلُو سُعادُ عوارِضَ ثَغْرٍ ذي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ، وتَجْلُو: مَعْنَاهُ تَكْشِفُ، يُقالُ: جَلَوْتُ الخَبَرَ أي كَشَفْتُهُ[٢]، والعَوارِضُ: جَمْعُ عارِضٍ، واختُلِفَ في مَعْنَاها، فَقيلَ: هي الأَسْنانُ كُلُّها[٣]، وهي اثنانٌ وثلاثُون سنًّا[٤]، ستَّةَ عَشَرَ من أَعْلى، وستَّةَ عَشَرَ منْ أَسْفَلُ، وهي أَرْبعُ ثَنَايا، ثِنْتَان منْ أَعْلى[٥]، وثِنْتَان منْ أَسْفَلُ؛ مُتَوسِطةً بَيْنَ الأَسْنَان، وأَرْبعُ رَباعِيات[٦]، بفَتْحِ الرَّاءِ وتَخْفيف[٧] ما بَعْدَ العَيْن، ثِنْتَان منْ أَعْلى وثِنْتَان منْ أَسْفَلُ، إلى جانب كُلِّ ثَنِيَّة رَباعِيَة، وأَرْبَعةُ أَنْياب، ثِنْتَان[٨] منْ أَعلى، واثنان منْ أَسْفَلُ، إلى جانب كُلِّ رَباعِيَة نابٌ، وأَرْبَعةُ ضواحك؛ اثْنَان منْ أَعْلى واثْنَان منْ أَسْفَلُ، إلى جانب كلِّ ناب ضاحكٌ، واثنا عَشَرَ رَحىً[٩]، ستَّةٌ منْ أَعلى وستَّةٌ منْ أَسْفَلُ، إلى جانب كلِّ ضاحكٍ[١٠] ثَلاثُ رَحىً منْ أَعْلَى وثلاثٌ من أَسْفَلُ[١١]، وأَرْبَعةُ نَواجذ، بفَتْحِ النُّون

---

(١) روى نفطويه وابن منظور وعبد اللطيف البغدادي: «تجلو غوارب» وغوارب كل شيء أعلاه (انظر حاشية على شرح بانت سعاد ج١ ص٤١٥ – ٤١٦ واللسان مادة ظلم ج٥/ ٢٧٢ وشرح بانت سعاد ص١٠٤).

– روى ابن بشران: «كأنه منهل بالكأس مغلول». (إسلام كعب بن زهير وقصيدته ص٨٠).

– روى بقية الرواة (السكري، التبريزي، ابن الأنباري، ابن هشام في السيرة، ابن سيد الناس، ابن هشام الأنصاري، القرشي، السبكي، ابن كثير، عبد القاهر الجرجاني) برواية السيوطي «معلول».

(٢) قوله: «تجلو: معناه تكشف، يقال: جلوت الخبر، أي: كشفته» منقول من شرح ابن هشام. (انظر ص٤١).

(٣) في ض: «هي للأسنان كلها».

– قوله: «قيل هي الأسنان كلها» ذكره عبد اللطيف البغدادي في شرحه للغريب في القصيدة واقتصر عليه. (شرح ابن هشام ص٤٣) وعلق عليه عبد القادر البغدادي: «هذا أحسن ما قيل فيها» (ج١/ ٤٢٢).

(٤) في ب: «وهي اثنتان وثلاثون سنة».

(٥) قوله: «وستة عشر من أسفل.. ثنتان من أعلى» ساقط من ض.

(٦) في ض: «وأربع رباعية».

(٧) في الأصل: «وتخفيفه».

(٨) كذا «ثنتان» في الأصل، وفي بقية النسخ «اثنتان».

(٩) كذا «اثنا عشر رحى» في الأصل، وفي بقية النسخ «اثني عشر رحى».

(١٠) في ل: «إلى جانب كل جانب كل ضاحك».

(١١) «ثلاث من أعلى وثلاث من أسفل» ساقط من ب، ك، ل.

وكَسْرِ الجِيْمِ، إلى جانبِ كُلٍّ ثلاثُ رَحىً ناجِذٌ، وهو ضِرْسُ الحُلُمِ الذي في أَقْصَى الأَسْنانِ. وَقِيلَ: هي الضَّواحكُ خاصَّةً[1]، وَقِيلَ: الضَّواحكُ والأَنْيابُ[2]، وَقِيْلَ الضَّواحكُ والرَّباعياتُ والأَنْيابُ[3]، وقِيلَ مِنَ الثَّنايا إلى أَقْصى الأَسْنانِ[4]، وقِيلَ مِنْ أَقْصى الثَّنايا إلى أَقْصَى الأَسْنانِ[5].

وذي: بمَعْنَى صَاحِبٍ، والظَّلْمُ بفَتْحِ الظَّاءِ: هي الأَسْنانُ وبَرِيقُها[6]، وقِيلَ: رِقَّتُها وَشِدَّةُ بَيَاضِها[7]، قالَ الجَوْهريُّ: «هو كالسَّوادِ داخلَ عَظْمِ السِّنِّ مِنْ شِدَّةِ البَيَاضِ»[8]، والابْتسامُ: الضَّحِكُ بغَيْرِ صَوْتٍ، وهو خلافُ القَهْقَهَةِ.

قَوْلُه: «كَأَنَّه مُنْهَلٌ بالرَّاحِ مَعْلُولُ»، أَيْ: كأَنَّ ذلكَ الثَّغْرَ شَارِبُ خَمْرٍ مُنْهَلٌ بالرَّاحِ، مَعْلُولٌ بها.

والمُنْهَلُ بِضَمِّ المِيمِ وفَتْحِ الهاءِ: الشَّارِبُ مَرَّةً أُولى، والرَّاحُ بالرَّاءِ والحَاءِ[9]: مِنْ

---

(١) في ض: «وقيل وهي الضواحك خاصة».
– هذا القول لثابت في كتاب خلق الإنسان. انظر شرح قصيدة بانت سعاد للتبريزي ص١٢ وشرح ابن هشام ص٤٢) قال البغدادي: أو ثابت مؤلف خلق الإنسان فهما اثنان، أحدهما ثابت بن أبي ثابت علي بن عبدالله الكوفي، وثانيهما ثابت بن أبي ثابت عبدالعزيز اللغوي، (حاشية ١/ ٤٢٢-٤٢٣)..

(٢) «وقيل الضواحك والأنياب» هو قول يعقوب بن السكيت (شرح ابن هشام ص٤٣) قال عبد القادر البغدادي: «الذي في الصحاح والعباب خلافه، قالا: قال ابن السكيت: العارض: الناب والضرس الذي يليه». (ج١/ ٤٢٦).

(٣) «وقيل الضواحك والرباعيات والأنياب» ساقط من ب.
– هذا القول حكاه اسحاق الموصلي عن بعض الأعراب. (شرح ابن هشام ص٤٣).

(٤) في شرح ابن هشام: «أنها من الثنايا إلى أقصى الأسنان، قاله جماعة».

(٥) في شرح ابن هشام «إنها من بعد الثنايا إلى أقصى الأسنان، قاله أبو نصر».
– ذهب عبد القادر البغدادي إلى القول إن هذا القول وسابقه قول واحد (انظر ج١/ ٤٢٤).

(٦) كذا «هي الأسنان وبريقها» في نسخة ك، ل وفي نسخة ب، ض: «هو ماء الأسنان وبريقها» وهو الأصوب.

(٧) كذا «وقيل رقتها وشدة بياضها» في الأصل، وفي بقية النسخ «وقيل شدة بياضها وبريقها».
– في شرح ابن هشام: «والظلم بفتح الظاء المعجمة، ومعناه ماء الأسنان وبريقها، وقيل رقتها وشدة بياضها» وقد نقله السيوطي دون إشارة إلى موضعه.

(٨) انظر الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مادة: ظلم ج٥/ ١٩٧٨.

(٩) في الأصل: «بالحاء والراء».

أَسْماء(١) الخَمْر، والمَعْلُولُ بفَتْحِ الميم واسْكان العَيْن: الشَّارِبُ مَرَّةً ثانيةً، والأَصْلُ في ذلكَ؛ أَنَّ الإِبلَ إذا وَرَدَت الماءَ وَشَرِبَتْ نُحِّيَتْ عَنْهُ(٢) إلى مَكَان تَقِفُ فيْه حَتَّى يَشْرَبَ غَيْرُها، ثُمَّ تُعادُ إلى الماء(٣) فَتَشْرَبَ ثانياً، فَيُقالُ: شَرِبَتِ الإِبلُ عَللاً بَعْدَ نَهْلٍ.

ومَعْنى البَيْت: أَنَّ سُعَادَ(٤) إذا ابتَسَمَتْ(٥) تَكْشِفُ في مَبْسَمِها(٦) عَنْ أَسْنان ذات ماء وبَريق، وذات بَيَاضٍ ورِقَّة، ولِطيب ثَغْرِها كَأَنَّهُ شَارِبُ راحٍ، شَرِبَتْ منْهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. وذلكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الغُنَّةُ وغَضُّ الطَّرْف وكَحَلُ العَيْنِ مما يُسْتَحْسَنُ في الظِّبَاءِ المُسْتَحْسَنَة في جِنْسِ الوَحْشِ، شَبَّهَ سُعادَ بظَبْي(٧)، ثُمَّ وَصَفَهُ(٨) بهذه الصِّفات على ما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ في البَيْتِ الذي قَبْلَهُ.

ولَمَّا كانَ الثَّغْرُ مما يُسْتَحسَنُ في البَشَر(٩) دونَ الظَّبْي، أَعادَ القَولَ بهِ إلى سُعادَ، فَذَكَرَ أَوَّلاً السَّبَبَ المُوْجِبَ إلى رُؤْيَة(١٠) ثَغْرِها، وهو الابْتِسامُ، مُشيراً إلى ذلكَ بوَصْفَيْنِ منْ أَوصاف المَدْحِ.

الصِّفَةُ الأُولى: طلاقةُ الوَجْه وبَشَاشَتُهُ، إذ الشَّخْصُ قَدْ يكونُ في غاية الحُسْنِ والجَمَال الفائق، ولكنَّهُ قُطُوبُ الوَجْه عَبُوسُهُ، فَيُؤَدِّي به ذلكَ إلى ذَهاب بَهْجَة حُسْنه، ورَوْنَق جَمَاله، وما أَحْسَنَ قَوْلَ السَّرِيِّ الرَّفَّاء(١١):

---

(١) «من أسماء» ساقطة من ب، ض.

(٢) في الأصل: «تنحت عنه».

(٣) في الأصل: «ثم تعاد إلى الماء» وفي بقية النسخ «ثم تعود إليه».

(٤) في ظ، ض: «إن سعاداً» بصرف سعاد، وهو لحن من الناسخ.

(٥) «ابتسمت» ساقطة من ب، ل، ض.

(٦) في ض: «في تبسمها».

(٧) «بظبي» ساقطة من ل، ض.

(٨) في ض: «ثم وصفها».

(٩) في ظ، ك: «البشرى».

(١٠) في الأصل: «الرؤية».

(١١) في الأصل: «السري الوفي».

– زاد في ب: «السري الرفاء رضي الله عنه» وزاد في ل، ض: «السري الرفاء عفى عنه».

– السري الرفاء: أبو الحسن السري بن أحمد بن السري الكندي، لقب بالرفاء لأنه كان في صباه يرفو الثياب ويطرزها، وهو عربي من قبيلة كنده، شاعر مطبوع، يجري في مذهب كشاجم الرملي، غير أنه كثير الافتنان بالتشبيهات والأوصاف، له مدح في سيف الدولة والوزير المهبلي، توفي سنة نيف وستين. (وفيات الأعيان ٢/٣٥٩-٣٦٢).

بروحيَ مَــنْ رَدَّ التَّحيَّــةَ ضاحكـــاً ... فَجَدَّدَ بَعْدَ اليَأْسِ في الوَصْلِ مَطْمَعِي[١]

وأيْضاً فَإنَّ طلاقَةَ الوَجْه تَدلُّ على الكَرَمِ، وعُبوسَتُهُ تَدُلُّ على اللُّؤْمِ، وإلى ذلكَ يُشيرُ بَعْضُهم بقَوْله[٢]:

تَلْقَى الكَريمَ فَتَسْتَدِلُّ ببِشْرِه ... وتَرَى العُبُوسَ على اللَّئيم دَلِيْلا

الوَصْفُ الثَّاني: الحَيَاءُ[٣] والخَفَرُ، فَإنَّ الضَّحكَ برَفْعِ الصَّوْت والقَهْقَهَة دَلِيْلُ الخفَّة، وسُقوط المُروءَة، ولا يَليقُ/ بذَوي الجَلالَة والخَفَر؛ ولذلكَ وَرَدَت الشَّريعَةُ بذَمِّ ذلكَ، والنَّهْي عَنْهُ[٤]، وقد جَاءَ في وَصْفه ﷺ «أنَّ ضَحكَهُ كان تَبَسُّماً»[٥]، وإلى ذَلكَ يُشيرُ الفَرَزْدَقُ في قَصيْدَته التي مَدَحَ بها زَيْنَ العابدينَ عَليَّ بنَ الحُسَيْن بن عَليّ ابن أبي طَالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ[٦] بقَوْله[٧]: (١٤٣أ)

---

(١) البيت من بحر الطويل.

– البيت هو الأول من مقطوعة مكونة من ثلاثة أبيات (ديوانه ج١ / ص١٩٣).

– في رواية الديوان «بنفسي» بدلاً من «بروحي».

(٢) «بقوله» ساقطة من ك.

– البيت: من بحر الكامل.

– قائله: محمد بن حازم الباهلي، قبله ثلاث أبيات. (ديوانه ضمن ما ينسب إليه مجلة المورد م٦ع٢، ١٩٧٧ ص٢١٥، انظر تخريجه هناك).

(٣) «الحياء» ساقطة من ض.

(٤) «عنه» ساقطة من ب، ض.

(٥) صفة ضحك النبي ﷺ: أخرج مسلم في صحيحه – كتاب الفضائل، باب تبسمه ﷺ وحسن عشرته ج٤ / ١٨١٠ برقم٢٣٢٢ من حديث جابر بن سمرة، وفيه حديث الصحابة في أمر الجاهلية «فيضحكون ويبتسم رسول الله ﷺ». وأخرجه الترمذي في المناقب برقم ٣٦٤٥ وفي الشمائل من حديث عبد الله بن الحارث رضي الله عنه برقم ٢٢٩: «ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسماً» وصححه الألباني في مختصر الشمائل ص١٢١ برقم ١٩٤، وأخرجه أحمد في المسند (٤ / ١٩٠، ١٩١).

(٦) زاد في نسخة ك: «كرم الله تعالى وجهه».

(٧) البيت من البحر البسيط.

– البيت في ديوان الفرزدق، وترتيبه الحادي عشر من قصيدة عدد أبياتها سبعة وعشرون بيتاً في مدح زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه(ج٢ ص٤٥٣). ونسب أبو الفرج الأصفهاني البيت مع آخر للحزين الكناني في مدح عبد الله بن عبد الملك ثم قال: «والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين بن أبي طالب، وهو غلط ممن رواه فيها، وليس هذا بالتبيان مما يمدح به =

يُغْضِي حَيَاءً ويُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ   فلا يُكَلَّمُ إلا حِـــينَ يَبْتَسِمُ

فَجَعَلَ التَّبَسُّمَ غَيْرَ قادحٍ في الحَيَاءِ، ولا مُزِيلٍ لِلْهَيْبَةِ، وغايَتُهُ الطَّلاقَةُ والبِشْرُ، كما قِيلَ في ذلكَ(١):

بِطلاقَةٍ أَبْدَتْ بِصَفْحَـــةِ وَجْهِهِ   وَضَحَ الصَّباحِ لِمَنْ لَهُ عَيْنانِ(٢)

ثُمَّ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ ثَغْرَها يَنْكَشِفُ ويبدو عِنْدَ ابتسامِهَا، وَصَفَهُ بأَنَّه(٣) «ذي ظَلْمٍ(٤)»، فَإِنْ فَسَّرنا الظَّلْمَ بماءِ الأَسْنانِ وبَرِيْقِها، كانَ التَّمَدُّحُ بها(٥) منْ وَجْهَيْنِ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: أَنَّ ماءَ الأَسْنانِ(٦) منَ الأَوْصافِ المُسْتَحْسَنَةِ، وما زَالَتِ المُحِبُّونَ تَسْتَعْذِبُهُ، والعُشَّاقُ تَسْتَلِذُّ به وتَسْتَطِيبُهُ، ولله القَائِلُ(٧):

أَهِيـــمُ إلى العَـــذْبِ مِـــنْ رِيقِـــهِ   إذا هَيَّـــمَ العاشِقِينَ العُذَيبُ(٨)

مثل علي بن الحسين عليهما السلام، وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد». (الأغاني ١٥/ ٣٢٥) وإلى الحزين الكناني جاء البيت مع أبيات أخرى في حماسة أبي تمام (تحقيق د. عبد الله عسيلان ج٢/ص٢٨٦). وروى ابن عبد البر البيت في قصيدة للفرزدق غير أنه قال: «وقول من قال: إن هذا الشعر قيل في علي بن عبيد الله بن جعفر أو في محمد بن علي بن حسين أصح عندي من قول من قال: إنه في علي بن الحسين ...» (بهجة المجالس ق١ ص٥١).

(١) في ذلك ساقطة من الأصل.
- البيت: من بحر الكامل.
- البيت لابن قلاقس (ت٥٦٧) يمدح ياسر بن بلال صاحب عدن، وهو ضمن قصيدة عدتها ثلاثة وثلاثون بيتاً (انظر ديوانه ص٥٥٩، معاهد التنصيص ٤/ ٢٣١).
- في رواية الديوان: «بطلاقة كتبت بصفحة وجهه».

(٢) كذا «بصفحة وجهه» في الأصل، وفي بقية النسخ «بصفحة خده».

(٣) في الأصل: «وصفها أنه» وفي هامشه: «بأنه وصفها» صح.

(٤) كذا «بأنه ذي ظلم» في ك أيضاً، وفي بقية النسخ: بأنه «ذو ظلم».

(٥) كذا «التمدح بها» في الأصل، وفي ك: «كان المدح بها» وفي بقية النسخ: «كان المدح لها».

(٦) في ل: «أن ماء الانسان» وهو تحريف.

(٧) كذا «ولله القائل» في ك، وفي هامش الأصل: «ولله در القائل» وكذلك بقية النسخ.
- البيتان: من بحر المتقارب.
- البيتان من غير عزو في ديوان الصبابة ص٦٦.

(٨) في ديوان الصبابة: «أهم» بدلاً من «أهيم» و «كما هيم» بدلاً من «إذا هيم».

شَهِدْتُ عَلَيْهِ و مـــا ذُقْتُـــــهُ   ولكنَّ عِنْدي من الغيب غَيْبُ (١)

الوَجْهُ الثّاني: أَنَّ بَريقَ الأَسْنان مـمَّا يُتَمَدَّحُ به(٢)، ويُرْغَبُ إليه، وَقَدْ جَاءَ في وَصْفِه ﷺ «بَرَّاقُ الثَّنَايا(٣)»، ومـا أَحْسَنَ قَوْلَ النُّمَيْريِّ(٤) رَضِي اللهُ عَنْهُ في ذلكَ(٥):

كـــأَنَّ وَميضَ البَرْقِ بَيْني وبَيْنَهـــا   إذا كانَ مِنْ بَعْضِ البُيوتِ ابْتِسامُها(٦)

وإِن فَسَّرنا(٧) الظَّلْمَ بِرِقَّةِ الأَسْنَانِ، وشِدَّةِ بَياضِها، كانَ التَّمَدُّحُ به(٨) مِنْ وَجْهَيْنِ:

---

(١) في ظ «شهد» وهو تحريف يختل به الوزن.
- كذا «ولكن عندي من الغيب غيب» في ب، ل، ض، وفي ظ وك: «ولكن من الغيب غيب» والوزن مختل.
- في ديوان الصبابة «يقينا ولكن من الغيب غيب».

(٢) كذا «مما يتمدح به» في ك، ب أيضاً وفي ل، ض: «مما يمتدح به».

(٣) أخرج الدارمي في سننه (١ / ٣٠) باب في حسن النبي ﷺ، وعنه الترمذي في الشمائل ص١٤ برقم ١٤، ومن طريق البغوي في شرح السنة (٧ / ٢٤ برقم ٣٥٣٨). وأخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٣ / ٣٦٠) ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (١ / ٢١٥) كلاهما (الدارامي ويعقوب) عن إبراهيم بن المنذر، ثنا عبد العزيز بن أبي ثابت الزهري، ثنا اسماعيل بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين، وكان إذا تكلم رئي كالنور بين ثناياه».
وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٧٩) إلى الطبراني في الأوسط وقال: عبد العزيز بن أبي ثابت ضعيف، وعزاه للطبراني في الأوسط وإلى ابن عساكر في تاريخه أيضاً السيوطي في الخصائص الكبرى (١ / ٦٢) وضعفه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية ص٢٩.

(٤) النميري: هو محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة الثقفي، من شعراء الدولة الأموية، شاعر غزل، مُوَلَّد، كان منشؤه الطائف، كان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم، أخت الحجاج، وله فيها أشعار كثيرة يتشبب بها. (الأغاني ج٦ ص١٩٠).

(٥) كذا «وما أحسن قول النميري رضي الله تعالى عنه في ذلك» في ك أيضاً، وفي ب، ل، ض: «وما أحسن قول النميري في ذلك رضي الله تعالى عنه» وسقط «تعالى» و«في ذلك» من الأصل.

(٦) البيت من بحر الطويل.
- كذا «من بعض البيوت» في ل، ك، وفي ب، ض: «من بعض السيوف».
- البيت مع آخر في ديوان الصبابة ص٢٣٠، وروي فيه «إذا حان» بدلاً من «إذا كان».

(٧) كذا «وإن فسرنا» في ك، وفي بقية النسخ «وإذا فسرنا».

(٨) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ: «كان المدح به».

الوَجْهُ الأَوَّلُ: أنّ رِقَّةَ الأَسْنَان مِمَّا يُسْتَحْسَنُ في الإِنْسَانِ(١)، ويُعَدُّ مِنْ أَوْصافِ الجمالِ، وَقَدْ قِيلَ: يُسْتَحْسَنُ في المرأَةِ رِقَّةُ(٢) أَرْبَعَةٍ: سِنُّها وخَصْرُها وأَنْفُها وبَنَانُها، وغِلَظُ أَرْبَعَةٍ: سَاقُها ومِعْصَمُها وعَجِيزَتُها وما هُنالك، وسَعَةُ(٣) أَرْبعة: جَبينُها وجَبْهَتها وعَيْنَيْها(٤) وصَدْرُها، وضِيقُ أَرْبَعَةٍ: فَمُها ومَنْخَرُها ومَنْفَذُ أُذُنِها وما هُنَالِكَ، وطُولُ أَرْبَعَةٍ: أَطْرافُها وقامَتُها وشَعْرُها وعُنُقُها، وقِصَرُ أَرْبَعَةٍ: يَدُها و رِجْلُها ولِسَانُها(٥) وعَيْنَيْها(٦)؛ بِمَعْنَى(٧) أَنَّها تُقَصِّرُ يَدَها عَنْ بَذْلِ ما في بَيْتِها، وَرِجْلَها(٨) عَنِ الخُروجِ منه، ولِسانَها عن الاستطالَةِ به، وعَيْنَها(٩) عَنْ ما في يَدِ(١٠) غَيْرِها.

الوَجْهُ الثَّاني: أَنَّ بَياضَ الأَسْنان مما يُسْتَحْسَنُ في الإِنْسانِ، وتَتَطَلَّعُ(١١) إليه النُّفوسُ، وتَنْبَعِثُ إليه الخَواطِرُ، ولِلَّه القَائِلُ(١٢):

---

(١) كذا في الإنسان في ب، ل، ض ، وفي ك: «في إنسان» وفي الأصل: «في الأسنان».

(٢) كذا في ك، وفي ب ، ل، ض: «دقة» بالدال مهملة ولعله الأصوب .

(٣) في الأصل: «ووسعة».

(٤) كذا «وعينيها» في ك أيضاً، وفي بقية النسخ «وعينها» بالإفراد.

(٥) «لسانها» ساقطة من ب، ومستدركة بهامش ض.

(٦) كذا «وعينيها» في الأصل.

(٧) «بمعنى» ساقطة من ض.

(٨) زاد في ض:«رجلها ولسانها».

(٩) كذا في الأصل وباقي النسخ، والمقتضى «عينيها» لتناسب ما سبق ذكره في قوله: «لسانها وعينيها».

(١٠) في ض: «في أيدي».

(١١) في ض: «وتطلع».

(١٢) كذا «ولله القائل» في ك أيضاً، وفي بقية النسخ «ولله درّ القائل».

- البيت من بحر البسيط .

- قائله: الحريري (أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري) والحريري نسبة إلى الحرير، وهو عمله أو عمل أبيه، له عدد من التآليف سوى المقامات منها درة الغواص في أوهام الخواص، ملحة الإعراب، وله ديوان رسائل وشعر، توفي سنة ٥١٥ (انظر وفيات الأعيان ٤/٦٣-٦٤).

- البيت في مقامات الحريري ص٢٥ - المقامة الثانية - الحلوانية ، وفي (غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ص١٤٥ ومعاهد التنصيص ١/٨٩).

تَفْتُر عن لُؤلؤ رَطْـــــبٍ وعَنْ بَـــرَدْ   وعَنْ أَقاحٍ وعن طَلْعٍ وعن حَبَبْ[١]

فَشَبَّهَ ثَغْرَها باللُّؤْلُؤِ لشدَّة بَيَاضِه ونَقائه، فَفيه دَلالَةٌ على وَصْفَيْنِ آخَرَيْن، ممَّا يُسْتَحْسَنُ ويُرْغَبُ إليه:

الأَوَّلُ: حَـدَاثَةُ السِّنِّ؛ فَـإِنَّ الإِنْسَـانَ كُلَّمـا طَعَنَ في السِّنِّ تَغَـيَّـرَ لَوْنُ أَسْنَانِه عَنِ البَيَاضِ إلى الصُّفْرَة، أو الخُضْرَة .

الثَّاني: النَّظَافَةُ؛ لأَنَّ تَغَيُّرَ الأَسْنَان[٢] إِنَّما يَصْدُرُ عَنْ تَرْك السِّواك، وعَدَم تَعَهُّد الأَسْنَان، وَقَدْ رُويَ أَنَّ بَعْضَ السَّلَف رأى امرأَتَهُ وهي تُخَلِّلُ أَسْنَانها فَطَلَّقَـها، فَسَأَلَتْهُ عن ذلكَ فقـالَ: إنْ كـانَ عَنْ[٣] شَيْءٍ بَقِيَ مِنْ فَضْلَة عَشَـاك بَيْنَ أَسْنَانك[٤]، فَأَنْت قَذرَةٌ، وإِنْ كانَ غداءً[٥] اسْتَعْجَلْت به عَنْ يَوْمك[٦]، فَأَنْت شَرِهَةٌ، وكَانَتْ صالحَةً فَقَالَتْ: إِنَّما ذلكَ لنَفَاثَة منَ السِّواك تَخَلَّلتْ أَسْناني، فَسَاءَهُ ذلكَ[٧]. وما أَحْسَنَ قَوْلَ الشَّيْخِ شَرف الدِّيْن الأَبوصيريِّ رَحِمَهُ[٨] اللهُ في قَصِيدَةٍ[٩] يَهْجُو بهـا النَّصـارى، مُشيراً إِلى خُضْرَة أَسْنَانِهِمْ وصُفْرَتها[١٠]:

---

(١) زاد في ب، ل، ض بيتاً قبل هذا البيت هو:

روحي الفداء لثغر راق مبسمه   وزانه شنب ناهيك عن شنب

- في ل: «يفتر».

(٢) في الأصل: «لأن تغير السن».

(٣) «عن» ساقطة من ض.

(٤) في الأصل: «في أسنانك».

(٥) كذا «غداء» في ب، ل، ض لكن بالقصر «غدا» وفي ب: «غذاء» بالذال معجمة.

(٦) في ك، ل: «استعجلتيه ليومك» وفي ب، ض: «استعجلته ليومك».

(٧) في ض: «فساه ذلك».

(٨) زاد في ل: «رحمه الله تعالى».

- البوصيري: هو أبوالقاسم هبة الله بن علي بن مسعود، المصري المولد والدار، المنستيري (منطقة بين المهدية وسوسة) الأصل. كان أديباً كاتباً له سماعات عالية وروايات في الإسناد تفرد بها، ولد سنة ست وخمسمائة بمصر، وتوفي فيها سنة ثمان وتسعين وخمسمائة (وفيات الأعيان ٦/٦٧).

(٩) في الأصل: «في قصيدته».

(١٠) «وصفرتها» ساقطة من ب، ل، ض.

- زاد في ض: «بقوله».

- البيت من بحر الكامل.

- البيت هو الخامس والثلاثون من قصيدة عدتها واحد وخمسون بيتاً قالها البوصيري مهنئاً فخر الدين بقدومه وهجاء النصارى (ديوانه ص٥٠).

مُقَلَّحـةٍ أَسْنَانُهم فكَـأنَّمـا أَصابَ بها الرَّيْحَانُ أَحْجَارَ كَهْرَبا[١]

ولَمَّا وَصَفَ ثَغْرَها بأَنَّهُ ذو ظَلْمٍ على ما تَقدَّمَ، شَبَّهَهُ بِشارِبِ راحٍ شَرِبَ[٢] منْهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرى، وَهُو يَحْتَمِلُ تَأْويلَيْن[٣]:

/ **الأَوَّلُ**: أَنْ يُريدَ أَنَّ رِيقَها امْتَزَجَ بالرَّاحِ[٤]، واخْتَلَطَ بِهِ، واكتَسَبَ مِنْ مَعَانيها، (١٤٣ب) وصارَ شَبيهاً بها، وإلى ذلكَ يُشيرُ بَعْضُهُم[٥] بقَوْلِه[٦]:

تُديـرُ لَنَـا مَرَاشِفُهـا عقـاراً قَرِيْبَ العَهْدِ مِنْ كَأْسٍ مُدارِ[٧]

ثُمَّ يُحْتَمِلُ أَنْ يريدَ أَنَّ في[٨] فَمِها طَعْمَ الخَمْرِ كَمَا قَالَ بَعْضُهم[٩]:

إِذا ذُقْتُ فاهـا قُلْتُ طَعْمَ مُدامَةٍ مُعَتَّقَةٍ مِمَّا يَجِيءُ بِهِ التُّجُرْ[١٠]

---

(١) كذا «فكأنما» في نسخة ك، ل، وفي ب، ض: «فكأنها» – وهي رواية الديوان.

– في رواية الديوان:

مُفَلَّجة أسنانهـا فكأنهـا أصابَ بها الزِّنجارُ أحجار كهربا

– مُقَلَّحة: مصفرة، القَلَحُ والقلاح: صفرة تعلو الأسنان في الناس وغيرهم، وقيل هي أن تكثر الصفرة على الأسنان وتغلظ ثم تسود أو تخضر. (اللسان مادة قلح، ج٣/٣٩٩).

(٢) في ب، ض «يشرب».

(٣) في الأصل: «وهو يحتمل التأويلين».

(٤) في الأصل «الخمر».

(٥) زاد في ل «يشير بعضهم رضي الله عنه».

(٦) البيت من البحر الوافر.

– قائله: شهاب الدين أحمد بن حجلة المغربي (انظر ديوان الصبابة ص٢٣٣).

– البيت هو الرابع من مقطوعة تعدادها أربعة أبيات (انظر ديوان الصبابة ص٢٣٢–٢٣٣).

(٧) كذا «تدير لنا مراشفها عقارا» في ب، ل، ض، وفي ظ، ك: «تدير لنا من مراشفها عقاراً» ويختل الوزن بذلك.

– كذا «مدار» في ديوان الصبابة بكسر الراء، إذ حركة حرف الروي الكسر، وهو الصواب، وفي الأصل «مدارا» باشباع الفتحة وفي ك: «بدارا» وفي ب، ل، ض: «بدار».

(٨) «في» ساقطة من ل، ض.

(٩) البيت: من بحر الطويل.

– قائله: امرؤ القيس.

– البيت هو الخامس في ترتيب روايته في قصيدة عدد أبياتها تسعة عشر بيتاً (ديوان امرئ القيس ص١١).

(١٠) في ض: «مقنعة»، وهو تحريف.

– كذا «يجيئ به» في ك، وهي رواية الأصمعي في الديوان، وفي ب، ل، ض: «تجيئ به».

ومـعْنَى التَّجْرِ: جَـمْعُ تُجارٍ، كَكُتُبٍ جَـمْعُ كِـتابٍ(١). ويُحْـتَـمَلُ أنْ يُـرِيْدَهُـما جَميعاً، أي: أنَّ فيهِ رائحةَ الخَمْرِ، كَمَا(٢) قَالَ بَعْضُهُمْ(٣):

لِنَكْهَتِهـــا تَحْكِي المُدامَـةُ رِيْقَهـــا وكالشَّهْدِ بَلْ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ رِيْقُها(٤)

ويُحْتَمَلُ أنْ يُرِيدَهُما جَميعاً.

التأويلُ الثَّاني: أنْ يُريدَ أنَّ رِيقَها نَفْسَهُ في مَعْنَى الخَمْرِ، وعلى ذلكَ مَدارُ أكثرِ الشُّعَراءِ في أشعارِهِم، ولِلَّهِ القَائِلُ(٥):

واللهِ مـــــا أَدْرِي لأَيَّـةِ عِلَّـةٍ يَدْعونَ هذا الرَّاحَ باسْمِ الرَّاحْ(٦)

---

(١) قوله «التجر جمع تجار» قد يفهم منه أن تجاراً جمع فالتجر على ذلك جمع جمع (تجار) غير أن المثال المضروب «ككتب جمع كتاب» يدل على أن تجار مفرد بمعنى تاجر، غير صحيح. قال ابن منظور: «رجل تاجر والجمع تجار بالكسر والتخفيف تُجَّار وتَجْر، مثل صاحب وصحب، فأما قوله (إذا ذقت فاها... البيت) فقد يكون جمع تجار، على أن سيبويه لا يطرد جمع الجمع، ونظيره عند بعضهم قراءة من قرأ (فرهن مقبوضة) قال: هو جمع رهان الذي هو جمع رهن، وحمله أبو علي على أنه جمع رَهْن كَسَحل وسُحُل، وإنما ذلك لما ذهب إليه سيبويه من التحجير على جمع الجمع إلا فيما لا بدّ منه، وقد يجوز أن يكون التجر في البيت من باب (أنا ابن ماوية إذا جد النَّقُرْ) على نقل الحركة، وقد يجوز أن يكون التجر جمع تاجر، كشارف وشرف وبازل وبُزُل، إلا أنه لم يسمع إلا في هذا البيت. (اللسان مادة تجر ٥/١٥٦).

(٢) «كما» ساقطة من ب، ض.

(٣) زاد في ب، ل، ض: «رضي الله عنه».
- البيت: من بحر الطويل.
- قائله: لم أقف عليه.

(٤) كذا «تحكي» في ب، ل، ض وفي ك «يحكي».
- «بل» ساقطة من ب، ض.

(٥) زاد في ب، ل، ض: «وله در القائل».
- البيتان: من بحر الكامل.
- قائلهما: ابن الرومي.
- البيتان هما الخامس عشر والسادس عشر في ترتيب رواية القصيدة التي عدد أبياتها ثلاثة وثمانون بيتاً وقافيتها مقيدة (انظر ديوان ابن الرومي ج١/ص٣٥٠).

(٦) في ب، ض: «والله لا أدري».
- في رواية الديوان: «تالله» بدلاً من «والله» و «يدعونها في الراح» بدلاً من «يدعون هذا الرّاح».

أَلِرِيْحِها أَمْ رَوْحِهــا أم رُوحِهـــا   أم لارْتِياحِ نَدِيْمِها المُرْتَــاحْ[1]

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ سَاغَ[2] أَنْ يَتَغَزَّلَ في مِثْلِ هذه القَصِيْدَةِ بذِكْرِ الخَمْرِ الَّتي هي أمُّ الخَبَائِث، مَعَ كَوْنِ تَحْرِيمِها سَابِقاً عَلَى إِسْلامِه، فَإِنَّ تَحْرِيمَ الخَمْرِ في سَنَةِ ثَلاثٍ مِنَ الهِجْرَةِ[3]، وإِسلامُهُ بَعْدَ مُنْصَرَفِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ في سَنَةِ ثَمانٍ[4]، فالجَوَابُ: أَنَّهُ جَرَى في ذلكَ على عَادَةِ العَرَبِ في أَشْعارِهِم مَعَ قُرْبِ عَهْدِه بالإِسْلام، كما تَقَدَّمَ في الكلامِ على التَّغَزُّلِ في المَرْأَة، وإِذا[5] تَعَرَّضَ لِذِكْرِ الرَّاحِ ومُتَعَلَّقاتِها في هذا البَيْتِ والذي بَعْدَهُ، فلا بُدَّ مِنْ مُتَابَعَتِه على ذلكَ، وإِيرادِ ما تَرْجِعُ إِليه مَعاني كلامِه، مِثْلَ[6] الأَدِيبِ[7] الذي يَخُوضُ في كُلِّ فَنٍّ .

وقد حَكَى الحَرِيْرِيُّ في دُرَّةِ الغَوَّاصِ عَنْ حَامِدِ[8] بنِ العَبَاسِ أَنَّهُ سَأَلَ مَرَّةً[9] عَلِيَّ ابن عِيْسَى في دِيْوانِ الوَزارَةِ عن دَواءِ الخَمَّارِ، فَأَعْرَضَ عن كَلامِه وقالَ: مَا أَنا وهَذه المَسْئَلَةِ؟! فَخَجِلَ حَامِدٌ[10] مِنْهُ، ثُمَّ التَفَتَ إِلى قاضِي القُضاةِ أَبِي عَمْرٍو فَسأَلَ مِنْهُ عَنْ

---

(١) في رواية الديوان «ولروحها تحت الحشا» بدلاً من «أم روحها أم روحها».

(٢) «كيف ساغ» ساقطة من الأصل.

(٣) نزل تحريم الخمر في سنة ثلاث بعد وقعة أحد ، وكانت وقعة أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة ، وجاء التحريم في قوله تعالى: ﴿ **يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه** ﴾ (المائدة: آية ٩٠) وقد اجتمع في هذه الآية وما يليها إلى آية ٣٩ أدلة التحريم في صيغة الأمر «فاجتنبوه» التي اقترنت مع نصوص الأحاديث في هذا الشأن وإجماع الأمة، وفي وصفها بالرجس وهو السخط عند ابن عباس، وفي الوعيد الشديد الزائد على معنى انتهوا ﴿ **فهل أنتم منتهون** ﴾ وفي تأكيد التحريم وتشديد الوعيد في قوله تعالى: ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا** ﴾ وفي التوعد لمن يخالف الأمر ﴿ **فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين** ﴾ (انظر الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٢٨٥-٢٩٣).

(٤) في الأصل: «سنة ثمانية» وهو لحن من الناسخ.

(٥) في ض: «وإذ».

(٦) زاد في ب، ل، ض: «في مثل».

(٧) في الأصل: «فقد الأديب».

(٨) كذا «حامد» في درة الغواص أيضاً وفي بقية النسخ «حماد»، وهو تحريف (درة الغواص في أوهام الخواص/ ص١٢٢ ط مكتبة المثنى).

(٩) «مرة» ساقطة من ض.

(١٠) كذا «حامد» في درة الغواص أيضاً، وفي بقية النسخ «حماد» وهو تحريف .

ذلكَ(١)، فَتَنَحْنَح القاضِي لإِصْلاحِ صَوْتِه ثُمَّ قالَ: قالَ اللهُ تعالى: ﴿ **وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذوهُ، وما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهوا** ﴾(٢) وقالَ رسُولُ الله ﷺ: «اسْتَعِيْنوا عَلَى كُلِّ صَنْعَةٍ بِصَالحٍ مِنْ أَهْلِها(٣)» والأَعْشَى هو المَشْهورُ بِهذِهِ الصِّناعَةِ في الجاهِلِيَّة، وقَدْ قالَ(٤):

وكَأْسٍ شَرِبْتُ على لَذَّةٍ ... وأُخْرَى تداوَيْتُ مِنْها بِهَا

ثُمَّ تَلاهُ أَبُو نُواسٍ(٥) فَقَال(٦):

دَعْ عَنْكَ لومي فَإِنَّ اللَّومَ إِغْراءُ ... ودواني بالَّتي كانَتْ هِيَ الدَّاءُ(٧)

فَأَسْفَرَ(٨) حِينَئذٍ وَجْهُ حَامدٍ(٩) وقالَ: ما ضَرَّكَ يا باردُ لو تُجِيْبُ بِمَا أَجابَ بِهِ

---

(١) كذا «فسأل منه عن ذلك» في جميع النسخ، وفي درة الغواص: «فسأله عنه ذلك».

(٢) سورة الحشر: آية رقم ٧.

تمامها: ﴿ **وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم، وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله، إن الله شديد العقاب** ﴾.

(٣) في درة الغواص: «استعينوا بالصناعات بأهلها».

- قال السيوطي في الدر المنتشرة (ص٣٧) وعنه الصعدي في النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة (برقم ١٩٠) ومحمد بن درويش الحوت في الأحاديث المشكلة في الرتبة (ص ٦٣) قال: «لم يرد بهذا اللفظ وورد معناه». قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص٥٧ برقم ١٠٥): قد يستأنس له بقوله ﷺ: «ما كان أمر دنياكم فإليكم» (وانظر كشف الخفاء ١ / ١٢٢ برقم ٣٤٠).

(٤) البيت من بحر المتقارب.

- البيت هو السابع عشر من قصيدة عدد أبياتها تسعة وعشرون بيتاً. (انظر ديوان الأعشى ص١٧٣).

(٥) كذا «أبو نواس» في ل، ب، ض، وفي ظ، ك: «أبو النواس».

(٦) من قوله: «وكاس شربت ... فقال» ساقط من متن ل، ومستدرك بهامشها.

- البيت من بحر البسيط.

- البيت هو الأول من قصيدة عدد أبياتها اثنا عشر بيتاً (انظر ديوان أبي نواس ص٢٢٥).

(٧) «عنك» ساقطة من الأصل.

(٨) كذا «فاسفر» في ك، ل، وفي ب، ض: «فاصفرّ».

(٩) كذا «حامد» في درة الغواص، وفي بقية النسخ «حماد».

القَاضِي، وَقَدْ اسْتَظْهرَ في جَوابِ المَسْئلَة(١) بِقَوْلِ اللّه تَعَالَى(٢) أَوَّلاً، ثُمَّ بِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ ثانياً، وبيَّنَ(٣) الفُتْيَتَيْنِ(٤)، وَأَدَّى المَعْنَى، وَتَبَرَّأَ منَ العُهْدَةِ، فَكانَ خَجَلُ عَليِّ ابنِ عيْسى منْ حامدٍ(٥) بهذا الكلامِ أَكْثَرَ منْ خَجَلِ حَامدٍ(٦) منْهُ، لَمَّا ابتَدأَهُ بالمَسْئَلَةِ(٧). واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بالصَّواب(٨).

---

(١) كذا «استظهر في جواب المسألة»...

– كذا «استظهر في جواب المسألة» في درة الغواص أيضاً، وفي بقية النسخ «استظهر بالجواب عن المسئلة».

– استظهر في الجواب: احتاط، يقال استظهر ببعيرين ظهْريين محتاطاً بهما، ثم أقيم الاستظهار مقام الاحتياط في كل شيئ. (اللسان، مادة ظهر ج٦/٢٠٢).

(٢) «تعالى» زيادة في الأصل وسقطت من بقية النسخ.

(٣) «بين» ساقطة من ض.

(٤) في ب: «وبين البيتين» وفي ل: «وبعد البيتين».

– في درة الغواص: «وبين الفتيا» وهو الصواب.

(٥) كذا «حامد» في درة الغواص أيضاً وفي بقية النسخ «حماد».

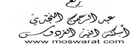
– في ب، ل، ض: «بن حماد».

(٦) كذا «حامد» في درة الغواص، وفي بقية النسخ «حماد».

(٧) بقوله: «لما ابتدأه بالمسألة» انتهى كلام الحريري في درة الغواص.

– نقل عبد القادر البغدادي هذه الحكاية في هذا الموضع من شرح البيت ملتفتاً إلى شرح السيوطي هذا (انظر حاشية على بانت سعاد ج١/٤٩٦).

(٨) في ب: «والله أعلم».



البَيْتُ الرَّابِعُ

شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَـاءِ مَحْنِيَةٍ   صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وهومَشْمُولُ[١]

/ **قَوْلُهُ**: «شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ[٢] مِنْ ماءِ مَحْنِيَّةٍ صَافٍ»، أَيْ: شُجَّتْ تِلْكَ الرَّاحُ (١٤٤أ) بماءِ ذي شَبَمٍ منْ ماءِ مَحْنِيَّةٍ صَافٍ عَنِ الكَدَرِ، أَيْ: مُزِجَتْ مَزْجاً يَكْسِرُ سَوْرَتَها[٣]، والأَصْلُ في الشَّجِّ: الشَّقُّ والكَسْرُ، ومنْهُ الشِّجَاجُ في الرَّأْسِ، وذي: بمَعْنَى صَاحِبٍ، كَمَا في البَيْتِ الذي قَبْلَهُ، والشَّبَمُ بفَتْحِ الشِّيْنِ المُعْجَمَةِ[٤] والباءِ المُوَحَّدَةِ: شِدَّةُ البَرْدِ، والمَحْنِيَّةُ بفَتْحِ الميْمِ وإِسْكانِ الحَاءِ وكَسْرِ النُّونِ وفَتْحِ الياءِ آخرِ الحُروفِ بَعْدَها تَاءُ التَّأْنيثِ: مـا انعطَفَ منَ الوادي، أَخْذاً منْ قَولِهِمْ: حَنَوْتُ القَوْسَ[٥]: إِذا عَطَفْتُهُ بالإِيتارِ[٦]. والصَّافي: خِلافُ الكَدَرِ.

قَوْلُهُ: «بِأَبْطَحَ أَضْحَى وهو مَشْمولُ[٧]»، أي: ذلكَ الماءُ كـائنٌ بِأَبْطَحَ[٨]، أَضْحَى ذلكَ الماءُ وهو مَشْمولٌ، والأَبْطَحُ: مَسيلُ الماءِ الواسعِ الذي فيـه دقاقُ الحَصَى[٩]، ومِنْهُ سُمِّيَ[١٠] مَسيلُ مَكَّةَ أَبْطَحَ، وأَضْحَى: أَيْ دَخَلَ في[١١] وَقْتِ

---

(١) روى ابن بشران (ص٨٠) وعبد القاهر الجرجاني (دلائل الاعجاز ص١٧). والسبكي (طبقات الشافعية): «شجَّ السقاة عليه من ماء محنية»..

– قال ابن الأثير: «ويروى شبِم بكسر الباء وفتحها على الإسم والمصدر» (النهاية في غريب الحديث) قال البغدادي: «ونقله صاحب النبراس وأقره» ثم ردّ قولهما في حاشيته على بانت سعاد (انظر ١/٥٢٦–٥٢٧).

(٢) «بذي شبم» ساقطة من ك، ض.

(٣) في ض: «بكسر سورتها».

(٤) «المعجمة» ساقطة من ك، ض.

(٥) في الأصل: «حنوت النفوس».

(٦) عطفته بالايتار: أي شددته بالأوتار.

(٧) كذا في ك أيضاً، وفي ب، ل، ض: «بأبطح أضحى ذلك الماء وهو مشمول».

(٨) قوله: «أي: ذلك الماء كائن بأبطح» ساقطة من ب، ض.

(٩) قوله: «الأبطح: مسيل... دقاق الحصى» منقول من شرح ابن هشام (انظر ص٧٥) قال عبدالقادر البغدادي: «وهذا تعريف الخليل والفارابي والجوهري» (ج١ ص٥٤٥).

(١٠) «وسمى» ساقطة من ب، ض.

(١١) «في» ساقطة من ظ، ل.

الضُّحى، والمَشْمُولُ[١]: بفَتْحِ المِيمِ وإِسْكانِ الشِّيْنِ: الماءُ الذي ضَرَبَتْه رِيحُ الشَّمالِ حَتَّى بَرَدَ، ومِنْهُ قِيلَ: خَمْرَةٌ مَشْمولَةٌ، إذا كانَتْ بارِدَةَ الطَّعْمِ[٢].

ومَعْنَى البَيْت: أنَّ الماءَ الذي مُزِجَتْ به تِلْكَ الرَّاحُ[٣] بارِدٌ صافٍ، أُخِذَ مِنْ مُنْعَطَفِ الوادي في مَسِيلٍ واسِعٍ، تُرْبَتُهُ دِقاقُ الحَصَى، وكانَ أَخْذُهُ مِنْهُ في وَقْتِ الضُّحى بَعْدَ أَنْ ضَرَبَتْهُ رِيحُ الشَّمالِ حَتَّى بَرَدَ. وذلكَ أنَّهُ لَمَّا شَبَّهَ ثَغْرَها بِمَنْهَلٍ مَعْلُولٍ بالرَّاحِ على ما تَقَدَّمَ في البَيْتِ الذي قَبْلَهُ، شَرَعَ في وَصْفِ الرَّاحِ التي شَبَّهَ الثَّغْرَ بِها فَوَصَفَها أَوَّلاً بأَنَّها مُزِجَتْ بالماءِ.

واعْلَمْ أنَّ الخَمْرَ إذا بَقِيَتْ على صَرَافَتِها مِنْ غَيْرِ خَلْطِ ماءٍ بها[٤] قِيلَ: صِرْفٌ، فإِنْ صُبَّ عَلَيْها ماءٌ، قِيلَ: مُزِجَتْ؛ قَلَّ المَزْجُ أَوْ كَثُرَ، فإِنْ كانَ بِحَيْثُ رَقَّقَها ولَطَّفَها ولم يَكْسِرْ سَوْرَتَها، قِيلَ: شُعْشِعَتْ، فإِنْ زِيدَ على ذَلِكَ حَتَّى كُسِرَتْ سَوْرَتُها[٥]، قِيلَ: شُجَّتْ[٦]، فإِنْ زِيدَ عَلَى ذلِكَ حَتَّى ذَهَبَتْ قُوَّتُها، قِيلَ: قُتِلَتْ.

وَقَدْ اخْتَلَفَ نُدَماؤُها؛ هَلِ الأَوْلَى شُرْبُها صِرْفاً أَوْ مَمْزوجَةً، فَذَهَبَ قَوْمٌ إلى اخْتِيارِ الصِّرْفِ، وإلى ذلكَ يُشيرُ حَسَّانُ بنُ ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ[٧] في الجاهِلِيَّةِ:

إِنَّ التـي ناوَلْتَنِـي فَرَدَدْتُهـا … قُتِلَتْ قُتِلْتَ فَهاتِها لَـمْ تُقْتَلِ

كِلْتاهُما حَلَبُ العَصِيرِ فَعاطِنِي … بِزُجَاجَةٍ أَرْخاهُمَا لِلْمَفْصِلِ

---

(١) في الأصل: «والمشموم» وهو تحريف.

(٢) قوله: «الماء الذي ضربته ريح الشمال ... باردة الطعم» منقول من شرح ابن هشام (انظر ص٥٨).

(٣) «الراح» ساقطة من ب، ض.

(٤) كذا «من غير خلط ماء بها» في ب، ك، ض، وفي ظ، ل: «من غير خلط مائها».

(٥) كذا «كسرت سورتها» في ل أيضاً، وفي بقية النسخ «انكسرت سورتها».

(٦) قوله: «حتى انكسرت سورتها قيل شجت» ساقطة من ب، ض.

(٧) «بقوله» ساقطة من الأصل.

- البيتان من بحر الكامل.

- البيتان هما العشرون والحادي والعشرون من قصيدة عدتها تسعة وعشرون بيتاً. (انظر ديوان حسان تحقيق د. سيد حنفي ص١٢٤).

إنَّه[١] رَدَّ الكَأْسَ على ساقيْها حَيْثُ قَتَلَها بالمَزْجِ بقَوْله: «إنَّ التي ناولْتَني فَرَدَدْتُها قُتلَتْ»، ثُمَّ دَعا عَلَيْه لكَوْنه قَتَلَها بالمَزْجِ بقَوْله: «قُتلْتَ»، ثُمَّ طَلَبَها صَرْفاً بقَوْله: «فَهاتِها لَمْ تُقْتَلِ»، ثُمَّ سَوّى بَيْنَ الصَّرْفِ والمَمْزوجَةِ في الرُّجوعِ إلى أَصْلٍ واحدٍ وهو العَصيرُ بقَوْله: «كِلْتاهُما حَلَبُ العَصيرِ»، ثُمَّ طَلَبَ أَشَدَّهُما تَأْثيراً في السُّكْرِ بقَوْله: «فَعاطِني بزُجاجَةٍ أَرخاهُما للْمِفْصَلِ»، بكَسْرِ الميمِ وفَتْحِ الصّادِ، يَعْني اللِّسانَ، سُمِّيَ بذلكَ لفَصْله بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ، وأَصْرَحُ منْهُ في المَقْصودِ قَوْلُ الآخَرِ[٢]:

واصرِفْ بصَرْفِ الرّاحِ عَنْكَ الأَسَى وَصرِّفِ الهَمَّ ولا تَكْتَئِبْ[٣]

والأَشْعارُ في ذلكَ كَثيرَةٌ خارِجَةٌ عَنِ الحَصْرِ.

وذَهَبَ آخَرونَ إلى اختيارِ المَمْزوجَةِ، إلا أَنَّ الشُّعَراءَ لم يَسْتَعْملوهُ إلاّ على سَبيلِ الوَصْفِ، كما في قَوْلِه في بَيْتِ القَصيدةِ: «شُجَّتْ بِذي شَبَمٍ»، وكَقَوْلِ أبي نُواسٍ[٤]:

وحمراءُ قَبْلَ المَزْجِ صَفْراءُ بَعْدَهُ[٥]

---

(١) زاد في ب، ض: «من حيث أنه».

(٢) البيت من بحر السريع.

– البيت مع آخر للحريري في مقاماته (شرح مقامات الحريري للشريشي ص٢٧).

(٣) كذا «وصرف» في ك، ل، وفي ب، ض: «واصرف» وبها يختل الوزن.

– في ض: «ولا تكتيب».

(٤) في ك: «كقول أبي النواس».

– صدر البيت من بحر الطويل.

– البيت ليس في ديوان أبي نواس، البيت منسوب في ديوان الصبابة لابن ناجية، ولعل السيوطي وهم حين نظر إلى قول ابن ناجية إنه أشعر من أبي نواس وأنشد هذا البيت. (ديوان الصبابة ص٨٣) على أن أبا البركات الأنباري نسب البيت لابن دريد (نزهة الالباء ص).

(٥) تمام البيت في ديوان الصبابة: بدت بين ثوبي نرجس وشائق.

وفي نزهة الألباء: أتت بين ثوبي نرجس وشقايق.

– كذا «حمراء» في نسخة ك، وتفعيلته مخرمة على هذه الرواية (حذف أول متحرك من الوتد المجموع) وفي بقية النسخ «وحمراء» وتفعيلته على هذه الرواية سالمة. وكلا الروايتين صحيحة عروضياً.

وقَوْلُ الشَّيْخِ شَرَفُ الدِّينِ بنُ الفَارِضِ رَحِمَهُ اللهُ[١]:

لَهَا البَدْرُ كَأْسٌ وهي شَمْسٌ تُدِيْرُهـا   هِلالٌ وكَمْ يَبْدو إِذا مُزِجَتْ نَجْمُ[٢]

وما أَحْسَنَ قَوْلَهُ رَضِي اللهُ عَنْهُ[٣] في قَصِيدَتِهِ المِيمِيَّةِ، جامِعاً بَيْنَ المَذْهَبَيْنِ، وحاوِياً لِكُلٍّ من الطَّرِيقَيْنِ[٤]:

عَلَيْكَ بِهَا صَرْفَاً وإِنْ شِئْتَ مَزْجَهـا   فَعَذْلُكَ عَنْ ظُلْمِ الحَبِيبِ هو الظُّلْمُ[٥]

(١٤٤ب) / **فإِنْ قِيلَ**: لأَيِّ مَعْنَى اخْتَارَ ذِكْرَ المَمْزوجَةِ[٦] في كَلامِهِ على الصَّرْفَةِ[٧]، حَيْثُ قالَ «شُجَّتْ»؟ فَالجوابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: أَنَّ الصَّرْفَ مِنْ حَيْثُ الطِّبُّ حارٌّ يابِسٌ، والمَمْزوجُ[٨] حارٌّ رَطِبٌ، فالمَزْجُ يَنْقُلُها مِنْ اليُبوسَةِ إِلى الرُّطُوبَةِ، ويَرُدُّها إِلى التَّعْدِيلِ بَعْدَ الإِفراطِ.

الثَّاني: أَنَّ الصَّرْفَ قَدْ يُؤَدِّي إِلى زَوالِ الشُّعُورِ، وذَهَابِ الإِحْساسِ، فَيَصِيرُ إِلى حَيْثُ لا يَدْرِي ما يُقالُ عِنْدَهُ، ولا يُدْرِكُ ما يَجْرِي في مَجْلِسِهِ، فَيَذْهَبُ بذلكَ نَشاطُهَا[٩]، ويَبْقَى خِمارُها[١٠]، ويَرْجِعُ شارِبُها مِنْ حَالِ اليَقَظَةِ إِلى حَالِ النَّوْمِ، وَمِنَ الصِّحَّةِ إِلى حَالٍ يُشْبِهُ المَوْتَ.

---

(١) زاد في ض: «رحمه الله تعالى».

– البيت من بحر الطويل. وهو الثاني في قصيدة عدتها واحد وأربعون بيتاً. (ديوان ابن الفارض ص٣٢٧).

(٢) كذا «تدبرها» في ظ، ل، وفي بقية النسخ «يديرها».

(٣) في ظ، ل: «وما أحسن قول الشيخ شرف الدين بن الفارض».

(٤) في ك، ب: «وحاوياً بكل الطريقتين» وفي ل، ض: «وحاوياً لكل الطريقتين».

– البيت من بحر الطويل، وهو السادس والثلاثون من القصيدة السابقة (الديوان ص٣٣٠).

(٥) كذا «فعذلك» بذال معجمة في ض أيضاً، وفي بقية النسخ «فعدلك» بدال مهملة.

(٦) كذا «لأي معنى اختار ذكر المزوجة» في ل، وفي بقية النسخ «لأي معنى اختار الممزوجة».

(٧) في ل: «على الصرف».

(٨) كذا «إن الصرف ... والممزوجة» في الأصل وبقية النسخ، وما أثبته الصواب.

(٩) في جميع النسخ: «ونشاتها». وما أثبته الصواب.

(١٠) كذا «ويبقى خمارها» في ب، ض، وفي ظ، ك، ل: «وتبقى خمارها».

فَإِنْ قِيلَ: لِمَ[1] خصَّ بالشَّجِّ[2] دُونَ سائِرِ أَنْواعِ المَزْجِ المُتَقَدِّمَةِ؟ فالجوابُ أَيْضاً مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأَوَّلُ: أَنَّ الشَّجَّ أَعْدَلُ حالاتِ المَزْجِ، والشَّعْشَعَةُ لم تَنْتَهِ إِلى حَدٍّ يَكْسِرُ سَوْرَتَها، لِمُقارَنَتِها[3] الصَّرْفَ في أَفْعالِها، والقَتْلُ يُذْهِبُ سَوْرَتَها بالكُلِّيَّةِ، فَتَصِيرُ لا نَشاطَ فيها، والشَّجُّ يُذْهِبُ حَدَّ السَّوْرَةِ، وتَبْقَى مِنْها بَقِيَّةٌ تُحَصِّلُ مِنْها النَّشْوَةُ.

الثَّاني: أَنَّ بَيْنَ الشَّجِّ في الرَّأْسِ والشَّجِّ في الكَأْسِ، مُناسَبَتانِ ظاهِرَةٌ وَخَفِيَّةٌ؛ فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ: فَهِيَ أَنَّ شَجَّ رَأْسِ الكَأْسِ يُوجِبُ خُروجَ الحُبابِ مِنْهُ، وظُهورَهُ على سَطْحِهِ[4]، كَما أَنَّ شَجَّ رَأْسِ الإِنْسانِ[5] يُوجِبُ خُروجَ الدَّمِ مِنْها، وظُهورَهُ على سَطْحِ الجِلْدِ، وإِلى هذا المَعْنَى يُشِيرُ عُكَّاشَةُ العَمِّيُّ[6] بِقَوْلِهِ[7]:

وَإِذا المِزاجُ عَلا فشَجَّ جَبِينَها ... تَفَتَّتَتْ بِأَلْسِنَةِ المِزاجِ حَبَابَا[8]

---

(١) في ك، ض: «لما».

(٢) كذا «خص بالشج» في ك، ل أيضاً، وفي ب، ض «خص بالشجو». وعبارة السيوطي «لم خصّ بالشج» على تقدير لمَ خص الخمر المختارة أو المشروبة بالشج. قال ابن منظور: «خصه بالشيئ يخصه خصاً، واختصه أفرده به» (مادة خص ج٨/ص٢٩٠).

(٣) «لمقارنتها" ساقطة من ب، ض.

(٤) في ب، ض «على الأسصحة».

(٥) في الأصل: «الأنس» وفي ض: «الأسنان».

(٦) كذا «عُكّاشة العَمِّي» في الأصل، وفي بقية النسخ: «عكاشة الأعمى».

- عكّاشة العَمِّيُّ: هو عُكَّاشة بن عبد الصمد العَمِّي، من أهل البصرة من بني العم، وأصل قومه بني العم مدفوع في العرب، ذلك أنهم نزلوا ببني تميم بالبصرة أيام عمر بن الخطاب فأسلموا وغزوا وحسن بلاؤهم، فقال الناس: أنتم وإن لم تكونوا من العرب فأنتم اخواننا وأنصارنا وبنو العم. فلقبوا بذلك، وعكاشة شاعر مقل من شعراء العصر العباسي، لم يشهر شعره الناس لأنه كان في أغراض ذاتية كالغزل ووصف الخمر، ولم يكن مدحاً للخلفاء وأضرابهم. (الأغاني ٣/٢٥٧ وما بعدها).

(٧) البيت: من بحر الكامل.

- البيت: هو السابع من قصيدة عدتها ثلاثة عشر بيتاً في وصف مجلس غناء وخمر (الأغاني ٣/٢٦٠).

(٨) في الأصل «على».

- في ب، ض: «يصيب» وأشير إلى هذه الكلمة في هامش ض أنها نسخة.

- في رواية الأغاني «نفثت» وروى: «نفشت» أيضاً.

وأَمَّا الخَفيُّ: فَهو أَنَّ أَعْلى الشِّجاج في الرَّأْسِ المُوضِحَةُ[١]، وهي التي تُوْضِحُ العَظْمَ، فالواجبُ فيها خَمْسٌ منَ الإبلِ، ثُمَّ إِنْ كانَتْ عَمْداً[٢] اقْتُصَّ[٣] فيها منَ الجاني، فَإِنْ عَفَا[٤] فيْها عَلَى الدِّيَةِ[٥]، وَجَبَ الخُمُسُ منَ الإبلِ عَلَيْه، وإِنْ كانَتْ خَطَأً أَوْ شِبْهَ عَمْد تَحَمَّلَتْها[٦] العَاقلَةُ[٧] عَنْهُ، كما تَتَحَمَّلُ[٨] ديَةَ النَّفْسِ في الخَطَأ. والكَأْسُ في يَدِ النَّديم يَعْقلُهُ[٩] بأَصَابعه[١٠] الخَمْس؛ بمَعْنَى أَنَّهُ يَمْنَعُهُ من الحَركَة وَنَحْوها، والعَقْلُ في أَصْلِ اللُّغَة المَنْعُ، وبه سُمِّيَتْ العاقلَةُ[١١] لمَنْعها الجَاني عَن الوُقوع في مثْلِ هَذه الجنايَة، وإِلى هذا المَعْنَى يُشيرُ الشَّيْخُ صَدْرُ الدِّيْن بنُ[١٢] الوَكيل الشَّافعيُّ[١٣] بقَوْله[١٤]:

مـا الكأسُ عنْدي بأَطْراف الأَنامـلِ ... بَلْ بالخَمْسِ تَقْبضُ لا يَحْلُو لها الهَرَبُ

شَجَجْتُ بالمـاءِ منْها الرَّأْسَ مُوْضِحَةً ... فَحيْنَ اعْقلُها بالخَمْسِ لا عَجَبُ

ثُمَّ إِنَّهُ لما ذَكَرَ أَنَّها[١٥] مُزِجَتْ بالماء، وَصَفَ الماءَ الذي مُزِجَتْ به، بستَّة أَوْصافٍ:

---

(١) الموضحة: الشجّة التي تبدي وضح العظام.

(٢) في ل، ض: «ثم إذا كانت عمداً».

(٣) في الاصل: «اقتضى».

(٤) في ب، ض: «فإن عفي».

(٥) كذا «على الدية» في ك، ل أيضاً، وفي ب، ض: «عن الدية» وأشير إليها في هامش ل.

(٦) كذا «تحملتها» في ل، وفي ب، ك، ض: «تحملها».

(٧) العاقلة: سيأتي تفسير المصنف لها.

(٨) في الأصل: «كما تحتمل» وفي ل: «كما يتحمل».

(٩) «يعقله» ساقطة من ب، ض.

(١٠) في الأصل: «بأصبعاه».

(١١) «العاقلة» ساقطة من ب.

(١٢) «بن» ساقطة من الأصل.

(١٣) صدر الدين بن الوكيل الشافعي: لم أعثر له على ترجمة.

(١٤) في الأصل: «يقول».

— البيتان: من بحر البسيط.

(١٥) في الأصل: «ثم لما ذكر أنها» أي أن كلمة «أنه» ساقطة منه.

الوَصْفُ الأَوَّلُ: كَوْنُهُ ذا شَبَمٍ، وَهُوَ الشَّدِيدُ البَرْدِ على ما تَقَدَّم تَفْسِيرُهُ،وذلكَ أَنَّ البَرْدَ في الماءِ مما يُسْتَطابُ به شُرْبُ الماءِ[١] القُراحِ[٢] ويُسْتَعْذَبُ، وقد وَرَدَ في الحَديث: «خَيْرُ الماءِ الشَّبَمُ[٣]»، يَعْني البارِدُ، فإنْ[٤] مُزِجَت الخَمْرُ به، كانَتْ أَطْيَبَ وأَلَذَّ، كَمَا في المَاءِ ضَرُورةً[٥]، وإلى ذلكَ يُشيرُ نُصَيبٌ[٦] بقَوْلِه[٧]:

كَأَنَّ عَلَى أَنيابِها الخَمْرُ شَجَّها ... بماءِ النَّدى منْ آخرِ اللَّيْلِ عابقُ[٨]

وذلكَ أَنَّ[٩] المَاءَ آخرَ اللَّيْلِ يكونُ قَدْ بَرَدَ، خُصُوصاً ماءَ النَّدى، فَإنَّه في تِلْكَ السَّاعَةِ يَنْزِلُ، وأَكْثَرُ ما يَكونُ في زَمَنِ البَرْدِ.

واعْلَمْ أَنَّ ما ذَكَرَهُ منْ وَصْفِ ماءِ المَزْجِ بالبَرْدِ، جَرَى فيه على الغَالِب، ورُبَّمَا وَقَعَ في كَلامهِمْ مَزْجُها بالماءِ الحَارِّ، كما أَشارَ إليه عَمْرو بنُ كُلْثُومٍ بقَوْلِه في أَبْياتٍ[١٠]:

---

(١) في ض: «يشرب الماء».

(٢) الماء القراح: هو الماء الذي لم يخالطه شيء يطيب به (اللسان مادة قرح ج٤ /٣٩٦).

(٣) هذا جزء من حديث، أخرجه ابن قتيبة في غريب الحديث (ج١ /٢٣٥) فقال: حدثني ابراهيم بن مسلم، عن إسماعيل بن مهران عن الديان بن عباد المذجحي، عن عمر بن موسى [عن] الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عبشة، عن عبد الله بن عباس أنه قال: (فذكر الحديث بطوله).
- وفي إسناده عمر بن موسى الوجيهي كذاب وضاع، قال ابن عدي: هو في عداد من يضع الحديث متناً وسنداً. (الكامل ٥ /١٦٧٣). هذا وقد حكم الألباني على الحديث بالوضع في سلسلة الأحاديث الضعيفة الموضوعة (رقم ١٧٧٣).

(٤) كذا «فإن» في الأصل، وفي بقية النسخ «فإذا».

(٥) في ض: «كما في الماء بضرورة».

(٦) نصيب: هو نصيب بن رباح: شاعر عاش في العصر الأموي (٤٤-١٠٨هـ) كان فصيحاً مقدماً في النسيب والمديح، عفيفاً ليس له حظ في الهجاء (الشعر والشعراء ٢٤٢ الأغاني ١ /٣٢٤).

(٧) «بقوله» ساقطة من ظ، ل.
- البيت: من بحر الطويل.
- البيت: هو الحادي عشر من قصيدة عدتها اثنا عشر بيتاً (انظر شعر نصيب ص١٠٨).

(٨) في رواية شعره: «شابها» بدلاً من «شجها» و«غابق» بدلاً من «عابق».

(٩) في ب، ض «وذلك لأن».

(١٠) جملة «بن كلثوم بقوله في أبيات» ساقطة من ب، ض.
- البيت: من بحر الوافر.
- البيت: هو الثاني في ترتيب رواية القصيدة التي عدتها مائة وثلاثة أبيات (انظر ديوانه ص٣٥).

مُشَعْشَعَةٌ كـــأَنَّ الحُصَّ فيها إذا ما الماءُ خالَطَها سَخِيْنا[١]

قَالَ أَبو عمرو الشَّيْبَانيُّ: كانوا يُسَخِّنُونَ لها الماءَ في الشِّتاء، والحُصُّ[٢] في البَيْت، بضَمِّ الحاء والصَّاد المُهْمَلَتَيْن: الوَرْسُ، وقيلَ الزَّعْفَرانُ، جَعَلَ أَنَّ الماءَ إذا خالَطَها سُخْناً، أثارَ مِنْها[٣] رائحةً طَيِّبَةً، ولَعَلَّ ذلكَ كانَ يَقَعُ لَهُمْ في البَرْد الشَّديد، الذي تَجْمُدُ فيه الخَمْرُ لشدَّته، فإذا وُضِعَ الماءُ السُّخْنُ فيها لَطَّفها ورَقَّقَها، بخلاف البارد، فَإِنَّها تَزيدُ[٤] جُموداً إلى جُمودها، وإِلى هذا المَعْنَى يُشيرُ القاضي الفاضلُ[٥] رَحِمَهُ اللهُ تعالَى واصفاً لشدَّة البَرْد[٦]: «في لَيْلَةٍ قد جَمُدَ خَمْرُها، وخَمُدَ جَمْرُها[٧]، إلى يَومٍ تَوَدُّ البَصَلَةُ لو زادَتْ قُمْصاً إلى قُمْصِها[٨]، والشَّمْسُ لو جَرَّتِ النَّارَ إلى قُرْصِها»، ولِلَّه القَائلُ[٩]:

ويَـوْمَ يَـوَدُّ الطَّيْرُ مِـــنْ بَـرْدِ بِــــه لَوْ ذَاقَ حَـرَّ النَّـــارِ والسُّفودا[١٠]

وإِذا رَمَيْتَ بِفَضْلِ كأسِكَ في الهَوَى رَجَعَتْ عَلَيْكَ مِـن السُّلافِ عُقـودا

---

(١) «ما» ساقطة من الأصل.

– في ض: «مخينا».

(٢) في ض: «ولحص».

(٣) كذا «أثار منها» في ك أيضاً، وفي بقية النسخ «أثار معها».

(٤) في الأصل: «يزيد».

(٥) القاضي الفاضل: هو أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي... ينتهي نسبه اللخمي العسقلاني، ولد في عسقلان سنة ٥٢٩هـ، كان وزيراً لصلاح الدين الأيوبي، برز في صناعة الإنشاد، توفي بالقاهرة سنة ٥٩٦هـ. (وفيات الأعيان ٣/١٥٨-١٦٢).

(٦) كذا «واصفاً لشدة البرد» في ك، ل، وفي ب، ض «واصفاً للشدة بالبرد». وذكرت هذه الرواية في هامش ل: «وفي نسخة».

(٧) في ب: «وخمد خمرها».

(٨) في ض: «لو زادت قميصاً إلى قميصها».

(٩) زاد في ب، ل، ض: «ولله در القائل».

– البيتان من بحر الكامل.

– يروى البيتان مع أبيات أخرى في عدد من المصادر باختلاف طفيف في الرواية، نسبها القلقشندي في صبح الأعشى ٢/٤٩٣ والنويري في نهاية الأرب ١/١٧٧ لابن حكينا البغدادي، بينما نسبها ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/٣٨٨ وياقوت في معجم الأدباء ٤/١٦٨٣ لأبي القاسم علي بن الحسن الباخرزي صاحب دمية القصر..

(١٠) في ك، ب: «تود».

الوَصْفُ الثاني: كَوْنُهُ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ، وهو ما انعَطَفَ مِنَ الوَادي على ما تَقَدَّمَ، قَالَ أبو السَّعادَاتِ بنُ الأَثيرِ في نَهايَتِه: / «وإنّما خَصَّ ماءَ مَحْنِيَةٍ بالذِّكْرِ؛ لأَنَّه يَكُونُ أَصْفَى وأَبْرَدَ»[1]، وكانَ المَعْنَى فيه أَنَّ الرِّياحَ تَتَراكَمُ فيه لانْعطافه فَتُبَرِّدُهُ، كَمَا أَشارَ إليه في آخرِ[2] البَيْتِ بقَوْلِه: «وَهْوَ مَشْمُولُ»، وإنْ كَانَ فيْه قَذىً أزالَتْهُ، كَمَا أَشارَ إليه في البَيْتِ الذي يَليْه بقَوْلِه: «تَنْفِي الرِّياحُ القَذَى عَنْهُ[3]» على ما سَيَأْتي بَيَانُه. (١٤٥أ)

الوَصْفُ الثَّالثُ: كَوْنُهُ صافياً، وهو المُرادُ بقَوْله: «صَافٍ»، وذلكَ أَنَّ الماءَ إنَّما يَصفو لخُلُوصه عَمَّا يُخالطُهُ مِنْ أَجزاءِ الأَرْضِ، فإذا كانَ صافياً وَمُزجَتْ به الخَمْرُ لا يُكَدِّرُها، بخلاف ما إذا كانَ كَدراً، فإنَّه يُكَدِّرُها بمُخالَطَته لها، ويُخْرِجُها عَنْ وَصْفِ الصَّفاءِ المَطْلوب فيها.

الوَصْفُ الرَّابعُ: كَوْنُهُ أَبْطَحَ، وهو المَسِيْلُ الواسِعُ الذي تُرْبَتُهُ[4] دقاقُ الحَصَى على ما تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، فَباتِّساعِهِ يَكُونُ مَظِنَّةَ[5] الكَثْرَة، وبِكَوْن تُرْبَته دقاقُ الحَصَى يَكُونُ مَظِنَّةَ[6] الصَّفاء.

الوَصْفُ الخامسُ: كَوْنُهُ أُخذَ في وَقْت الضُّحى، وَهُوَ أَوَّلُ[7] وَقْت يُسْتَسْقَى فيْه المَاءُ، لقُرْب عَهْده منْ آخرِ اللَّيْل، فَيَكُونُ الماءُ فيه[8] بارداً، بخلاف ما بَعْدَ ذلكَ مِنْ أَوْقاتِ النَّهارِ التي يَشْتَدُّ[9] فيها حَرُّ الشَّمْسِ إلى آخرِ النَّهارِ وأوائلِ اللَّيْلِ، تَبْقَى فيْها[10] آثارُ[11] حَرِّ النَّهارِ.

---

(١) النهاية في غريب الحديث ج١/ ٤٥٥ وانظر ج٢/ ٤٤١.

(٢) «آخر» ساقطة من ب، ك،ض.

(٣) زاد في الأصل: «تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه».

(٤) في الأصل: «الذي تربتها». (٥) في ل: «يكون فطنته».

(٦) في ل: «يكون فطنته». (٧) في ك، ل: «وهو أولى».

(٨) قوله: «لقرب عهده من آخر الليل فيكون الماء فيه» ساقط من ب، ض.

(٩) في ظ، ك، ض: «تشتد».

(١٠) كذا «تبقى فيها» في ل، وفي ك: «يبقى فيها».

– قوله: «حر الشمس إلى آخر النهار وأوائل الليل تبقى فيها» ساقط من ب، ض.

(١١) في الأصل: «أثر».

الوَصْفُ السَّادسُ: كَونُهُ مَشْمولاً، وهو الذي ضَرَبَتْهُ ريحُ الشَّمال حَتَّى بَرَدَ؛ لأنَّ المَطْلوبَ فيه البَرْدُ كما تَقَدَّمَ. فَإِنْ قيلَ: لِمَ خَصَّ ريحَ الشَّمال بالذِّكْرِ دونَ غَيْرِهَا؟ فالجَوابُ: أَنَّ ريحَ الشَّمال أَشَدُّ تَبْريداً للْماءِ منْ غَيْرِها منَ الرِّياحِ، خُصوصاً بأرْضِ الحجازِ، لرِقَّتِها ولَطَافَتِها، وغَيْرُها منَ الرِّياح لَيْسَ كَذلكَ، بَلْ رُبَّما هَبَّتْ بَعْضُ الرِّياحِ على الماءِ فَيَسْخُنُ[1] بمُرورها عَلَيْه، وَسَيَأْتي ذِكْرُ أنواعِ الرِّياحِ في البَيْتِ الذي يَلِيْه عنْدَ قَوْله: «تَنْفي الرِّياحُ القَذَى عَنْهُ» إِنْ شاءَ اللّهُ تَعالى، واللّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ[2].

(١) كذا «فيسخن» في الأصل، وفي بقية النسخ «فسخن».

(٢) كذا «والله تعالى أعلم» في ل، وفي ك: «والله تعالى أعلم بالصواب» وفي ض: «والله أعلم».

البَيْتُ الخامسُ

تَنْفِي الرِّياحُ القَذَى عَنْهُ وأَفْرَطَهُ   مِنْ صَوْبِ سَارِيَةٍ بِيضٌ يَعَالِيلُ[١]

قَوْلُهُ: «تَنْفِي الرِّياحُ القَذَى عَنْهُ وأَفْرَطَهُ»، أَيْ: تَنْفِي الرِّياحُ القَذَى عَنْ ذلكَ الأَبْطَحِ، وَقَوْلُهُ: «تَنْفِي» أي: تَطْرُدُ، يُقَالُ: نَفَاهُ، أَيْ: طَرَدَهُ، والرِّياحُ جَمْعُ رِيحٍ، قَالَ الإمامُ فَخْرُ الدِّينِ: والرِّيحُ[٢] عِبارَةٌ عَنْ هواءٍ يَتَحَرَّكُ، قَالَ: وكَوْنُهُ مُتَحَرِّكاً لَيْسَ لذاته، وإلاَّ[٣] لَدَامَتِ الحَرَكَةُ بدوامِ ذاته[٤]، فَلا بُدَّ وأَنْ يَكونَ بتَحْريكِ الفاعلِ المُخْتارِ وهوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتَعالَى[٥] كَمَا قَالَ: ﴿**اللهُ الذي يُرْسِلُ الرِّياحَ**﴾[٦]، وزَعَمَ الفَلاسفَةُ أَنَّ سَبَبَ ذَلكَ ارْتفاعُ أَجزاءَ دُخانيَّةٍ لَطيفَةٍ منَ الأَرْضِ قَدْ سَخُنَتْ تَسْخيناً شَديداً، وبسَببِ[٧] تِلْكَ السُّخونَةِ تَرْتَفِعُ وتَتَصاعَدُ، فَإِذا وَصَلَتْ إِلى الغَرْبِ[٨] منَ الفَلكِ، كَانَ الهواءُ[٩] المُلْتَصِقُ بِقَعْرِ الفَلَكِ[١٠] مُتَحَرِّكاً على اسْتداراتِ الفَلَكِ المُسْتَديرِ، التي جَعَلَتْ لِتلْكَ الطَّبيعَةِ منَ

---

(١) روى السكري: «تجلو الرياح القذى عنه» (شرح ديوان كعب بن زهير ص٧).
– قال التبريزي: «ويروى تجلو الرياح القذى عنه» (ص١٤).
– روى ابن هشام في السيرة (٤/١٣٥٧) وابن سيد الناس في عيون الأثر (٢/٢٨٢) والقرشي في الجمهرة (٢/٧٩٠) وابن كثير في (البداية والنهاية ٤/٤٢٨): «من صوب غادية» وذكر ابن هشام الأنصاري هذه الرواية في شرحه بقوله: «ويروى غادية بدل سارية، وهي السحابة تأتي بالغداة» (ص٦٥) قال عبد القادر البغدادي: «وهي رواية ابن هشام وابن سيد الناس في سيرتهما ولم يذكرها سائر شراح القصيدة» (حاشية ١/٦١٣).

(٢) في ب، ض: «والرياح».

(٣) في الأصل: «ولا لدامت».

(٤) في ض: «بدام ذاته».

(٥) في ب، ض: «والله سبحانه وتعالى أعلم».

(٦) سورة الروم: آية رقم ٤٨، وتمامها: ﴿**الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون**﴾.

(٧) في ل، ض: «وسبب».

(٨) في ب، ل، ض: «فإذا وصلت إلى القرب».

(٩) في ظ، ل، ك: «الهوى».

(١٠) كذا «بقعر الفلك» في ك، ض، وفي ب، ل: «بعنصر الفلك».

الهواء، يَمْنَعُ[1] نُفُوذَ الأَدْخنة فتَتَفَرَّقُ في الجوانب[2]، وبِسَبَبِ ذلكَ التَّفَرُّق[3] يَحْصُلُ الرِّيحُ، وهو مَرْدودٌ بأَجْوبَته، لَيْسَ هذا مَوْضِعُ ذِكْرِها[4].

ثُمَّ أُصولُ الرِّيحِ[5] أَرْبَعَةٌ، الأُولى: الصَّبَا، وسُمِّيَ[6] القَبُولُ بِفَتْحِ القَافِ، لأَنَّها تُقابِلُ بِهُبُوبِها[7] المَشْرِقَ، وتَأْتي[8] مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ. قالَ أَبو جَعْفَرٍ النَّحاسُ[9]: وهي التي تُسَمِّيها أَهْلُ مِصْرَ: الشَّرْقِيَّةَ، لأَنَّها تَأْتي مِنَ المَشْرِقِ.

الثَّانيةُ: الدَّبُورُ، وهيَ التي تَأْتي مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، سُمِّيَتْ بذلكَ، لأَنَّ مَنِ اسْتَقْبَلَ المَشْرِقَ اسْتَدْبَرَها[10]، وأَهْلُ مِصْرَ يُسَمُّونَها الغَرْبِيَّةَ، وَمَهَبُّهَا مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ إِلى حَدِّ[11] القُطْبِ الأَسْفَلِ، وهو الجَنُوبِيُّ[12].

الثَّالثةُ: الشَّمالُ بفَتْحِ الشِّين، سُمِّيَتْ بذلكَ، لأَنَّها عَنْ شَمَالِ مَنِ اسْتَقْبَلَ المَشْرِقَ، قالَ النَّحاسُ: ويُقالُ لها البَحْرِيَّةَ[13]؛ لأَنَّها يُسَارُ بها في البَحْرِ عَلَى كُلِّ حالٍ، والاسْمُ الذي ذَكَرَهُ يُعْرَفُ عِنْدَ المِصْرِيينَ، والعامَّةُ مِنْهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّها سُمِّيَتْ بِذَلكَ لِهُبوبها عَلَيْهِمْ مِنْ

(١) كذا «يمنع» في نسخة بن ض، ل، وفي نسخة ك: «منع» وأشير إليها على أنها نسخة في هامش ل.

(٢) «الجوانب» ساقطة من ض.

(٣) في ض: «التصرف».

(٤) انظر رأي الرازي في الريح ومناقشته للفلاسفة في كتابه: المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات – مكتبة الأسد – طهران ١٩٦٦، ج٢/ ١٩٠.

(٥) في ض: «ثم أصول الرياح».

(٦) في ب، ض: «ويسمى».

(٧) في الأصل: «تقابل هبوبها».

(٨) «وتأتي» ساقطة من ب، ض.

(٩) أبو جعفر النحاس: هو أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادي، والنحاس لقب شهر به، إذ كان أجداده يشتغلون بصنع الأواني النحاسية، اشتغل بالتصنيف في علوم القرآن والأدب، وله فيها ما يزيد على خمسين مصنفاً، وتوفي أبو جعفر النحاس بمصر سنة ٣٣٨هـ. (وفيات الأعيان ١/ ١٠٠ والوافي بالوفيات ٧/ ٣٦٢).

(١٠) زاد في الأصل: «واستدبرها».

(١١) في ض: «أحد».

(١٢) في ب، ض: «وهو الجنوب».

(١٣) قوله: «لأنها عن شمال من استقبل المشرق، قال النحاس: ويقال لها البحرية» ساقط من ب، ض.
– في ل: «قال أبو جعفر النحاس».

جِهَةِ البَحْرِ، ومَهَبُّها مِنَ القُطْبِ الشَّماليِّ[١] إلى مَغْرِبِ الشَّمْسِ.

الرَّابِعَةُ: الجَنوبُ، وَهْيَ التي يُسَمِّيها المصريُّونَ[٢] القِبْلِيَّةَ، وعامَّتُهُمْ يُعَبِّرونَ عَنْها بالمَرِيْسيِّ؛ لأنَّها تَهُبُّ مِنْ بلادِ المَرْسِ[٣]، وَهُمْ طائِفَةٌ مِنَ السُّودانِ حِسانُ الوُجوهِ، ومَهَبُّها مِنْ حَدِّ القُطْبِ الأَسْفَلِ إلى مَطْلَعِ الشَّمْسِ، وكُلُّ رِيْحٍ جاءَتْ[٤] بَيْنَ مَهَبِّ رِيحَيْنِ يُقالُ لَهَا النَّكْباءُ، سُمِّيَتْ بذلكَ لأَنَّها نَكَبَتْ عَنْ مَهَبِّ تِلْكَ الرِّياحِ الأَرْبَعِ[٥]، أَيْ: عَدَلَتْ عَنْها[٦]، ولأَهْلِ البَحْرِ والمَلاحينَ في ذَلِكَ المَعْرِفَةُ التَّامَّةُ، وَهُمْ كما يُقالُ عِلْمٌ نَفِيسٌ في جِنْسٍ خَسِيْسٍ.

والقَذَى بفَتْحِ القَافِ والذَّالِ المُعْجَمَةِ: ما يَسْقُطُ في العَيْنِ والشَّرابِ[٧]، والمُرادُ هُنَا[٨] ما يَقَعُ في الماءِ مِمّا يَشُوبُه ويُكَدِّرُهُ.

قَوْلُهُ: «وأَفْرَطَهُ مِنْ صَوْبِ سارِيَةٍ / بيضٌ يَعاليلُ» أَيْ: وأَفْرَطَ ذَلِكَ الأَبْطَحَ بالماءِ (١٤٥ب) بِيْضٌ يَعاليلُ مِنْ صَوْبِ سارِيَةٍ، وقَوْلُهُ: «وَأَفْرَطَهُ» يَعْني مَلأَه مِلاءً خارِجاً، وأَصْلُ الإِفراطِ: الزِّيادَةُ في الشَّيْءِ ومُجاوَزَةُ الحَدِّ، والمُرادُ هُنَا أَنَّ البِيْضَ[٩] اليَعاليلَ على الخِلافِ

---

(١) زاد في الأصل: «ومهبها من خط القطب الشمال».

(٢) في ظ ، ك، ل : «تسميها المصريين» وفي ب، ض: «تسميها المصريون».

(٣) مَرِيْسٌ: من بلدان الصعيد، والمَرِيسِيَّة: الريح الجنوب التي تأتي من قبل مريس، قال أبو حنيفة: ومريسٌ أدنى بلاد النُّوب التي تلي أرض أسوان. (اللسان مادة مرس ج٨ /ص١٠١).

(٤) في ك: «وكل ريح جات» بدون همز.

(٥) قال شمّر: «لكل ريح من الرياح الأربع نكباء تنسب إليها، فالنكباء التي تنسب إلى الصبا، وهي تشبهها في اللين، والنكباء التي تنسب إلى الشمال وهي تشبهها في البرد، والنكباء التي تنسب إلى الدبور، وهي تشبهها في شدتها وعجاجها، والنكباء التي تنسب إلى الجنوب وهي أشبه الرياح بها في رقتها ولينها في الشتاء. (لسان العرب مادة نكب ج٢/ ص٢٦٩).

(٦) حديث السيوطي عن الريح من حيث نشأته وأنواعه أنساه أن يحدد مراد كعب من قوله: «الرياح» قال عبد القادر البغدادي: «أراد كعب ريحاً طيبة بعد ريح مثلها على سبيل التناوب لا الرياح جميعها، فإن الماء لا يصفو عند هبوب الرياح جميعها». (حاشية على بانت سعاد ج١ ص٥٧١).

(٧) قوله: «والقذى بفتح القاف... والشراب» مأخوذ من شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام ص٦١.

(٨) «هنا» ساقطة من الأصل.

(٩) كذا «والمراد هنا أن البيض» في ب، ل أيضاً، وسقطت «أن» من ك، ض.

الآتي في تَفْسيرِها، قَدْ مَلأَتْ ذلكَ الأَبْطَحَ بالماءِ حَتَّى خَرَجَ في امتلائِه عَنِ الحَدِّ. والصَّوْبُ في كَلامه بمَعْنَى المَطَرِ، والسَّارِيَةُ تَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْن:

الأَوَّلُ: أَنْ يُرِيدَ مِنْ[1] صَوْبِ سَحَابَةٍ سارِيَةٍ، وَهِيَ الَّتي تَأْتي باللَّيْلِ أَخْذاً مِنَ السُّرَى، وَهُوَ سَيْرُ اللَّيْلِ، يُقالُ: سَرَى يَسْرِي، إذا سَارَ لَيْلاً، وَقَدْ سَارَتْ على السَّحابَةِ حَتَّى صَارَتْ عَلَماً عَلَيْها، لا يُفْهَمُ مِنْها عِنْدَ الإِطْلاقِ في كَلامِ العَرَبِ عِنْدَ ذِكْرِها[2] غَيْرُهَا.

الثَّاني: أَنْ يُرِيدَ مِنْ صَوْبِ سُحُبٍ[3] سارِيَةٍ، على مَعْنَى الجَمْعِ، وَيَكُون المُرادُ السُّحُبُ التي تَأْتي باللَّيْلِ[4].

وقد اختُلفَ في[5] مَعْنَى البِيْضِ اليَعاليلِ، فَقيلَ: البِيْضُ: الجِبالُ، واليَعَاليلُ: الشَّديدَةُ البَيَاضُ، وهو الظَّاهِرُ الذي يُرْشِدُ إليه المَعْنَى[6]، ويَكُونُ البِيْضُ[7]: الجبالُ على ما تَقَدَّمَ، واليَعاليلُ: التي يَنْزِلُ منها الماءُ مَرَّةً بَعْدَ أُخرى، أَخذاً مِنَ العَلَلِ، وهو الشُّرْبُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ كما تَقَدَّمَ في البَيْتِ قَبْلَهُ، وَقيلَ: البيضُ: الجبالُ، واليَعَاليلُ: المُرْتَفِعَةُ[8]، وَقيلَ: البيضُ: السُّحُبُ، واليَعاليلُ التي تَجِيءُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ[9]، وَرُدَّ بأَنَّهُ

---

(١) قوله: «بمعنى المطر» والسارية تحتمل معنيين: الأول: أن يريد من» ساقطة من ب، ض.

(٢) «ذكرها» ساقطة من ل.

(٣) في ل: «سحابة».

(٤) في ل: «في الليل».

(٥) «وقد اختلف في» ساقطة من ب، ض.

(٦) قوله البيض: «الجبال» أي: الجبال البيض من السحب.

- هذا القول ذهب إليه ابن هشام بقوله: «والذي يظهر أنها الجبال المفرطة البياض، وأن المعنى: وملأ هذا الأبطح من ماء سحابة آتية بالليل ماء جبال شديدة البياض، وذلك لأن ماء السحاب يتحصل أولاً في الجبال ثم ينصب منها عند اجتماعه وكثرته إلى الأباطح، وفي هذا الكلام تاكيد لوصف الماء بالبرد والصفاء» (ص٦٦).

(٧) كذا «ويكون البيض» بياء تحتية في ل، وفي بقية النسخ «وتكون البيض» بتاء فوقية.

(٨) في شرح أبي العباس الأحول: «قال أبو السمح الطائي: إنما أراد باليعاليل بيض الجبال، وهي المرتفعة» (حاشية على شرح بانت سعاد ج١ ص٦١٤).

(٩) في الأصل: «التي تجيء مرة بعد أخرى».

- قوله: «وقيل البيض: السحب، واليعاليل: التي تجيئ مرة بعد مرة» قال به أكثر من شارح، غير أن رأي أبي عمرو بن العلاء هو الأقرب إلى المنقول، إذ قال: «اليعاليل: التي شربت مرة بعد مرة، ولا واحد لها، وقيل اليعاليل: التي تهمي مرة بعد مرة». وإلى هذا ذهب عبد اللطيف البغدادي في شرحه. (انظر حاشية على شرح بانت سعاد ج١ ص٦١٤).

يَصيرُ التَّقْديرُ: وأَفْرَطَهُ بيضُ سُحُبٍ[1] يَعاليلُ مِنْ صَوْبِ سَحابَةٍ سارِيَةٍ، وَيكونُ المَعْنى: أَنَّ السُّحُبَ البيضَ التي مَلأَت الأَبْطَحَ استَمَدَّت الماءَ مِنْ مَطرِ تِلْكَ السَّحابَةِ السَّارِيَةِ، وذلك يُؤَدِّي أَنَّ بَعْضَ السُّحُبِ تَسْتَمِدُّ المَطَرَ مِنْ بَعْضٍ، وهو خِلافُ المُرادِ، وغَيْرُ الواقِعِ، بل السُّحُبُ لا تَكُونُ بيْضاً إِلاَّ إِذا كانَتْ خالِيةً مِنَ المَطَرِ، وأَمَّا إِذا كانَتْ حامِلةً للْمَطَرِ[2] فإِنَّ لَوْنَها يَكونُ أَغْبَرَ[3]، ومَعْنَى البَيْت: أَنَّ الرِّياحَ عِنْدَ هُبوبِها تَطْرُدُ ما بِذلكَ الأَبْطَحِ الذي أُخِذَ مِنْهُ[4] الماءُ المَشْجوجُ به الرَّاحُ[5] المُشَبَّهُ بِها ثَغْرُ سُعادَ حَتَّى لم يَبْقَ به ما يُكَدِّرُهُ، وَجاءَتْ سَحَابَةٌ أَوْ سُحُبٌ باللَّيْلِ فَأَمْطَرَتْهُ حَتَّى امتَلأَ وفاضَ، فاجْتَمَعَ فيْه الصَّفاءُ والبُرودَةُ والكَثْرَةُ. وذَلكَ أَنَّهُ لَمَّا وَصَفَ الماءَ الّذي شُجَّتْ به الرَّاحُ[6] في البَيْتِ الذي قَبْلَهُ بما يَرْجِعُ حاصِلُهُ إِلى الكَثْرَةِ والبُرودَةِ والصَّفاءِ على ما تَقَدَّمَ تَقْديرُهُ[7] هُناكَ، أَتْبَعَهُ في البَيْتِ بِمَا يُؤَكِّدُهُ، فَوَصَفَهُ بِخَمْسَةِ أَوْصَافٍ[8]:

الوَصْفُ الأَوَّلُ[9]: نَفَى القَذَى عَن الأَبْطَحِ الذي فِيه الماءُ، وهو مُحْتَمِلٌ مَعْنَيَيْنِ:

الأَوَّلُ[10]: أَنْ[11] يكونَ نَفْيُ القَذَى عَنْهُ قَبْلَ وجود الماء فيه، بِمَعْنَى أَنَّ الرِّياحَ تَهُبُّ عَلَيْه فَتَنْسفُ ما فيه مِنْ تُرابٍ وَنَحْوِه مِمّا يُكَدِّرُهُ إِذا نَزَلَ عَلَيْه الماءُ، فلا يَبْقَى فيه إِلاّ دِقَاقُ الحَصَى الّتي هِيَ أَصْلُ تُرْبَتِه، فلا يَجِدُ[12] الماءُ عِنْدَ حُلُولِه فِيه ما يُكَدِّرُهُ،

---

(١) «سحب» ساقطة من ب، ض.

(٢) في ب، ض: «حاملة المطر».

(٣) في ك: «أغبراً» وهو لحن من الناسخ.

(٤) «منه» ساقطة من ض.

(٥) في ب، ض: «الرياح».

(٦) في الأصل: «الرياح».

(٧) في ب، ض: «على ما تقدم تقريره» بالراء المهملة.

(٨) زاد في ظ، ل: «فوصفه فيه بخمسة أوصاف».

(٩) كذا «الوصف الأول» في ب، ل، ض. وهو ما يؤيده التعداد التالي: الوصف الثاني، الوصف الثالث .. كما سيأتي.

(١٠) في ل: «الثاني» بدل «الأول».

(١١) «أن» ساقطة من ب.

(١٢) في ض: «فلا تجد» بتاء فوقية.

فَيَبْقَى عَلَى صَفَائِه(١).

الثَّانِي(٢): أَنْ يكونَ نَفْيُ القَذَى عَنْهُ(٣) بَعْدَ وُجود الماء فيه، بِمَعْنَى أَنَّ الرِّياحَ تَهُبُّ على الماءِ وهو في الأَبْطَحِ، فَتَقْذِفُ ما عَلَى وَجْهِهِ(٤) مِمَّا كانَ في الأَبْطَحِ(٥) فَتَطْرُدُهُ إِلى شَاطِئِ الوَادِي.

والمعنى الأَوَّلُ أَبْلَغُ في الصَّفاءِ؛ لِعَدَمِ ملاقَاةِ القَذَى لِلْماءِ جُمْلَةً، وهو أَقْرَبُ إِلى مُرادِ النَّاظِمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٦).

الوَصْفُ الثاني: الزِّيادَةُ والكَثْرَةُ، وهو المُرادُ بِقَوْلِه: «وَأَفْرَطَهُ»؛ لأَنَّ الماءَ قَدْ يكونُ بارداً صَافِياً، ولكنْ فيه ما يُسْتَقْذَرُ مِمّا لا يُكَدِّرُه ويُغَيِّرُهُ(٧) كَعَظْمِ المَيْتَةِ وَنَحْوِه، فَإِنْ(٨) كانَ كَثيراً لا يَتَأَثَّرُ بذَلِكَ، ولم تَعَفِ النَّفْسُ شُرْبَهُ، ولذلكَ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِذا بَلَغَ المَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلْ خَبَثاً(٩)» إِشارَةً إِلى أَنَّ(١٠) ما دُونَ القُلَّتَيْنِ يَتَأَثَّرُ بالنَّجاسَةِ وَغَيْرِها، وَإِنْ لم يَتَغَيَّرْ.

---

(١) في ب، ض: «فيبقى على صفاء».

(٢) في ب: «لثالث» بدل «الثاني».

(٣) في ك: «عند».

(٤) في الأصل: «فتقذف على ما في وجهه».

(٥) زاد في ظ، ل: «في الأبطح قبل وجود الماء فيه، فطفا على وجه الماء، أو سقط في الماء بعد حصوله في الأبطح فتطرده».

(٦) في ض: «رحمه الله».

(٧) كذا «مما لا يغيره ويكدره» وفي بقية النسخ «مما لا يغيره».

(٨) كذا «فإن» في الأصل، وفي بقية النسخ «فإذا».

(٩) أخرجه أبو داود في الطهارة باب: ما ينجس الماء (١ / ١١) والترمذي في الطهارة باب ما جاء أن الماء لا ينجسه شي (١ / ٩٧) والنسائي في المياه، باب التوقيت في الماء (١ / ١٧٥) وابن ماجة في (١ / ١٧٢) وابن خزية في صحيحه (١ / ٤٩) وابن حبان في صحيحه والطحاوي في شرح معاني الآثار (١ / ١٥) والحاكم في المستدرك (١ / ١٣٣) وصححه ووافقه الذهبي.

ورواه الشافعي في الأم (١ / ٤) وفي المسند بترتيب السندي (١ /) والدارمي في سننه (١ / ١٨٦-١٨٧) وأحمد في مسنده (٢ / ٧٢) وعبد الرزاق في المصنف (١ / ٨٠) وابن شيبة في المصنف (١ / ١٤٤) وابن الجارود في المنتقى (برقم ٤٤) والدارقطني في سننه (١ / ١٧) والبيهقي في السنن الكبرى (١ / ٢٦٠) وغيرهم كثير.

والحديث صححه الشافعي وأبو عبيد وأحمد وإسحاق ويحيى بن معين والدارقطني والخطابي والبيهقي وابن حزم والنووي والعلائي وابن حجر وغيرهم، وضعفه ابن عبد البر وجماعة من العلماء بدعوى الاضطراب والوقف، وقد تكلم على ذلك العلائي وردّه، وكذلك توسع الحافظ الزيلعي في الكلام عليه في نصب الراية (١ / ١٠٤-١١٢).

(١٠) «أن» ساقطة من الأصل.

الوَصْفُ الثَّالِثُ: كَوْنُهُ مِنْ ماءِ المَطَرِ، وهو المُرادُ بِقَوْلِه: «مِنْ صَوْبِ[1]» عَلَى ما تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ. فَإِنْ قِيلَ لِمَ خَصَّ ماءَ المَطَرِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ المِياهِ؟ فالجوابُ مِنْ خَمْسَةِ أَوْجُهٍ:

الأَوَّلُ: أَنَّ الغالِبَ في أَرْضِ الحجازِ ماءُ المَطَرِ، وَمِنْهُ تَمْتَلِئُ الجبالُ والأَوْدِيَةُ، وتَسْتَمِدُّ العُيونُ، فَجَرى في ذلكَ على الغالِبِ في أَرْضِه[2]، وَهُوَ الأَقْرَبُ إِلى مُرادِه.

الثَّاني[3]: أَنَّ ماءَ المَطَرِ[4] مُشْتَمِلٌ مِنْ أَصْلِه على وَصْفَيْنِ مِنْ أَوْصافِ المَاءِ المَطْلُوبَةِ فيه، وهُما الصَّفَاءُ والبُرودَةُ، أَمَّا الصَّفَاءُ، فَلأَنَّه لَيْسَ في السَّحابِ[5] ما يُكَدِّرُهُ، وإِنَّما تَطْرَأُ عَلَيْهِ الكُدُورَةُ بَعْدَ ذَلِكَ مِمَّا يُصِيبُهُ مِنْ أَجزاءِ الأَرضِ، بخلافِ المياهِ الأَرْضِيَّةِ، فَإِنَّها مُخالِطَةٌ لأَجْزاءِ الأَرْضِ مِنْ أَصْلِها، وَأَمَّا البُرودَةُ، فَلأَنَّ ماءَ المَطَرِ يَنْزِلُ مِنَ السَّحابِ بارِداً، وإِنَّما تَطْرَأُ عَلَيْهِ السُّخونَةُ بَعْدَ ذلِكَ؛ لما يُصِيبُهُ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ وحَرارَةِ الأَرْضِ، وما أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ يَرْثِي شَيْخَهُ[6] وقَدْ أَمْطَرَتِ السَّماءُ في اليَوْمِ الذي مَاتَ فِيْه:

(١٤٦أ)

/بَكَتِ السَّماءُ عَلَيْهِ يَوْمَ مَماتِه ... بِمَدامِعٍ كَاللُّؤْلُؤِ المَنْثُورِ

وأَظُنُّها فَرِحَتْ بِمَصْعَدِ رُوحِه ... لَمَّا سَمَتْ وتَعَلَّقَتْ بالنُّورِ

أَوَ لَيْسَ دَمْعُ الغَيْثِ يَهْمَى بارِداً ... وَكَذا يَكونُ مَدامِعُ المَسْرُورِ[7]

---

(١) في الأصل: «موصوب» وهو تحريف.

(٢) «في أرضه» ساقطة من ب.

(٣) في جميع النسخ «الوجه الثاني، والأولى «الثاني» إذ سياق التعداد بلا كلمة «الوجه».

(٤) زاد في الأصل: «أن يكون ماء المطر».

(٥) كذا «السحاب» في ل أيضاً، وفي بقية النسخ «السحابة».

(٦) الأبيات من البحر الكامل.

- الأبيات لنجم الدين بن إسرائيل (ت ٦٧٧هـ) يرثي بها الشيخ سيف الدين الآمدي الشافعي (ت٦٣١هـ)، وكانت السماء قد جادت عند دفنه بمطر عظيم. وهي في الوافي بالوفيات ٢١ / ٣٤٥، وسلك الدرر ٤ / ٣٥ وفوات الوفيات ٣ / ١٢.

(٧) في الأصل: «وليس» والوزن مختل.

- في ب، ض: «يهمى ... تكون».

الإِنْسَانُ ما سِوَى عَوْرَتِه لأَوَّلِ مَطَرِ العامِ لِيُصِيبَهُ[١]، وَقَدْ جَاءَ أَنَّ الرِّياحَ تَحْمِلُ الماءَ مِنَ السَّماءِ فَتَصُبُّهُ في السَّحابِ فَيُمْطِرُ مِنْهُ، وَعَلَيْهِ قُرِئَ في الشَّواذِّ[٢] ﴿ **وأَنْزَلنا ماءَ المُعْصِرات ماءً ثَجَّاجاً** ﴾ تَفْسِيرٌ لِلْمُعْصِراتِ بالرِّياحِ دُونَ السَّحابِ، وإِنْ كانَ الأَكثرونَ على تَفْسِيرِ المُعْصِراتِ بالسَّحابِ[٣]، وعَلَيْهِ قِراءَةُ السَّبْعِ ﴿ **وأَنْزَلْنا مِنَ المُعْصِراتِ** ﴾[٤].

الرَّابعُ: قِيلَ إِنَّ[٥] الماءَ الَّذي نَبَعَ[٦] منَ الأَرْضِ هُوَ الَّذي نَزَلَ مِنَ السَّماءِ، احْتِجاجاً بِقَوْلِه تَعالى: ﴿ **وأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ في الأَرْضِ** ﴾[٧]، وَحِينَئِذٍ يَكونُ ماءُ السَّماءِ هو الأَصْلُ، وماءُ الأَرْضِ نَوْعٌ مِنْهُ[٨].

الخامسُ: قِيلَ إِنَّ ماءَ المَطَرِ أَخَفُّ، وذلكَ أَنَّ الفلاسفَةَ تَزْعُمُ أَنَّ ماءَ المَطَرِ مِنْ أَبْخِرَةٍ[٩] مُتَصاعِدَةٍ مِنَ البَحْرِ عَلَى ما هو مُقَرَّرٌ عِنْدَ الطَّبيعيِّينَ، ولا يَتَصاعَدُ مِنَ الماءِ[١٠] إِلاَّ ما خَفَّ ولَطُفَ[١١]، وإِلى هذا[١٢] المَعْنَى يُشِيرُ بَعْضُهُمْ في الاعْتِذارِ عَنْ

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء (برقم ٨٩٨) من حديث أنس بن مالك قال: «أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، قال: فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا يا رسول الله، لم صنعت هذا؟ قال: «لأنه حديث عهد بربه تعالى».وانظر مسند أحمد (٣/١٣٣، ٢٦٧).

(٢) في الأصل: «قرئ بالسواد» بالسين مهملة وهو تصحيف.

(٣) قال مجاهد وقتادة: والمعصرات: الرياح، وقاله ابن عباس: كأنها تعصر السحاب، وعن ابن عباس أيضاً أنها السحاب، وقال سفيان والربيع وأبو العالية والضحاك: أي: السحائب التي تنعصر بالماء ولما تمطر بعد.. فالرياح تسمى معصرات يقال أعصرت الريح فهي تعصر إعصاراً، إذا أثارت العجاج، وهي الإعصار، والسحب أيضاً تسمى المعصرات؛ لأنها تمطر، وقال قتادة أيضاً؛ المعصرات: السماء، قال النحاس: هذه الأقوال صحاح.. وأصح الأقوال أن المعصرات السحاب» (الجامع لأحكام القرآن ج١٩/ص١٧٢-١٧٣).

– قوله: «تفسير للمعصرات... الأكثرون على» ساقط من ب، ض.

(٤) سورة النبأ: آية ١٤، وتمامها: ﴿ **وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجا** ﴾.

(٥) «إن» ساقطة من ب، ض.

(٦) كذا «نبع» في الأصل، وفي بقية النسخ «ينبع».

(٧) سورة المؤمنون: آية ١٨، وتمامها: ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء بقدر وإنا على ذهاب به لقادرون** ﴾.

(٨) الظاهر في الواو «وماء الأرض» أنها عاطفة للجملة على جملة «ماء السماء هو الأصل».

(٩) في ض: «من جرة» وهو تحريف.

(١٠) زاد في الأصل: «ولا ما يتصاعد من الماء» وفي ب، ض: «ولا يتصاعد عن الماء».

(١١) في الأصل: «إلا ما هو أخف وألطف».

(١٢) في ض: «ولهذا المعنى».

هَدِيَّةٍ أَرْسَلَ بها[١] إلى مَنْ عَمَّهُ بِرُّهُ بِقَوْلِه[٢]:

والبَحْرُ يُمْطِرُهُ السَّحابُ وما لَهُ فَضْلٌ عَلَيْه لأَنَّهُ مِـــنْ مائِـــه

الوَصْفُ الرَّابِعُ: كَوْنُهُ مِنْ سَحابَةٍ أَوْ سُحُبٍ أَتَتْ باللَّيْلِ وَهُوَ المُرادُ بقَوْلِه: «سارِيَة» على ما تَقَدَّمَ، وذلكَ أَنَّ السُّحُبَ[٣] إذا أَتَتْ لَيْلاً بَقِيَ المَطَرُ على أَصله في البُرودَة، فإذا أُخِذَ مِنْ صَبيْحَةِ تِلْكَ اللَّيلَةِ كانَ في غايَةٍ مِنَ البَرْدِ، وَهُوَ مِنْ آكدِ المَطلوب فيه، وإِنْ جَعَلْنا «سارِيَةً» وَصْفاً[٤] لسُحُبٍ على مَعْنَى الجَمْعِ، كانَ فيه مَعْنى الكَثْرَةِ أَيْضاً، فَيَكُونُ مُؤَكِّداً لِمَعْنَى قَوْلِه «وأَفْرَطَهُ» خُصوصاً إذا فَسَّرنا «يَعاليل[٥]» بالَّتي تَأْتي مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.

الوَصْفُ الخَامِسُ: كَوْنُه يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ قَبْلَ مَصيْرِه[٦] إلى الأَبْطَحِ على جبالٍ بيضٍ صافيَةٍ لَيْسَ عَلَيْها ما يُكَدِّرُ الماءَ إذا وَقَعَ عَلَيْها، وهو المُرادُ بقَوْله "بِيْضٌ يَعاليلُ" على أَقْوَى التَّفاسيرِ المُتَقَدِّمَة. وَخَصَّ[٧] الجبالَ المَذْكُورَةَ بنُزوله عَلَيْها قَبْلَ نُزوله إلى الأَبْطَحِ الَّذي هو مَقَرُّهُ، لأَنَّ الجبالَ مَعَ صَفَائِها، صُلْبَةٌ لا يَنْفَصِلُ مِنْها شَيءٌ بِوقوعِ المَطَرِ عَلَيْها، بخلافِ الأَبْطَحِ، فَإِنَّهُ رُبَّما أَثَارَ المَطَرُ تُرْبَتَهُ[٨] بِشِدَّةِ وَقْعِه عَلَيْه.

ثُمَّ إِنْ فَسَّرْنا «يَعَاليلَ» بالشَّديدَةِ البَيَاضِ، كانَ مُبَالَغَةً في صَفاءِ الماءِ الذي يَنْزِلُ

---

(١) في الأصل: «أرسلها».

(٢) البيت: من بحر الكامل.

- البيت للبديع الاسطرلابي هبة الله بن الحسين ت٥٣٤هـ.

- يروى قبله (وكان قد أرسل بعض الرؤساء هدية):

أهدي لمجلسك الشريف وإنما أهدي له ما حزت من نعمائه

- البيتان في وفيات الأعيان ٦ / ٥١ قال ابن خلكان عنهما: «وهذان البيتان من أسير شعره، وقد قيل إنهما لغيره» النجوم الزاهرة ٥ / ٢٧٥ ومعجم الأدباء ٦ / ٢٧٧١.

(٣) في ظ، ل: «أن السحاب».

(٤) كذا «وصفاً» في ل، ب، ض، وفي ظ، ك: «وصف» وهو لحن من الناسخ.

(٥) في ض: «تعاليل».

(٦) كذا في ب، ك، ض، وفي ظ، ل: «قبل خضرته».

(٧) في الأصل: «خص» بدون الواو.

(٨) في ب، ض: «ربما أثار المطر قوته».

عَلَيْها لغَلَبَة[١] الصَّفاءِ عَلَيْها، وإِنْ فَسَّرْناها بالَّتي تَأْتي مَرَّةً بَعْدَ أُخرى، كانَ مُبَالَغَةً في الكَثْرَة، وكلاهُما منَ الأَوْصاف المُسْتَحْسَنَة في الماء، وإِنْ فَسَّرْناها بالمُرْتَفعَة كانَتْ مُبالَغَةً في الصَّفاءِ أَيْضاً، وذلكَ أَنَّها[٢] إِذا كانَتْ مُرْتَفعَةً كانَ هُبوبُ الرِّياحِ عَلَيْها أَشَدَّ، فَرُبَّما نَسَفَتْ ما بِها مِنْ تُرْبَةٍ إِنْ كانَتْ[٣]، فَتَبْقى على نَقَائِها وصَفَائِها. واللهُ تَعالى أَعْلَمُ بالصَّواب[٤].

---

(١) في ب، ض: «لقلة».

(٢) كذا «إنها» في الأصل، وفي بقية النسخ «وذلك أنه».

(٣) في الجملة محذوف تقديره: «إن كانت موجودة».

(٤) كذا «والله تعالى أعلم بالصواب» في ل أيضاً، وفي ب، ض: «والله أعلم» وزاد في ك: «والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب».



البَيْتُ السَّادِسُ

أَكْــرِمْ بِهــا خُلَّةً لَوْ أَنَّهــا صَدَقَتْ   مَوْعُودَهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النُّصْحَ مَقْبولُ[١]

/قَوْلُهُ: «أَكْرِمْ بها خُلَّةً لَوْ أَنَّها صَدَقَتْ مَوْعُودَها»[٢]، أي: أَكْرِمْ بسُعادَ خُلَّةً لَوْ أَنَّها (١٤٦ب) صَدَقَتْ مَوْعُودَها الَّذي وَعَدَتْهُ، أَكْرِمْ بِها، أَيْ: أَكْرِمْ بسُعادَ، وَمَعْناهُ[٣]: ما أَكْرَمَها، كَمَا في قَوْلِه تَعالَى: ﴿**أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا**﴾[٤]، أَيْ: ما أَسْمَعَهُمْ وَأَبْصَرَهم في ذلكَ اليَوْمِ[٥]. ثُمَّ «أَكْرِمْ[٦]» في كَلامِه يَحْتَمِلُ[٧] مَعْنَيَيْن:

---

(١) كذا «أكرم بها خلة» في رواية التبريزي (ص١٥) وابن الأنباري (ص٩٥) وابن هشام الأنصاري في شرحه (ص٦٦) وعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز (ص١٧) والسبكي في الطبقات (١/٢٣٥) وعبد اللطيف البغدادي في شرحه (ص١٠٨) وروى ابن بشران «سقياً لها خلة»(ص٨٠).
– روى ابن هشام في السيرة (٤/١٣٥٧) والسهيلي (٤/١٥٩): «فيالها خلة» قال التبريزي: «ويروى فيالها خلة، ومعناه التعجب» (شرح قصيدة بانت سعاد ص١٥) قال البغدادي: «ويروى فيا لها خلة ... ولم يروها أبو العباس الأحول ولا نفطويه» (حاشية ١/٦٣٩).
– وروى أبو أحمد العسكري «ويلمها خلة» (المصون ص٢٠٢) وروى القرشي: «واها لها خلة» (٢/٧٩٠) وروى الحاكم: «سقيا لها خلة» (٣/٥٨٠) وروى ابن كثير «فيا لها خلة» (٤/٤٢٨).
– روى السكري «يا ويحها خلة» (شرح ديوان كعب بن زهير ص٧) وروى ابن سيد الناس «ويل أمها» (٢/٢٨٢) ولم يرو أبو العباس الأحول غيرهما (حاشية على شرح بانت سعاد ١/٦٤٣).
– قال التبريزي: «ويروى ويلمها» (ص١٥) وذكر ابن هشام ذلك في شرحه أيضاً فقال: «ويروى يا ويحها خلة، ويلمها خلة». (ص٦٩) وسيشير المصنف إلى رواية «يا ويحها» لاحقاً في شرحه.
– روى السكري: «لو أنها صدقت ما وعدت» (ص٧) وروى ابن هشام في السيرة «لو أنها صدقت بوعدها» (٤/٤٢٨) وكذلك ابن كثير (٤/٤٢٨) وابن سيد الناس ٢/٢٨٢) والسهيلي (٤/١٥٩).
– في رواية أبي أحمد العسكري «أولو أن النجع مقبول» (المصون ص٢٠٢).
(٢) زاد في ب: «أكرم بها خلة لو أنها صدقت موعودها إلى آخره».
(٣) قوله: «خلة لو أنها ... ومعناه» ساقط من الأصل ومستدرك بخط مغاير بهامشه.
(٤) سورة مريم: آية ٣٨ وتمامها ﴿**أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين**﴾.
(٥) هذا التفسير فيه نظر إلى قول أبي جعفر النحاس: «والمعنى عند أهل اللغة: ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة، لأنهم عاينوا ما لا يحتاجون معه إلى فكر ولا روية». (معاني القرآن الكريم ج٤ ص٣٣١) قال أبو العباس: «العرب تقول هذا في موضع التعجب؛ فتقول اسمع بزيد وأبصر بزيد، أي: ما أسمعه وأبصره، قال: فمعناه أنه عجب نبيه منهم». (الجامع لأحكام القرآن ج١١/ص١٠٨).
(٦) في الأصل: «الكرم».   (٧) في ض: «تحتمل».

الأَوَّلُ: وهو الأَقْرَبُ لِمُرادِه، أَنْ يُرِيدَ(١) به كَرَمَ الحَسَبِ والشَّرَفِ وَطِيبِ الأَرُومَةِ.

الثَّاني: أَنْ يُرِيدَ بِه خِلافَ البُخْلِ، وهو الجُودُ(٢)، وَهُوَ المُتَبَادَرُ إِلى أَفْهامِ العَامَّةِ.

و«الخُلَّة» بضَمِّ الخاءِ وتَشْدِيدِ اللامِ وبَعْدَها تاءُ التَّأْنِيثِ: الخَلِيلَةُ، وهيَ الصَّدِيقَةُ، ويُرْوَى: «فَيالَها خُلَّةً(٣)» بَدَلَ "أَكْرِمْ بها خُلَّةً» أيْ(٤): فيا قَوْمُ اعْجَبوا لها خُلَّةً، ويُرْوَى أَيْضاً: «يَا وَيْحَها خُلَّةً(٥)»، وَوَيْحٌ: كَلِمَةٌ تُقالُ لِمَنْ وَقَعَ في هَلَكَةٍ لا يَسْتَحِقُّها، فَيُرْثَى لَهُ رَحْمَةً، كَما في قَوْلِه ﷺ: «وَيْحُ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ الباغِيَةُ(٦)»، ويُرْوَى(٧): «يا وَيْلَها خُلَّةً»، وَوَيْلٌ: كَلِمةٌ تُقالُ(٨) لِمَنْ يَسْتَحِقُّ الهَلَكَةَ كَما في قَوْلِه تَعالى: ﴿**وهما يَسْتَغيثان اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ الله حقٌّ**﴾(٩).

و «لَوْ» في كَلامِه تَحْتَمِلُ(١٠) مَعْنَيَينِ:

أَحَدُهُما: أَنْ تكونَ لِلتَّمَنِّي كما في قَوْلِه تَعَالى: ﴿**فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً**﴾(١١).

[والثَّاني: الشَّرْطُ، كَما في قَوْلِه تَعَالى: ﴿**ولَوْ تَرَى إِذِ المجرِمُونَ ناكِسُوا**

---

(١) في ك: «أن يرد به». (٢) في ك: «وهو الحق».

(٣) هي رواية ابن هشام في السيرة (انظر ٤ /١٣٥٧).

(٤) في الأصل: «أو».

(٥) هي رواية السكري في شرح ديوان كعب بن زهير (ص٧) ورواية أبي العباس الأحول، وزادها نفطويه على رواية أكرم بها خلة (حاشية على شرح بانت سعاد ج١ /٦٤٣).

(٦) هذا الحديث أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة (ج٤ /٢٢٣٦) من طرق عن أم سلمة رضي الله عنها. وقد جاء هذا الحديث من طرق كثيرة، حتى قيل فيه إنه متواتر، فقد نص على ذلك الإمام ابن عبد البر في الاستيعاب (ص٤٨٤) وابن حجر في الإصابة والسيوطي في قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة (ص٢٨٣–٢٨٥ برقم ١٠٤) وفي الخصائص الكبرى (٢ /١٤٠) والزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة (ص٢٢٢–٢٢٣ برقم ٦٥) ذكره عن أربعة وعشرين صحابياً، والكتاني في نظم المتناثر (ص٢٣٧ برقم ٢٣٧ وص١٢٦).

(٧) في ب: «وترى» بتاء فوقية.

(٨) «تقال» ساقطة من الأصل.

(٩) سورة الأحقاف: آية رقم ١٧، وتمامها: ﴿**والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي، وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين**﴾.

(١٠) في ل: «يحتمل» بياء تحتية.

(١١) سورة الشعراء: آية رقم ١٠٢، تمامها: ﴿**فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين**﴾.

– قوله: «ولو تحتمل معنيين، أحدهما أن تكون للتمني كما في قوله تعالى: ﴿**فلو أن لنا كرة**﴾» منقول من شرح ابن هشام ص ٦٩.

رُؤوسِهِمْ ﴾][(١) وَيَكُونُ المَعْنَى فيها: فيا لَيْتَها صَدَقَتْ مَوْعُودَها لَكَانَتْ خُلَّةً كَرِيمةً، أَوْ لَوْ صَدَقَتْ مَوْعُودَهَا لَتَمَّتْ خِلالُها(٢).

والصِّدْقُ خِلافُ الكَذِبِ، ومَوْعودُها يَحْتَمِلُ ثلاثَ معانٍ:

الأَوَّلُ: أَنْ يُرِيدَ(٣) به نَفْسَ الوَعْدِ، بتَقْديرِ لَوْ صَدَقَتْ وَعْدَها.

الثاني: أَنْ يُرِيدَ بهِ الشَّيْءَ المَوْعُودَ بهِ(٤)، بتَقْديرِ لَوْ صَدَقَتِ ما وَعَدَتْ(٥).

الثالث: أَنْ يُرِيدَ به الشَّيْءَ(٦) المَوْعُودَ به، بتَقْديرِ الوَعْدَ الَّذي وَعَدَتْهُ(٧).

وَقَوْلُهُ: «[أَوْ](٨) أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ»، أَيْ: أَكْرِمْ بِها خُلَّةً لَوْ أَنَّها صَدَقَتْ مَوْعُودَها على ما تَقَدَّمَ، أَوْ لَوْ أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولٌ عِنْدَها. و«أو»(٩) في كَلامِه(١٠) تَحْتَمِلُ(١١) مَعْنَيَيْنِ:

---

(١) ما بين المعكوفتين زيادة من شرح ابن هشام يقتضيها السياق بذكر «أحدهما».

الآية: رقم ١٥ من سورة السجدة. وتمامها: ﴿ **ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم، ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون** ﴾.

(٢) في شرح ابن هشام: «والثاني الشرط... ويرجح الثاني أن الغالب على «لو» كونها شرطية، ثم الجواب المقدر محتمل لأن يكون مدلولاً عليه بالمعنى، أي: لو صدقت لتمت خلالها، فتكون مثلها في قوله تعالى: ﴿ **ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم** ﴾.

(٣) في ب: «أن يراد».

(٤) في ب، ض: «أن يراد به ما وعدت» وفي ك: «أن يريد به ما وعدت».

(٥) قوله: «الشيء الموعود به... ماوعدت» ساقط من ب، ك، ض.

(٦) في الأصل: «أن يريد به الشخص» وصوبت هذه الكلمة في ل، بأن كتب فوقها «الشيء».

(٧) قوله: «وموعودها يحتمل ثلاث معان.... الذي وعدته" منقول بتصرف من شرح ابن هشام في قوله: «يحتمل قوله (موعودها) ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون اسم مفعول على ظاهره، ويكون المراد به الشخص الموعود والثاني: أن يكون كذلك ويكون المراد به الشيء الموعود به، والثالث: أن يكون مصدراً على رأي أبي الحسن في أن المصدر يأتي على زنة مفعول كالمعسور والميسور ...» (ص٧٣).

(٨) ما بين المعكوفتين زيادة يقتضيها النص وسياق الشرح.

(٩) كذا «أو» في ب، ل، وفي بقية النسخ «ولو».

(١٠) أي في قوله: «أو لو أن النصح مقبول».

- في ل: «في كلام».

(١١) في ل: «يحتمل».

الأَوَّلُ: أَنْ تَكُونَ على بَابِها[١].

الثَّاني: أَنْ تكونَ[٢] بِمَعْنى الواوِ كما في قَوْلِه تَعَالى[٣]: ﴿**وَأَرْسَلْناهُ إلى مائةِ ألفٍ أَوْ يَزِيدُونَ**﴾[٤].

والنُّصْحُ خلافُ الغشِّ[٥]، قالَ ابنُ الأَثيرِ[٦]: وهي كَلِمةٌ يُعَبَّرُ بها عَنْ جُمْلَةٍ هي: إِيرادُ[٧] الخَيْرِ[٨] للْمَنْصوحِ[٩]، قَالَ: وَلَيْسَ يُمْكِنُ أَنْ يُعَبَّرَ[١٠] على هذا[١١] المَعْنَى بِكَلِمَةٍ واحِدةٍ تَجْمَعُ[١٢] مَعْنَاها[١٣] وغَيْرَهُ. وَأَصْلُ النُّصْحِ: الخُلُوصُ، ومِنْهُ قَوْلُهُمْ:

---

(١) وباب (أو) أنها في الأصل تفيد التردد والشك والتخيير، وهو قول محمد بن يزيد المبرد ومعنى الآية «أرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم لقلتم مائة ألف أو أكثر» (معاني القرآن لأبي جعفر النحاس ٦ / ٦١-٦٢ والجامع لأحكام القرآن ج١٥ / ١٣٢).

(٢) في ظ، ل: «أن يكون».

(٣) «تعالى» ساقطة من الأصل.

(٤) سورة الصافات: آية ١٤٧.

- إلى هذا ذهب ابن قتيبة إذ يقول في الآية: «فإن بعضهم يذهب إلى أنها بمعنى بل يزيدون، على مذهب التدارك كلام غلطت فيه، وكذلك قوله: ﴿**وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب**﴾ وقوله: ﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾ وليس هذا كما تأولوا، وإنما هي بمعنى «الواو» في جميع هذه المواضع: ﴿**وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون**﴾، ﴿**وما أمر الساعة إلا كلمح البصر وهو أقرب**﴾، و: ﴿**فكان قاب قوسين وأدنى**﴾ (تأويل مشكل القرآن ص٥٤٣ - ٥٤٤ وفي تفصيل معاني أو عند المفسرين انظر معاني القرآن للنحاس ٦ / ٦٠ -٦٢ وفي توجيه أهل النحو لها انظر حاشية على شرح بانت سعاد ج١ / ٦٦٩).

(٥) زاد في ب، ض: «والنصح على خلاف الغش».

(٦) انظر النهاية في غريب الحديث (ج٥ / ٣٦).

(٧) في النهاية: «وهي إرادة الخير».

(٨) في ب، ك، ض: «الخبر» بالباء الموحدة.

(٩) في ب، ض: «للمنعوت».

(١٠) في الأصل: «أن يعن».

(١١) في النهاية: «أن يعبر هذا» دون «على».

(١٢) في الأصل: «يجمع».

(١٣) كذا «معناها» في ب، ض والنهاية، وفي بقية النسخ «معناهما».

نَصَحَ اللَّبَنُ: إذا خَلَصَ مِنْ رَغْوَتِهِ، والمَقْبولُ: خِلافُ المَرْدُودِ.

ومَعْنَى البَيْتِ: أَنَّها صَدِيقَةٌ كَرِيمَةٌ، إلا أَنَّ فيها خَصْلَتان مُنافيَتان لأَفْعالِ الكَرَمِ، وهما: إِخْلافُ الوَعْدِ، وَعَدَمُ قَبُولِ النُّصْحِ، فَلَوْ أَنَّها خَلَتْ مِنْ هاتَيْنِ الخَصْلَتَيْنِ لَكانَتْ على أَتَمِّ الخِلالِ وأَكْمَلِها. وحاصِلُ الأَمْرِ أَنَّ الإِنْسانَ كما يَحْتاجُ إلى حُسْنِ الصُّورةِ، وكَرَمِ الأَصْلِ، كذلكَ يَحْتَاجُ إلى حُسْنِ المُعاشَرَةِ مِنَ الوِفاقِ[1] والصِّدْقِ والوُدِّ والمُصافَاةِ ولِينِ الجانبِ ونَحْوِ ذلكَ، إذْ لَوْ كانَ الإِنْسانُ في غايَةِ الحُسْنِ والجَمالِ، ولكنَّهُ سَيِّءُ المُعاشَرَةِ، وقَليلُ المُوافاةِ، لَمَجَّتْهُ النُّفوسُ[2]، ونَفَرَتْ عَنْهُ القُلوبُ[3]، وجَفَتْهُ الأَصْدِقاءُ، ورَفَضَتْهُ الأَصْحابُ، بَلْ حُسْنُ السِّيرَةِ يُقَدَّمُ على حُسْنِ الصُّورةِ، فَقَدْ قالَ الإِمامُ فَخْرُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللهُ تَعالى في أَسْرارِ التَّنْزِيلِ[4]: «إِن حُسْنَ الصُّورةِ وإِنْ كانَ مَرْغوباً فيهِ، فَإِنَّ حُسْنَ السِّيرَةِ أَفْضَلُ مِنْهُ، إِذْ حُسْنُ الصُّورةِ إِنَّما يَبْقى أَيَّاماً، وحُسْنُ السِّيرَةِ لا يَزولُ أَثَرُهُ، ولا تَبْطُلُ نَتيجَتُهُ.

وحُسْنُ الصُّورةِ رُبَّما أَدَّى بِصاحِبِهِ إلى الوُقوعِ في المِحَنِ والبَلاءِ، وحُسْنُ السِّيرَةِ يُنْجيهِ مِنَ الهَلاكِ، ويُنْقِذُهُ مِنَ المَهاوِي، أَلا تَرَى أَنَّ حُسْنَ الصُّورَةِ أَدَّى[5] بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى السِّجْنِ[6]، وحُسْنُ السِّيرَةِ[7] أَوْجَبَ لَهُ الخُروجَ مِنَ السِّجْنِ،

---

(١) في ل: «من الوفاء» وفي ض: «من الرفاق» بالراء مهملة، وفي هامش ل: «نسخة من الرفاق والصدق».

(٢) في ب: «لما أحبته النفوس» وفي ض: «المحبة».

(٣) في الأصل: «ونفرت عنه النفوس».

(٤) لم أجد هذا النص في كتاب أسرار التنزيل بتحقيق أحمد حجازي السقا – ط دار الجيل ١٩٩٢.

(٥) في ب «الداء» وهو تحريف.

(٦) معنى قوله «إن حسن الصورة... إلى السجن» ينظر فيه إلى قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز ﴿ **ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين** ﴾ ذلك أن الآية الأولى كانت في سياق الحديث عن جمال يوسف ﴿ **فذلكن الذي لمتنني فيه** ﴾ وأما الآية الثانية ففي دلالتها أن العزيز عمل برأي زوجته في سجن يوسف وإلحاق الصغار به كما وعدته به، أو طمعاً في أن يذلله السجن ويسخره لها. (انظر الكشاف ج٢ / ٤٦٨).

(٧) في ل: «وحسن سيرته».

وجُلُوسه على سَرِيرِ المُلْكِ[1].

ولمّا كانَتْ سعادُ مِنَ الحُسْنِ والجَمَالِ على الوَصْفِ الّذي قَدَّمَ ذِكْرَهُ، إلا أنَّها كانَتْ سَيِّئَةَ العِشْرَة، قَليلَةَ المُوافاة، تَأَسَّفَ عَلَيْها[2] لكَوْنِها لَمْ تَكْمُلْ خِلالُها، ولم تَتِمَّ خِصالُها، ولم يَصُدُّهُ ما لاقَاهُ مِنْ سُوءِ عِشْرَتِها، وَقِلَّةِ موافاتها عَنْ مَحَبَّتِهِ لَهَا، ولم / يَثْنِ[3] عَنَانَهُ عَنْ مَوَدَّتِها، بَلْ لم يَزِدْ فيها إلاّ هُياماً، ولم يُحْدِثْ عِنْدَهُ جَفَاها[4] إلاّ وُدّاً، ولِلّهِ دَرُّ[5] القَائِلِ[6]: (١٤٧أ)

العَقْلُ عَقيلَةُ الرِّجالِ ... والحُبُّ مُحَلِّلُ العُقّالِ

العَقْلُ يَقُولُ لا تُبالِغْ ... والحُبُّ يَقولُ لا تُبالِ

ثُمَّ إنْ[7] أُنْشِدَ على الرِّوايَةِ المَشْهورةِ وهي: «أَكْرِمْ بها خُلَّةً» كانَ ذلكَ في غَايَةِ المَدْحِ، فَإِنْ فَسَّرنا الكَرَمَ بالشَّرَفِ والحَسَبِ وطِيْبِ الأَرُومَة، كانَ هو الغَايَةُ القُصْوى، إذ العَراقَة في النَّسَبِ مَطْلوبَةٌ في المَرْأَة، مَرْغُوبٌ فيها، خُصُوصاً عِنْدَ العَرَب، وَقَدْ وَرَدَت السُّنَّةُ باعْتِبارِ ذلكَ، ولِذلكَ قَالَ النَّبِيُّ[8] ﷺ: «تَخَيَّروا لِنُطَفِكُمْ فلا تَضَعُوها إلا في

---

(١) يقصد بذلك قول الله تعالى: ﴿**وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي، فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين**﴾ (سورة يوسف أية ٥٤) إذ يقول القرطبي في تفسيرها: «لما ثبت للملك براءته مما نسب إليه، وتحقق في القصة أمانته، وفهم أيضاً صبره وجلده، عظمت منزلته عنده، وتيقن حسن خلاله». وروي عن وهب بن منبه قال: لما دعى يوسف ووقف بالباب... ثم دخل فلما نظر إليه الملك نزل عن سريره، فخر له ساجداً، ثم أقعده الملك معه على سريره». (الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٢١٠-٢١١).

(٢) «عليها» ساقطة من ض.

(٣) في النسخ جميعاً: «ولم يثني» وهو لحن من النساخ.

(٤) كذا «ولم يحدث عنده جفاناً» في ظ، ب، ض، وفي ك، ل: «ولم يحدث جفاها عنده».

(٥) «درّ» ساقطة من ك، ل.

(٦) البيتان: من مشطور البسيط.
– القائل: لم أقف عليه.

(٧) «إن» ساقطة من ظ، ك.

(٨) كذا «النبي» في الأصل، وهو غير مذكور في بقية النسخ.

الأكْفاء[1] »، ونَهى عَنِ المَرْأَةِ الدَّنِيَّةِ الأَصْلِ فقالَ: « وإيَّاكُمْ وخَضْراءُ الدِّمَنِ، قالوا: وما خَضْراءُ الدِّمَنِ يا رَسُولَ الله، قالَ: « المَرْأَةُ الحَسْنَاءُ في المَنْبَتِ[2] السُّوءِ[3] »، والمَعْنَى أَنَّ الدَّوابَّ إذا راثَتْ بالمَرْعَى، ونَبَتَ الزَّرْعُ في مَوْضِعِ الرَّوْثِ، تَراهُ أَخْضَرَ[4] مُرْتَفِعاً على ما حَوْلَهُ مِنَ الزَّرْعِ، فَشَبَّهَ النَّبيُّ ﷺ المَرْأَةَ الحَسَنَةَ الدَّنِيَّةَ[5] بالزَّرْعِ الحَسَنِ[6] النَّابِتِ في الرَّوْثِ[7] على أَصْلٍ غَيْرِ طَيِّبٍ، على أَنَّ الحديثَ مُصَرَّحٌ بِضَعْفِه لِتَفَرُّدِ الواقِديِّ بِه، وإن كانَ المَعْنى صَحيحاً[8].

وإنْ فَسَّرْنا الكَرَمَ بما يُخالِفُ[9] البُخْلَ، كانَ في مَعْنَى المَدْحِ أَيْضاً، إلا أَنَّهُ دُونَ الأَوَّلِ؛ لأَنَّ الجُودَ فيْما[10] يُقالُ مِنْ صِفاتِ المَدْحِ في الرَّجُلِ دُونَ المَرْأَةِ، والحقُّ أَنَّ الجُودَ فَخْرٌ لِصاحِبِه مُطْلَقاً، رَجُلاً كانَ أَوْ امرأةً.

---

(١) في ك: « إلا في الاتها ».
- حديث « تخيروا لنطفكم . . . » أخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح (١/٦٣٣ برقم ١٩٦٨ باب الأكفاء) وابن حبان في المجروحين (١/٢٢٥) والدارقطني في السنن (٣/٢٩٩) وابن عدي في الكامل (٢/٤١٦) والحاكم في المستدرك (٢/١٦٣) والخطيب في تاريخ بغداد (١/٢٦٤).

(٢) في ك، ل: « بالمنبت ».

(٣) الحديث « إياكم وخضراء الدمن . . . » أخرجه الرامهرمزي في الأمثال (ص١٢٦) والدارقطني في الأفراد (المقاصد الحسنة ص١٣٥ برقم ٢٧١) وأبو هلال العسكري في الأمثال (١/١٧) وابن عدي في الكامل والقضاعي في مسند الشهاب (٢/٩٦ برقم ٩٥٧) والديلمي في الفردوس برقم ٢٢٩٥) كلهم من طريق محمد بن عمر الواقدي، ثنا يحيى بن سعيد بن دينار ، عن أبي وجزة يزيد بن عبيد، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، مرفوعاً .

(٤) في ك، ل، ض: « أخضراً » وهو لحن من الناسخ.

(٥) في ظ، ب: « الدينه » وهو تحريف.

(٦) « الحسن » ساقطة من الأصل.
- في ض: « الحسنة ».

(٧) في ب: « الرفث ».

(٨) ما قاله المؤلف من تفرد الواقدي به، قاله ابن عدي تفرد به الواقدي. وقال ابن طاهر وابن الصلاح: يعدّ في أفراد الواقدي. وقال الدارقطني: « لا يصح من وجه » (انظر التلخيص الجيد ٣/١٤٥، والمقاصد الحسنة ص١٣٥ برقم ٢٧١).

(٩) في الأصل: « بما خالف ».

(١٠) في ب، ض: « فيها ».

وإنْ أُنشدَ: «فيالَها خُلَّةً» على الرِّواية الثَّانية بتَقْدير ألا فَاعْجَبوا لها، أو فَيَالَها خُلَّةً، كـانَ التَّـعَـجُّـبُ مِنْ كَـوْنِـهـا اشْـتَـمَلَـتْ على حُـسْـنِ الصُّـورةِ وبَديعِ الجَـمـال، وَهِيَ مَعَ ذلكَ مُشْتَمِلَةٌ على سُوْءِ العِشْرَة، وقِلَّة الموافَاة، فَإنَّ حُسْنَ الصُّورَة مَقْرونٌ بحُسْنِ الفعال وكَرَمِ الخَلائق، ولذلكَ قالَ ﷺ: «اطْلُبُوا الحوائجَ عِنْدَ صِبَاحِ الوُجوه[1]»، فَإنْ كانَتْ في نهاية الحُسْنِ والجَمال، وفعالُها مُخَالِفَةٌ في ذَلكَ[2]، كانَ[3] في غاية التَّعَجُّب.

وإنْ أُنْشدَ: «يا وَيْحَها خُلَّة[4]» على الرِّوايَة الثَّالثَة، كانَ ذلكَ[5] مِنْ باب التَّأَسُّف عَلَيْـهـا، حَيْثُ لم تَتَخَلَّقْ بأَخْلاق الكرامِ[6] المُناسِبَة لبَديعِ مَنْظَرِها، وكَرَمِ حَسَبِها، بل خَرَجَتْ عَنْ طَوْرِها المُلائِم لهـا[7]، وَرَكِبَتْ جادَّةً لا تَليقُ بمِثْلِها، فَحادَتْ عَنْ طَريقِ الصِّدْق، ومَالَتْ إلى الإخْلاف[8]، فَقَطَعَتْ حبالَ المَوَدَّة، وهَدَمَتْ مَباني الأُلْفَة، ولله دَرُّ[9] البُحْتُرِيِّ حَيْثُ يقولُ[10]:

---

(١) الحديث: أخرجه الطبراني في الأوسط والبزار في مسنده (كشف الأستار ٢/٣٩٨ برقم ١٩٤٨) وفي مختصر زوائد البزار لابن حجر (٢/٢٦٠ برقم١٨٢٩) والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢/١٣٨-١٣٩) وابن عدي في الكامل (٣/١١٣٨) وتمام في فوائده (٢/١٨٧ برقم ١٤٨٨) وأبو نعيم في الحلية (٣/١٥٦) كلهم من طريق عمر بن صهبان الأسلمي عن محمد بن المنكدر، عن جابر.

قال أبو نعيم: غريب من حديث جابر، لم نكتبه إلا من حديث سليمان عن عمر. وقال البزار: عمر بن صهبان لين الحديث وقد روى عنه الجماعة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٩٤) بعد عزوه للبزار والطبراني في الأوسط: «وفيه عمر بن صهبان وهو متروك». وقال العقيلي: «وليس في هذا الباب عن النبي ﷺ شيء يثبت».

(انظر مسند الشهاب ١/٣٨٤-٣٨٦ وهامشه وكشف الخفاء للعجلوني ١/١٣٦-١٣٨ و ١/١٧٦-١٧٧).

- زاد في ب، ض: «وقال: الخير والصلاح يتبعان الحسن غالباً».

(٢) في ب، ض: «لذلك».

(٣) في ب، ل، ض: «كانت».

(٤) في ظ، ك: «فيا ويحها» وهو تحريف يخل بالوزن.

(٥) «ذلك» ساقطة من ض.

(٦) في الأصل: «بأخلاق الكرم».

(٧) «لها» ساقطة من الأصل.

(٨) في ض: «إلى الأخلاق».

(٩) «در» ساقطة من ك، ل.

(١٠) الأبيات: من بحر الكامل.

- الأبيات: في ديوان البحتري مجلد ٣ ص١٦٠٠ من قصيدة عدد أبياتها (٣٣) بيتاً.

احنو عَلَيْـكَ وفي فُؤادي لَوْعَـــةٌ   وأَصُدُّ عَنْكَ وَوَجْهُ وُدِّي مُقْبِلُ[١]

وإذا هَمَمْتُ بِوَصْـــلِ غَيْرِكَ رَدَّني   وَلَهٌ عَلَيْكَ وشَافِـــعٌ لـكَ أَوَّلُ[٢]

وأَعِـزُّ ثُـــمَّ أَذِلُّ ذِلَّـــةَ وامِـــقٍ   والحـــبُّ فيـه تَعَزُّزٌ وتَـذَلُّلُ[٣]

وإِنْ أُنْشِدَ: «يا وَيْلَها[٤]» على الرِّوايَةِ الرَّابِعَةِ، كانَ مِنْ بابِ الدُّعاءِ على المَحْبوبِ المَطْلوبِ[٥] فيهِ عَدَمُ الإِجابَةِ، كما قيلَ[٦]:

أَدْعو عَلَيْكَ وَقَلْبي   يَقُولُ يـا ربِّ لا لا

وكَأَنَّهُ لَمَّا أَضْجَرَهُ إِعْراضُها، وأَعْياهُ صُعُوبَةُ مراسِها[٧]، هَفَتْ مِنْهُ هَفْوَةٌ فقالَ: «يا وَيلَها» لا أَنَّه قَصَدَ بذلكَ حقيقةَ الدُّعاءِ، وإذا دَعَا المُحبُّ على المَحْبوبِ بالوَيْلِ فما عَسَى يَدْعو بِهِ العَدُوُّ على عَدُوِّهِ، وما أَحْسَنَ قَوْلَ ديكِ الجِنِّ[٨]:

كَيْفَ الدُّعَـاءُ على مَنْ خَانَ أَوْ ظَلَمـا   ومالكِي ظالمِي في كُلِّ ما حَكَما[٩]

لا واخَـذَ اللّـهُ مَـــنْ أَهْـوى بِجَفْوَتِـهِ   كلا ولا اقْتَصَّ لي مِنْهُ ولا انْتَقَمَا[١٠]

---

(١) في رواية الديوان «وَلَهٌ إليك» بدل «عليك».

(٢) في ب، ض: «وإذا طلبت وصال» وذكرت هذه الرواية بهامش ل.

(٣) في رواية الديوان «ذلة عاشق» بدل «ذلة وامق».

(٤) في الأصل: «فيا ويلها» وهو تحريف يختل به الوزن.

(٥) في ض: «والمطلوب».

(٦) البيت من بحر المجتث.

– البيت من غير عزو في ديوان الصبابة (ص١٩٠).

(٧) في ض: «مرامها».

(٨) البيتان: من بحر البسيط.

– البيتان مقطوعة في ديوان ديك الجن (ص١٨٨).

– ديك الجن: هو أبو محمد عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام... الكلبي الحمصي من شعراء الدولة العباسية، وكان من ساكني حمص، وكان يذهب مذهب أبي تمام في شعره، وكان يتشيع تشيعاً حسناً، وله مراث كثيرة في الحسين بن علي. (الأغاني ١٤ ص٥١).

(٩) في رواية الديوان: «وما لكي ظالم» بدل «ومالكي ظالمي».

(١٠) في رواية الديوان: «لا آخذ» بدل «لا واخذ» و«عني» بدل «كلا» و«ظلما» بدل «انتقما».

ثُمَّ إِنْ جَعَلْتَ «لَوْ» في قَوْلِه: «لَوْ أَنَّها[1] صَدَقَتْ مَوْعُودَها» في التَّمَنِّي[2]، فَتَقْديرُ البَيْتِ: لَوْ صَدَقَتْ كانَ حُسْنُ الخُلَّةِ ثَابتاً لَهَا في كُلِّ حالٍ سَواءٌ أُنْشِدَ[3]: «أَكْرِمْ بها خُلَّةً» أَوْ «يا وَيْحَها خُلَّةً[4]» على مَعْنَى ما أَكْرَمَها خُلَّةً، كانَ قَدْ أَثْبَتَ لها وَصْفَ الكَرَمِ[5]، وإِنْ أُنْشِدَ[6]: «فيا لَهَا خُلَّةً» أو «يا وَيْحَها» أو «يا وَيْلَها»، كانَ فيه مَعْنى التَّأَسُّفِ على عَدَمِ كَمَالِ خِلالِها، ومُعَاطاتُها ما يُناقِضُ أَسْبَابَ الوَفاءِ ما لا يَليقُ بجَمالِها وجَلالِها، وإِنْ جَعَلْتَ «لَوْ» بِمَعْنَى الشَّرْطِ، كَانَ قَدْ عَلَّقَ الأَمْرَ بِكُلِّ التَّقْديرِ على صِدْقِها الوَعْدَ.

(١٤٧ب) **فإِن أُنْشِدَ**: «أَكْرِمْ بها خُلَّةً» كانَ كَرَمُها مُعَلَّقاً[7]/على شَرْطِ صِدْقِ الوَعْدِ، فلا يَكُونُ الكَرَمُ ثابتاً لَهَا إِلاَّ مَعَ صِدْقِ الوَعْدِ. وإِنْ أُنْشِدَ «فيا لَهَا» أَوْ «يا وَيْحَها» أَوْ «يا وَيْلَها»، كانَ التَّقْديرُ لو أَنَّها صَدَقَتْ مَوْعُودَها لَكَمُلَتْ خِلالُها، أَوْ لَكانَ خَيْراً لها، ثُمَّ إِنْ جُعِلَ[8] الكَرَمُ في كَلامِه بِمَعْنَى الجُودِ، كانَ المَعْنَى أَنَّها مُشْتَمِلَةٌ على الجُودِ، مُتَّصِفَةٌ بالسَّخاءِ، إِلاَّ أَنَّها لم تَجُدْ لَهُ[9] بالوَصْلِ، فَكَانَتْ كَمَا قَالَ ابنُ وَكيعٍ[10]:

---

(١) «أنها» ساقطة من الأصل.

(٢) في ب: «للتمني».

(٣) من قوله «أكرم بها خلة...» سقط في ك يشمل (٢٦) سطراً مقابلاً بالأصل.

(٤) في الأصل: «فيا ويحها» وهو تحريف يختل به الوزن.

(٥) زاد في ب، ض: «سواء أنشد (أكرم بها خلة) أو (يا ويحها خلة) أو (يا ويلها) على اختلاف الرواية، غير أنه إن أنشد (أكرم بها خلة) كان قد ثبت لها وصف الكرم».

(٦) في ب: «وإن أنشدها».

(٧) في ظ، ل: «كان كرمها معلق» وهو لحن من الناسخ في النسختين.

(٨) في ب، ض: «إن جعلنا».

(٩) «له» ساقطة من ك.

(١٠) ابن وكيع: هو أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي، أصله من بغداد، ومولده بتنِّيس، شاعر بارع، وعالم جامع، له ديوان شعر جيد وعدد من المصنفات منها في سرقات المتنبي، من غرائب شعره قصيدته المربعة والمزدوجة في أزمنة السنة، توفي سنة ٣٩٣هـ. (يتيمة الدهر ج١/٣٥٦-٣٨٤، ووفيات الأعيان ج٢/١٠٤-١٠٧).

- البيتان: من بحر البسيط.

- البيتان: في ديوان الصبابة ص١٨٧.

قالوا عَشِقْتَ كَثيرَ التِّيـهِ مُمْتَنِعـا فَقُلْتُ هَيْهَاتَ عَنْكُمْ غابَ أَطْيَبُهُ[١]

لَوْ جادَهـا وإنَّ الجُـودَ عادَتُـهُ وإنَّمـا عَزَّ لَمَّا عَزَّ مَطْلَبُـهُ[٢]

وَإِنْ جُعِلَ الكَرَمُ بِمَعْنَى الحَسَبِ والشَّرَفِ، كَانَ المُرادُ التَّأَسُّفَ عَلَيْها، كَيْفَ لَمْ تَحْسُنْ طَرِيقَتُها، ولم تَصْفُ في الوُدِّ خلائقُها، كما أَجادَ وقَالَ جَميلٌ[٣]:

ومـاذا عَسَى الواشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سوى أَنْ يَقُولوا إِنَّني لكِ عاشِقُ[٤]

نَعَمْ صَدَقَ الواشُونَ أَنْتِ حَبِيبَـةٌ وإِنْ لَـمْ تَصْفُ مِنْـكِ الخـلائقُ[٥]

فإِنْ قيلَ: ما المرادُ بالوَعْدِ الّذي وَعَدَتْهُ ولم تَصْدُقْ فيه؟ فالجوابُ: أَنَّ سياقَ الكلامِ يَقْتَضِي أَنَّهُ وَعْدٌ يَتَعَلَّقُ بالوَصْلِ والمَوَدَّةِ وحُسْنِ العِشْرَةِ، على أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَحَبَّتَهُمْ[٦] مَصُونَةٌ عنِ الخَنَا، بَعِيدَةٌ عَنِ الرِّيبَةِ[٧]، وقد حُكِيَ أَنَّ عَزَّةَ دَخَلَتْ على أُمِّ البَنِينَ بِنْتُ[٨]

---

(١) كذا «عنكم غاب أطيبه» في ب، ض، وهي رواية ديوان الصبابة وهي أصح وزناً من رواية بقية النسخ «غاب عنكم أطيبه».

(٢) في ب، ض: «لو جادها وقيل الجود عادته» وأشير إلى هذه الرواية في هامش ل نسخة (أخرى).

– في ل: «لو جاد هان وإن الجود عادته».

– في ديوان الصبابة (دعاته) بدل (عادته).

(٣) كذا «كما أجاد وقال جميل» في ل أيضاً. وفي ب، ض: «كما قال جميل وقد أجاد» وفي ك: «كما قال وقد أجاد جميل».

– البيتان من بحر الطويل.

– البيتان هما السابع والثامن من قصيدة عدد أبياتها ثمانية (ديوان جميل ص٨١).

(٤) في ل «وما عسى الواشون» ويختل بها الوزن.

– في رواية الديوان (تحقيق د.حسين نصار) «وامق» بدل «عاشق» وقال المحقق: والأخيرة (عاشق) رواية الأصول ما عدا المرزوقي.

(٥) في رواية الديوان: «نعم صدق الواشون أنت كريمة».

(٦) زاد في ب، ض: «أن محبتهم له».

(٧) زاد في ب، ض: «بعيدة عن الريبة والزنا».

(٨) في ب: «ابنة» وفي ل: «ابنت».

عُمَرَ بن عَبْد العَزيز(١) فَقَالَتْ لَهَا: ما(٢) مَعْنَى قَوْل كُثَيِّرٍ(٣):

قَضَى كُلُّ ذي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ وَعَزَّةُ مَمْطولٌ مُعَنَّى غَرِيمُهــا(٤)

فَقَالَتْ(٥): ما كانَتْ هذه الدَّيْنُ(٦)؟ قَالَتْ: وَعَدْتُهُ بِقُبْلَةٍ ومَطَلْتُهُ بها، فَقَالَتْ أَنْجزي بها لَهُ(٧) وعَلَيَّ إِثْمُها، فَفَعَلَتْ.

وكانَتْ أُمُّ البَنِينَ صَالحةً، فَأَعْتَقَتْ أَرْبَعِينَ عَبْداً، وقالَتْ عِنْدَ الكَعْبَةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرأُ إليكَ مما قُلْتُ لِعَزَّةَ.

ثُمَّ لَمَّا(٨) أَشَارَ إلى عَدَمِ وَفائها بالوَعْد لِقَوْله(٩): «لَوْ أَنَّها صَدَقَتْ مَوْعودَها» أَتْبَعَ ذَلِكَ(١٠) بِوَصْفٍ آخَرَ، وهو عَدَمُ قَبُول النُّصْحِ، وهو مُحْتَمِلٌ لِمَعْنَيَيْنِ:

الأَوَّلُ: أَنْ يَكونَ النُّصحُ فيما يَتَعَلَّقُ به، وَيَرْجِعُ نَفْعُهُ في الحَقيقَةِ إليه، وهو تَرْكُ الهَجْرِ(١١) والمَطْلِ، والوَفَاءِ بما وَعَدَتْهُ مِنَ الوَصْلِ، فَإِنَّ المَرْءَ مُجازَى بفعْله، والمظلومُ مَنْصورٌ، فَرُبَّما رَمَاها الدَّهْرُ إلى مَنْ يُوقِعُها الحُبُّ في حِبالَتِه، فَيَأْخُذُ(١٢)

---

(١) زاد في ب، ض: «رضي الله عنه».

(٢) «ما» ساقطة من ض.

(٣) البيت من بحر الطويل.

- البيت من قصيدة عدد أبياتها ٥٣ بيتاً (ديوان كثير ص١٤٣).

(٤) في هامش ب، ل: «قضى كل ذي دين من الوصل دينه».

(٥) «فقالت» ساقطة من ب، ض.

(٦) في ل، ض: «هذه الديون».

(٧) في ل: «أنجزيها له».

(٨) «لما» ساقطة من ض.

(٩) في ل، ض: «بقوله».

(١٠) في ض: «واتبع ذلك».

(١١) في ض: «ترك البحر».

(١٢) في ظ، ل «وياخذ».

منها بثَأْرِه كما قيلَ(١):

قُلْتُ لِمَحْبوبي وَقَدْ مَرَّ [بي] مِنْ طَرْفِكَ الوَسْنان بالثّار(٢)

هـذا الَّذي يَأْخُـذُ لي طَرْفُهُ مَحْبُوبُهُ كالقَمَرِ السَّاري(٣)

وإذا وَصَلَتْهُ(٤) كانَتْ قَدْ أَبْقَتْ عَلَيْهِ رُوحَهُ، وفازَتْ بأَجْرِه، كما قيلَ(٥):

فَدَيْتُ مَـنْ تَرْحَـمُ عُشَّاقَها وراحِمُ العُشَّاقِ مَأْجُورُ(٦)

بَلْ رُبَّما حَمَلَهُ(٧) على المَحَبَّة تَمَحُّضُ النُّصْحِ في جانِبِها مَعَ إِعْراضِهِ عَنْ حالِ نَفْسِهِ في الوَصْلِ، كما قيلَ(٨):

وما طَلَبي لِلْوَصْلِ حِرْصاً على اللِّقا ولكنَّهُ أَجْـرٌ إِلَيْكَ أَسُوقُـهُ(٩).

المَعْنى الثَّاني: أَنْ يكونَ النُّصْحُ فيما يَتَعَلَّقُ بخاصَّتِها، وهو يَنْهاها عَنِ الحالاتِ(١٠) الذَّميمَةِ التي(١١) أَثْبَتَها لَهَا في البَيْتِ الذي بَعْدَهُ، مِنَ الإِصابَةِ بالمَكْروه

---

(١) البيتان من بحر السريع.

– البيتان مقطوعة في ديوان الشاعر حسام الدين عيسى بن سنجر بن بهرام الاربلي المعروف بالحاجري ص٨١.

– البيت الأول من غير عزو في ديوان الصبابة ص١٩٢.

– الشاعر: حسام الدين عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن خمار تكين بن طاشكين الاربلي المعروف بالحاجري، له ديوان شعر تغلب عليه الرقة، وفيه معان جيدة، وهو مشتمل على الشعر والدوبيت والمواليا، وله أيضاً «كان كان»، قتل في اربل سنة ٦٣٢ (وفيات الأعيان ج٣ /٥٠١-٥٠٤).

(٢) في رواية الديوان «إذا مرّ».

(٣) «لي» ساقطة من ب. وفي ض: «يأخذني».

– كذا «مرّبي» في الديوان وبها (بي) يستقيم الوزن، وهي ساقطة من جميع النسخ.

(٤) في ب، ض: «وإذا وصله».

(٥) البيت من بحر السريع.

(٦) في ل: «ترجم» بجيم معجمة.

(٧) في ض: «ربما حمل».

(٨) البيت من بحر الطويل.

– البيت مع آخر من غير عزو في ديوان الصبابة ص١٠٨.

(٩) في ديوان الصبابة «البقا» بدل «اللقا».

(١٠) كذا «ينهاها» في ل، وفي ب، ض: «وهو حملها على الحالات».

(١١) في الأصل: «الذي».

والكَذِبِ وإِخلافِ الوَعْدِ والمَلالِ، إلى غَيْرِ ذلكَ مما تَضَمَّنَتْهُ الأَبْياتُ التي[1] قَبْلَهُ، وبَعْدَ ذلكَ، على ما سَيأْتِي بَيانُهُ في مَوْضِعِه إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، مَعَ ما وَصَفَها بِه في صَدْرِ[2] القَصِيدَةِ مِنَ الجَمالِ والخَفَرِ والجَلالَةِ التي لا يَليقُ[3] بصاحِبِها[4] مُعاطَاةُ ذَميمِ الخِلالِ[5]، وَقَدْ قَالَ ﷺ لجَريرِ بنِ عَبْدِ اللهِ، وكانَ جَميلاً: «أَنْتَ امرؤٌ قد أَحْسَنَ اللهُ خَلْقَكَ فَأَحْسِنْ خُلُقَكَ[6]»، ومِنْ كَلامِ بَعْضِ الحُكَماءِ: «لِكُلِّ شَخْصٍ حُكْمانِ، أَحَدُهُما: مِنْ جِهَةِ جِسْمِه، وهو مَنْظَرُهُ، والثَّاني:[7] مِنْ جِهَةِ نَفْسِه، وهو مَخْبَرُهُ»، وكثيراً[8] ما يتلازَمانِ، وقَلَّما تَجِدُ[9] صُورةً حَسَنَةً تُدَبِّرُها نَفْسٌ رَدِيَّةٌ، ولله دَرُّ[10] القائلِ[11]:

يا حسَنَ الوَجْـهِ تَوَقَّ الخَنَـا ... لا تُبْـدِلَ الزَّيْـنَ بالشَّيْنِ[12]

ويا قَبيحَ الوَجْهِ كُنْ مُحْسِناً ... لا تَجْمَعَـنَّ بَيْنَ قَبيحَيْنِ[13]

---

(١) في الأصل: «الذي».

(٢) هنا نهاية السقط في نسخة ك.

(٣) في الأصل: «لا تليق» وفي ل: «يليق» و«تليق» معاً، وفي بقية النسخ «يليق».

(٤) في ض: «لصاحبها».

(٥) في الأصل: «ذميمة الخلال».

(٦) الحديث في كنز العمال برقم ٣٦٩٢٥ ج١٣ ص٣٢٧..

(٧) قوله: «من جهة جسمه وهو منظره والثاني» ساقط من نسخة ب.

(٨) في ل: «وكثير».

(٩) في ب، ل: «توجد».

(١٠) «كذا» ولله درّ في ب، ض.

(١١) البيتان من بحر السريع.

– البيتان من غير عزو في ديوان الصبابة ص١٤.

(١٢) في ل، ض: «لا تبدلن».

– في ديوان الصبابة «الحنا» بحاء مهملة بدل «الخنا» بخاء معجمة. و«لا تفسدن» بدل «لا تبدل».

(١٣) في الأصل: «كل محسناً».

إذا عُلِمَ ذلكَ، فَإِنْ جَعَلْنَا أَوْ في كَلامِه بِمَعْنى الواوِ، كانَ[1] حُسْنُ خُلَّتِها مُعَلَّقاً[2] على أَحَدِهما فَقَطْ، فَأَيُّهما[3] وَجَدَ كانَتْ مُتَّصِفَةً بِحُسْنِ الخَلَّة، على أَنَّ قَبُولَها النُّصْحِ شامِلٌ لِصِدْقِ الوَعْدِ ولا عَكْس[4]. واللَّهُ تَعالَى أعْلَمُ[5].

---

(١) في الأصل: «وكان».

(٢) في الأصل: «معلق» وهو لحن من الناسخ.

(٣) في ب، ض: «فأيما».

(٤) طمس في الأصل ذهب بحرف «لا» والعين من «عكس».

(٥) زيادة في ض وسقطت من بقية النسخ.



البَيْتُ السَّابِعْ[1]

لكنَّها خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِها فَجْعٌ وَوَلْعٌ وإِخْـلافٌ وتَبْديلُ

/قَوْلُهُ «لكنَّها»، أَيْ: لكنَّ سُعادَ، والخُلَّةُ: خليلةٌ على ما تَقَدَّمَ في البَيْت قَبْلَهُ، وَقَدْ (١٤٨أ) هنا: للتَّحْقيق، بمَعنى ما يَذْكُرُهُ عَنْها، منَ الفَجْع والوَلْع والإخلاف والتَّبْديل، مُحَقَّقُ الوُجود فيها، وقَوْلُهُ: «سِيْطَ» بكَسْر السين المُهْمَلَة وإسْكان الياء، آخرُ الحُروف، وبالطَّاء المُهْمَلَة، مَعْناهُ: خُلطَ، يُقالُ: سَاطَ الماءَ وغَيْرَهُ، إذا خَلَطَهُ بغَيْره، وضَرَبَهُما حَتَّى صارا شَيْئاً واحداً، ومنْهُ قيلَ للآلَة التي يُضْرَبُ بها سَوْطٌ؛ لأنَّهُ يَسُوطُ اللَّحْمَ بالدَّم[2]، أي: يَخْلطُهُ، قال ابنُ هشامٍ: «ويَجوزُ أَنْ تُقْرأَ[3] بالشِّين «شِيطَ» بَدَلَ المُهْمَلَة[4]؛ لأنَّهُ يُقالُ: شاطَهُ، أَيْ: بمَعْنَى ساطَهُ[5]».

و«منْ» في كلامه بمَعْنَى في، كَمَا في قَوْله تَعالى: ﴿**إذا نُودي للصَّلاة من يَوْمِ الجُمُعَة**﴾[6]، أي: في يَوْمِ الجُمُعَة[7]، والمَعْنَى: قَدْ خُلط في دَمها هذه الخلالُ[8]، والدَّمُ أَحَدُ الخلالِ الأَرْبَعَة التي بها قَوامُ البَدَن، وَهيَ الدَّمُ والبَلْغَمُ والصَّفْراءُ والسَّوْداءُ.

---

(١) في الأصل: «الباب السابع».

(٢) قوله: «يقال: ساط الماء... لأنه يسوط اللحم بالدم» نقله السيوطي من قول ابن هشام: «قد سيط: من ساط الماء وغيره يسوطه سوطاً إذا خلطه بغيره، وضربهما حتى اختلطا، ومنه قيل للآلة التي يضرب بها سوط، لأنه يسوط اللحم بالدم». (شرح قصيدة بانت سعاد ص٨٠).

(٣) في ب: «يقرأ» بياء تحتية.

(٤) زاد في ل: «شيط بالشين المعجمة بدل المهملة».

(٥) انظر شرح قصيدة بانت سعاد ص٨٠. قال عبد القادر البغدادي؛ ولصاحب القاموس تأليف جمع فيه الكلمات التي جاءت بالسين والشين لمعنى واحد سماه: «تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين». ولم يورد هذه الكلمة فيه بهذا المعنى، وإنما قال فيه: يقال فيه سوط باطل، وشوط باطل: ضوء يدخل من الكوة في البيت». (حاشية على شرح قصيدة بانت سعاد ج١/٧١٤).

(٦) سورة الجمعة: آية رقم ٩، وتمامها: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾.
– ومعنى من وشاهدها في الآية مأخوذ من قول ابن هشام في شرحه (ص٨٢).

(٧) «أي: في يوم الجمعة» ساقط من ض.

(٨) في ظ، ل: «هذا الخلال».

و«الفَجْعُ» بفَتْحِ الفاءِ وإِسْكانِ الجِيْمِ والعَيْنِ المُهْمَلَةِ: الإِصابَةُ بالمَكْرُوهِ[1] والأَذَى، و«الوَلْعُ» بفَتْحِ الواوِ وإِسْكانِ اللامِ والعَيْنِ المُهْمَلةِ أَيْضاً: الكَذِبُ، و«الإِخْلافُ» بكَسْرِ الهَمْزَةِ وإِسْكانِ الخَاءِ وبالفَاءِ في آخرِه، خلافُ الوَفَاءِ، والمُرادُ هُنَا: إِخْلافُ الوَعْدِ، بدَليلِ قَوْلِه في البَيْتِ الَّذي قَبْلَهُ: «لو أنَّها صَدَقَتْ مَوْعُودَها»، و«التَّبْديلُ»: إِبْدالُ الشَّيْءِ بغَيْرِه، والمُرادُ هُنا، تَبْديلُ خَليلٍ[2] بخَليلٍ[3]، وهو في الحَقيقَةِ وَصْفُ المَلالِ.

والمَعْنَى[4] أَنَّ[5] هذه المَحْبُوبَةَ التي ابْتُلِيَ بحُبِّها قد اشْتَمَلَتْ على الإِصابَةِ بالمَكْروهِ والكَذِبِ وإِخلافِ الوَعْدِ والمَلالِ على ما تَقَدَّمَ بَيانُهُ.

قالَ ابنُ هشامٍ[6]: «ومَوْقِعُ البَيْتِ مما قَبْلَهُ؛ لو كانَ زَيدٌ عالماً لأكْرَمْتُهُ، لكنَّهُ لَيْسَ بعالمٍ ولا صَالحٍ»، بمَعنَى أَنَّهُ في البَيْتِ الَّذي قَبْلَهُ أَشَارَ إلى وَصْفَيْنِ وهما: إِخلافُ الوَعْدِ، وعَدَمِ قَبُولِ النُّصْحِ، وفي هذا البَيْتِ ذَكَرَ أَنَّها اشْتَمَلَتْ على أَرْبعِ خِلالٍ مُسْتَلْزِمَةً لمَا في البَيْتِ الَّذي قَبْلَهُ وزيادَةً:

الخَلَّةُ الأُولى: الفَجْعُ، وهو الإِصابَةُ بالمَكْروهِ على ما تَقَدَّمَ، وهو مُحْتَملٌ لأُمورٍ منها الهَجْرُ وما يَتْبَعُهُ منْ مُقَاسَاةِ الآلامِ، ومُكابَدَةِ الأَهْوالِ، ومُعالَجَةِ الأَسْقامِ، فالهَجْرُ[7] يُذيبُ القُلُوبَ، ويُشيْبُ الرُّؤُوسَ، ولله دَرُّ[8] القائلِ[9]:

---

(١) في ظ، ك: «إصابة بالمكروه».

(٢) في ب، ض: «قليل».

(٣) «بخليل» ساقطة من ب.

(٤) «والمعنى» ساقطة من ب، وفي ل «ومعنى» دون أل التعريف.

(٥) زاد في ب: «وأن».

(٦) عبارة ابن هشام تقول: «موقع (لكن) وما بعدها مما قبلها كموقعها في قولك: لو كان عالماً لأكرمته، لكنه ليس بعالم ولا صالح، في أن ما بعدها توكيد لمفهوم ما قبلها مع زيادة عليه». (ص٧٨).

(٧) في ب، ض: «والهجر».

(٨) «در» ساقطة من ك، ل.

(٩) البيتان: من بحر الطويل.
– البيتان لابن سناء الملك في ديوانه ص٣٦٧ وهي في تحرير التحبير أيضاً.

أَلا فاعْجَبُوا مِنْ فِعْلِها بِحَبِيْبِها لا تَعْجَبوا مِنْ لِمَّتِي وَ مَشِيْبِها

فَإِنْ هَجَرَتْنِي شَيَّبَتْنِي بِهَجْرِها وإِنْ واصَلَتْنِي شَيَّبَتْنِي بِطِيْبِها

وَمِنْها[1]: ما يَلْقاهُ[2] مِنْها[3] مِنَ الجَنَفِ[4] والإِساءَةِ[5]، إِذْ قَلَّ أَنْ يُوْجَدَ المُحِبُّ حَبِيْباً[6].

وقَدْ قِيلَ: «مِنَ العِنايَةِ أَنْ تُحِبَّ وأَنْ يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّ، ومِنَ الشَّقاوَةِ أَنْ تُحِبَّ ولا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّ» وللّه دَرُّ القائِلِ[7]:

وأَكْثَرُ أَفْعـــالِ الغَواني إِساءَةً وأَكْثَر ما تَلْقَى الأَماني كَواذِبا[8]

ومِنْها: ما يُقاسِيْهِ مِنَ الخَوْفِ مِنْ أَهْلِها وَعَشِيرَتِها كَمَا قالَ ابنُ خَفَاجَةَ[9]:

وَلَيْـلٍ طَرَقْتُ المالِكِيَّـةَ تَحْتَـهُ أَجَدَّ على حُكْمِ الشَّبابِ مَـزَارا

فَخَالَطْتُ أَطرافَ الأَسِنَّةِ أَنْجُما وَدُسْتُ بِهَالاتِ البُدُورِ دِيَـارا

---

(١) في الأصل: «ومنه».

(٢) في ب، ض: «ما تلقاه».

(٣) «منها» ساقطة من ل.

(٤) في ب، ل: «الحيف».

(٥) في ل: «والاساة».

(٦) في الكلام سقط تقدير: من غير أن يصاب بذلك.

(٧) في ل «ولله القائل».

– البيت: من بحر الطويل.

– القائل: مسلم بن الوليد (صريع الغواني) (انظر ذيل ديوانه ص٣٠٥).

(٨) في ض: «كاذبا».

– في رواية الديوان «أفعال الليالي» بدل «أفعال الغواني».

(٩) البيتان: من بحر الطويل.

– البيتان من مقطوعة عدد أبياتها ثلاثة في الغزل (ديوان ابن خفاجة ص٨٤).

– ابن خفاجة: هو أبو اسحاق ابراهيم بن الفتح بن عبد الله بن خفاجة، ولد في جزيرة شقر، شاعر حسن الشعر، خبيث الهجاء، اشتهر بوصف الطبيعة حتى سماه الأندلسيون الجنان. توفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة (بغية الملتمس ص٢١٧ ترجمة رقم ٥٠٢ الذخيرة ٣ / ٥٤١ والمغرب ٢ / ٣٦٧).

ومنها: ما يَنَالُه منَ العُذَّالِ من اللَّومِ والتَّوْبيخِ، كَمَا قالَ ابنُ بَسَّامٍ[١]:

لَقَــدْ صَبَرْتُ على المَكْــروهِ أَسْمَعُــــهُ ... مِنْ مَعْشرٍ فِيْكَ لولا أَنْتَ لم نَطَقوا[٢]

وفِيـكَ داريْتُ قَوْمـاً لا خَـــــلاقَ لَهُمْ ... لَوْلاكَ ما كُنْتُ أَدْري أَنَّهم خُلِقُوا[٣]

ومنها: ما يُقاسيه[٤] من الوُشاةِ والرُّقَباءِ الذينَ[٥] لا يَتَهَنَّأُ مَعَهمْ بعَيْشٍ، ولا يَلَذُّ بوِصالٍ، ومما قُلْتُهُ في ذلكَ[٦]:

احْرَصْ على طَرْدِ الرَّقيبِ وبُعْدِهِ ... إنْ تَغْتَنِمْ وَصْلَ الحَبيبِ تُلاعِبُـهْ

كم لَيْلَةٍ باتَ الحَبيبُ بجانِبي ... لَكِنَّني خَوْفَ الرَّقيبِ أُجانِبُـهْ

الخَلَّةُ الثَّانيَةُ: الوَلْعُ، وهو الكَذِبُ على ما تَقَدَّمَ، [وهو][٧] مُحْتَمِلٌ لأُمورٍ أَيْضاً:

منها: كَذِبُها في إِخْفاءِ مَحبَّتِه، وإِظْهارِ كَراهَتِه، وتَقَاسِياً عَنْ وَصْلِه، كما قلت مُضَمِّناً[٨] لِبَيْتِ الرَّشيْدِ[٩]:

---

(١) البيتان: من بحر البسيط.
- البيتان مقطوعة في ديوان الصبابة ص٢١٩.
- ابن بسام: هو أبو الحسن علي بن محمد بن منصور بن نصر بن بسام المعروف بالبسامي. شاعر لسن مطبوع في الهجاء، له من التصانيف أخبار عمر بن أبي ربيعة وأخبار الأحوص ومناقضات الشعراء، توفي سنة ثلاث وثلاثمائة (وفيات الأعيان ج٣/٣٦٣-٣٦٦).

(٢) في ب، ض: «ما نطقوا» وذكرت هذه الرواية في هامش ل (نسخة).

(٣) في ديوان الصبابة «لا أخلاق لهم».

(٤) في ب، ض: «ما يناسبه».

(٥) كذا «الذين» في ب أيضاً، وفي بقية النسخ «الذي».

(٦) البيت: من بحر الكامل.
- القائل: السيوطي.

(٧) زيادة يستقيم بها السياق.

(٨) في ظ، ض: «متضمناً».

(٩) البيتان: من بحر البسيط.
- والرشيد: أغلب الظن أنه القاضي الرشيد أبو الحسين أحمد بن القاضي الرشيد علي.. بن الزبير الغساني، له ديوان شعر، صنف كتاب جنان الجنان ورياض الأذهان، ذكر فيه جماعة من مشاهير الفضلاء، توفي بالقاهرة سنة إحدى وستين وخمسمائة (وفيات الأعيان ١/١٦٠-١٦١).
- التضمين نوعان: لغوي وبلاغي، والمقصود هنا البلاغي وهو «قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل» (العمدة ج٢/٤٨ وانظر كتاب الصناعتين ص٣٦).

مَنْ مُنْصِفي مِنْ فَتَــاةٍ قَدْ عَلِقْتُ بها   أَضْحَتْ يُمازِجُهــا وَصْلٌ وَهِجْرانُ
تُبْــدي صُدُوداً بِطَرْفٍ تَحْتَهُ شَغَفٌ   فَالنَّفْسُ راضِيَةٌ والطَّرْفُ غَضْبانُ[١]

ومنْها: كَذِبُها في دَعْوى العَوائِقِ[٢] عَنِ الوَصْلِ[٣]، وإِقامَةِ الحُجَجِ المانِعَةِ مِنْهُ، كما قُلْتُ أيضاً[٤]:

تُقِيــمُ مَعــاذيراً و تَزْعُــمُ صِدْقَهَــا   وتَطْمَــعُ آمالي بِهَــا فَـأَيْنُ[٥]
وَتَحْلِفُ لو تَسْتَطِيعُ جَادَتْ بِوَصْلِها   وَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ البَنَــانِ يَمِينُ[٦]

وَمِنْها: كَذِبُها في الوَعْدِ، ويَكُونُ قَوْلُهُ بَعْدُ[٧]: «وإِخلافٌ»[٨] تَأْكِيداً[٩] لِقَوْلِهِ «وَوَلْعٌ»، وسَيَأْتي الكَلامُ عَلَيْهِ في البَيْتِ التَّاسِعِ[١٠].

الخَلَّةُ/ الثَّالِثَةُ: إِخْلافُ الوَعْدِ على ما سَبَقَ، فَتَعِدُه وتُمَنِّيه، وتَمْطُلُهُ ولا تَفِيْه، (١٤٨ب) كما قَالَ ابنُ نُبَاتَةَ[١١]:

---

(١) في ب، ل، ض: «بحبٌ».
– في ك: «تبدي صدوداً تجني تحته شغف».
– في ك: «فالنفس رضيه» وهو تحريف يختل به الوزن.
(٢) في ب: «النوائق».
(٣) في ب، ض: «من الوصل».
(٤) البيتان: من بحر الطويل.
(٥) في ب، ل، ض: «تقيم معاذيري وتزعم وصلها».
(٦) كذا «تسطيع» في ب، وفي بقية النسخ «تستطيع» وبها يختل الوزن.
– في ب، ل، ض: «الجادت» وهو تحريف يختل به الوزن.
(٧) في ب: «وما بعد» وفي ل: «مما بعد» وفي ض: «مابعد».
(٨) زاد في ل: «وإخلاف الوعد».
(٩) في النسخ جميعاً: «تأكيد» وهو لحن من النساخ.
(١٠) سقط «البيت التاسع» من متن ل واستدرك بهامشها.
(١١) البيت: من بحر البسيط.
– البيت هو الثاني من قصيدة في مدح الملك المؤيد وعدد أبياتها ستة وثلاثون بيتاً (ديوان ابن نباته المصري ص١٢٦).
– ابن نباته: هو جمال الدين محمد بن شمس الدين محمد بن شرف الدين محمد، من سلالة عبدالرحيم بن نباتة =

وخُلْفُ وَعْدِكَ خُلْفٌ منكَ أَعرِفُـهُ فَلَيْتَ كانَ التَّجافِي مِنْكَ مَوْعُودِي

الخَلَّةُ الرَّابعَةُ: تَبْدِيلُ خَلِيلٍ بِخَلِيلٍ، وهو مُحْتَمِلٌ لأَمْرَيْن:

أَحَدُهما: أَنْ يَكونَ ذلكَ حَقِيقَةً، ويَكُونُ قَدْ وَصَفَها بالمَلالِ حَتَّى لا تَبْقَى[1] على مَحْبوبٍ، بَلْ كُلَّما خَالَلَتْ خَليلاً مَلَّتْهُ[2]، وانْتَقَلَتْ عَنْهُ[3] إلى آخَرَ، وإلى ذلكَ يُشيرُ العَبَّاسُ بنُ الأَحْنَفِ بِقَوْلِه[4]:

يا قَوْمُ لَمْ أَهْجُرْكُمْ لِمَلالَةٍ مِنَّا ولا لِمَقالِ واشٍ حَاسِدِ[5]

لكنَّني جَرَّبْتُكُم فَوَجَدْتُكُمْ لا تَصْبِرونَ على طَعَامٍ واحِدِ

الثَّاني: أَنْ يَكُونَ ذلكَ خَيالاً منْهُ قَدْ[6] خَيَّلَتْهُ لَهُ الغَيْرَةُ، وصَوَّرَهُ في نَفْسِه[7] مِنْ شِدَّةِ الحُبِّ، كَمَا في قَوْلِ القائِلِ[8]:

خطيب سيف الدولة المشهور، وقد غلبت عليه نسبته إليه، ولد سنة ٦٧٦هـ في القاهرة، وارتحل إلى دمشق سنة ٧١٦ه واتخذها دار مقام، شهر بمدح المؤيد أبي الفداء صاحب حماة وابنه أبي الفضل، له سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ومجمع الفوائد، وله ديوان شعر سماه القطر النباتي، وآخر خاص بالغزل سماه «سوق الرقيق» وشعره فيه خفة ورشاقة وولع بالتورية، توفي سنة ٧٦٨هـ (حسن المحاضرة ١ / ٥٧١، الوافي بالوفيات للصفدي ١ / ٣١١ وترجمة د. شوقي ضيف له في عصر الإمارات / مصر والشام ص٢١٠-٢١٧).

(١) في ل: «لا يتبقى».

(٢) في ب: «ملت».

(٣) في الأصل: «وانتقلت منه».

(٤) «بقوله» ساقطة من ظ، ل.

- البيتان: من بحر الكامل.

- والبيتان هما الثالث والرابع من مقطوعة عدد أبياتها أربعة أبيات (ديوان العباس بن الأحنف ص١٦٩).

(٥) في الأصل و ل «و حاسد» وفي هامش ل: «نسخة واش حاسد» وبزيادة الواو يختل وزن البيت.

- في رواية الديوان: «يا فوز» بدل «يا قوم».

(٦) «قد» ساقطة من ب، ك، ض.

(٧) في ب: «وصورته في نفسه».

- في ك: «وصورت في نفسه».

(٨) البيتان من بحر الطويل.

- البيتان من مقطوعة في ديوان الصبابة ص ٩٦ من غير عزو.

ولَمّـا رَمَتْ باللَّحْظِ غَيْري حَسِبْتُهـا   كمـا آثَرَتْ بالعَيْنِ تُؤْثِرُ بالقَلْـبِ[١]
وإنّي لأَرْجُو أَنْ تَـدومَ لعَهْدهـا   ولكنَّ سُوءَ الظَّنِّ مِنْ شِدَّةِ الحُبِّ[٢]

فَإِنْ قِيلَ لأَيِّ مَعْنَى خَصَّ الخلالَ الأَرْبَعةَ[٣]؟ فالجوابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأَوَّلُ: أَنَّ الدَّمَ هو الغاذي للأَعْضاء بِمُفْرَده على مَذْهَب أَرسطو، ومَنْ تابَعَهُ مِنَ الأَطِبَّاء، فإذا اخْتَلَطَتْ هذه الخلالُ به، كانَتْ قَدْ غُذِّيَتْ[٤] به جَميعُ الأَعْضاء، وامْتَزَجَتْ[٥] بها فَصارَتْ طَبْعاً لا انْفكاكَ عَنْهُ.

الثّاني: أَنَّهُ قَدْ[٦] تَقَدَّمَ في الكَلامِ على البَيْتِ الأَوَّلِ أَنَّ في القَلْبِ تَجْويفاً[٧] يَحْوي الدَّمَ والرُّوحَ الحَيَوانيَّ، ومنه يَنْبَثُّ في الشَّرايين[٨]، ويَسْري إلى سائِرِ[٩] الأَعْضاء، وإذا كانَتْ هذه الخلالُ مُتَّصِلَةً ومُخْتَلِطَةً[١٠] بالدَّمِ، كانَتْ مُتَّصِلَةً بالقَلْبِ الذي عَلَيْهِ مدارُ الجَسَد. واللهُ أَعْلَمُ[١١].

---

(١) في الأصل: «وما رمت» والوزن مختل.

(٢) في رواية ديوان الصبابة: «وأنى» بدل «وإني» و«ببعدها» بدل «لعهدها».

(٣) زاد في ب، ض: «فإن قيل لأي معنى خصّ الذم في تلك الخلال الأربعة».

(٤) في الأصل: «غديت» بدال مهملة.

(٥) في ل: «وامتزجت به».

(٦) «قد» ساقطة من ب، ض.

(٧) في الأصل وك ول: «تجويف» وهو لحن من النساخ.

(٨) في الأصل: «الشاريين».

(٩) «سائر» ساقطة من الأصل.

(١٠) في ظ، ن: «ومخالطة».

(١١) «والله أعلم» ساقطة من ظ، ل.



البَيْتُ الثَّامِنُ

فَمَـا تَدومُ عَلَى حَـالٍ تَكُونُ بِهـا   كَمَا تَلَوَّنُ في أَثْوابِها الغُوْلُ(١)

قَوْلُهُ: «فـمـا تَدومُ على حَـالٍ تَكُونُ بهـا» أيْ: فَلَمَّـا جُـبِلَتْ عَلَيْـهِ مِنَ الإِخْـلافِ والتَّبْديلِ ما تَدومُ عَلَى حالٍ(٢)، والحَالُ يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ، يُقالُ: هذا حالٌ صالحٌ، وهذه حالَةٌ صالحَةٌ، وَقَدْ يُقالُ حَالٌ، والتَّأْنيثُ لُغَةُ أَهْلِ الحِجازِ(٣)، وعَلَيْها جَرَى النَّاظِمُ، ولِذلكَ قَالَ: «تَكُونُ بِها» ولم يَقُلْ «بهِ».

وقَوْلُهُ: «كما تَلَوَّنُ في أَثْوابِها الغُولُ»، أيْ: بَلْ تَلَوَّنُ(٤) كما يَتَلَوَّنُ(٥) الغُولُ في أَثْوابِها، وأَصْلُ «تَلَوَّنُ» تَتَلَوَّنُ بتائَيْنِ(٦) في أَوَّلِه، فَحُذِفَتْ إِحْدى التَّائَيْنِ على عادَةِ العَرَبِ في ذلكَ(٧)، كما حُذِفَتْ مِنْ قَوْلِه تَعالى: ﴿**تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ**﴾(٨)،

---

(١) كذا جاءت رواية البيت في الديوان رواية السكري (ص٨) وفي السيرة النبوية لابن هشام (٣/١٣٥٧) وابن بشران (ص٨٠) والسهيلي في الروض الأنف (٤/٦٥٩) ورواية التبريزي (ص١٦) ورواية ابن هشام الأنصاري (ص٨٥) والحاكم (٣/٥٨٠) والسبكي (١/٢٣٥) وابن كثير (٤/٤٢٨) والقرشي (٢/٧٩١).

- في رواية ابن الأنباري «على حال تلون بها» وكتب المحقق في الحاشية كتب في الأصل «تكون به» (ص٦٩) وفي رواية ابن قتيبة «وما تدوم على العهد الذي زعمت» (الشعر والشعراء ص٦٨) وفي رواية ابن سيد الناس: «فما تدوم على عهد تقوم بها» (عيون الأثر ٢/٢٨٢) وفي رواية العسكري «فما تدوم على حال تكون به» (ص٢٠٢) وفي رواية ابن عبد ربه «ما إن تدوم» (العقد ٥/٢٨٨).

(٢) قال التبريزي: «كان هذا البيت إيضاح لما قبله في أنها لا تدوم على حالة واحدة ...» (ص١٦).

- وقال ابن هشام الأنصاري: «فما تدوم: الفاء للسببية، أي فلما جبلت عليه من الإخلاف والتبديل لا تدوم على حال». (ص٨٥) والسيوطي ينقل عبارة ابن هشام.

(٣) وتأنيث الحال أكثر من تذكيرها (شرح قصيدة بانت سعاد ص٨٥).

(٤) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ «تتلون».

(٥) كذا «كما يتلون» في ب، ل، ض، وفي ك: «كما تتلون».

(٦) في ب: «بتاين».

(٧) اختلف النحويون في التاء المحذوفة منهما، فذهب البصريون إلى أن المحذوف منها الأصلية، وذهب الكوفيون إلى أن المحذوفة منها الزائدة، والصحيح هو أن المحذوفة منها الأصلية، لأن الزائدة دخلت لمعنى، والأصلية ما دخلت لمعنى فكان حذفها أولى (قصيدة البردة شرح أبي البركات بن الأنباري ص٩٦).

(٨) سورة الملك: آية رقم ٨. تمامها: ﴿**تكاد تميز من الغيظ، كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير**﴾.

والأَثْوابُ: جَـمْعُ ثَوْبٍ، وهو مَـعْـروفٌ، والغُـولُ: واحِـدُ الغِـيْـلان، وَهِيَ[١] نَوْعٌ مِنَ الشَّـياطين، قيلَ سُـمِّيَتْ بذلكَ لأنَّها تَغْتَـالُ الشَّـخْص، أيْ: تَأْخُذُه مِنْ حَيْثُ لا يَدْري فَتُهْلِكُهُ، وكُلُّ شَيْءٍ اغْتَالَ الإِنْسانَ فَأَهْلَكَهُ قيلَ لَهُ غُولٌ[٢]، أَوْ لأَنَّها[٣] تَتَغَوَّلُ بِمَعْنَى تَتَلَوَّنُ، أَخْذاً مِنْ قَوْلِهِمْ: تَغَوَّلَتْ على البِلاد، إذا اختَلَفَتْ[٤]، تَزْعُمُ العَرَبُ أَنَّها كانَتْ تَتَراءَى[٥] لَهُمْ في الفَلاة بألوانٍ[٦] شَتَّى، وتَأْخُذُ جانباً عَنِ الطَّريق، فَيَتْبَعُها مَنْ يَراها، ظَانّاً أنَّها على طَريقٍ فَيَضِلُّ عَنِ الطَّريق[٧] فَيَهْلَكُ، ورُبَّما قالوا إنَّها تَعْتَرِضُهُمْ في الطَّريق[٨] فَتُجاريهِمْ[٩]، وإِلى ذَلِكَ يُشيرُ تَأَبَّطَ شَرّاً بِقَوْلِه[١٠]:

أَلا مَـنْ مُبْلِغٌ فِتْيـانَ فَهْمٍ … بِمَـا لاقَيْتُ عِنْدَ رَحَـا بِطانِ[١١]

بِأَنِّي قَـدْ لَقِيْتُ الغُولَ يَهْوِي … بِسَيْفٍ كالصَّحيفَةِ صَحْصَحانِ[١٢]

---

(١) في ل: «وهو».

(٢) قوله: «وقيل سميت بذلك لانها تغتال الشخص... قيل له غول» منقول من شرح ابن الانباري. «وقيل سميت غولاً لأنها تغتال الإنسان وتهلكه، والعرب تسمى كل شيء اغتال الإنسان وأهلكه غُولاً» (ص٩٦).

(٣) في ب، ض: «ولانها».

(٤) قوله: «أو لأنها تتغول ... إذا اختلفت» من شرح ابن الانباري: «وسميت غولاً بتلونها، من قولهم تغولت على البلاد، إذا تلونت» (ص٩٦).

(٥) في ب، ض: «تترى».

(٦) في ض: «لوان».

(٧) في ب: «على الطريق».

(٨) في الأصل: «في الطرقات».

(٩) في ظ، ك، ل: «فتحاربهم» في ب: «فتحاريهم» وفي ض: «فتحازيهم» ولعل ما أثبته الصواب.

(١٠) الأبيات: من بحر الوافر.

– الأبيات هي الخمسة الأولى من قصيدة عدد أبياتها تسعة (ديوان تأبط شراً ص١٠٦–١٠٧).

– تأبط شراً: لقب ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل، شاعر جاهلي كان أحد العدائين المعدودين، إذ كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين. (انظر الأغاني ٢١/١٢٧–١٢٨).

(١١) فهم: قبيلة الشاعر، رحى بطان: موضع.

(١٢) كذا «بسيف» في جميع النسخ، وفي الديوان والأغاني «بسهب» وهي الفلاة. وفي الديوان «تهوى» بدل «يهوى».

– في ض: «ضحضحان» والصحصحان: ما استوى من الأرض.

فَقُلْتُ لَهَا: كَلَيْثٍ مِنْ ضَوَار ... أَخُو سَفَرٍ فَخَلِّي لي مكَان[١]
فَشَدَّتْ شَدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَتْ ... لها كَفٌّ بِمَصْقولٍ يَمَان[٢]
فَأَضْرِبُهَا بلا دَهْشٍ فَخَرَّتْ ... صَرِيعاً لِلْيَدَيْنِ و لِلْجِرَان[٣]

وَقَد اختَلَفوا في وُجودها حَقيقَةً، فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلى أَنَّها لا حَقيقَةَ لها، وإِنَّما هِيَ مِنْ خُرافاتِ العَرَبِ التي تَلْهَجُ فيها مَعَ غَيرِها مِنَ الأُمورِ المُسْتَحيلَةِ الّتي هِيَ على غَيْرِ مُسَمَّيات، واحتَجّوا لذلكَ بما ثَبَتَ في صَحيحِ مُسْلمٍ مِنْ روايَةِ جابرٍ؛ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «لا طيَرَةَ، ولا نَوْءَ، ولا غَولَ[٤]»، فَنَفى ﷺ الغُولَ كما نَفى الطِّيَرَةَ، وَوقوعَ المَطَرِ بِنَوْءِ الكواكب، وإِلى ذلكَ يُشيرُ بَعْضُ الشُّعراءِ بقَوْلِه يُؤَكِّدُ[٥] لِنَفْيِ الجُود بِمُقارَنَتِه في النَّفْيِ لِبَعْضِ المُحالات[٦]:

أَسماءُ أَشْياءٍ لم تُخْلَقْ ولَمْ تَكُنِ ... الجُودُ والغُولُ والعَنْقاءُ ثالثُها[٧]

/ وَذَهَبَ آخرونَ إِلى وُجودها حَقيقةً مُحْتَجِّينَ[٨] بِقَوْلِه ﷺ: «إِذا تَغَوَّلَتِ الغيلانُ (١٤٩أ)

---

(١) في الأصل: «فقلت لها: كلا من ضو أرض» وفي رواية الديوان «كلانا نضو أين».

(٢) في رواية الديوان: «فأهوى» بدل «فاهوت» و«كفي» بدل «كف» في الأغاني.

(٣) كذا «وللجران» بجيم معجمة في ب، ك، وفي ل، ض" وللحران" بحاء مهملة.

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب السلام (انظر ج١٤/ص٢١٦). على أن حديث جابر بدون ذكر «ولا نوء».

(٥) في ض: «مؤكدا» وذكر ذلك في هامش ل (نسخة).

(٦) في ب، ك: «بمقارنته لبعض المحالات في النفي».

– البيت: من بحر البسيط.

– البيت نسبه التبريزي إلى بعض المتأخرين، ورواه «ثلاثة أسماء» بدل «ثالثها» (شرح قصيدة بانت سعاد ص١٦).

(٧) في ض: «والعنقاء ثالثة». وهي رواية عبدالقادر في شرحه (٢/٥٥).

– في ض: «لم توجد ولم تكن» وذكرت في هامش ل.

(٨) «محتجين» ساقطة من الأصل.

فبادروا بالآذان[1]». وفي حَديثِ أبي أيُّوبٍ كانَ لي تَمْرٌ في سَهْوةٍ، فكانَتِ الغُولُ تَجيءُ فَتَأْخُذُها[2]».

وقَوْلُهُ ﷺ: «ولا غَوْلٌ» لَيْسَ نَفْياً[3] لوجود الغَوْل، بل المُرادُ إبْطالُ زَعْمِ العَرَبِ في تَلَوُّنِه بالصُّوَرِ المُخْتَلِفَةِ واغْتِيالِه، وأنَّها لا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُضِلَّ أَحداً وتَسْتَهْوِيَهُ.

وقَوْلُهُ[4] ﷺ في الحديث الآخَرِ «لا غَوْلٌ، ولكنَّ السَّعالَى[5]»، وهي إناثُ الشَّياطِينِ وَقِيلَ سَحَرَتُهمْ، وهمُ الذين[6] لَهُمْ قُدْرَةٌ على التَّلَبُّسِ والتَّخَيُّلِ، وقِيلَ الغِيلانُ الذي تَتَراءى باللَّيْلِ، والسَّعالَى[7] الذي تَتَراءى بالنَّهارِ[8].

ومَعْنَى البَيْتِ[9]: أَنَّ هذه المَرْأةَ لا تَدومُ على حالَةٍ، ولا تَبْقى على خَليلٍ، بَلْ

---

(١) الحديث: أخرجه الإمام أحمد مسنده (٣/ ٣٨١-٣٨٢) من حديث الحسن بن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٢) والترمذي في فضائل القرآن (٥/ ١٥٨ برقم ٢٨٨٠) وقال: حديث حسن غريب وفي الباب عبد الله بن أبي بن كعب.

(٢) خبر أبي أيوب: أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٤٥٩) من طريق محمد بن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي أيوب به، وفي إسناده محمد بن أبي ليلى. وهذه الطريق على ضعفها هي أجود طرق الحديث كما قال الذهبي في تلخيص المستدرك.
- والسهوة في الحديث: شبيه الخزانة الصغيرة يكون فيها المتاع، وقيل هو شبيه بالرف والطاق (لسان العرب مادة سها ج١٩ ص٤٣١).

(٣) «نفياً» ساقطة من ب، وفي ل: «ولا غول نفياً لوجود الغول» باسقاط «ليس» وفي هامشها: «نسخة ولا غول ليس لوجود».

(٤) في ب، ك، ض: «وقال».

(٥) الحديث: قال ﷺ: «لا صفر ولا هامة ولا غول ولكن السعالى» روي الحديث من الطريق السابق نفسه بأتم منه. والسعلاة: قيل ساحرة الجن وقيل: السعلاة أخبث الغيلان، وقيل هي الأنثى من الغيلان. وقيل هم سحرة الجن، يعني أن الغول لا تقدر أن تغول أحداً وتضله، ولكن في الجن سحرة كسحرة الإنس لهم تلبيس وتخييل (لسان العرب مادة سعل ج١٣/ ص٣٥٧-٣٥٨).

(٦) في الأصل: «وقيل الذين».

(٧) «بالليل والسعالى» ساقطة من ض.

(٨) في الأصل: «في النهار».

(٩) «البيت» ساقطة من ض.

تَتَغَيَّرُ مِنْ حَالٍ إِلى حَالٍ، وتَنْتَقِلُ مِنْ خَليلٍ إِلى غَيْرِه، وتَتَلَوَّنُ بأَلوانٍ شَتَّى، وتَتَراءى في صُوَرٍ مُخْتَلِفَة، فَتارةً تَصِلُ، وتارةً تَقْطَعُ، وتَارةً تَرْضَى، وتَارةً تَغْضَبُ، وتارةً تَجْفُو، وتارةً تَتَــوَدَّدُ[١]، وتَارةً تَرْغَبُ في خَليلٍ[٢]، وتارةً تَرْغَبُ عَنْهُ، كــمــا قــالَ بَعْضُ الأَعراب[٣]:

شَكَوْتُ فقالَتْ كُــلُّ هــذا تَبَرُّمــاً	بحُبِّي، أَرَاحَ اللَّـهُ قَلْبَـكَ مِــنْ حُبِّــي
فَلَمّــا كَتَمْتُ الوَجْــدَ قالَــتْ تَعَنُّتــاً	صَبَرْتَ وما هذا بِفِعْلِ شَجِيِّ القَلْبِ[٤]
وأَدْنو فَتَعْصيني فَأَبْعُـــدُ طَالبــــاً	رِضَاهَــا، فَتَعْتَدُّ التَّباعُدَ مِنْ ذَنْبي[٥]
فَشَكْوايَ يُؤْذِيهــا وصَبْري يَسُوُؤُهـــا	وتَجْزَعُ مِــنْ بُعْدي وتَنْفِرُ مِنْ قُرْبي[٦]
فيـــا قَوْمُ هَلْ مِــــنْ حِيلَةٍ تَعْرِفونَها	تُشِيرُ بها واسْتَوْجِبوا الأَجْرَ مِنْ رَبِّي[٧]

---

(١) في ب، ض: «تودد».

(٢) «وتارة ترغب في خليل» ساقطة من ب.

(٣) الأبيات: من بحر الطويل.

– الأبيات: مقطوعة من خمسة أبيات من غير عزو (بعض الأعراب) في ديوان الصبابة ص١٨٦ والزهرة ج١/٩٥.

(٤) في ض «صوت» وهو تحريف، وفي هامش ل: «صبوت» (نسخة).

– كذا «وما هذا بفعل شجي القلب» في ديوان الصبابة ص١٨٦ والزهرة ج١/٩٥.

– في الأصل: «وماذا فعل شجي القلب» وزاد في الهامش «وماذا فعل صب شجي القلب».

– في ل: «وماذا يفعل شجي القلب».

– في ب «وماذا يفعلن شجي القلب».

وفي هذه الروايات جميعاً تحريف يختل به الوزن.

– في رواية الزهرة «كتمت الحب» بدل «الوجد» و«لشدما» بدل «تعنتاً».

(٥) في هامش ل: «فتعد» (نسخة).

(٦) في رواية الزهرة: «فشكواي تؤذيها وعتبي» بدل «يؤذيها وصبري». و«تغضب» بدل «تجزع».

(٧) في ل: «تشيروا بها».

– في رواية ديوان الصبابة: «أشيروا بها».

– في ض: «وتستوجبوا».



البَيْتُ التَّاسِعُ(١)

ولا تُمَسِّكُ بالعَهْدِ الذي زَعَمَتْ إلا كمـا تُمْسِكُ الماءَ الغَرابيلُ(٢)

قَوْلُهُ: «ولا تُمَسِّكُ بالعَهْدِ الذي زَعَمَتْ» أَيْ: فما تَدومُ على حَالٍ تَكُونُ بها، على ما تَقَدَّمَ في البَيْت قَبْلَهُ، و«لا تُمَسِّكُ(٣)» بضَمِّ التَّاءِ المُثَنَّاة فَوْقُ وكَسْرِ السِّين المُشَدَّدةِ، يُقالُ: مَسَّكَ بالشَّيْءِ(٤) بالتَّشْديدِ تَمَسَّكَ(٥)، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿ **والَّذين**

---

(١) في الأصل: «الباب التاسع».

(٢) كذا «ولا تمسك» في رواية ابن بشران (ص٨٠) وابن قتيبة (ص٦٨) وابن الأنباري (ص٩٦) والتبريزي (ص١٦) ورواية جمهرة أشعار العرب (٢/ ٧٩١) وابن هشام الأنصاري (ص٩٠) والسبكي في الطبقات (١/ ٢٣٥).

- وروى ابن هشام «وما تمسك» (السيرة النبوية ٣/ ١٣٥٧) وكذلك السهيلي (الروض الأنف ٤/ ١٥٩) الديوان (ص٨) وابن سيد الناس في عيون الأثر (٢/ ٢٨٢) وروى العسكري «تالله لا تمسك» (المصون ٢٠٢).

- تباين ضبط «تمسك» في الروايات الشعرية، فهي إما «تَمَسَّك» وإما «تُمَسِّكُ» وسيأتي تفريق المصنف بينهما.

- كذا «بالعهد» في رواية ابن هشام في السيرة والسهيلي في الروض (٤/ ١٥٩) والتبريزي في شرحه (ص١٦) وابن الأنباري (ص٩٧) والسبكي في الطبقات (١/ ٢٣٥) وابن كثير (البداية والنهاية ٤/ ٤٢٨).

- روى ابن بشران وابن هشام الأنصاري «بالوعد» (ص٩٠).

- روى السكري «بالوصل» (شرح ديوان كعب ص٨) وروى الحاكم «فلا تمسك بالوصل» (المستدرك ٣/ ٥٨٠) و«بالوصل» روى ابن سيد الناس (٢/ ٢٨٢) وروى ابن قتيبة: «بالود» (ص٦٨) وروى ابن عبد ربه أيضاً «بالود» (٥/ ٢٨٨).

- روى أبو أحمد العسكري «لعهد الذي عهدت» (المصون ٢٠٢) وكذلك أبوهلال العسكري في ديوان المعاني (١/ ١٩٩) وفي رواية ابن عبد ربه «الذي وعدت» (٥/ ٢٨٨) وكذلك ابن بشران.

- روى أبوالعباس الأحول «بالوصل الذي زعمت» قال: ويروى بالحبل الذي زعمت» (حاشية على شرح بانت سعاد ٢/ ٧٠).

- كذا «كما تمسك» في ل أيضاً بتاء فوقية، وهي رواية ابن قتيبة وابن بشران والسكري والتبريزي والبغدادي وابن هشام الأنصاري والعسكري وفي بقية النسخ «كما يمسك» بياء تحتية، وبها روى ابن هشام في السيرة وابن الأنباري والسهيلي وابن سيد الناس والسبكي والحاكم وابن كثير.

- تأخر هذا البيت في ترتيب روايته عند عبد اللطيف البغدادي إذ رواه حادي عشر، ورواه العسكري بعد قوله: «فلا يغرنك ما منت».

(٣) زاد في الأصل: «ولا تمسك بالعهد».

(٤) «بالشيء» ساقطة من متن ض ومستدركة في الهامش.

(٥) في ض: «يمسك» بياء تحتية.

يُمَسِّكونَ بالكتاب ﴾[1]، ﴿ ولا تُمْسكوا بعصَمِ الكوافرِ ﴾[2]، ويَجُوزُ أَنْ تكونَ بفَتْحِ التَّاءِ والميمِ وتَشْديد السِّينِ المَفْتُوحَة، والأَصْلُ تَتَمَسَّكُ، فَحُذِفَتْ إحدى التَّائَيْنِ كما في قَوْله[3] في البَيْتِ الذي قَبْلَهُ: «تَتَلَوَّنُ» وعَلَيْه قُرِئَ في الشَّاذ: ﴿ ولا تَمَسَّكوا بعصَمِ الكوافرِ ﴾.

و«**العَهْد**» **هُنا**: بمَعْنَى الحفاظ، ومنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «حُسْنُ العَهْدِ منَ الإيمان»[4]، وقَوْلُهُ: «زَعَمَتْ» يَجُوزُ أَنْ يَكونَ بمَعْنَى تَكَلَّفَتْ[5]، ويَكونُ التَّقْديرُ الذي زَعَمَتْ أَنَّها[6] تَفِي به، والزَّعْمُ في أَصْلِ اللُّغَة: قَوْلٌ يَدَّعيه المُدَّعي مُحْتَمِلٌ للْحَقِّ والبَاطِلِ، إلا أَنَّهُ غَلَبَ استعْمالُهُ في الباطلِ، ولم يَرِدْ في القرآن إلا بمَعْناه[7]، ومنْهُ قَوْلُهُ تَعالَى[8]: ﴿ زعمَ الذين كَفروا أنْ لَنْ يُبْعثوا ﴾[9]، وقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿ فقالوا هذا لله بزَعْمهمْ

---

(١) سورة الأعراف: آية رقم ١٧٠ وتمامها: ﴿ **والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المحسنين** ﴾.

(٢) سورة الممتحنة: آية رقم ١٠ وتمامها: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا يحلون لهن، وآتوهم ما أنفقوا، ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن، ولا تمسكوا بعصم الكوافر، واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا، ذلكم حكم الله يحكم بينكم، والله عليم حكيم** ﴾.

(٣) «قوله» ساقطة من الأصل.

(٤) هذا جزء من حديث فيه قصة، أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٥-١٦) والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٥١٧) كلاهما من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي أيضاً من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وقال: هو بهذا الإسناد غريب، ومن طريق أبي سلمة عن عائشة نحوه.

وذكره أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الإيمان (ص٦٣) وحسنه الألباني وبوب له البخاري في كتاب الأدب، فقال: باب حسن العهد من الإيمان. (٧/ ٧٦).

قال ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٤٣٦) بعد أن بين أن الحاكم والبيهقي أخرجاه: «اسناده ضعيف».

(٥) في ب: «تكفلت».

(٦) كذا «أنها» في ل، وفي بقية النسخ «أن» وذكر هذا في هامش ل (نسخة).

(٧) في بقية النسخ «إلا معناه».

(٨) «تعالى» ساقطة من ظ ول.

(٩) في ض: «أن لم يبعثوا» وهو تحريف.

- سورة التغابن: آية رقم ٧ وتمامها: ﴿ **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا، قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير** ﴾.

وهذا لِشُركائنا ﴾(١)، ومن اسْتِعْمالِهِ في الحَقِّ قَوْلُ أَبي طَالِبٍ يُخاطِبُ النَّبيَّ ﷺ بِهِ(٢):

وَدَعَوْتَني وَزَعَمْتَ أَنَّكَ ناصِحٌ   وَلَقَدْ صَدَقْتَ ثُمَّ كُنْتَ أَمِيْناً(٣)

وَقَولُ(٤) كُثَيِّرٍ(٥):

وَقَدْ زَعَمَتْ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا   وَمَنْ ذا الَّذي يا عَزُّ لا يَتَغَيَّرُ(٦)

فَإِنَّ عَجْزَ البَيْتَيْنِ(٧) يَدُلُّ على الصِّدقِ(٨).

---

(١) في ب: «هذا الله» وهو تحريف.

- سورة الأنعام: آية ١٣٦ وتمامها: ﴿ **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله، وما كان من الله فهو يصل إلى شركائهم. ساء ما يحكمون** ﴾.

(٢) «به» ساقطة من ظ، ب.

- البيت: من بحر الكامل.

- البيت هو الثالث من مقطوعة عدتها خمسة أبيات في ديوان أبي طالب - جمع وشرح د. محمد التونجي ص٩١.

- أبوطالب: هو عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم، عم النبي ﷺ، ووالد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، توفي في السنة العاشرة من النبوة، وبعضهم يؤكد إسلامه، وبعض آخر يرى أنه أسلم ولكنه كتم إسلامه.

(٣) في ك، ض: «دعوتني» وهو تحريف.

- في ظ، ك: «ناصحاً» وهو لحن من الناسخ.

- في ب: «ثم وكنت».

(٤) في ب، ض: «وقال».

(٥) زاد في ل: «كثير عزة».

- البيت: من بحر الطويل.

- البيت هو الثاني من مقطوعة عدد أبياتها أربعة (ديوان كثير ص٣٢٨).

(٦) كذا «ومن ذا الذي يا عز لا يتغير» في ب، ض، وفي هامش الأصل (نسخة) وهامش ل، وفي الأصل ول، ك «ومن ذا الذي يا عز أن يتغيرا».

- قوله: «قول يدعيه المدعي ... ومن ذا الذي ياعز لا يتغير» منقول من شرح ابن هشام (ص٩١).

(٧) في ظ، ك: «عجز اليقين» وهو تحريف.

(٨) في ض: «يدل الصدق».

وقَوْلُهُ: «كما تُمْسِكُ[1] الماءَ الغرابيلُ»، أي: ولا تُمْسِكُ بالعَهْدِ إلا تَمَسُّكاً كإِمْسَاكِ الغرابيلِ، والغَرابِيلُ: جَمْعُ غُرْبالٍ، وهو الذي يُغَرْبَلُ به الحِنْطَةُ ونَحْوُها، ومَعْنى البَيْتِ: أنَّها لا وُثوقَ بعَهْدِها[2]، ولا اعْتِمادَ على قَوْلِها، وشَبَّهَ[3] إمْسَاكَهَا لِلْعَهْدِ كإِمْسَاكِ الغِرْبالِ لِلْماءِ، إذِ الماءُ بمُجَرَّدِ وَضْعِه فيه يَخْرُجُ مِنْهُ، مُبالَغَةً في النَّقْضِ والنَّكْثِ وعَدَمِ الوَفاءِ، كما قالَ ابنُ السَّرَّاجِ النَّحْوِيُّ[4]:

فَكَأَنَّها حَلَفَتْ لَنَـــا أَنْ لا تَفِي حَلَفَتْ لَنَـا أَنْ لا تَخُونَ عُهودَنا[5]

(١٤٩ب) /وحاصِلُ الأَمْرِ أَنَّهُ وَصَفَها في البَيْتِ السَّابِعِ بأَرْبَعَةِ أَوْصافٍ، وهِيَ[6] الإِصابَةُ بالمَكْروهِ، والكَذِبُ، وإِخلافُ الوَعْدِ، وتَبْديلُ خَليلٍ بآخَرَ على ما تَقَدَّمَ بَيانُهُ هُنا[7]، ثُمَّ رَتَّبَ ذلكَ على ثَلاثَةِ أَوْصافٍ أُخْرَى، فَوَصَفَها في البَيْتِ الثَّامِنِ بوَصْفَيْنِ هُما: عَدَمُ المُداوَمَةِ عَلَى حَالٍ واحِدٍ، والتَّلَوُّنُ بألوانٍ مُخْتَلِفَةٍ، ثُمَّ وَصَفَها في هذا البَيْتِ بأَنَّها لا تُمْسِكُ على عَهْدٍ، ولا تَقِفُ عِنْدَهُ.

فإِنْ قيلَ: كَيْفَ سَاغَ لَهُ أَنْ يَصِفَ مَحْبُوبَتَهُ بهذه الصِّفَاتِ التي لا تَليقُ أَنْ يَصِفَ بها الشَّخْصُ عَدُوَّهُ فَضْلاً عَنْ حَبِيبِه؟ فالجوابُ عَنْهُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

---

(١) في ب، ض: «كم يمسك».

(٢) في ض: «ومعنى البيت أعمالاً وتوقف بعدها».

(٣) في ب، ض: «ويشبه».

(٤) البيت: من بحر الكامل.

– البيت هو الثاني من مقطوعة عدد أبياتها ثلاثة قيلت في جارية كان يهواها ابن السراج، ولها قصة عجيبة في تداول الناس لها ونسبتها إلى غير ابن السراج. (انظر وفيات الأعيان ج٤ / ٣٤٠ وإنباه الرواة ١٤٧).

– أبو بكر محمد بن السري النحوي المعروف بابن السراج نسبة إلى عمل السروج، أحد الأئمة المشاهير ذوي الفضل في النحو والآداب، أخذ عنه جماعة من أهل اللغة مثل أبي سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني، وله تصانيف مشهورة أشهرها كتاب الأصول وتوفي سنة ست عشرة وثلاثمائة. (وفيات الأعيان ٤ / ٣٣٩ – ٣٤٠ وإنباه الرواة ص١٤٧).

– زاد في ب بيتاً، إذ كتب فوقه: «قبله»:

ميزت بين جمالها وفعالهـا فإذا الملاحة بالخيانة لا تفي

(٥) في رواية ابن خلكان: «فكأنما حلفت».

(٦) في ب، ك: «وهو».

(٧) كذا «هنا» في هامش ل، وفي بقية النسخ «هناك».

أَحَدُهُما: أنَّ وَصْفَهُ لَهَا بهذه الأَوْصَاف راجعٌ إلى ما يَتَعَلَّقُ بأَحْوالِ المَحَبَّةِ منَ الوَصْلِ والهَجْرِ وما شاكَلَ ذلكَ، لا أنَّهُ وَصَفَها بذلكَ على الإطْلاق، وإذا كانَ ذلكَ خاصّاً بأحوال المَحَبَّة، لم يَكُنْ قادحاً في المَوْصُوف به، فَشَأْنُ المَحْبوبِ الهَجْرُ والتَّجَنِّي والإعْراضُ والتَّعَنُّتُ، ولا يكونُ هَجْرُهُ مُؤَثِّراً، ولا تَعَنُّتُهُ[١] في المَحَبَّةِ قادحاً كما قالَ أبو فِراسٍ[٢]:

أَساءَ فَزَادَتْـــــــهُ الإِساءَةُ حُظْوَةً ... حَبيبٌ على ما كانَ مِنْهُ حَبيبُ[٣]

يَعُـــدُّ عليَّ الواشيـــــانِ ذُنُوبَهُ ... وَمِنْ أَيْنَ لِلْوَجْهِ المَليْحِ ذُنُوبُ[٤]؟!

ولله دَرُّ عَتيقِ[٥] بنِ مُحَمَّدٍ الوَرَّاقِ[٦] حَيْثُ يَقولُ[٧]:

كلما أَذْنَــبَ أَبْدَى وَجْهُهُ ... حُجَّةً فَهو مَليءٌ بالحُجَجْ[٨]

كَيْفَ لا يُفْرِطُ في إِجْرامِــهِ ... مَنْ إذا شَاءَ منَ الذَّنْبِ خَرَجْ

---

(١) في الأصل: «ولا تعنيته».

(٢) في النسخ جميعاً «أبونواس» وهو تحريف.

– البيت من بحر الطويل.

– البيت مع آخر لأبي فراس الحمداني (انظر يتيمة الدهر ج١ / ص٥٥) والبيتان مع آخر في ديوان أبي فراس الحمداني (ج٢/ص٣٩).

(٣) في هامش الأصل: «جفوة» صح (رواية أخرى).

– في ل: «الأساة» من غير همز.

(٤) في رواية الديوان «العاذلون» بدل: «الواشيان».

(٥) في ك: «ولله عتيق».

(٦) عتيق بن محمد الوراق: لم أعثر له على ترجمة.

– في النسخ جميعاً: «أبو نواس» وهو تحريف.

(٧) «حيث يقول» ساقطة من الأصل.

– سقط البيتان من متن ل، واستدركا بخط مغاير في الحاشية.

– البيتان: من بحر الرمل.

– البيتان: من مقطوعة لعتيق بن محمد الوراق في ديوان الصبابة (ص١٦٧).

(٨) في ديوان الصبابة «مليّ» «بدل» مليءٌ».

وما أَحْلَى قَوْلَ القائِلِ(١):

وإذا الحَبِيْبُ أَتَى بِذَنْبٍ واحِدٍ ... جاءَتْ مَحاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعِ

الثاني: أَنْ يكونَ وَصْفُها لِتَنْفِيرِ الغَيْرِ عَنْها، فَرُبَّما سَمِعَ سامِعٌ(٢) وَصْفَها بالحُسْنِ فبَعَثَهُ ذلكَ على حُبِّها، فَكانَ ذَلِكَ(٣) سَبَباً لِمُبايَنَتِها لَهُ، فَأَرادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّها مَعَ ما وَصَفَها بِهِ مِنَ الحُسْنِ سَيِّئَةُ العِشْرَةِ، لا تَفِي بِوَعْدٍ(٤)، ولا تَقِفُ عِنْدَ عَهْدٍ؛ لِتَقِلَّ الرَّغَباتُ(٥) في طَلَبِها، وتَنْفِرَ النُّفُوسُ عَنْ حُبِّها، ولِلَّهِ دَرُّ(٦) عليِّ بنِ عِيْسى(٧) حَيْثُ يَقُولُ(٨):

وَلَسْتُ بواصِفٍ يَوْمـاً حَبِيباً ... أُعَرِّضُـهُ لأَهْوالِ الرِّجـالِ(٩)

ومـا بَـالِـي أَشُوقُ قَلْـبَ غَيْرِي ... وَدُونَ وِصالِهِ سِتْرُ الحِجالِ(١٠)

---

(١) البيت من بحر الكامل.

- البيت منفرد ومن غير عزو في ديوان الصبابة (ص١٦٧ وص١٧٠).

(٢) في ل: «سمع سامعاً» وهو لحن من الناسخ.

(٣) ذلك «زيادة في الأصل».

(٤) في ب: «لوعد».

(٥) في الأصل: «لثقل الرغبات».

(٦) «درّ» ساقطة من ك.

(٧) علي بن عيسى: لم أقف على ترجمة مميزة له، إذ عرف بهذا الاسم أعيان كثر، ولعل الراجح أنه على بن عيسى الذي سبق خبره في هذا الشرح (انظر ص١٦٣-١٦٤).

(٨) «حيث يقول» ساقطة من الأصل.

- البيتان: من بحر الوافر.

- نسب البيتان في ديوان الصبابة لعلي بن الرافعي (ص٩٦) والبيتان مع ثالث في كتاب الزهرة من غير عزو (ج١/ص١٢٦) ونسبت الأبيات إلى ابراهيم بن المهدي في نزهة الأبصار وله أيضاً في حماسة الظرفاء. وتنسب للحكم بن قنبر في خاص الخاص (ص١١٦) ومحاضرات الأدباء (٢/٢٣٥).

(٩) في ض: «لأهواء» وهي رواية ابن ناجية في ديوان الصبابة والعبدلكاني في حماسة الظرفاء، وروى أيضاً «ولست بواصف أبداً حبيباً» (حماسة الظرفاء ج١ ص) وفي الزهرة «خليلاً» بدل «حبيباً».

(١٠) في ك: «وما أبالي».

- في حماسة الظرفاء والزهرة «وما بالي أشوق عين غيري». وفي الزهرة «إليه ودونه ستر الجمال».

واعْلَمْ أَنَّ هذهِ الأَوْصَافَ تَقَعُ مِنَ المَحْبوبِ على أَرْبَعةِ أَنواعٍ:

الأَوَّلُ: أَنْ يكونَ عَنْ دَلَالٍ وَتِيهٍ، وعلاجُهُ بالتَّذَلُّلِ[1] والاسْتِعْطافِ والتَّمَلُّقِ، ليَأْخُذَ بِقَلْبِ مَحْبُوبِهِ، ويَسْتَميلَ[2] بالوُدِّ خاطِرَهُ، وإلى هذا المَقامِ أَشارَ بَعْضُهُم[3]:

تَذَلَّلْ لِمَنْ تَهْوَى فَلَيْسَ الهَوَى سَهْلُ ... إذا رَضِيَ المَحْبُوبُ صَحَّ لَكَ الوَصْلُ

النَّوْعُ الثَّاني: أَنْ يَكُونَ عَنْ مَلالٍ وضَجَرٍ، وعلاجُهُ بتَحَمُّلِ المَشَقَّةِ، والإِمْساكِ عن المَحْبوبِ واختيارِهِ وَقْتاً فَوَقْتاً، فَكَيْفَ ما أَحَسَّ مِنْهُ بالإِمْلالِ أَمْسَكَ عَنْهُ، إلى حِيْنِ[4] أَنْ[5] يَتَحَقَّقَ مِنْهُ ذَهابُ المَلالِ كما قَالَ الوَأْواءُ[6] الدِّمَشْقيُّ[7]:

باللهِ رَبِّكُمـا عُوجا على سَكَني ... وعاتباهُ لَعَلَّ العَتْبَ يَعْطِفُهُ[8]

وحَدِّثاهُ وقُولا في حَدِيثِكُمَا ... ما بالُ عَبْدِكَ بالهُجْرانِ تُتْلِفُهُ[9]

فَإِنْ تَبَسَّمَ قُولا في مُلاطَفَةٍ ... ما ضَرَّ لو بِوِصَالٍ مِنْكَ تُسْعِفُهُ[10]

---

(١) في ض: «والتدلل» بدال مهملة.

(٢) في ض: «ويستحيل».

(٣) البيت: من بحر الطويل.

– البيت يبدو أنه من معارضة لقصيدة عمر بن الفارض التي مطلعها:

هو الحب فاسلم بالحشا فالهوى سهل ... فما ذاقه مضنى به ولـه عقـل

(٤) كذا «حين» في الأصل وهي ساقطة من بقية النسخ.

(٥) «أن» ساقطة من الأصل ومن ل.

(٦) في ك، ل: «الواو».

(٧) زاد في ك: «حيث يقول».

– الأبيات: من بحر البسيط.

– الأبيات مقطوعة في ديوان الوأواء الدمشقي ص ١٤٦ ويتيمة الدهر ١/٢٧٧.

– الوأواء الدمشقي: أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الدمشقي، كان منادياً في دار البطيخ بدمشق، ينادي على الفواكه، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه، ووقع فيه ما يروق ويشوق ويفوق وتوفي سنة ٣٩٠هـ. (يتيمة الدهر ١/٢٧٢).

(٨) في ض: «عرجا على سكني» و«عاتبا».

(٩) في رواية الديوان واليتيمة: «وعرضا بي وقولا في كلامكما» بدل «وحدثاه وقولا في حديثكما».

(١٠) في ض: «تتحفه».

– في اليتيمة: «قولا عن ملاطفة».

وإنْ بَـدا لَكُـمـا في وَجْهِهِ غَضَبٌ فَغَالِطـاهُ و قولا لَيْسَ نَعْرِفُهُ[١]

النَّوْعُ الثَّالثُ: أَنْ يَكونَ ذلكَ عَنْ ذَنْبٍ صَدَرَ[٢] عَنِ المُحبِّ[٣]، وعلاجُهُ التَّوْبَةُ عَن ذلكَ الذَّنْب، والإِقلاعُ عَنْهُ[٤] حَتَّى لو رَمَاهُ مَحْبوبُهُ بِذَنْبٍ لا حَقيقَةَ لَهُ، أَظْهَرَ لَهُ مِنْهُ التَّوْبَةَ[٥] والتَّغَفُّلَ كما قالَ أَبو فِراسٍ[٦]:

أَلا أَيُّهـا الجانِي ونَسْأَلُـهُ الرِّضَـى ويـا أَيُّها المُخْطِي وَنَحْنُ نَتُوبُ[٧]

لَحَا اللهُ مَنْ يَلْحَاكَ في القُرْبِ وَحْدَهُ ومَـنْ لا يَرُدُّ الغَيْبَ حينَ تَغيبُ[٨]

(١٥٠أ) / **النَّوْعُ الرَّابعُ**: أَنْ يكونَ عَنْ بُغْضٍ مِنَ المَحْبوبِ لَهُ، وهذا هو الدَّاءُ العُضَالُ الذي يَعْسُرُ علاجُهُ، ويَشُقُّ[٩] بُرْؤُهُ، ولأَهْلِ المَحَبَّةِ فيهِ مَذْهَبان:

المَذْهَبُ الأَوَّلُ: التَّحَمُّلُ والصَّبْرُ والمُغَالَطَةُ والخِداعُ، لَعَلَّهُ أَنْ يَنْخَدِعَ أَوْ يَرِقَّ، كما قِيلَ[١٠]:

---

(١) في اليتيمة: «وإن بدا لكما من سيدي غضب».

(٢) في ب، ض: «صار».

(٣) في بقية النسخ: «من المحب».

(٤) «عنه» ساقطة من ض.

(٥) في ض: «أظهر له من التوبة».

(٦) في النسخ جميعاً: «أبو نواس» وهو تحريف.

- البيتان: من بحر الطويل.

- البيتان في ديوان أبي فراس وهما الثالث والرابع من مقطوعة عدد أبياتها أربعة (انظر ج٢ ص٣٩).

(٧) في رواية الديوان: «فيا» بدل «ألا».

- في ض: «ونسيله الرضى».

(٨) «يلحاك» ساقطة من ض، وفي الديوان «يرعاك».

- في ك، ل: «حتى نعيب».

(٩) في ض: «وشق».

(١٠) البيتان: من بحر الطويل.

- البيتان هما التاسع والعشرون والثلاثون من قصيدة عدد أبياتها ثلاثون بيتاً للعباس بن الأحنف (انظر ديوانه ص٣٢٢-٣٢٣).

تَحَمَّلْ عَظِيْمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تُحِبُّهُ   وإِنْ كُنْتَ مَظْلوماً فَقُلْ أَنَا ظالِمُ
فَإِنَّكَ إِنْ لم تَغْفِرِ الذَّنْبَ في الهَوى   يُفارِقُكَ مَنْ تَهْوى وأَنْفُكَ راغِمُ(١)

وما أَحْسَنَ قَوْلَ القائِلِ(٢):

إِذا مَرِضْنا أَتَيْناكُم نَعُودُكُمْ   وتُذْنِبونَ فَنَأْتيكُمْ فَنَعْتَذِرُ

المَذْهَبُ الثّاني: أَخْذُ المَحْبوبِ بالقَهْرِ إِنْ لم يَسْمَحْ بالوَصْلِ كما قالَ السُّلطانُ أبو عَبْدالله مُحَمَّدُ بنُ الأَغْلبِ بالله [مُحَمَّدِ بنِ] مُحَمَّدِ بنِ يُوسفَ بنِ نَصْرِ بنِ الأَحْمَرِ الأَنْدَلُسيُّ(٣) في ذلكَ(٤):

أَيا رَبَّةَ القُرْطِ الَّتي حَسَّنَتْ هُلْكِي   على كُلِّ حالٍ كان لابُدَّ لي مِنْكِ(٥)
فإِمَّا بِذُلٍّ فهو أَلْيَقُ بالهَوَى   وإِمَّا بِعِزٍّ فهو أَلْيَقُ بالمُلْكِ(٦)

---

(١) في رواية الديوان: «فإنك إلا تغفر» بدل «فإنك إن لم تغفر».

(٢) البيت من بحر البسيط.

– البيت منفرد من غير عزو في ديوان الصبابة (ص١٦٨) غير أن البيت مع آخر للمؤمل في كتاب الزهرة (ج١ ص٢٦).

– والمؤَمَّل بن أُمَيْل بن أسيد المحاربي شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، غير أنه شهر في زمن بني العباس لاتصاله بالمهدي وانقطاعه له (معجم الشعراء ص٣٨٤، معجم الأدباء ١٩ / ٢٠١–٢٠٤، الأغاني ٢٢ ص٢٤٥).

(٣) ما بين المعكوفتين زيادة يستقيم بها النسب.

– هو ثالث ملوك بني نصر في الأندلس توفي عام عشرة وسبعمائة، حكم من عام ٧١٣–٧٠٨هـ كان يقرض الشعر وكان شعره مستطرفاً، يجيز الشعراء ويعرف مقادير العلماء، حسن التوقيع، يغلب على خلقه الفظاظة والقسوة، (أنظر اللمحة البدرية ص٦٠–٦٧).

(٤) «في ذلك» ساقطة من الأصل.

– البيتان: من بحر الطويل.

– البيتان لأبي عبدالله محمد بن السلطان الغالب بالله أحد ملوك الأندلس (ديوان الصبابة ص٥٣).

(٥) في ب، ل، ض: «حسنت هتكي».

– في ب، ض: «على كل حالات» في ك: «على كل حال فلا بد لي منك».

– في ديوان الصبابة: «أيا ربة الخدر التي أذهبت نسكي».

(٦) في ض: «فهو أليق للملك».

عَلَى أَنَّ الصَّلاحَ الصَّفَدِيَّ[١] لم يَرْتَضِ[٢] هذا المَذْهَبَ، فَقالَ رادّاً على ابنِ الأَحْمَرِ[٣]:

تَمَسَّكْ بِذُلٍّ فهو أَلْيَقُ بالهَوى ... لِتُنْظَمَ مَعْ أَهْلِ المَحَبَّةِ في سِلْكِ

مَتَى لاقَ بالعُشَّاقِ عِزٌّ وسَطْوَةٌ ... كَأَنَّكَ مِنْ ذُلِّ المَحَبَّةِ في شَكٍّ ؟![٤]

ولا شَكَّ أَنَّ ابْنَ الأَحْمَرِ تَكَلَّمَ على قَدْرِ مُقَامِه، وعَزِيزِ مكَانه في السَّطْوَةِ والقَهْرِ، والصَّلاحُ الصَّفَدِيُّ تَكَلَّمَ على ما يَلِيقُ[٥] بمُقَامِ العشْقِ في نَفْسِ الأَمْرِ، فالعشْقُ يَذِلُّ[٦] الأُسودَ، ويُلِينُ الصَّلْدَ، إلاّ أَنَّهُ إذا دارَ الأَمْرُ بَيْنَ الذُّلِّ والوَصْلِ، فالوَصْلُ بالعِزِّ أَوْلى، كما قُلْتُ مُنْتَصِراً لابنِ الأَحْمَرِ، وراداً على الصَّفَدِيِّ[٧]:

إذا لَمْ يَكُنْ وَصْلٌ إلى الحُبِّ مُسْعِفٌ ... وأَمْسَيْتُ تَحْتَ الضَّيْرِ والعِشْقِ والضَّنْكِ[٨]

ولم أَسْتَطِعْ صَبْراً على الذُّلِّ والهَوى ... فبالعِزِّ وَصْلُ الخُودِ أَوْلى مِنَ التَّرْكِ[٩]

---

(١) صلاح الدين الصفدي: هو خليل بن أيبك بن عبدالله، ولد في صفد سنة ست وتسعين وستمائة، تولى كتابة الإنشاء بمصر ودمشق، و كتابة السر بحلب، ثم وكالة بيت المال بالشام توفي عام ٧٦٤هـ بالطاعون، وأفرد له السبكي في طبقاته صفحات طوالاً في الحديث عنه. (طبقات الشافعية ٦/ ٩٤-١٠٣، شذرات الذهب ٦/ ٢٠٠).:

(٢) في ك: «لم ترتض» وفي ل: «لم ترتضي» وهو لحن من الناسخ.

(٣) البيتان: من بحر الطويل.

(٤) في هامش الأصل: «وقد وقف الشيخ شهاب الدين الحجازي على هذا الرد فأنكره وقال: والله إني لأستحي أن أسمي ذلك رداً، ثم قال راداً على الشيخ صلاح الدين رده المذكور:

رددت صلاح الدين ما لم يردّه ... بليغ وردّ الردّ حقّ بلا إفك

نعم لاق بالعشاق عز إذا جفا ... حبيب محبّاً نافذ الأمر ذا ملك

بذلٍّ بدا و العزّ أكد قوله ... علي أي حال كان لابد لي منك

(٥) زاد في ض: «على قدر ما يليق».

(٦) في الأصل: «يدل» بدال مهملة.

(٧) البيتان: من بحر الطويل.

(٨) في ض: «وأميت» وهو تحريف.

- في ض: «تحت الضيّم» وذكرت هذه الرواية في هامش ل (نسخة).

(٩) في ل: «وصل الجود» بجيم معجمة.

البَيْتُ العاشِرُ

فَلا يَغُرَّنَّكَ ما مَنَّتْ ومــا وَعَدَتْ   إنَّ الأَمانيَّ والأَحْلامَ تَضْليلُ[1]

قَوْلُهُ: «فَلا يَغُرَّنَّكَ ما مَنَّتْ[2]» أَيْ: وإذا كانَتْ على ما تَقَدَّمَ مِنَ الإصَابَة بالمكْروه والكَذب وإخْلاف الوَعْد، وتَبْديل خَليل بآخرَ، وعَدَم الوَفَاء[3] والمُداوَمَة على حال، والتَّلَوُّن في الوُدِّ، وعدم الوَفاء بالعَهْد، فلا يَغُرَّنَّكَ ما مَنَّتْكَ إيَّاهُ، وما وَعَدَتْكَ إيّاهُ.

والخطابُ في قَوْله: «فلا يَغُرَّنَّكَ[4]» يَحتَملُ وَجْهَيْن:

الأَوَّلُ: أَنْ يكونَ خطاباً لكُلِّ أَحد، كما يُقالُ: فُلانٌ لَئيمٌ، إنْ أَكْرَمْتَهُ أَهانَكَ، وإنْ أَحْسَنْتَ إليه أَساءَ لَكَ[5]، لا يُريدُ مُخَاطَباً بعَيْنه، ومنْهُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿**ولو تَرى إذ المُجْرمونَ ناكسُو رُؤوسهمْ عنْدَ ربِّهمْ**﴾[6]، إذ لم يَجْعَل[7] الخطابَ فيه مُتَوَجِّهاً للنبيِّ ﷺ[8].

والثَّاني: أَنْ يَكونَ خطاباً لنَفْسه، وهذا تُسَمِّيه أَهْلُ المعاني والبيان: «التَّجريدُ»

---

(١) كذا وقع هذا البيت في ترتيب روايته عاشراً في رواية ابن هشام في السيرة والتبريزي وابن الانباري وعبد اللطيف البغدادي والسبكي وابن هشام الانصاري، ورواه ابن بشران والحاكم وابن كثير والسهيلي حادي عشر، ورواه السكري والقرشي وابن سيد الناس ثاني عشر.

- في رواية أبي بكر بن الأنباري «ولا يغرنك».

(٢) في ل: «وما منت».

(٣) «الوفاء» ساقطة من ل.

(٤) قوله: «ما منتك إياه... فلا يغرنك» ساقط من ب، ض.

(٥) في ل: «أسالك».

(٦) سورة السجدة: آية رقم ١٢، وتمامها: ﴿**ولو ترى إذا المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون**﴾.

- من قوله: «أن، يكون خطاباً لكل... لا يريد به مخاطباً بعينه» من تفسير الزمخشري لقوله تعالى: ﴿**ولو ترى...**﴾(انظر ج٣/ ٥١٠).

(٧) في ل: «لم نجعل».

(٨) قال الزجاج: «والمخاطبة للنبي ﷺ مخاطبة لأمته. ومذهب أبي العباس غير هذا، وأن يكون المعنى: يا محمد، قل للمجرم ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم لندمت على ما كان منك» (الجامع لأحكام القرآن١٤/ ٩٥).

وهو أَنْ يُجَرِّدَ مِنْ نَفْسِهِ شَخْصاً وَيُوَجِّهَ الخِطابَ إليه[١]، كما في قَوْلِ الأَعْشَى مخاطباً لنفسه[٢]:

وَدِّع هُرَيْرَةَ إِنَّ الركبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطيقُ وداعاً أَيُّها الرَّجُلُ

وحينَئِذٍ فيكونُ فيه التفاتٌ مِنَ التَّكَلُّمِ إلى الغيبَةِ، وَمِنْ حَيْثُ أَنَّهُ صَدَّرَ الكَلامَ في البَيْتِ الأَوَّلِ مِنَ القَصيدَةِ بِصيغَةِ التَّكَلُّمِ[٣] بقَوْلِه: «فَقَلْبي اليومَ مَتْبولُ»، ثُمَّ رَجَعَ هنا مِنَ التَّكَلُّمِ إلى الخطابِ[٤] لنَفسه بقَوْله: «فَلا يغرنّك ما مَنَّتْ وما وَعَدت»، فيكونُ قد انْتَقَلَ مِنَ التَّكَلُّمِ إلى الخطابِ، وهو نَوْعٌ مِنَ الأنواعِ السِّتَّةِ المَذْكُورةِ في أَنْواعِ البَديعِ[٥]، أَمَّا إذا جَعَلْنَا قَوْلَهُ: «فَلا يَغُرَّنَّكَ» خِطاباً لِغَيْرِه فلا التِفاتَ فيه حينَئِذٍ.

و«مَنَّتْ» مَعْناهُ: كَذَبَتْ، يُقالُ مَنَّاهُ بكذا يُمَنِّيه[٦]، إذا كَذَّبَهُ به[٧]، أَخْذاً مِنْ مَنَى يَمْنِي، إذا قَدَّرَ الشَّيْءَ؛ لأَنَّ الكاذبَ يُقَدِّرُ الحَديثَ لِنَفْسِه ثُمَّ يَقُولُهُ[٨]، وقَوْلُهُ: «ما وَعَدَتْ»، أَيْ: ولا يَغُرَّنَّكَ ما وَعَدَتْكَ[٩] إيَّاهُ أَيضاً، ويُقالُ: وَعَدَ، بِغَيْرِ/ أَلِفٍ، في (١٥٠ب)

(١) قسم السيوطي التجريد إلى قسمين: الأول: أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله مبالغة، والثاني: أن تجرد نفسك فتخاطبها كأنها غيرك» (شرح عقود الجمان ص١٢١). قال ابن الأثير: «وقد تأملته فوجدت له فائدتين، إحداهما أبلغ من الأخرى. فالأولى: طلب التوسع في الكلام... والفائدة الثانية: وهي الأبلغ، وذاك أن يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه، إذ يكون مخاطباً بها غيره، ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه» (المثل السائر ج٢/١٦٣).

(٢) البيت: من بحر البسيط.

- البيت هو الأول من معلقة الأعشى (ميمون قيس) أو قصيدته المشهورة عند النحاس، وعدد أبياتها (٦٤) بيتاً (ديوانه ص٥٥ وشرح القصائد التسع المشهورات ق٢/٦٨٥).

(٣) ي الأصل: «بصيغة المتكلم».

(٤) قوله: «لنفسه بقوله... إلى الخطاب» ساقط من ب، ل، ض.

(٥) يقصد السيوطي بأنواع البديع الستة ما ذكره ابن المعتز «الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامي مضافاً إليه الالتفات، وهو من محاسن الكلام عند ابن المعتز وعده السيوطي من البديع، وهو كذلك عند المتأخرين.

(٦) في ض: «يمنعه».

(٧) «به» ساقطة من ب، ك، ض.

(٨) في ض: «ثم يقول».

(٩) في ض: «ما وعدت».

جانب الخَيْر، كما هو في هذا المَوْضِعِ، ومنْهُ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ **وَواعَدْنا مُوسَى ثَلاثينَ لَيْلَةً** ﴾(١)، وَرُبَّما وَقَعَ في جَانب الشَّرِّ بغَيْر ألف أَيْضاً، إذا دَلَّتْ عَلَيْه قَرينَةٌ(٢)، كما في قَوْله تَعَالى: ﴿ **وإنْ يَكُ كاذِباً فَعلَيْه كَذِبُهُ، وإنْ يَكُ صادقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الذي يَعِدُكُمْ** ﴾(٣).

وَقَوْلُهُ: «إنَّ الأَمانيَّ والأَحْلامَ تَضْليلُ» بكَسْرِ الهَمْزَة في إنَّ(٤)، تَعْليلٌ(٥) لقَوْله: «فلا يَغُرَّنَّكَ ما مَنَّتْ وما وَعَدَتْ»، والأَمانيُّ بتَشْديد الياء، جَمْع أُمْنيَّة، يُقالُ تَمَنَّيْتُ الشَّيْءَ أَتَمَنَّاهُ، إذا اشْتَهَى حُصولَهُ، وحَدَّثَتْهُ به نَفْسُهُ، ومنْهُ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ **أَمْ للإنْسان ما تَمَنَّى** ﴾(٦).

---

(١) في ب، ل: «ووعدنا» وهي قراءة أبي عمرو واختاره أبو عبيد ورجحه وأنكر «واعدنا» لان المواعدة إنما تكون من البشر، فأما الله جل وعز فإنما هو المنفرد بالوعد والوعيد، وقيل المواعدة أصلها من اثنين، وقد تأتي المفاعلة من واحد في كلام العرب، فتكون القراءتان بمعنى واحد، قال النحاس: وقراءة «واعدنا» بالألف أجود وأحسن، وهي قراءة مجاهد والأعرج وابن كثير ونافع والأعمش وحمزة والكسائي. (الجامع لأحكام القرآن ج٣/ ٣٩٤).

– سورة الأعراف: آية ١٤٢ وتمامها: ﴿ **وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقت ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين** ﴾.

(٢) قال ابن سيده: «وفي الخير الوعد والعدة وفي الشر الايعاد والوعيد فإذا قالوا أوعدته بالشر أثبتوا الألف مع الباء» (لسان العرب مادة وعد ٤ /٤٧٩).

– قال الأزهري: «كلام العرب وعدت الرجل خيراً ووعدته شراً وأوعدته خيراً وأوعدته شراً، فإذا لم يذكروا الخير قالوا وعدته ولم يدخلوا ألفا وإذا لم يذكر الشر قالوا أوعدته ولم يسقطوا الألف» (لسان العرب مادة وعد ٤ /٤٧٩).

– في الأصل: «إذ دلت» وفي ل: «وإذا دلت».

(٣) سورة غافر: آية رقم ٨٢ وتمامها: ﴿ **وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب** ﴾.

– في ك، ل: «وإن يك كاذباً يصبكم بعض الذي يعدكم» وهو تحريف.

– قال ابن هشام: «والوعد هنا في قوله تعالى: ﴿ **أفمن وعدناه وعداً حسناً** ﴾ لا يحتمل غيره، وعكسه ﴿ **وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم** ﴾ وإذا لم تكن قرينة فالوعد للخير والايعاد للشر» (ص٩٦).

(٤) في ل، ك: «من إن».

(٥) قوله: «بكسر الهمزة في إن تعليل» ساقط من ض.

(٦) سورة النجم: آية رقم ٢٤.

و« الأَحلامُ »: جَمْعُ حُلُمٍ، بِضَمِّ الحاءِ واللاَّمِ(١)، [وحُلْمٍ، بِضَمِّ الحاءِ وإسكانِ اللاَّمِ](٢)، وهو ما يَراهُ النَّائِمُ، ويُقالُ مِنْهُ: حَلَمَ(٣)، بِفَتْحِ الحاءِ واللامِ جَمِيْعاً، إلا أَنَّهُ غَلَبَ في(٤) الرُّؤْيا على ما يراهُ في الخَيْرِ، والحُلْمُ على ما يَراهُ في الشَّرِّ(٥)، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿ **أَضْغاثُ أَحْلامٍ** ﴾(٦)، ومِنْ ذلكَ قَوْلُ النَّبيِّ ﷺ: « الرُّؤْيا مِنَ اللهِ، والحُلْمُ مِنَ الشَّيْطانِ »(٧).

و « التَّضْلِيلُ » تَفْعِيلٌ مِنَ الضَّلالِ، والمُرادُ التَّضْيِيعُ والإِبْطالُ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ **أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ** ﴾(٨)، والأَصْلُ أَنَّ الأَمانيَّ والأَحلامَ ذواتُ تَضْلِيلٍ، فَيَجْعَلُها هي نَفْسُ التَّضْلِيلِ لِلْمُبالَغَةِ كما في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ **هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ** ﴾(٩)؛ أَي(١٠): ذوو دَرَجاتٍ عِنْدَ اللَّهِ(١١).

---

(١) في هامش ل: نسخة بفتح الحاء واللام.

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة يستقيم بها المعنى ويكون دقيقاً.

(٣) قوله: « بضم الحاء واللام... منه حلم » ساقط من ب.

- في النسخ جميعاً « منكم » ولعل ما أثبته هو الصواب.

(٤) « في » ساقطة من الأصل.

(٥) قوله: « النائم ... في الشر » ساقط من ل.

(٦) سورة يوسف: آية رقم ٤٤.

- تمام الآية: ﴿ **وقالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين** ﴾.

(٧) زاد في ب، ض: « الرؤيا الصالحة من الله ».

- والحديث: أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها في كتاب الطب (٧ / ٢٤-٢٥)، باب النفث في الرقية، وفي بدء الخلق (٤ / ٩٥)، باب صفة ابليس وجنوده وفي التعبير (٨ / ٦٨)، باب الرؤيا من الله (٨ / ٦٨-٦٩) باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وفي باب من رأى النبي ﷺ في المنام (٨ / ٧٢) وباب الحلم من الشيطان (٨ / ٧٤) وأخرجه مسلم في كتاب الرؤيا (٤ / ١٧٧ برقم ٢٢٦١) ومالك في الموطأ باب الرؤيا (٢ / ٩٥٧) والترمذي في الرؤيا باب ما جاء إذا رأى في المنام ما يكره (رقم ٢٢٨٨) وأبو داود في الأدب باب ما جاء في الرؤيا (رقم ٥٠٢١).

(٨) سورة الفيل: آية رقم ٢.

(٩) سورة آل عمران: آية رقم ١٦٣.

- تمام الآية: ﴿ **هم درجات عند الله ، والله بما تعملون بصير** ﴾.

(١٠) « أي » ساقطة من ظ و ل.

(١١) « أي ذوو درجات عند الله » ساقطة من ب، ض.

- قوله: « والتضليل تفعيل من الضلال ... أي هم ذوو درجات عن الله » منقول من شرح ابن هشام (ص٩٩).

ومَعْنَى البَيْت: لا تَغْتَرَّ بِمَا تُوْحِيه[1] إليكَ مِنْ زُخْرُفِ القَوْلِ وكَذِبِ الوَعْد، ولا تُعَلِّقْ خَاطِرَكَ بذلكَ، إنَّ[2] الأَمانيَّ الذي يَتَمَنَّاها الإِنْسانُ، والأَحْلامَ التي يَرَاها في مَنَامه، تَضْيِيعُ زَمانٍ لا فَائِدَةَ فيْه، ولا طائِلَ تَحْتَهُ، وذلكَ أَنَّهُ وَصَفَها في البَيْتِ السَّابِعِ والثَّامِنِ والتَّاسِعِ بِتِسْعَةِ أَوْصافٍ، وهيَ: الإِصابَةُ بالمَكْرُوه[3]، والكَذِبُ، وإِخْلافُ الوَعْد، وَتَبْديلُ خَليلٍ[4] بآخَرَ، وَعَدَمُ المُداوَمَةِ على حالٍ[5]، والتَّلَوُّنُ في الوُدِّ[6]، وَعَدَمُ الوَفاءِ بالعَهْد، على ما تَقَدَّمَ بَيَانُهُ في مَوْضِعه[7]. وَمَنْ كَانَ بهذه الصِّفَة[8] لا يَنْبَغي أَنْ يُوثَقَ لَهُ بِقَوْلٍ، ولا يُتَعَلَّقَ لَهُ بوعْدٍ، وَمَنْ تَعَلَّقَ بالأَماني، وَوَقَفَ مَعَ التَّمَنِّي، فَقَدْ طَمِعَ في المُحال، وأَوَّلَ ما لا يُرْجَى، فَأَتْعَبَ نَفْسَهُ، وشَتَّتَ خاطِرَهُ.

ولَمَّا نَهى عَن الاغترار بما تُمَنِّيه وما تَعدُهُ، أَكَّدَ ذلكَ بقَوْله: «إِنَّ الأَمانيَّ والأَحْلامَ تَضْليلُ»، بمَعْنَى أَنَّ الأَمانيَّ راجِعَةٌ إلى قَوْله «ما وَعَدَتْ»[9]، ويكونُ مِنْ باب اللَّفِّ والنَّشْرِ[10]؛ الأَوَّلُ للأَوَّل، والثَّاني للثَّاني، ويكونُ قَدْ شَبَّهها في الأَمْرَيْنِ[11] بشَيْئَيْنِ باطِلَيْنِ لا حَقيقَةَ لَهُما[12]، أَمَّا الأَمانيُّ فَإِنَّها مخايِلُ فَاسِدَةٌ، وضَيَاعُ زَمانٍ في غَيْرِ ما لا

---

(١) في ض: «بما يوحيه».

(٢) «إن» ساقطة من ك، ب، ض.

(٣) في الأصل «الإصابة المكروه» وفي ك: «الإصابة في المكروه».

(٤) في ض: «والتبديل خليل».

(٥) في ض: «على حالة».

(٦) في ب: «والتلون في الوعد».

(٧) في ب، ل، ض: «في مواضعه».

(٨) في ك: «بهذه الصفات».

(٩) في ل: «وما وعدت».

(١٠) اللف والنشر: هو أن تلف شيئين ثم ترمي بتفسيرهما جملة، ثقة بأن السامع يرد إلى كل واحد منهما ما له «وكان المبرد من أوائل الذين التفتوا إلى هذا النوع، وأدخله السكاكي في المحسنات المعنوية». (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ج٣/٧٣-٧٥).

(١١) في الأصل: «الأمر».

(١٢) قوله: «ويكون قد شبهها.. لا حقيقة لهما» ساقط من ض.

فائدةَ فيه، قالَ عَليُّ بنُ عُبَيْد[١] : «الأَمانيُّ مَخايلُ الجَهْلِ[٢]»، وقالَ[٣] أَفْلاطونُ : «الأَمانيُّ حُلُمُ المُتَيَقِّظ[٤]»، وَمِنْ كلامِ بَعْضِ الحُكماء : «الأَمانيُّ تَجدُكَ وعِنْدَ الحَقائقِ تَدَعُكَ»، وقالَ رَجُلٌ لابنِ سيرينَ[٥] : رَأَيْتُ كَأَنِّي أَسْبَحُ في غَيْرِ ماءٍ، وأَطيرُ في غَيْرِ هواءٍ، فقالَ: أَنْتَ رَجُلٌ تُكْثِرُ الأمانيَّ، ولِلَّه الخالديُّ[٦] حَيْثُ يقولُ[٧] :

ولا تَكُنْ عَبْدَ المُنَى فالمُنَى ... رُؤُوسُ أَمْوالِ المَفاليسِ[٨]

إِلاّ أَنَّ العاشِقَ رُبَّما استراحَ إِليهِ وَعَلَّلَ بهِ نَفْسَهُ، كما يُعَلِّلُ نَفْسَهُ في طُولِ العُمُرِ بالأَمَلِ كَمَا قَالَ بَعْضُهم[٩] :

في المُنى راحـــةٌ وَإِنْ عَلَّلَتنا ... مِنْ هواها بِبَعْضِ ما لا يَكُونُ

---

(١) علي بن عبيد : أبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبد الغفار السِّمْسِماني اللغوي، كان مشهوراً بعلم اللغة والأدب، كان صدوقاً، تصدر ببغداد للرواية واقرأ الأدب. (وفيات الأعيان ج٣/٣١٢).

(٢) في ب، ض: «مخايل الجهلة».

(٣) في ض: «قال» بدون الواو.

(٤) في الأصل: «حلم المتيقن» وفي ب، ض: «حلم المتيقض».

(٥) ابن سيرين: أبو بكر محمد بن سيرين البصري ، أحد الفقهاء من أهل البصرة، مذكور بالورع والتقوى، وكانت له اليد الطولى في تعبير الرؤيا، توفي بالبصرة سنة عشر ومائة بالبصرة (وفيات الأعيان ج٤/١٨١-١٨٢).

(٦) زاد في ب، ض: «ولله در الخالدي».

- الخالدي: هو أبو بكر محمد بن هاشم توفي سنة ٣٨٠هـ.

(٧) في ك، ب ،ض: «حيث قال».

- البيت: من بحر السريع.

- البيت هو الثاني من مقطوعة من بيتين (ديوان الخالديين ص٦٣).

(٨) - كذا في ديوان الخالديين، وفي الأصل وك ول:

ولا تكن في الدنا عبد المنى أبداً ... إن المنى رأس أمـــوال المفاليس

- وفي ب، ض:

ولا تكونن عبداً للمنى أبداً ... المنى رأس أمـــوال المفاليس

(٩) البيت: من بحر الخفيف.

- البيت من غير عزو في ديوان الصبابة (ص٢٠١).

وَلِلَّه الحارثُ(١) حَيْثُ يَقولُ(٢):

أَمَانيُّ مِـنْ سُعْدى حِسانٌ كَأَنَّمـــا سَقَتْنَا بها سُعْدَى على ظَمـأٍ بَرْدا(٣)

مُنىً إِنْ يَكُنْ حَقاً يَكُنْ أَحْسَنَ المُنَى وإِلاَّ فَقَدْ عِشْنا بها زَمَنـــاً رَغْـدا(٤)

وأَمَّا الحُلْمُ بالمَحْبوبِ وَزِيَارَةُ طَيْفِهِ في المَنامِ، فَإِنَّهُ الحَالُ الحائِلُ، والوِصالُ(٥) الذي لَيْس تَحْتَهُ(٦) طائِلٌ، وَلِلَّه دَرُّ القائِلِ(٧):

قَدْ زارني طَيْفُ مَـنْ أَهْوَى عَلَى جَلَدٍ مِنَ الوُشَاةِ وَدَاعِ الصُّبحِ قَـدْ هَتَفـا(٨)

فكدت أُوقِظُ مَنْ حَوْلي بِهِ فَرَحـــاً وكـادَ يَهْتِكُ سِتْرَ الحُـبِّ بي شَغَفـا(٩)

ثُـمَّ انْتَبَهْتُ وآمالِـــي تُخَيِّبُني نَيْلَ المُنَى فاسْتَحالَتْ غِبْطَتي أَسَفا(١٠)

---

(١) زاد في ب، ض: «ولله در الحارث» وفي ل: «ولله الحارثي».

– الحارث: قال ابن ناجية في التقديم للبيتين «أحسن ما سمعته قول بعض بني الحرث» (ديوان الصبابة ص٢٠٠) والبيتان في زهر الآداب من غير عزو. (ج٢ ص٧٦).

(٢) البيتان: من بحر الطويل.

– البيتان في زهر الآداب (ج٢ ص٧٦) وديوان الصبابة ص٢٠٠

(٣) في ك، ل: «حساناً» وهو لحن من الناسخ.

– روي هذا البيت ثانياً والثاني أولاً في زهر الآداب وروايته كما يلي:

أماني مـــن ليلى حسان كأنمـا سقتني بها ليلى على ظمأ بردا

(٤) في ديوان الصبابة «تكن» بدل «يكن» الأولى، و«تكن» بدل «يكن» الثانية.

(٥) في ك، ب: «والوصل».

(٦) في ل: «لا تحته».

(٧) في ك، ل: «ولله قول القائل».

– الأبيات: من بحر البسيط.

– القائل: هو أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن اسحاق الحميري، وقيل إنها لأبي محمد أحمد بن علي بن خيران العامري، كان أميراً بالمرية في الأندلس، (وفيات الأعيان ج٧/٢٠٧).

(٨) في ب، ض: «قد زادني».

– في ض: «على جلدي».

– في رواية ابن خلكان: «على حذر» بدل «على جلد» (٧/٢٠٧).

(٩) في رواية ابن خلكان «شعفا» بعين مهملة.

(١٠) في ب، ض: «تخيل لي» وهي رواية ابن خلكان، وفي ك «تخيلني».

وما أَحْسَنَ قَوْلَ ابنِ القَطَّانِ البَغْداديِّ[١]:

زارَ الخَيالُ نَحيـــلاً مِنْ مُرْسِلِهِ ... لَمّا شَفاني مِنْهُ الضَّمُّ والقُبَلُ[٢]

مـــا زارني قَطُّ إلاّ كَي يُوافِقَني ... على الرُّقادِ فَيُغْنيهِ ويَرْتَحِـلُ[٣]

ولَمّا كـانَ الطَّيْفُ بهـذهِ المثابَةِ، لـم يَرْضَـهُ[٤] بَعْضُـهُمْ، بَلْ نَفاهُ وطَرَدَهُ، كمـا قـالَ طَرَفَةُ بنُ العَبْدِ[٥]:

فَقُـلْ لِخَيـــالِ الحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِبْ ... إِلَيْهَا فإِنِّي واصِلٌ حَبْلِ مَنْ وَصَلْ

على أَنَّ بَعْضَ المُحِبِّينَ يَأْنَسُ بالخَيالِ ويَتَسَلَّى بِهِ، كما قالَ البُحْتُرِيُّ[٦]:

(١٥١أ) /إذا مـــا الكَرَى أَهْدَى إِلَيَّ خَيالَهَا ... شَفَا عِلَّةَ التَّبْرِيحِ لَوْ نَفَعَ الصَّـدا[٧]

ولَمْ أَرَ مِثْلَيْنـا ولا مِثْـلَ شَأْنِنـــا ... نُعَذَّبُ أَيْقاظاً و نَنْعَـمُ هُجَّــدا[٨]

---

(١) في الأصل: «وقول» وسقط منها «وما أحسن».

– البيتان: من بحر البسيط.

– البيتان: مقطوعة في ديوان الصبابة ص١٢١.

– ابن القطان البغدادي: أبوالقاسم عبدالعزيز بن محمد بن الحسين، كان غاية في الخلاعة والمجون، مولعاً بهجاء المتعجرفين، وهو شاعر مجود، مليح الشعر، رقيق الطبع، وله مع حيص بيص وابن سودون حكايات ونوادر، توفي ببغداد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة. (وفيات الأعيان ٦/٥٣–٦١).

(٢) في ض «مثل مرسلة/ فما شفاني».

– في ديوان الصبابة «بخيلاً مثل» بدل «نحيلاً من» و «فما» بدل «لما»، والضيم بدل«الضم».

(٣) في ك، ض: «فينفيه».

– في ديوان الصبابة: «فينفيه» بدل «فيغنيه».

(٤) في ب، ض: «لم يرتضه».

(٥) البيت من بحر الطويل.

– البيت من قصيدة عدد أبياتها أربعة عشر بيتاً (ديوان طرفة بن العبد/ شرح الأعلم الشنتمري ص٩٢).

– الحنظلية: من بني حنظلة بن مالك.

(٦) البيتان: من بحر الطويل.

– البيتان هما الرابع والسادس من قصيدة عدد أبياتها سبعة وثلاثون بيتاً (ديوان البحتري م٢ ص٦٧٠).

(٧) في رواية الديوان «خياله» بدل «خيالها» و«أو نقع» بدل «لو نقع».

(٨) في ض: «يعزب.. وننعم جهدا».

بَلْ بالغَ التِّهاميُّ حَتَّى فَضَّلَهُ على اليَقَظَةِ فَقَالَ(١):

وَصْلُ الخَيالِ وَوَصْلُ الجُودِ إِنْ بَخلَتْ سِيَّانُ ما أَشْبَهَ الوِجدانُ بالَدَمِ(٢)

الطَّيْفُ أَحْسَنُ وَصْلاً إِنَّ لَذَّتَهُ تَخْلو عَنِ الإِثْمِ و التَّنْغِيصِ والنَّدَمِ(٣)

---

(١) البيتان من بحر البسيط.

– البيت الأول من قصيدة عدد أبياتها سبعة وثمانون بيتاً في مدح الأمير نصر الدولة أبي نصر بن مروان (انظر ديوان التهامي ص٣٣٣–٣٣٥).

– التهامي: أبو الحسن علي بن محمد التهامي، نسبة إلى تهامة، كان مشتهر الإحسان وشعره يدل على مكانة من العلوم، شارك في ثورة آل الجراح ضد الفاطميين، قتل في سجن بالقاهرة سنة عَشْر وأربعمائة (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ م٢ وفيات الأعيان ٣/ ٣٧٨–٣٨١، شذرات الذهب ٣/ ٢٠٤).

(٢) في رواية الديوان: «إن سمحت» بدل «إن بخلت».

(٣) هذا البيت ليس في ديوان التهامي.

– في ظ، ل: «وصفاً».

– في ض: «والتنصيص».



البَيْتُ الحادِيَ عَشَرَ

كانَتْ مَواعِيْدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً وما مَواعِيدُها إلاّ الأَبَاطِيْلُ(١)

قَوْلُهُ: «كانَتْ» أيْ: صارَتْ، ومواعيدُ جَمْعُ مِيْعاد، كموازينَ وميْزان(٢)، وعُرْقوبٌ بضَمِّ العَيْنِ وإسْكانِ الرَّاء وضَمِّ القاف وبَعْدَ الواوِ باءٌ مُوَحَّدَةٌ: رَجُلٌ عُرِفَ عِنْدَ العَرَبِ بإخْلافِ الوَعْدِ، واشْتَهَرَتْ حكايَتُهُ، واخْتُلِفَ في نَسَبِه، فَقيلَ هو عُرْقوبُ بنُ مَعْبدِ بنِ زُهَيْرٍ(٣)، وَقيلَ عُرْقوبُ بنُ صَخْرٍ(٤)، ثُمَّ اختُلِفَ فيه، فَقيلَ مِنَ الأَوْسِ(٥)، وقِيلَ مِنَ العَمَالِقَةِ(٦)، وقِيلَ مِنْ بني عَبْدِ شَمْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ(٧)، وكانَ مِنْ أَمْرِهِ أنَّهُ

---

(١) في الأصل: «وما مواعدها».

- في رواية ابن بشران تقدم هذا البيت على سابقه (فلا يغرنك...) وجاء ترتيبه عاشراً.

- ورواه أبوالعباس الأحول عاشراً أيضاً بعد قوله «ولا تمسك بالوعد...» (انظر حاشية على بانت سعاد ٢/١٩٣).

- روى ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص٦٨) والعسكري في المصون (٢٠٢) وأبوالعباس ونفطويه (حاشية ٢/١٩٣): «وما مواعيده».

- في رواية ابن منظور: «وما مواعيدها إلا الأضاليل» قال: والأضلولة: الضلال، قال كعب... البيت وفلان صاحب أضاليل واحدتها أضلولة» (مادة ضل ج٣/٤١٩).

- روى أبو زيد القرشي «وما مواعيدها إلا أباطيل» (٢/٧٩١).

(٢) قوله: «كانت... وميزان» منقول من شرح ابن هشام (ص١٠٠).

(٣) في رواية التبريزي: «عرقوب بن معبد» (ص١٧) وزاد ابن هشام في روايته: «عرقوب بن معبد بن زهير». (ص١٠٠).

(٤) كذا في رواية التبريزي نقلاً عن الكلبي (ص١٧) ورواية ابن هشام (ص١٠٠)، وفي رواية السكري «عرقوب بن نصر».

(٥) كذا «قيل من الأوس» وهي مقولة ابن دريد (شرح ابن هشام ص١٠١) وزاد ابن الكلبي: «من الأوس أو الخزرج» (الفاخر ص١٣٤).

(٦) كذا «العمالقة» في الأصل، وفي بقية النسخ «العماليق».

- وقال إن عرقوباً من العمالقة كل من السكري والتبريزي وابن هشام. وحكى الزمخشري فيه أربعة أقوال، منها أنه رجل يهودي من خيبر، غير أنه لم يتعرض فيها لكونه من العمالقة. (انظر المستقصى في الأمثال ١/١٠٧ والمزهر ١/٤٩٥).

(٧) ممن قال بذلك أبو بكر بن الأنباري (ص٩٨) والتبريزي (ص١٧) وابن هشام (ص١٠٠).

وَعَدَ أَخاً لَهُ(١) بِيَثْرِبَ شَيْئاً(٢) وقالَ: ائتني إذا أَطْلَعَ النَّخْلُ(٣)، فلما أَطْلَعَ النَّخْلُ(٤) أَتَاهُ، فَقَالَ(٥): ائتني إذا أَبْلَحَ، فلما أَبْلَحَ(٦) أتاه، قالَ(٧): ائتني إذا أَرْطَبَ(٨)، فَلَمَّا أَرْطَبَ(٩) أَتَاهُ، قالَ: ائتني إذا صَارَ تَمْراً، فَلَمَّا صارَ تَمْراً أَخَذَهُ(١٠) منَ اللَّيْلِ ولم يُعْطه شَيْئاً، فَضُرِبَ به المَثَلُ في الإخْلاف، فَقِيلَ: «أَخْلَفُ مِنْ عُرْقُوبٍ(١١)» وتَداوَلَهُ شُعراءُ العَرَبِ في شِعْرِهِمْ، قال الشَّمَّاخ(١٢):

---

(١) في ظ، ل: «وعد أخ له» وهو لحن من الناسخ.

(٢) في الأصل: «كان اسمه يثرب شيئاً».

- كذا «يثرب» بالثاء المثلثة عند السكري، وهي «يترب» بالتاء المثناة عند ابن الكلبي والتبريزي الذي قال «والصحيح ما ذكره ابن الكلبي أن يترب موضع يقرب من اليمامة» (ص١٧) وعلى هذا الخلاف كان الخلاف السابق في عرقوب هل كان من العمالقة أو من العماليق، قال ابن دريد «اختلفوا في عرقوب فقيل هو من الأوس فيصح على هذا أن يكون بالمثلثة (يثرب) وقيل من العماليق فيكون بالمثناة (يترب) لأن العماليق كانت منازلهم من اليمامة إلى وبار ويترب هناك» (شرح ابن هشام ص١٠٠-١٠١).

(٣) في الأصل: «إذا طلع».

(٤) «النخل» ساقطة من الأصل.

(٥) في ل: «قال».

(٦) «فلما أبلح» ساقطة من ل.

(٧) في ض: «فقال».

(٨) في ظ، ل «إذا رطب».

(٩) في ل: «فلما رطب».

(١٠) في ض: «جدّه» وبها روى ابن هشام (ص١٠٠).

(١١) من قوله «فلما صار تمراً ... أخلف من عرقوب» من شرح ابن هشام (ص١٠٠).

- وانظر القصة بلفظ مختلف رواية عن أبي زيد إذ قال: «الذي عناه كعب رجل من الأوس...» (الأغاني ١٧/ ٩٠-٩١).

(١٢) البيت: من بحر الطويل.

- البيت هو الأول من مقطوعة عدد أبياتها ثلاثة (ملحق ديوان الشماخ ص٤٣٠) وانظر الأغاني ١٧/ ٩١).

- الشماخ بن ضرار الذبياني، شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم، مات غازياً بأذربيجان أو أرمينية في عهد عثمان ابن عفان رضي الله عنه، عده ابن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الجاهلية، وهو أوصف الناس للحمير والقوس وأرجز الناس على البديهة. (معجم الشعراء ١٣٨ طبقات فحول الشعراء ١/ ١٣٢).

أَوَعَدْتَنِي ما لا أُحاوِلُ نَفْعَهُ مَوَاعِيْدَ عُرْقوبٍ أَخاهُ بِيَثْرِبِ[1]

وقالَ عَلْقَمَةُ الأَشْجَعِيُّ[2]:

وَعَدْتَ وكانَ الخَلفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَوَاعيدَ عُرْقوبٍ أَخـاهُ بِيَثْرِبِ[3]

و«المَثَلُ»: مـا حـاكَيْتَ بِهِ شَيْئاً كـانَ[4]، ولذلكَ[5] قيلَ للصُّوَرِ المَنْقُوشَةِ تَماثيلُ[6]، وَقَولُهُ: «ومـا مـواعِيـدُها» أيْ: ومـا مَـواعِيـدُ سُـعـادَ، ويُرْوى: «ومـا

---

(١) ي الأصل: «يثرب».

– في رواية الديوان «واعدتني» بدل «أوعدتني» ويروى «وأوعدتني».

(٢) البيت: من بحر الطويل.

– البيت في شرح التبريزي (ص١٧) وشرح ابن هشام (ص١٠٠)، وذكره الجوهري في الصحاح في موضعين؛ مادة التراب ومادة عرقب.

– والبيت من شواهد ابن هشام في قطر الندى (انظر شرح قطر الندى تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص١١٨) ونسبه الجوهري وابن منظور للأشجعي دون تعيين علقمة (اللسان مادة ثرب ج٢/٢٢٤ ط بولاق) وكذلك رواه الميداني من غير تعيين علقمة (مجمع الأمثال ٢/٢٢٢)، ونسبه الفيروزآبادي في القاموس والصاغاني في العباب إلى جبيهاء الأشجعي، ونسبه أبوعبيد البكري إلى علقمة نقلاً عن أبي عبيدة (معجم ما استعجم ٢/١٣٨٨) قال عبدالقادر البغدادي: «جمع بينهما (ابن هشام) فنسبه إلى علقمة الأشجعي، وليس علقمة من أشجع، إنما من ربيعة الجوع، ويقال له علقمة الفحل، وهو جاهلي من أقران امرئ القيس ومعاصره، أما جبيهاء بن حُمَيْمة بن يزيد... من بكر بن أشجع، شاعر خبيث متمكن من لسانه.. وما نسبه أبوعبيد (البكري) لعلقمة غير صحيح...» (حاشية على شرح بانت سعاد ٢/٢٠٣-٢٠٤).

– قال أبو الفرج بعد أن أورد بيت الشماخ وبيتاً للمتلمس «وما قالته الشعراء في ذكر عرقوب يكثر» (٧١/٩١).

(٣) في ل: «وكان».

– قال التبريزي: «الناس يروون هذا البيت (مواعيد عرقوب أخاه بيثرب) يعنون يثرب مدينة النبي ﷺ، ويقولون إنه كان من سكان يثرب، والصحيح ما ذكره ابن الكلبي أن الرواية (مواعيد عرقوب أخاه بيترب) بالتاء وفتح الراء» (ص١٧).

– في رواية ابن هشام «بيترب» بدلاً من «بيثرب».

– قال ابن منظور «هكذا رواه أبو عبيدة بيترب وأنكر بيثرب، وقال: عرقوب من العماليق ويترب من بلادهم، ولم تسكن العماليق يثرب، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: «كنا بتربان» قال ابن الأثير: وهو موضع كثير المياه بينه وبين المدينة خمسة فراسخ» (اللسان ج٢/٢٢٤).

(٤) في ظ، ل: «والمثل شيئاً حاكيت به».

(٥) في الأصل: «وكذلك».

(٦) قوله: «والمثل ما حاكيت... تماثيل» منقول من شرح ابن هشام (ص١٠٢).

(٧) بها روى ابن قتيبة وأبو العباس الأحول.

مَواعيدُ عُرْقوبٍ، و« الأَباطيلُ »: جَمْعُ باطِلٍ، والبَاطِلُ ضِدُّ الحَقِّ[1].

ومَعْنى البَيْت: أَنَّ هذه المَرْأَةَ اشْتَهَرَتْ بِإخلافِ الوَعْدِ، كما اشْتَهَرَ به عُرْقُوبٌ، فَصارَتْ شَبَهاً لَهُ في ذلكَ، حَتَّى لو ضُرِبَ بها المَثَلُ كانَتْ جَديرةً به، ثُمَّ إنْ[2] أُنْشدَ « وما مَواعيدُها » على الرِّوايةِ المَشْهورَةِ، كانَ ذلكَ تَأْكيداً[3] لإخْلافِها الوَعْدَ، فإنَّهُ بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ عُرْقُوباً[4] مَثَلاً في الإخلافِ، ذَكَرَ أَنَّ مواعيْدَها باطِلَةٌ لا حَقيقَةَ لَهَا، ولم يَكُنْ يَضْرِبُ المَثَلَ حَتَّى وَصَفَ مواعِيدَها بالأَباطيلِ[5]، فكانَتْ أَسْوأَ حالاً في المَطْلِ والإخلافِ منْهُ، وما أَوْلاها حينَئذٍ بِقَوْلِ القائلِ[6]:

لَو أنَّ الباخلينَ وأَنْتِ منْهُمْ ... رأَوْكِ تَعَلَّموا منْكِ المطالا

وَإنْ أُنْشدَ « وما مَواعيدُهُ » على الرِّوايةِ الأُخرى، كانَتْ مُمَاثِلَةً لِعُرْقوبٍ في المَطْلِ منْ غَيْرِ زيادةٍ عَليْه.

واعلَمْ أَنَّ المُحِبِّينَ اختلفوا في مَطْلِ المَحْبوبِ على مذاهبَ، فَقَوْمٌ يَحْمِلُهم طَلَبُ اللِّقاءِ، وعَدَمُ احتمالِ الجَفَاءِ على مُنَاقَشَةِ الحَبيبِ على إخْلافِه، ولَوْمِهِ على عَدَمِ موافاتِه كما قالَ ابنُ سَناءِ المُلْكِ[7] يُخاطِبُ مَحْبوبَهُ[8]:

---

(1) قوله: « وما مواعيدها .. ضد الحق » من شرح ابن هشام (ص١٠٣).

(2) « إن » ساقطة من ظ، ب، ل، ض.

(3) في الأصل « تأكيد » وهو لحن من الناسخ.

(4) في النسخ جميعاً: « عرقوب ».

(5) في الأصل: « الأباطيل » دون الباء.

(6) البيت: من بحر الوافر.

- في جميع النسخ « المطالة ».

- البيت لكثير عزة، ضمن أبيات مفردة (ديوانه ص٥٠٧)، وقد جاء شاهداً على الالتفات في كتب البلاغة. (انظر البديع ص٦٠ وكتاب الصناعتين ص٤٤١ والمثل السائر ٣ / ٤٤).

(7) في ض: « ابن سيناء الملك ».

- ابن سناء الملك: هو أبوالقاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك، شاعر مفتن، ولد سنة ٥٥٠هـ في القاهرة، عاش زمن الدولة الأيوبية، وجرت بينه وبين القاضي الفاضل مراسلات. أفتن في شعر الموشحات، وله كتاب جميعه موشحات سماه « دار الطراز » (وهو مطبوع) وتوفي سنة ٦٠٨هـ (وفيات الأعيان ٦ / ٦١-٦٢).

(8) في الأصل: « مخاطب ».

- البيت: من بحر الطويل.

- البيت ليس في ديوان ابن سناء الملك، لكنه نسب له في ديوان الصبابة من مقطوعة عدد أبياتها أحد عشر بيتاً، وهو الأول منها. (انظر ص٢٠٤) غير أن أبا الفرج الأصفهاني نسب البيت مع بيتين آخرين لأميمة امرأة ابن الدمنية (الأغاني ج٢ ص٥٩).

وَأَنْتَ الذي أَخْلَفْتَني ما وَعَدْتَني وأَشْمَتَّ بي مَنْ كـانَ فيكَ يَلُومُ

وعلى هذه الطَّريقة جَرَى النَّاظِمُ رضي اللهُ عَنْهُ في قَصيدَته، وأكثرَ فيها[١] منْ إخلاف الوَعْد، وتَقْريعَها[٢]، منْ قَوْله في البَيْت السَّادس، أكرِمْ بها خُلَّةً لو أنَّها صَدَقَتْ مَوْعودَها . . .البيت[٣].

وقَوْمٌ يَسْتَعْذِبونَ[٤] المَطْلَ، ويَسْتَحْلونَ كواذبَ الأَماني، ويَتَسَلَّوْنَ به عَنِ الوَصْلِ، كما قالَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّين بنُ الفارِضِ رَحِمَهُ اللهُ[٥]:

عِدِيْني بِوَصْلٍ وامْطُلي بِنجـازِه، فَعِنْدي، إذا صَحَّ الهَوَى، حَسَنُ المَطْلُ[٦]

وآخَرونَ على[٧] أنَّ الوَعْدَ والأَمانيَّ سَبَبُ الحَيَاةِ عِنْدَ فواتِ الوَصْلِ، كما قَالَ العَفيفُ اسحاقُ[٨]:

لولا مَوَاعيدُ آمـالٍ أَعيشُ بها لَمتُّ يا أَهْلَ هذا الحَيِّ في زَمَنِ[٩]

وكُلُّ ذلكَ باخْتِلاف رُتَبِ المُحبِّينَ في القُرْبِ والبُعْد، والقُوَّة والضَّعْف.

---

(١) زاد في ب، ض: «وأكثر ما فيها».

(٢) كذا «وتقريعها» في ك، وفي ب، ض «وتقاريعها» وفي ل: «تفريعها» بالفاء.

(٣) «البيت» زيادة في ظ، ل.

(٤) في ض: «وقوم يعذبون».

(٥) «رحمه الله» ساقطة من ل، وزاد في ض «رحمه الله تعالى».

- البيت من بحر الطويل.

- البيت هو الرابع والخمسون من قصيدة عدد أبياتها ستون بيتاً (انظر ديوانه ص١٣٨).

(٦) في ب، ض: «فمطلي».

(٧) «على» زيادة من ب، ض.

(٨) البيت: من بحر البسيط.

- البيت هو الأول من مقطوعة مكونه من بيتين للعفيف (انظر ديوان الصبابة ص١-٢ وبغية الوعاة ص١٩١).

- ابن العفيف: اسحاق بن خليل بن غازي عفيف الدين الحموي الخطيب، كان فاضلاً في النحو والقراءات والفقه، مات سنة ٦٧٢ هـ (بغية الوعاة ص١٩١).

(٩) في ديوان الصبابة وبغية الوعاة: «من زمن» بدل «في زمن».



البَيْتُ الثَّانِي عَشَرَ

/ أَرْجُـو وآمُـلُ أَنْ تَدنو مَودَّتُهـا   وما إِخَالُ لَدَيْنا مِنْك تَنْويلُ[١]   (١٥١ب)

قَوْلُهُ: «أَرْجُو» أَيْ: يَغْلِبُ على ظَنِّي، تَقُولُ: رَجَوْتُ الشَّيْءَ أَرْجُوهُ رجاءً بالمَدِّ، إِذا غَلَبَ[٢] على ظَنِّكَ حُصُولُهُ، وقَوْلُهُ: «وآمُلُ[٣]» بِمَدِّ الهَمْزَةِ وضَمِّ المِيمِ، مَعْنَاهُ: أَرْجو أَيْضاً، يُقالُ: أَمَلْتُ الشَّيْءَ آمُلُهُ بِضَمِّها مَعَ المَدِّ، إِلا أَنَّ الرَّجاءَ لا يكونُ إِلا في المُمْكِنِ، والأَمَلُ يَكونُ في المُمْكِنِ[٤] والمُسْتَحيلِ، ولِذلكَ حَسُنَ الجَمْعُ بَيْنَهما، لِحُصول مُغايرةٍ ما[٥]، ثُمَّ إِنْ جَعَلَ[٦] قَوْلَهُ في البَيْتِ العَاشِرِ[٧]: «فلا يَغُرَّنَّكَ» خطاباً لِنَفْسِه، وإِن التَفَتَ مِنَ الخِطابِ في قَوْلِه في أَوَّلِ القَصيدَةِ: «فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ» إِلى قَوْلِه: «فلا[٨]

---

(١) كذا روى هذا البيت ابن هشام في السيرة (٣/١٣٥٧) والتبريزي (ص١٧) والسبكي في (طبقات الشافعية ١/٣٢٦) والحاكم في المستدرك (٣/٥٨٠) وابن هشام في شرحه (١٠٣).

– روى ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٤٢٩) وابن سيد الناس في عيون الأثر (٢/٢٨٢) وأبوالعباس الأحول (حاشية ٢/٢٢٤).

أرجو وآمل أن تدنو مودتها   وما لهن إخال الدهر تعجيل

– روى السكري في الديوان (ص٩) وأبوالعباس الأحول (حاشية ٢/٢٢٤) وأبو البركات بن الأنباري (ص٩٨) والقرشي في الجمهرة (١/٧٩١) وعبد اللطيف البغدادي في شرحه (ص١١٥) وأشار إلى روايته التبريزي، وهي كالتالي:

أرجو وآمل أن يعجلن في أبد   وما لهن طوال الدهر تعجيل

– قال أبوالعباس الأحول: «ويروى ومالنا عندهن اليوم تعجيل».

– سقط هذا البيت من رواية ابن بشران (ص٨٠) ونفطويه (انظر حاشية على شرح بانت سعاد ٢/٢٢٤).

(٢) في ض: «إذا غلبك».

(٣) في ك: «آمل» بدون الواو.

(٤) في الأصل: «والأمل لا يكون إلا في الممكن».

(٥) في ض: «لحصول المغايرة» و«ما» ساقطة منها.

– قال ابن هشام: «والأمل هو الرجاء، قيل: وإنما عطف عليه؛ لأنه يكون في الممكن والمستحيل، والرجاء، وإنما المصحح للعطف اختلاف اللفظ...»(ص١٠٤) والسيوطي راوح بين نقل الفكرة بلفظها ونقلها بمعناها.

(٦) كذا «جعل» في ظ، ل، وفي بقية النسخ «جعلنا» وذكرت هذه الرواية بهامش ل على أنها نسخة.

(٧) في ظ، ك: «البيت الحادي عشر».

(٨) في ض «لا» بدون الفاء.

يَغُرَّنَّكَ » خطاباً لنَفْسه على ما تَقدَّمَ(١)، كانَ في قَوْله التفاتٌ أَيْضاً من الغيبَة في قَوْله: « فلا(٢) يَغُرَّنَّكَ » إلى التَّكَلُّم في قَوْله: « أَرْجو وآمَلُ »، ويَكُونُ قَدْ رَجَعَ إلى حَالِ التَّكَلُّمِ الأُولى(٣)، وإنْ جَعَلْنا قَوْلَهُ: « فلا يَغُرَّنَّكَ » خطاباً لغَيْره فلا التفاتَ، كَمَا لا يَكُونُ التفاتٌ هُنَاكَ(٤).

وقَوْلُهُ: « أَنْ تَدْنُو » أَيْ: أَنْ تَقْرُبَ(٥)، وقَوْلُهُ: « مَوَدَّتُها » أَيْ: مَوَدَّةُ سُعادَ، والمَوَدَّةُ خلافُ العَداوَة، وقَوْلُهُ: « وما إخالُ » أَيْ: وما أَظُنُّ(٦)، وإخالُ(٧) بكَسْر الهَمْزَة على الأَفْصَح، ويَجُوزُ فَتْحُها، وهي لُغَةٌ شاذَّةٌ(٨)، وقَوْلُهُ: « لَدَيْنا » أي: عنْدَنا، ومنْهُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ **وأَلْفَيا سَيِّدَها لَدَى الباب** ﴾(٩)، أَيْ: عنْدَ البَاب(٩)، وقَوْلُهُ: « منْكِ »؛ والتَّقْديرُ أَرْجو وآمُلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُها وما إخالُ لَدَيْنا منْكِ تَنْويلُ، والتَّنْويلُ: العَطَاءُ، والمُرادُ هُنا الوَصْلُ.

ومَعْنَى البَيْتِ: إنَّ مَعَ اتِّصافها بالجَفاءِ وإخْلافِ الوَعْدِ وعَدَمِ الوَفاءِ بالعَهْدِ، لا أَقْطَعُ

---

(١) كذا « على ما تقدم » في ب أيضاً، وسقطت من بقية النسخ.

(٢) في ب، ض: « ولا » بدون الفاء.

(٣) في ب، ض: « الأول ».

(٤) في ض: « لا يكون التفاته هناك ».

- قال ابن هشام: قوله (منك) بعد قوله (مودتها) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب كقوله تعالى ﴿ **إياك نعبد** ﴾ فإن كان قوله (أرجو وآمل) التفاتاً عن الخطاب في قوله (فلا يغرنك) ففي البيت التفاتان » (ص١١٠).

(٥) في ض: « تقربه »« .

(٦) في ك: « ما أظن » بدون الواو.

- في ض: « وما إخال، أي: وما إخلن وإخال ».

(٧) في الأصل: « وما إخال ».

(٨) الفتح في « أخال » هي لغة بني أسد وهو القياس، قال ابن منظور: « الحديث ما إخالك سرقت، أي: ما أظنك، وتقول في مستقبله إخال بكسر الألف، وهو الأفصح، وبنو أسد يقولون أخال بالفتح وهو القياس، والكسر أكثر استعمالاً » (اللسان مادة خيل ج١٣ / ٢٤٠).

(٩) سورة يوسف: آية ٢٥، وتمامها: ﴿ **واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب، قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلاَّ أن يسجن أو عذاب إليم** ﴾.

- الجوهري يقول: « لدى: لغة في لدن قال تعالى وألفيا سيدهالدى الباب » (الصحاح، مادة لدى ٦ / ٢٤٨١)، وسيبويه يرى أنها مرادفة لعند، فتكون للقرب الحسي نحو (إذ القلوب لدى الحناجر) و (ألفيا سيدها لدى الباب) والمعنوي نحو قولك: لديه فقه. (لسان العرب مادة لدا ج٢٠ / ١١٠ وشرح ابن هشام ص١١٠).

الرَّجاءَ مِنْ مَوَدَّتِها، ولا آيَسُ[1] مِنْ وَصْلِها، بَلْ أَرْجو ذلكَ وآمُلُهُ، وإِنْ كانَ فيهِ بُعدٌ، وبَيانُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُما: أَنَّهُ لَمَّا وَصَفَها بأَوْصاف[2] القَطيعَة والجَفاء مِنْ أَوَّلِ البَيْت السَّابِع إِلى آخرِ البَيْت الحادي عَشَرَ؛ على ما تَقَدَّمَ بَيانُهُ في مَواضِعه، أَخَذَتْهُ دَهْشَةُ المَحبَّة، فَذُهِلَ عَمَّا هيَ عَلَيْه مِنْ ذَلكَ، فَتَعلَّقَ بالرَّجاء، وَجَنَحَ إِلى الأَمَلِ فَقَالَ: أَرْجو وآمُلُ أَنْ تَدْنو مَوَدَّتُها، إِذ لا يَليقُ بالشَّخْص أَنْ يَقْطَعَ رجاءَهُ[3] مِنْ مَطْلوبه[4]، فَقَدْ قيلَ مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نالَهُ، أَوْ كادَ، بل رُبَّما كانَ غَيْرُ المَرْجُوِّ أَقْرَبَ إِلى الحُصُول مِنَ المَرْجُوِّ، قالَ الحُسَيْنُ بن عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: «كُنْ لِمَا لا تَرْجوهُ أَرْجَى[5] مِنْكَ لِما تَرْجُوهُ، فإِنَّ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ خَرَجَ يَقْتَبِسُ ناراً فَلَمْ يَظْفَرْ بها، ورَجَعَ نَبيّاً مُرْسَلاً»[6]، وَلِلَّه القائلُ[7]:

وَقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشَّتيتَيْنِ بَعْدما يَظُنَّان كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لا تَلاقيا[8]

ثُمَّ آبَ إِلى عَقْله فَتَذَكَّرَ ما هيَ عَلَيْه مِنَ الأَوْصاف المُخالفَة لذلكَ، فَقَالَ: «وما إِخالُ لَدَيْنا مِنْكِ تَنْويلُ». وهذا النَّوْعُ يُسَمُّونَهُ أَهْلُ البَديعِ: الرُّجوعَ؛ لأَنَّه يَرْجِعُ إِلى

---

(١) في ب، ض: «ولا أيأس».

(٢) بأوصاف «ساقطة من ب، ض».

(٣) في ل: «رجاه».

(٤) في الأصل: «من مطلوب».

(٥) في النسخ جميعاً «أرجو».

(٦) المقصود قول الله عز وجل: ﴿ **وهل أتاك حديث موسى، إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى، فلما أتاها نودي ياموسى، إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى** ﴾ (سورة طه آية ٩-١٣).

(٧) زاد في ب، ض: «ولله در القائل».

- البيت: من بحر الطويل.

- البيت هو الثامن من قصيدة عدد أبياتها ثمانية (ديوان العذريين ص٣٤٧) وهو العاشر من قصيدة عدد أبياتها سبعون (ديوان المجنون ص٢٠٣).

(٨) في الأصل «أن لا تلاقيا».

كلامه السَّابِقِ بالنَّقْضِ[1] كَقَوْلِ ابْنِ الطَّثْرِيَّة[2]:

أَلَيْسَ قَليــــلاً نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتَهـــا إِليكَ ولكِنْ لَيْسَ مِنْكَ قَليلُ[3]

فإِنَّهُ أولاً استقَلَّ النَّظْرَةَ ثُمَّ تذكَّرَ أَنَّ ذلكَ ذُهولٌ مِنْهُ، حَيْثُ عَدَّ النَّظْرَةَ مِنْ مَحْبُوبِه قليلاً، فَقالَ «ولَيْسَ مِنْكِ قَليلُ».

الثَّاني: أَنْ يكونَ الرَّجاءُ والأَمَلُ وَقَعا مِنْهُ على سَبيلِ تَعْليلِ النَّفْسِ ومُراوَحَتِها، كي لا يَغْلِبُ عَلَيْهِ اليَأْسُ[4] كَمَا قيلَ[5]:

أُعَلِّلُ بالمُنـى قَلْبـي لَعَلِّـــي أُرَوِّحُ بالأَماني الهمَّ عَنِّي[6]

---

(١) الرجوع: هو الفن الثالث من محاسن الكلام عند ابن المعتز، وهو أن يقول شيئاً ويرجع عنه «وذكر بيت ابن الطثرية شاهداً مع بيت آخر لبشار (البديع ص٦٠) والنقض الذي جاء في تعريف السيوطي أخذه عن الحموي والنويري بقولهما: «هو أن يعود المتكلم إلى كلامه السابق بالنقض لنكتة» (حسن التوسل ص٢٦٩ ونهاية الأرب ج٧ ص١٤٤) وتناول السيوطي ذلك مع تطبيق في شرح عقود الجمان ص١١٢ على أن هذا الفن يسمى استثناء واستدراكاً واعتراضاً عند المتأخرين، وكان الباقلاني قد أنكر أن يكون الرجوع من البديع. (انظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ج٣ ص١٨-٢٠).

(٢) البيت: من بحر الطويل.

- البيت هو الثاني من مقطوعة مكونة من ثلاثة أبيات لأعرابي من بني عقيل (انظر الأغاني ج٥ ص٣١٩).

- ابن الطثرية: هو يزيد بن الصمة وقيل يزيد بن سلمة، أحد بني سلمة الخير بن قشير، ينتهي نسبه بعامر ابن صعصعة، والطثرية أمه، من طَثْر بن عنز بن وائل، كان يلقب مُوَدَّقاً لحسن وجهه وحسن شعره، وبُلي يزيد بعشق جارية من جرم يقال لها وحشية، قتله بنو حنيفة يوم الفَلَج. (الشعر والشعراء ص٢٥٥ الأغاني ج٨/١٥٥-١٨٥).

(٣) في ض: «ابن البطرية» وكتبت «البطرية» في هامش ب.

- «إليك» ساقطة من الأصل، واستدركت فوق البيت في ك.

- «منك» ساقطة من ض.

(٤) في الأصل «الإياس».

(٥) البيتان: من بحر الوافر.

- البيتان مقطوعة دون عزو في ديوان الصبابة (ص١٩٨).

(٦) «بالمنى» ساقطة من الأصل.

وأَعْلَمُ أَنَّ وَصْلَكَ لا يُرَجَّـى   ولكِنَّ الأَقَّل مِنَ التَّمَنِّي[١]

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ ساغَ[٢] لَهُ نَفْيُ حُصُولِ المَوَدَّة بقَوْله: «وما إِخالُ لَدَيْنا منْك تَنْويلُ»، بَعْدَ رَجَائه بقَوْله: «أَرْجو وآمُلُ أَنْ تَدْنو مَوَدَّتُها»؟ فالجواب[٣] عَنْهُ مِنْ وَجْهَيْن:

أَحَدُهُما: ما أَجابَ به ابنُ هشامٍ: «أَنَّ المَوَدَّةَ والتَّنويلَ شَيْئانِ لا شَيْءٌ واحِدٌ، ولا يَمْتَنِعُ[٤] أَنْ تُودَّهُ بِقَلْبِها، وتَمْنَعُهُ مِنْ نوالِها[٥]».

الثَّاني: أَنْ يكونَ[٦] نَفْيُ[٧] حُصولِ التَّنويلِ مِنْ حَيْثُ بُعْدُها ونُزوحُ أَرْضِها، كما أَشارَ إِليهِ في البَيْتِ الذي يَليه، واللهُ أَعْلَمُ[٨].

---

(١) في ل، ض: «ولكن لا أقل من التمني».
– في ديوان الصبابة «ولكن لا أقل» بدل «ولكن الاقل».

(٢) في الأصل: «صاغ».

(٣) في ض: «والجواب».

(٤) في الأصل: «ولا تمتنع».

(٥) انظر شرح قصيدة بانت سعاد ص١١٥.
– وتمام كلام ابن هشام يجعل السيوطي ناقلاً لمصطلح الرجوع الذي سبق ذكره عنه إذ يقول: «على أنهما لو كانا شيئاً واحداً لا يضر، فإن للشعراء طريقة مألوفة يعود أحدهم على ما قرره بالنقض إيذاناً بالدهش والحيرة، ويسمى ذلك في علم البديع رجوعاً».

(٦) في ب، ض: «أن تكون».

(٧) «نفي» ساقطة من ب، ض.

(٨) «والله أعلم» ساقطة من الأصل.



البَيْتُ الثَّالِثَ عَشَر

أَمْسَتْ سُعادُ بِأَرْضٍ لا يُبَلِّغُهــــا إلا العِتاقُ النَّجِيْباتُ المَراسِيلُ[1]

(١٥٢أ) / **قَوْلُهُ**: «أَمْسَتْ» يَحْتَمِلُ مَعْنَيين، أَحَدُهُما: أَنْ يكونَ المُرادُ دَخَلَتْ في وَقْت المَسَاءِ، فَيَكُونُ[2] مُقابلاً لغَداة منْ قَوْله في البَيْت الثَّاني منَ القَصيْدة: «وما سُعادُ غداةَ البَيْنِ إذْ رَحلوا[3]»، وَيَكُونُ المَعْنَى أَنَّها ارْتَحلَتْ غُدْوَةً، وأَمْسَتْ بأَرْضٍ بَعيدَة، ويَكُونُ قَدْ وَصَفَها في رَحيلها بسُرْعَة السَّيْر، بحَيْثُ سارَتْ في اليَوْم الواحد إلى مَسافَة لا تُدْرَكُ إلاّ بالعتاق[4] النَّجيباتُ المَراسيلُ منَ الإبل على ما يَأْتي تَفْسيرُهُ، خُصُوصاً وقد تَقَدَّمَ في البَيْت الثَّاني أَنَّهُ عَبَّرَ عَنْ رَحيلها بلَفْظ الجَمْع، إشارَةً إلى أَنَّها رَحلَتْ[5] مَعَ قَوْمها، والقَوْمُ إنَّما يَرْحَلُونَ في الغَالب بأَثْقالهمْ، فإذا بَلَغت المَسافَةَ البَعيْدَةَ على الإبلِ المُتنقِّلة[6]، كانَ ذلكَ في الغايَة القُصْوى منْ سَيْر الإبلِ الذي[7] رَحَلَتْ بها وسُرْعَة سَيْرها.

الثاني: أَنْ يكونَ أَمْسَتْ بمَعْنى صارَتْ، وَيكونُ المُرادُ أَنَّها وَصَلَتْ في رَحيلها إلى أَرْضٍ بَعيدَة في الجُمْلَة منْ غَيْر تَقْديرٍ، وهو أَبْلَغُ في بُعْد المَسافَة؛ لأنَّ الوَصْفَ مُسْتَلْزِمٌ لطُول زَمَنِ السَّيْر[8]، وهذا هو الظَّاهرُ.

---

(١) في رواية ابن منظور (اللسان مادة رسل ١٣/٣٠٠): «أضحت سعاد بأرض لا يبلغها..».
– روى ابن هشام في شرحه (١١٦) والحاكم في المستدرك (٣/٥٨٠) والسبكي في طبقات الشافعية (١/٢٣٦): «ما يبلغها» وروى ابن كثير في البداية والنهاية «لا تبلغها» (٤/٤٢٨).
– قال ابن هشام: «ويروى (النجيّات) بالياء المشددة، أي: السريعات» (ص١١٨) وسيشير إليها المصنف في شرحه.

(٢) في ب: «فتكون».

(٣) في ب، ض: «فتكون مقابلاً لغداة البين إذ رحلوا» وسقط الباقي منهما.

(٤) في الأصل: «إلا العتاق».

(٥) في ب، ض: «أنها دخلت».

(٦) في ل، ض: «المثقلة».

(٧) في ب، ل: «التي».

(٨) في ض: «زمن المسير».

و« سُعادُ » هي المُحَدَّثُ عَنْها أَوَّلاً، وأَعَادَ اسْمَها(١) بَعْدَ قَوْله « أَنْ تدنُو مَودَّتُها » بِلَفْظ الغَيْبَة؛ لأَنَّهُ قَصَدَ اسْتِئْنَافَ نَوْعٍ آخَرَ مِنَ الكلامِ، وهو وَصْفُ أَرْضِها بالبُعْد، وذِكْرُ ما يُتَوَصَّلُ بذلكَ مِنْ وَصْفِ النَّاقَة.

وقَولُهُ: « بأَرْضٍ » أيْ في أَرْضٍ، كَما في قَوْله تَعالَى: ﴿**وما كُنْتَ بجَانب الغَرْبِيِّ**﴾(٢) أي: في جانب الغَرْب(٣)، وقَوْلُهُ: « لا يُبَلِّغُها إلاّ العتاقُ » أيْ: لا يَبْلُغُ(٤) تلكَ الأَرْضَ إلا النُّوقُ العتاقُ مِنَ الإبلِ، ومَعْنَى يُبَلِّغُها: يُوصِلُ إِليها، والعتاقُ بكَسْرِ العَيْن: جَمْعُ عَتيقٍ، وهيَ الكرامُ الأُصول منَ الإبلِ، كَأَنَّها عُتقَتْ مِنَ العُيوب، والمُرادُ(٥) ما كانَ منْها مَنْسوباً إلى نتاجِ فَحْلٍ كَريمٍ كالمَهْرِيَّة؛ مَنْسوبةٌ إلى مَهْرَة، قَبيلة منْ قُضاعَة، والعيْديَّة مَنْسُوبَةٌ إلى بني العيْد(٦)، وهي [منْ](٧) مَهْرَةَ أَيْضاً، والأَرْحَبيَّة نسْبَةٌ إلى بَني الأَرْحَب، وهي قَبيْلَةٌ منْ هَمَدانَ، وهي قَبائلُ مَعْروفَةٌ بكرامِ الإِبلِ، والغُرَيْريَّة(٨) والشَّدْقَميَّة(٩) والجَديْليَّة(١٠) والدَّاعريَّة(١١)؛ نسْبَةً إلى

---

(١) زاد في ب، ض: « وأعاد اسمها هنا ».

(٢) سورة القصص: آية رقم ٤٤.

– تمام الآية: ﴿**وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين**﴾.

(٣) « في جانب الغرب » ساقطة من ض. (٤) في ظ، ل « لا تبلغ ».

– « لا » ساقطة من ض.

(٥) زاد في ض: « والمراد بشق الأنفس ». (٦) في ب، ض: « والعبدية منسوبة إلى بني العبد ».

– وقيل إن العيدية (بالياء المثناة التحتية) تنسب إلى فحل منجب يقال له عيد، كأنه ضرب في الإبل مرات. (اللسان مادة عود ج٤ /٣١٨).

(٧) زيادة يستقيم بها السياق. (٨) في النسخ جميعاً « العزيزية » بالزاي معجمة وهو تصحيف.

– الغرير: فحل من الإبل، وهو ترخيم تصغير أغر، والإبل الغريرية منسوبة إليه، وقد جعل ذو الرمة والكميت (الغرير) اسماً لقبيلة. (انظر اللسان مادة غرر ج١٦ /٣٢٥).

(٩) في ل، ب: « الشذقمية » بالذال معجمة وهو تصحيف، وفي ض: « الشرقمية » بالراء مهملة.

(١٠) في ظ، ل، ك « الجزيلية » بالزاي معجمة وهو تصحيف.

– جديلة: بطن من قيس ومنهم فهم وعدوان، وقيل: جديلة: هي من طيء وهو اسم أمهم، وهي جديلة بنت سبيع بن عمرو بن حمْير، إليها ينسبون والنسبة إليها جدلي مثل ثقفي.

وجديل: فحل لمهرة بن حيدان ، فأما قولهم في الإبل جَدَلية، فقيل: هي منسوبة إلى هذا الفحل، وقيل إلى جديلة طيء وهو القياس، وقال الليث: وجديلة أسد قبيلة أخرى، وجديل وشدقم فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر (اللسان مادة جدل ج١٣/ ١١٢).

(١١) في النسخ جميعاً « والداغرية » بالغين معجمة والصواب ما أثبته بالعين مهملة.

غُرَيْرٍ(١) وشَدْقَمُ(٢) والجَدِيْلِ(٣) وداعرٍ(٤)، وهي فحولٌ كَرِيمَةٌ(٥).

و«النَّجِيْبات» بإسْكان الياء، جَمْعُ نَجِيْبَة، قيلَ: هيَ الكَرِيمَةُ الأَصْلِ، ويَكُونُ(٦) تأْكِيْداً لقَوْله «العتَاقُ»، وقيلَ: القَوِيَّةُ الخَفِيفَةُ السَّرِيعَةُ، وقيلَ(٧): النَّفِيسَةُ الفاضلةُ في نَوْعها، ويُرْوَى: «النَجِيّاتُ» بتَشْدِيد الياء، وهي السَّرِيعاتُ(٨).

و«المراسِيلُ» بفَتْحِ الميم؛ جَمْعُ مِرْسَال بكَسْرها: السَّرِيعاتُ(٩)، مِنْ قَوْلِهِمْ ناقةٌ رَسْلَةٌ(١٠) بفَتْحِ الرَّاء وإِسْكَان السِّين، إذا كانَتْ سَرِيْعَةً.

ومَعْنى البَيْت: أَنَّ مَحْبُوبَتَهُ صارَتْ إلى أَرْضٍ بَعيدَةٍ لا يُوصِلُهُ إليها إلا النَّفائسُ مِنَ الإِبِلِ القَوِيَّةِ(١١) السَّرِيعَةِ السَّيْرِ، لبُعْد مَسَافَة ما بَيْنَهُ وبَيْنَها، ثُمَّ مَعْنَى البَيْتِ يَرْجِعُ إلى مَقْصَدَيْن:

[المَقْصَدُ](١٢) **الأَوَّلُ**(١٣): فراقُها بقَوْله: «بانَتْ سُعادُ» ثُمَّ أَتْبَعَهُ بالثَّاني بذِكْرِ رَحِيلِها بقَوْلِه(١٤): «وما سعادُ غداةَ البَيْنِ إِذْ رَحلوا» وأَتى على ذِكْرِ أَوْصافِها المَحْمُودَة

---

(١) في النسخ جميعاً: «عزيز» بالزاي معجمة.

(٢) شدقم: فحل كان للنعمان بن المنذر ينسب إليه الشدقميات من الإبل (اللسان مادة شدقم ج٥/٢١٣).
– في ض: «شرقم» بالراء مهملة.

(٣) كذا «والجديل» في ب، ض وفي بقية النسخ «الجزيل» بالزاي معجمة.

(٤) في النسخ جميعاً: «داغر» بالغين معجمة.
– داعر: اسم فحل منجب تنسب إليه الداعرية من الإبل (اللسان مادة دعر ج٥/٣٧٢).

(٥) انظر هذا الاستطراد في أنساب الإبل كتاب كفاية المتحفظ (ص١٩).

(٦) في ض: «وتكون».

(٧) في الأصل: «قيل» بدون الواو.

(٨) أشار ابن هشام إلى هذه الرواية في شرحه (انظر ص١١٨).

(٩) في ب، ض: «التشريفات» وهو تحريف.

(١٠) في شرح ابن هشام: «من قولهم «ناقة مرسلة» (ص١١٨).
– وناقة رسلة: سهلة السير، وناقة مرسال: رسلة القوائم، كثيرة الشعر في ساقيها، وهي السهلة السير أيضاً (اللسان مادة رسل ج٣/٣٠٠).

(١١) في ض: «الثرية».

(١٢) زيادة يقتضيها الترقيم في قوله بعد ذلك «المقصد الثاني».

(١٣) في ظ، ل: «بفراقها».

(١٤) «بقوله بانت سعاد ... رحيلها بقوله» ساقط من ب، ض.

منَ الحُسْنِ والجَمَالِ الذي لا يَلُومُ[1] على العشْقِ مَعَهُ لائمٌ، ولا يَليقُ عنْدَ الإنْصافِ[2] أنْ يَعْذِلَ مَعَهُ عادلٌ[3]، ثُمَّ أعْقَبَهُ بذكْرِ أوْصَافِها في العشْرَة، منَ الصَّدِّ والجَفاءِ وما في مَعْناهُ في الأبْياتِ المُتَعَدِّدةِ[4] بَعْدَ ذلكَ، ثُمَّ أعْقَبَهُ بذكْرِ ما حَمَلَتْهُ علَيْه المَحَبَّةُ منَ الطَّمَعِ والأُمْنيَّة بقَوْله: «أرْجو وآمُلُ أنْ تَدْنو مَودَّتُها»، ثُمَّ اسْتَبْعَدَ ذلكَ في بَقيَّة[5]، لو كانَتْ قَريبَةً[6]، رُبَّما أمْكَنَ استعْطافُها بالتَّوَدُّد والتَّمَلُّق وغَيْرهما[7] منْ أسْبَاب الوَصْلَة، واكْتَفَى[8] بالنَّظَر إنْ أمْكَن، وإلاَّ أُقْنع[9] بقُرْب الدَّار، ولِلَّه القائلُ[10]:

وقــــد زَعَموا أنَّ المُحبَّ إذا دَنَـــــا ... يَمَلُّ و أنَّ النَّأْيَ يَشْفي منَ الصَّدِّ[11]

بكُلٍّ تداوَيْنا فَلَمْ يُشْفَ مَـــــا بنَـــا ... على أنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ منَ البُعْدِ[12]

---

(١) في الأصل: «لا يلام».

(٢) في ظ، ل: «الاتصاف».

(٣) في ب، ل، ض: «أن يعذل .. عاذل» وفي ل، ض: «يعذل عنه»، وفي الأصل: «يعدل معه عادل» بذال مهملة.

(٤) في ب، ض: «المتقدمة».

(٥) في ب، ض: «في بقيته» ولعله الأصوب.

(٦) زاد في ب، ض: «بأنها لو كانت قريبة».

(٧) في الأصل: «وغيرها».

(٨) في الأصل: «واستكفى».

(٩) كذا «قنع» في الأصل، وفي ب، ض: «والاقتناع»، في ل: «وإلا قنع»، وأشار إلى «الاقتناع» أنه «نسخة».

(١٠) زاد في ب، ض: «ولله در القائل».

- البيتان: من بحر الطويل.

- البيتان هما الرابع والخامس من قصيدة عدد أبياتها ستة، لعبد الله بن الدمنية (انظر ديوانه ص٨٥ وانظر الأغاني ١٧/ ١٠٤ ويتنازع نسبة الأبيات مجنون ليلى (ديوانه ص١١٢) ويزيد بن الطثرية (ديوانه ص٦٥) (وانظر تفصيل ذلك في تخريج ديوان ابن الدمنية ص٢٣٢).

- عبد الله بن الدمنية: هو عبد الله بن عبيد الله أحد بني عامر بن تيم الله الخثعمي، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مات مقتولاً بثأر رجل من سلول. (الشعر والشعراء ٤٥٨ الأغاني ١٧/ ١٠٤-١٠٥).

(١١) في الأغاني والحماسة والديوان «من الوجد» بدل «من الصد».

- في الحماسة: «على ذاك قرب الدار خير من البعد».

(١٢) زاد في ب، ض بيتاً هو قوله:

على أن قرب الدار ليس بنافع ... إذا كان من تهواه ليس بذي ودّ

وعدّ الأصفهاني البيت زائداً على الأبيات (ج١٧/ ١٠٤).

واعلَمْ أنَّ بُعْدَ الأَحْبَاب عَذَابٌ، وإذا كانَ المُحبُّ مَعَ قُرْب الدَّار لا يَشْتَفى غَليلُهُ[1] ولا يُشْفَى عَليلُهُ[2] فَكَيْفَ يَصْبِرُ على البِعادِ، أَو يَلَذُّ لَهُ طِيبُ الرُّقادِ[3]؟ وكَيْفَ يُطِيقُ البُعْدَ مَنْ يَقولُ[4]:

وكِدْتُ وهو ضَجِيعي أَنْ أَقولَ لَـهُ ... مِنْ شِدَّةِ الحُبِّ قَدْ أَبْعَدتَ فاقْتَرِبِ

/أَوْ مَنْ يقولُ[5]: (١٥٢ب)

سَرَيْتُ إِليــــهِ في الظَّــلامِ كَـأَنَّـــهُ ... صَرِيعُ كَرَى والنَّجْمُ في الأُفُقِ شاهِدُ[6]

فَلَوْ أَنَّ رُوحِي مــازَجَتْ ثَمَّ رُوحَــــهُ ... لَقُلْتُ ادنُ مِنِّي أَيُّها المُتَباعِــــدُ[7]

أو مَنْ يَقُولُ[8]:

وَمِـــنْ عَجَبِي أَنِّـي أَحِـــنُّ إِليهـِـمُ ... وأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَـنْ رَأَى وَهُـمُ مَعي[9]

وتَطْلُبُهمْ عَيني وَهُمْ في سَوادِهـــا ... ويَشْتاقُهُمْ قَلْبي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلُعِي[10]

---

(١) «لا يشتفى غليله» ساقطة من ب، ض.

(٢) في ب، ض: «ولا يشفى غليله» بالغين معجمة.

(٣) في ب، ض: «طيف الرقاد».

(٤) البيت: من بحر البسيط.

– البيت في ديوان الصبابة من غير عزو (ص٢٠٨).

(٥) البيتان: من بحر الطويل.

– البيتان مقطوعة في ديوان الصبابة من غير عزو (ص٢٠٨).

(٦) في ب، ض: «ساهد» بسين مهملة.

(٧) في هامش الأصل: (نسخة) فلو مازجت روحي بقرب روحه.

(٨) البيتان: من بحر الطويل.

– البيتان مقطوعة في ديوان الصبابة من غير عزو (ص٢٣).

(٩) في الأصل: «أجن» وفي ب، ض: «أحسن».

– في الأصل «من يرى» وفي ب، ض: «من زارني».

– في ديوان الصبابة: «من لقيت» بدل «من رأى».

(١٠) في ك: «فتطلبهم».

– في ل: «وهم في سواده».

المَقْصَدُ الثَّاني: المُبالَغَةُ في ذِكْرِ البُعْدِ، بحَيْثُ لا يُبْلَغُ المَقْصَدُ إليها إلاّ بالإبلِ[1] دُونَ[2] غَيْرِها بالأَوْصافِ المُتَقَدِّمَةِ، والإشارَةُ في البُعْدِ فيه[3] منْ وَجْهَيْن:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: اخْتيارُ الإبلِ لَهَا دُونَ غَيْرِها مِنْ أنواعِ المَراكِبِ، فَإنَّ الخَيْلَ وإنْ كانَتْ أَسْرَعَ منْها سَيْراً، فَإنَّها في العَدْوِ والإسْراعِ على المَسَافَةِ القَصيرَةِ بخلافِ الإبلِ، فَإنَّها لها قُوَّةٌ على طُولِ السَّيْرِ مَعَ الإسْراعِ مَعَ ما يَنْضَمُّ إلى ذلكَ منْ طاقَةِ حَمْلِ الأَثْقالِ، وناهيكَ ما أَخْبَرَ اللهُ تَعالَى به عنها منْ تَبْليغِ المَسَافَةِ البَعيدةِ بقَوْلِه تعالى: ﴿ **وتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إلى بَلَدٍ لم تكونوا بالغيه إلاّ بشِقِّ الأَنْفُسِ** ﴾[4].

الوَجْهُ الثَّاني: وَصَفُ الأبلِ المُوْصِلَةِ إليها بالأَوْصافِ العَديدةِ[5] التي ذَكَرها، لأَنَّ[6] كُلَّ نَوْعٍ منَ الإبلِ يُوْصِلُ إليها، وقَدْ وَصَفَ الإبلَ المُوْصِلَةَ إليها بثلاثَةِ أَوْصافٍ وهي: العِتاقُ النَّجيْباتُ المَراسيلُ[7]، وإلى هذا الوَصْفِ تَرْجِعُ سائرُ أَوْصافِ الإبلِ المَحْمُودةِ[8]، وهي راجعَةٌ باعْتبارِ تَفاسيرِها المُتَقَدِّمَةِ إلى أَرْبَعَةِ أَوْصَافٍ هي المُعْتَبَرَةُ[9] في أَوْصافِ الإبلِ.

[**الوَصْفُ الأَوَّلُ**][10] كَوْنُها كِرامَ الأُصُولِ[11]، وهو المَعْني بالعِتَاقِ، وذلكَ أَنَّ

---

(١) في ك: «إلا الإبل».

(٢) في الأصل: «لها دون».

(٣) في ب، ض: «والإشارة في البعدية».

(٤) سورة النحل: آية رقم ٧.

– وتمام الآية: ﴿ **وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلاّ بشقِّ الأنفس، إن ربكم لرؤوف رحيم** ﴾.

(٥) في الأصل: «بالأوصاف البعيدة».

(٦) كذا «لأن» في ظ، ل، وفي ب، ك، ض: «لا أن».

(٧) في ض: «مع المراسيل».

(٨) في ض: «مع المراسيل».

(٩) «هي» ساقطة من ب.

– «هي المعتبرة» ساقطة من ض.

(١٠) ما بين المعكوفتين زيادة يستقيم بها منهج الترقيم.

(١١) في الأصل: «إكرام الأصول».

الكَرِيمَ الطَّيِّبَ الأَرُومةِ لا يَصْدُرُ عَنْهُ إلا كريمُ الفِعَالِ، كما أَنَّ لَئِيمَ الأَصْلِ[1] لا يَصْدُرُ عَنْهُ إلاَّ ضِدُّ ذَلِكَ كما قِيلَ[2]:

كُلُّ امْرِئٍ راجِعٌ يَوْمـاً لِشيمَتِه   إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْبَى دُونَهُ الخُلُقُ[3]

وما زَالَتِ العَرَبُ تَعْتَبِرُ طِيبَ الأَصْلِ، وكَرَمَ المَجْدِ في إِبِلِها وَخَيْلِها، كما تَعْتَبِرُهُ في نَفْسِها.

الوَصْفُ الثَّاني: كَوْنُها قَوِيَّةً؛ لأَنَّها كُلَّما كانَتْ أَقْوَى وَأَصْلَبَ كانَتْ على الحَمْلِ أَقْدَرَ، وعلى المَسِيرِ أَصْبَرَ[4]، فَتَكُونُ على القَصْدِ أَعْوَنَ، بخلاف ما إذا سُلِبَتْ وَصْفَ القُوَّة، فَإِنَّها لا تَبْلُغُ إلى المَقْصدِ وإِنْ كانَتْ سَرِيعَةً؛ لأَنَّها رُبَّما تكونُ لا تُطِيقُ الحَمْلَ، ولكنَّها[5] خَفِيفَةٌ في السَّيْرِ[6].

---

(١) في ب، ض: «اللئيم الأصل».
- في ك: «الئيم الأصل».

(٢) البيت: من بحر البسيط.
- البيت مع اختلاف في رواية عجزه (وإن تخلق أخلاقاً إلى حين) هو العشرون من قصيدة لذي الأصبع العدواني، عدد أبياتها اثنان وثلاثون بيتاً (انظر الأغاني ج٣ ص١٠٥ وانظر البيت في معجم الشعراء بالاختلاف المشار إليه ص١١٨)
- ذو الأصبع العدواني: هو حرثان بن الحارث بن محرث، أحد بني عدوان، وهم بطن من جديلة، وهو شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية، وأحد الحكماء الشعراء، عمر دهراً، وسمي بذي الاصبع لأن أفعى ضربت إبهام رجله فقطعها. (الأغاني ٣/٨٩ ومعجم الشعراء ص١١٨).

(٣) في الأصل: «كل امرئ يوماً راجع لشيمته» والوزن مختل.

(٤) في ب، ض: «وعلى السير أصبر».
- في الأصل: «وعلى المسير أقدر».

(٥) في الأصل: «ولكنه».

(٦) ذكر السيوطي وصفين ولم يذكر الوصف الثالث والرابع، فإما انه غفل عنهما، أو أن في النسخ جميعاً سقطاً، أو أن الوصفين سيأتي ذكرهما في شرح البيت الرابع عشر، وهذا هو الأرجح.



البَيْتُ الرَّابِعَ عَشَرَ(١)

وَمَـــا يُبَلِّغُهـــا إِلا عُذافِـــرَةٌ فيها على الأَيْنِ إِرْقَالٌ وتَبْغِيْلُ(٢)

قَوْلُهُ(٣): «وما يُبَلِّغُها(٤) إِلا عُذافِرَةٌ» أَيْ وما(٥) يُبَلِّغُ الأَرْضَ التي أَمْسَتْ بها سُعادُ إِلاّ ناقَةٌ عُذافِرَةٌ، والعُذافِرَةُ(٦) بِضَمِّ العَيْنِ وَفَتْحِ الذَّالِ(٧) وبَعْدَ الأَلِفِ فَاءٌ وراءٌ مَفْتُوحَتَانِ: النَّاقَةُ الصُّلْبَةُ العَظِيمَةُ، والجَمَلُ عُذافِرٌ إِذا كانَ كَذلكَ، وَقَوْلُهُ: «لَهَا» أَيْ: لِتِلْكَ النَّاقَة، و«الأَيْنُ» بِفَتْحِ الهَمْزَةِ وإِسْكانِ الياءِ تَحْتُ وبَعْدَها نُونٌ: الإِعْياءُ والتَّعَبُ، و«الإِرْقالُ» بِكَسْرِ الهَمْزَةِ وإِسْكانِ الرَّاءِ المُهْمَلَةِ وقَافٌ بَعْدها أَلِفٌ ولامٌ: ضَرْبٌ من السَّيْرِ السَّرِيعِ(٨)، قالَ الجَوْهَرِيُّ: هُوَ نَوْعٌ مِنَ الخَبَبِ(٩)، وتَبِعَهُ على ذلكَ ابنُ هِشامٍ(١٠)،

---

(١) في الأصل «الباب الرابع عشر».

(٢) في النسخ الأربع (ب، ك، ل، ض): «وما يبلغها».

– في الأصل: «ولن يبلغها» وفي الشرح ما يدل على ما أثبته. وهي رواية السيرة وابن بشران والديوان وشرح أبي البركات بن الأنباري وشرح التبريزي وشرح ابن هشام وشرح عبد اللطيف البغدادي والسبكي في طبقات الشافعية.

– في رواية الحاكم «ولن تبلغها» بتاء فوقية، وروى ابن سيد الناس والقرشي «ولا يبلغها».

– كذا «فيها على الأين» في رواية السكري والتبريزي وابن الأنباري والبغدادي (عبد اللطيف) والقرشي والحاكم وابن كثير وابن منظور (مادة أين ج١٦ / ١٨٧). وروى ابن هشام في السيرة «لها على الأين» وبها روى أيضاً السبكي والسهيلي وابن هشام الأنصاري.

(٣) «قوله» ساقطة من ض.

(٤) كذا «وما يبلغها» في الأصل وفي بقية النسخ.

(٥) في ض: «ما» بدون الواو.

(٦) «العذافرة» ساقطة من ب، ض.

(٧) في الأصل وبقية النسخ «وإسكان الذال» وما أثبته الصواب، وفي هامش ل: «صوابه فتح الذال».

(٨) في الأصل: «السير مريع» وفي ض: «مربع».

(٩) قال الجوهري: «والإرقال: ضرب من الخبب، وقد أرقل البعير، وناقة مرقل ومرقال، إذا كانت كثيرة الإرقال» (الصحاح مادة رقل ج٤ / ١٧١٢).

(١٠) انظر شرح قصيدة بانت سعاد ص١٢٢.

كما قَالَ ذلكَ[١] في بَيْتٍ مِنْ قَصيدةٍ للصَّرْصَرِيِّ[٢]:

هَـلْ يُبْلِغَنِّي إليها جَسْرَةٌ أُجُــدُ ... يَخْلو بها في الفَلا الإِرْقالُ والخَبَبُ[٣]

وقالَ ابنُ الأثير: هو[٤] فَوْقَ الخَبَبِ، وَفُسِّرَ في كِفايَة[٥] المُتَحَفِّظ[٦]، الخَبَبُ: أَنْ[٧] يَرْتَفِعَ عَدْوُ البَعيرِ حَتَّى يُراوِحَ بَيْنَ يَدَيْه[٨].

واعْلَمْ أَنَّ سَيْرَ الإبِلِ في الإسراعِ على مراتبها، فَأَوَّلُها العَنَقُ بفَتْحِ العَيْنِ والنُّون، وقافٌ في آخره، وهو الذي يَتَحَرَّكُ فيه عُنُقُ البَعير. ودُونَهُ وأَعْلاهُ[٩]، وسائرُ مَراتبه، فَلِلنَّاسِ فيه اختلافٌ لا يَحْمِلهُ هذا الشَّرْحُ، والذي ذَكَرَهُ ابنُ اصْبَغِ الأَزْدِيُّ في أُرْجوزَته[١٠] أَنَّ أَعْلاهُ التَّشَعُّرَ بفَتْحِ التَّاءِ المُثَنَّاة فَوْقُ والشِّينِ المُعْجَمة وضَمِّ العَيْنِ المُهْمَلَة /المُشَدَّدَة وبَعْدَها[١١] راءٌ مُهْمَلَةٌ، (١٥٣أ)

---

(١) «ذلك» ساقطة من ض.

(٢) البيت من بحر البسيط.

– البيت من قصيدة عدد أبياتها اثنان وأربعون بيتاً. (ديوان الصرصري ص٣٠).

– الصرصري: أبو زكريا جمال الدين يحيى بن يوسف البغدادي الحنبلي، نسبة إلى صرصر، وهي قرية تبعد عن بغداد فرسخين، توفي شهيداً سنة ٦٥٦ هـ على يد التتر، وتحظى المدائح النبوية في ديوانه بالنصيب الأوفى. (الذيل على طبقات الحنابلة ج٢ ص٢٦٢).

(٣) في ض: «حسرة» بالحاء مهملة.

– كذا «أجد» بالجيم معجمة في ل ورواية الديوان، وفي بقية النسخ «أحد» بالحاء مهملة، وهو تصحيف.

– ناقة أُجُدٌ: متصلة الفقار، تراها كأنها عظم واحد، وهي قوية مؤلفة الخلق. (اللسان، مادة أجد ج٤ /٣٦).

(٤) «هو» ساقطة من ب، ض.

(٥) في الأصل: «كتابه».

(٦) هو كتاب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية لأبي إسحاق إبراهيم بن اسماعيل الأجدابي الطرابلسي.

(٧) في ل، ض: «بأن».

(٨) كفاية المتحفظ ص (٢١) وفي اللسان «وقيل الخبب: هو أن يراوح الفرس أو البعير بين يديه ورجليه». (١ /٣٣٠ مادة خبب).

(٩) في الأصل: «وما أعلاه».

(١٠) ابن اصبغ الأزدي: هو إبراهيم بن عيسى بن أصبغ الأزدي، أبوإسحاق، قاضي من الشعراء، أندلسي من أهل قرطبة، ولي قضاء دانية وسجلماسة وتوفي بها سنة ٦٢٧هـ (انظر بغية الوعاة ١ /٤٢١ والأعلام ١ /٥٦).

(١١) في الأصل: «وبعده».

وهو غَايَةُ الطَّاقَةِ في السَّيْرِ، قَالَ: والإِرْقالُ دُونَهُ في الرُّتْبَةِ(١).

و«التَّبْغيلُ» بفَتْحِ التَّاءِ وإِسْكانِ الباءِ(٢) وكَسْرِ الغَيْنِ بَعْدَها ياءٌ ساكِنَةٌ ثُمَّ لامٌ: ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ أَيْضاً، فيه اختلافٌ بَيْنَ العَنَقِ المُقَدَّمِ ذِكْرُهُ، وبَيْنَ الهَمْلَجَةِ، فيكونُ أَعْلَى مِنَ العَنَقِ، وكأَنَّه شَبِيهٌ بسَيْرِ البَغْلِ لشدَّتِه(٣).

ومَعْنَى البَيْتِ: أَنَّهُ لا يَبْلُغُ أَرْضَ سُعادَ إِلا النَّاقَةُ الشَّديدَةُ التي لا تَكلُّ بالتَّعَبِ، ولا يَضْعفُ سَيْرُها بالإِعياءِ؛ يُلَوِّحُ بذلكَ لناقتِه(٤). ولَمَّا تَوَسَّمَ أَنَّها(٥) مُوصلٌ(٦) لَهُ إلى مَحْبُوبَتِه، وبالغَةٌ به إلى قَصْدِه، أَطْنَبَ(٧) في مَدْحِها، وأَمْعَنَ في وَصْفِها في هذا البَيْتِ بوَصْفَيْنِ مِنْ أَوْصَافِ الإِبلِ الحَميدَةِ(٨):

الوَصْفُ الأَوَّلُ: كَوْنُها عَظيمةً صُلْبَةً، وهو المَعْنيُّ بالعُذافرة، وأَما كَوْنُها عَظيمةً، فَلما فيه مِنَ الزَّيْنِ والجَمَالِ المُمْتَنِّ به في الإِبلِ بقَوْلِه تَعَالى: ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**﴾(٩)، ورُبَّما(١٠) كانَ أَيْضاً دَليلَ القُوَّةِ. وأما كَوْنُها صُلْبَةً؛

---

(١) مراتب سير الإبل في كفاية المتحفظ كما يلي: «العنق: وهو ضرب من سير الإبل وهو المشي السريع الذي تتحرك فيه عنق الابل.. وفوق ذلك الرتك: وهو مقاربة الخطو في إسراع، فإذا ارتفع سيره حتى يكون عدواً ويراوح فيه ما بين يديه فذلك الخَبَبْ، والدأدأة فوق الخبب، وفوق ذلك الرَّبَعة: وهو أن يضرب البعير بقوائمه كلها، والنص: سير مرتفع.. والنصب: سير بين العدو والمشي، والرفع أوسع ما يكون السير» (ص٢١-٢٢).

(٢) «إسكان الباء» ساقطة من ب، ض.

(٣) التبغيل في تفسير السيوطي هنا منقول من ابن هشام في شرحه، «هومشي فيه اختلاف بين العنق والهملجة وكانه مشبه بسير البغال» (انظر ص١٢٢) على أن مصدر ابن هشام (ت٧٦١) هو ابن منظور (ت٧١١) في قوله: «والتبغيل من مشي الإبل فيه سعة، وقيل: هو مشي فيه اختلاف واختلاط بين الهملجة والعنق... في قصيدة كعب بن زهير: فيها على الأين إرقال وتبغل هو تفعيل من البغل، كأنه شبه سيرها بسير البغل لشدته» (اللسان مادة بغل ج١٣ /ص٦٣).

(٤) «لناقته» ساقطة من الأصل.

(٥) «أنها» ساقطة من ظ، ل، ك.

(٦) في ض: «أنها موصلة».

(٧) في الأصل: «أطيب».

(٨) في الأصل: «المحمودة».

(٩) سورة النحل: آية ٦.

(١٠) في الأصل: «وإنما».

فَلأَنَّهُ دَليلُ القُوَّة وكَثْرَةُ الحَمْلِ، وناهيكَ أَنَّ اللهَ تَعالى قَرَنَها في الذِّكْرِ والامْتنان بالسُّفُن، إشارَةً إلى عظَم خلْقَتِها وطاقَتِها على الحَمْلِ[١]، فَقالَ عَزَّ وَجَلَّ[٢]: ﴿ وجَعَلَ لَكُم منَ الفُلْكِ والأَنْعامِ ما تَرْكبونَ ﴾[٣].

الوَصْفُ الثَّاني: كَوْنُها لا تَضْعُفُ بكَثْرَةِ السَّيْرِ، وهو المَعْنيُّ بقَوْلِه: «لَها على الأَيْنِ إرْقالٌ وتَبْغيلُ»، وذلكَ أَنَّهُ إذا كانَ سَيْرُها مَعَ الأَيْنِ، وهو التَّعَبُ، على هَذين الضَّرْبَين السَّريعَيْن منَ السَّيْرِ، فما ظَنُّكَ بها إذا كانَتْ في حالِ نَشاطها؟! ثُمَّ قَدْ تَقدَّمَ[٤] أَنَّ غايَةَ الطَّاقَة في السَّيْرِ التَّشَعُّرُ[٥]، والإِرْقالُ دُونَهُ في المَرْتَبَةِ[٦]، والتَّبْغيلُ فَوْقَ العَنَقِ، فَيَكونُ سَيْرُها في حالَة التَّعَبِ دائراً[٧] بَيْنَ الإِرْقالِ الذي هو أَعْلى مَراتبِ السَّيْرِ بَعْدَ التَّشَعُّرِ[٨]، والتَّبْغيلِ الذي هو فَوْقَ العَنَقِ.

والمَعْنَى: أَنَّهُ إذا اشتَدَّ بها التَّعَبُ، يكونُ غايةَ ما يَنْتَهي إليه في تَقْليلِ السَّيْرِ التَّبْغيلُ، وإذا خَفَّ تَعَبُها تَرَقَّتْ[٩] إلى الإِرْقالِ، وفي حالَة النَّشاطِ يَكُونُ سَيْرُها التَّشَعُّرُ[١٠]، فإذا كانَتْ عَظيمةً صُلْبَةً مَعَ اشْتِمالها على الخِفَّة والإِسراعِ وعَدَمِ الإِعْياء، وَجَهَدَتْ نَفْسَها في السَّيْرِ على هذا الأُسْلوبِ، بَلَغَ بها إلى المَدَى البَعيدِ في الزَّمَنِ القَصيرِ[١١].

---

(١) في ض: «على الأثقال».

(٢) في ب، ك: «فقال تعالى».

(٣) سورة الزخرف: آية رقم ١٢، وتمامها: ﴿ **والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون** ﴾.
- في الأصل: «وخلق» وهو تحريف.

(٤) كذا «ثم قد تقدم» في ل أيضاً، وفي بقية النسخ: «ثم تقدم».

(٥) في ظ، ل: «التشعير».

(٦) في ب، ل، ض: «في الرتبة».

(٧) في الأصل: «دائر» وهو لحن من الناسخ.
- في ل: «دائم».

(٨) في ظ، ل: «بعد التشعير».

(٩) في ض: «ترقب».

(١٠) في ظ، ل: «التشعير».

(١١) زاد في ب، ض: «انتهى».

البَيْتُ الخامسَ عَشرَ[1]

مِنْ كُلِّ نَضَّاخَـــةِ الذِّفْرى إذا عَرِقَتْ   عُرْضَتُها طَامِسُ الأَعْلامِ مَجْهولُ[2]

قَوْلُهُ: «مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرى» أَيْ: النَّاقَةُ المَذْكورةُ مِنْ كُلِّ ناقَةٍ[3] نَضَّاخَةِ الذِّفْرى بالعَرَقِ إذا عَرِقَتْ، ثُمَّ هو يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ؛ إِمَّا أَنْ يُريدَ أَنَّها ناقَةٌ مِنَ النِّياقِ المُتَّصِفَةِ بهذه الصِّفَةِ[4]، وإِمَّا يُريدُ أَنَّ أَصْلَ وجُودها مِنْ كُلِّ ناقَةٍ[5] هيَ كذلكَ، ويَكُونُ ذلكَ وَصْفاً لَهَا. لأَنَّهُ وَصَفَها بكَرَمِ الأَصْلِ[6]، وهذا هو الذي رَجَّحَهُ ابنُ هشامٍ في إِعْرابِهِ القَصيدَةَ[7].

و «النَّضَّاخَةُ» بفَتْحِ النُّونِ وتَشْديدِ الضَّادِ، وبَعْدَ الأَلفِ خاءٌ ثُمَّ تاءُ التَّأْنيثِ الكُبْرى: الكَثيْرَةُ السَّيلانِ[8]، يُقالُ: عَيْنٌ نَضَّاخَةٌ، إذا كانَتْ كَثيرَةَ الماءِ، الفَوَّارَةُ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿**فِيْهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتَانِ**﴾[9].

و«الذِّفْرى»[10] بِكَسْرِ الذَّالِ المُعْجَمةِ، وإِسْكانِ الفاءِ والرَّاءِ المُهْمَلَةِ: وهي النُّقْرَةُ

---

(١) في الأصل: «الباب» وفي ل: «البيت الخامس عشرة».

(٢) في جمهرة أشعار العرب «من كل ناضحة الذفرى» (٢/٧٩٢).

– ذهب الليث وأبو زيد الأنصاري والأصمعي إلى أن نضح ونضخ بمعنى واحد (انظر اللسان مادة نضح ج٣/٤٥٧).

– قال التبريزي: «ويروى عارضها طامس الأعلام» (ص١٩) وهي رواية عبداللطيف البغدادي في شرحه (١١٨).

(٣) «ناقة» ساقطة من ض.

(٤) «بهذه الصفة» ساقطة من ض.

(٥) زاد في ل: «من كل ناقة من النياق».

(٦) في ل: «ويكون ذلك وصف لها، لأنه وصفها بكرم الأصل» وفي الهامش: «وفي نسخة ويكون ذلك وصفاً لها لأنه وصفها بكرم الأصل».

(٧) يشير السيوطي إلى قول ابن هشام: «وتحتمل (من) وجهاً ثالثاً أظهر مما ذكر وهو أن تكون لابتداء الغاية، أي: عذافرة ابتداء خلقها وايجادها من كل ناقة نضاخة، يصفها بكرم الأصل» (ص١٢٣).

(٨) في الأصل: «كثيرة».

(٩) سورة الرحمن: آية رقم ٦٦.

– في ض: «فيها عينان» وهو تحريف.

(١٠) في ض: «والذفر».

التي خَلْفَ أُذُن النَّاقَة والبَعير، وهي أَوَّلُ ما يَعْرَقُ منْهُما[١]، وأَقَامَ المُفْرَدَ فيه مَقَامَ التَّثْنية[٢]، والمَعْنَى نَضَّاخَةُ الذِّفْرى[٣]؛ لأنَّ لكُلِّ ناقَة ذِفْرَتَيْن[٤].

وَقَوْلُهُ: «إذا عَرِقَتْ» أَيْ: أَنَّها إذا عَرِقَتْ تَنْضَحُ ذِفْراها بالعَرَق[٥]، وكَأَنَّهُ يَصِفُها بشدَّة جُهْد نَفْسها في السَّيْر[٦]، حَتَّى يَصيرَ العَرَقُ يَسيلُ منْ ذِفْرَيَيْها[٧].

وقَوْلُهُ: «عُرْضَتُها طامسُ الأَعْلام مَجْهولُ» أي: عُرْضَةُ[٨] تلكَ النَّاقَة، وهو بضَمِّ العَيْن وإِسْكان الرَّاءِ وفَتْح الضَّاد[٩]، وقَدْ ذَكَرَ التِّبْريزيُّ في شَرْح[١٠] هذا البَيْت مَعْنَيَيْن:

الأَوَّلُ: «أَنَّهُ منْ قَوْلهِمْ بَعيرٌ عُرْضَةٌ للسَّفَر، أَيْ: قَويٌّ عَلَيْه»[١١]، وعَلَى هذا اقْتَصَرَ ابنُ الأَثير في نِهَايَته[١٢]، ويَكونُ المَعْنَى: أَنَّ لها قُوَّةً على مَعْرِفة الطَّريق الدَّارسَة[١٣].

الثَّاني: أَنَّهُ منَ العارض الذي يَعْرِضُ للشَّيْءِ فَيَمْنَعُهُ، ومنْهُ قَوْلُه تَعالى: ﴿**ولا تَجْعلوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمانِكم أَنْ تَبرُّوا**﴾[١٤]، أَيْ: لا تَجْعلوا الحَلْفَ بالله مُتَعَرِّضاً ما

(١) قوله: «وهي النقرة ... ما يعرق منهما» منقول من شرح ابن هشام (ص١٢٤-١٢٥).

(٢) في ب، ض: «مكان الغيبة».

(٣) في ل، ض: «نضاحة الذفرتين».

(٤) في ظ، ك، ل: «ذفرتان» وهو لحن من النساخ.

– قوله «وأقام المفرد... لأن لكل ناقة ذفرتين» مأخوذ من شرح ابن هشام بلفظ مختلف (ص١٢٥-١٢٦).

(٥) في ض: «وقوله إذا عرقت نضح ذفراها بالعرق».

(٦) في ل: «المسير» وبهامشها: «في نسخة السير».

(٧) كذا «ذفرتيها بالتثنية»، وفي بقية النسخ «ذفرتها» بالإفراد، وما أثبته هو الصواب.

(٨) زاد في ب، ل: «أي: عرضتها طريق طامس الأعلام، عرضة».

(٩) في ل: «وفتح الصاد».

(١٠) في بقية النسخ: «في تفسير».

(١١) شرح التبريزي ص١٩.

(١٢) في النهاية: «هو من قولهم بعير عرضة للسفر، أي: قوي عليه، وجعلته عرضة لكذا، أي: نصبته له» (ج٣/١٩٥).

(١٣) «إن لها قوة معرفة الطريق الدارسة» ساقطة من ب، ل، ك.

(١٤) سورة البقرة: آية ٢٢٤، وتمامها: ﴿**ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس، والله سميع عليم**﴾.

بَيْنَ أَقْوالِكُم أَنْ تَبَرُّوا[١]، ويَكُونُ المَعْنَى: إِذا عَرَضَ لها طَرِيقٌ دارِسٌ اسْتَخْرَجَتْهُ.

قالَ ابنُ هِشَام: ولا مَساغَ لِواحِدٍ مِنَ المَعْنَيَيْنِ في العُرْضَةِ[٢]، [وإِنَّما هي][٣] هَاهُنَا، بِمَعْنَى الهِمَّةِ، فَيَكونُ عُرْضَتُها في البَيْتِ مَعْنَاهُ هِمَّتُها، وَمِنْهُ قَوْلُ حَسَّانِ بنِ ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ[٤]:

وقالَ اللَّهُ قَدْ أَعْدَدْتُ جُنْداً   مِنَ الأَنْصارِ عُرْضَتُها اللِّقَاءُ[٥]

و«الطَّامِسُ الأَعْلامِ» المُرادُ به: الطَّرِيقُ الدَّارِسُ الذي مُحِيَتْ آثارُهُ، والأَعْلامُ العَلامَاتُ، والمُرادُ: ما يُسْتَدَلُّ به على الطَّرِيقِ مِنْ أَثَرِ مَشْيٍ[٦] وغَيْرِهِ، و«المَجْهولُ:» الذي لا يُعْرَفُ، وهو تَأْكِيدٌ لِقَوْلِه «طَامِسُ الأعلامِ»، فَمَجْهولٌ ضَرُورةٌ[٧].

---

(١) في شرح التبريزي: «والعرضة ها هنا ما يعرض ويمنع ومنه قوله تعالى: ﴿**ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم**﴾ أي لا تجعلوا الحلف بالله مانعاً أن تبروها» (ص١٩)، والسيوطي إنما ينقل من شرح ابن هشام ص١٢٨.
- في الأصل: «متعرضاً لأيمانكم».
- قوله: «أي لا تجعلوا... أن تبروا» ساقط من ب، ل، ض.
- في ل: «أي لا تجعلوا الحلف بالله متعرضاً ما بقا لكم أن تبروا» وفي هامشها: «في نسخة ما بين أقوالكم».

(٢) في ض: «فالعرضة».

(٣) ما بين المعكوفتين زيادة يستقيم بها السياق.
- قول ابن هشام كما يلي: «ولا مساغ لواحد من هذين المعنيين هنا، وإنما المعنى على ما ذكرت، (أي: همتها)، ولا بد من تقدير مضاف، أي: معقود همتها أو ذو همتها، ولولا هذا التقدير لم يصح الإخبار، لأن المبتدأ على هذا التقدير غير الخبر، ونظيره ﴿**هم درجات عند الله**﴾ أي هم ذو درجات» (شرح قصيدة بانت سعاد ص١٢٨).

(٤) البيت من بحر الوافر.
- البيت هو السادس عشر من قصيدة عدد أبياتها ثلاثون بيتاً (ديوان حسان ص٧٤).

(٥) «وقال الله» ساقطة من ب، ك، ض.
- في رواية الديوان «قد يسرت» بدل قد أعددت «و» هم أنصار «بدل» من «الأنصار».
- قول ابن هشام والشاهد الشعري من شرح ابن هشام (ص١٢٨).

(٦) في ض: «من أثر شئ».

(٧) قال ابن هشام: «وقوله مجهول: صفة لطامس مؤكدة؛ لأن كل طامس مجهول، ولهذا لم أقدره خبراً؛ لأن الخبر لا يكون مؤكداً» (ص١٢٩).
- في النسخ جميعاً «مجهول».

ومَعْنى البَيْت: أنَّ هَذه النَّاقَةُ لها اهتمامٌ بالسَّيْر ومَعْرِفَةٌ بالطَّريق(١) المَجْهولَة التي لا تُدْرَكُ، وذلكَ أنَّهُ وَصَفَها فيه بوَصْفَيْن:

الوَصْفُ الأوَّلُ: كَثْرَةُ العَرَق من ذفْرَتها، والعَرَقُ لا يكونُ إلاّ مَعَ اشتدادٍ في السَّيْر، واهْتمامٍ به، خُصوصاً مَعَ ما تَقَدَّمَ مِنْ وَصْفِها بالقُوَّة والصَّلابَة؛ لأنَّ العَرَقَ مَعَ القُوَّة لا يكونُ إلاّ مِنْ كَثْرَةِ كَدٍّ(٢)، وشدَّة سَيْرٍ، وناهيكَ(٣) ما وَصَفَ بِه من ذفْراها(٤) مِنَ النَّضْخِ، الذي هُوَ في غَايَةِ الكَثْرَةِ على ما تَقَدَّم شَرْحُهُ(٥).

الوَصْفُ الثَّاني: المَعْرفَةُ بالطُّرقات الطَّامسَة الأعْلام(٦)، الذاهبَة الآثار، لكَثْرَة (١٥٣ب)/الأسْفار، وسُلُوكها المفَازَات، وهذا وَصْفٌ شَريفٌ مِنْ أوْصاف الإبِل، فَرُبَّما ضَلَّ الرَّاكبُ عَنِ الرَّكْب لنَوْمٍ أوْ غَيْره، فَتَذْهَبُ عَلَيْه(٧) مَعْرِفَةُ الطَّريق، فَيهْلَكُ، فَإذا كانَتْ ناقَتُهُ لَهَا(٨) دُرْبَةٌ بمَعْرفَة الطَّريق، نَجَتْ به مِنْ تلكَ المَفَازَة، وخَلَّصَتْهُ مِنَ الهَلَكَة.

وَقَدْ حَكَى أبو عَليٍّ بنُ سيناءَ(٩) أنَّهُ كانَ في رَكْبٍ فَضَلّوا عَنِ الطَّريق في مَفَازَةٍ عَظيمَةٍ، كَادوا يَهْلَكُوا فيْها، فَعَمدوا إلى بَعيْرٍ كانَ مَعَهُ(١٠)، فألْقوا زمامَهُ على غاربه

---

(١) في ب، ض: «ومعرفة الطريق».

(٢) في ض: «من كثرة له».

(٣) زاد في ظ، ل: «وناهيك به».

(٤) في ب، ض: «من ذفراتها».

(٥) في بقية النسخ: «تفسيره».

(٦) كذا في ل أيضاً، وفي بقية النسخ «الطريق الطامس الاعلام» وذكر هذا في هامش ل (نسخة).

(٧) في ك: «فيذهب عليه».

(٨) «لها» ساقطة من ض.

(٩) أبو علي بن سينا: الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله، الحكيم المشهور، كان أبوه من أهل بَلْخ، وهو أحد الفلاسفة المسلمين، له من المصنفات، كتاب الشفاء، القانون، الاشارات وغيرها مما يقارب مائة مصنف، توفي بهمذان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. (وفيات الاعيان ٢/١٥٧-١٦٢، تاريخ الحكماء ص٤١٣ ولسان الميزان ٢/٢٩١).

(١٠) في ب، ض: «كان معهم».

وأَرْسَلُوهُ فَسارَ بِهِمْ، ومازالَ يَقْفو الطَّريقَ[1] حَتَّى خَلَصَ بِهم[2] إلى المَقْصِدِ الذي كانوا يَقْصِدونَ[3]، فَسُبْحانَ المُلْهِمِ[4]. واللهُ أَعْلَمُ بالصَّوابِ[5].

---

(١) في ل: «فسار بهم وهو يقفو الطريق».

(٢) «وما زال يقفو الطريق حتى خلص بهم» ساقطة من ب، ض.

(٣) في ض: «الذي كانوا يقصدونه».

(٤) زاد في الأصل: «فسبحان الملهم المعين الذي يعين».

– «سبحان الملهم» ساقطة من ب، ض.

(٥) «والله أعلم بالصواب» ساقطة من الأصل.

– في ب، ض: «والله أعلم».



البَيْتُ السَّادِسَ عَشَرَ[١]

تَرْمِي الغُيُوبَ بعَيْنَي مُفْرَدٍ لَهِقٍ إذا تَوَقَّدَتِ الحِزَّازُ والمِيلُ[٢]

قَوْلُهُ: «تَرْمِي الغُيوبَ» أَيْ: تَرْمِي[٣] تِلْكَ النَّاقَةُ الغُيوبَ، والغُيوبُ[٤] بِضَمِّ الغَيْنِ والياءِ وبَعْدَ الواوِ باءٌ مُوَحَّدةٌ: جَمْعُ غَيْبٍ، كَفُلُوسٍ جَمْعِ فَلْسٍ، أَوْ جَمْعُ غائِبٍ، كَشُهودٍ جَمْعُ شاهِدٍ، والمُرادُ: آثارُ الطَّرِيقِ التي غابَتْ مَعالِمُها عَنِ العُيونِ، وخَفِيَتْ عَنِ الأَبْصارِ.

وقَوْلُهُ: «بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ» أَيْ تَرْمِي الغُيوبَ[٥] بِعَيْنَيْنِ مِثْلَ عَيْنَي[٦] مُفْرَدٍ، وهُوَ الثَّوْرُ الوَحْشِيُّ الذي انفَرَدَ عن أُنْثاهُ[٧] وغَلَبَ عَلَيْهِ وَصْفُ المُفْرَدِ، كما غَلَبَ الأَغَنُّ على الظَّبْيِ[٨].

و«اللَّهَقُ» بِفَتْحِ الهاءِ وكَسْرِها: الأَبْيَضُ، وَصَفَ الثَّوْرَ بِكَوْنِه أَبْيَضَ، والتَّوَقُّدُ، المُرادُ هُنَا[٩]: اشْتِدادُ الحَرِّ تَشْبِيهاً لَهُ بِتَوَقُّدِ النَّارِ، و«الحِزَّازُ» بِكَسْرِ الحاءِ وفَتْحِ الزَّايِ، وبَعْدَ

---

(١) في ل: «البيت السادس عشرة».

(٢) في ب، ض: «ترى الغيوب».

– في رواية محمد بن سيد الناس: «ترمي النجاد» (عيون الأثر ٢ / ٢٨٢)، وهي رواية السيرة، والنجاد: الأرض الصلبة (عيون الأثر/ ٢٨٢٢).

– في النسخ الخمس جميعاً: «إذا توقدت الحزاز» وفي رواية سائر الرواة «إذا توقدت الحزان»، والحزاز جمع حزيز والحزيز: ما غلظ من الأرض، وقيل يجمع على حزان، وفي المحكم: والجمع أحزة وحزان (اللسان: مادة حزز ج٧ / ٢٠١–٢٠٢).

سقط هذا البيت من رواية ابن بشران (انظر ص٨٠) والحاكم (انظر المستدرك ٣ / ٥٨١).

(٣) في ب، ض: «ترى الغيوب، أي: ترى».

(٤) «الغيوب» ساقطة من ل.

(٥) في ب: «العيوب».

(٦) في ظ، ل، ك: «مثل عينين» وهو لحن من الناسخ.

(٧) في ظ، ل، ك: «عن انثته» وفي ب، ض: «عن انيسه». وما أثبته من شرح ابن هشام.

(٨) في الأصل: «على الظبا».

(٩) في ب، ك، ض: «المراد هناك» وذكرت هذه الرواية في هامش ل أنها نسخة.

الأَلف زايٌ أَيْضاً، جَمْعُ حَزيز(١) بحاء(٢) مُهْمَلَة مَفْتوحَة، وزائَيْن بَيْنَهُما ياءٌ مُثَنَّاةٌ تَحْتِيَّةٌ(٣): الغَليظُ الصُّلْبُ منَ الأَرْضِ. و«المِيْلُ» بكَسْرِ الميم: جَمْعُ مَيْلاءَ(٤) بفَتْحهما(٥)، وهي ما تَعَقَّدَ منَ الرَّمْلِ وتَراكَمَ.

ومَعْنَى البَيْت: أَنَّ هَذه النَّاقَةَ إذا اشْتَدَّ الحَرُّ وتَوَقَّدَت الرِّمالُ والأَمْكنَةُ الصُّلْبَةُ بحَرِّ الهَواجر، وقَرَّت العُيونُ لشدَّة(٦) تَأْثير الشَّمْس، كانَتْ حينَئذ في غَايَة تَحَدُّق البَصَر لمَعْرفَة الطَّريق الدَّارسَة الآثار؛ وذلكَ أَنَّهُ لما ذَكَرَ في البَيْت الذي قَبْلَهُ أَنَّ همَّتَها الطَّريقُ الطَّامسُ الأَعْلام، المَجْهولُ المَسالك، بَيَّنَ في هذا البَيْت وَجْهَ اهتمامها بذلكَ، فَشَبَّهها بالثَّوْر الوَحْشيِّ الذي قَدْ أَلفَ البراريَ والفَلَوات، وخَبرَها بكَثْرَة مُروره فيْها(٧)، واعْتادَ الصَّبْرَ على شدَّة الحَرِّ، فَلَمْ يَكُن الحَرُّ ليَقْدَحَ(٨) في بَصَرها، ولم يُؤَثِّرْ في عَيْنها بأَنْ كانَتْ همَّتُها(٩) ما هيَ عَلَيْه من استخراج المُغَيَّبات في الطَّريق، وخَفيِّ المَسالك، حَتَّى إنَّها بمُجَرَّد رَمْي بَصَرها إلى الأَرْض تُدْركُ الطَّريقَ، وَتُبَيِّنُ السَّبيلَ، فما ظَنُّكَ بها في غَيْر هَذه الحالَة ؟!.

فَإنْ قيلَ: لمَ خَصَّ الثَّوْرَ الوَحْشيَّ بالتَّشْبيه به في حدَّة البَصَر دُونَ غَيْره منَ الحَيوانات، ولَمَ خَصَّهُ بذلكَ في حال(١٠) تَفَرُّده دُونَ غَيْره؟.

الجَوابُ: أَنَّ الثَّوْرَ الوَحْشيَّ منْ أَحَدِّ الوُحوش نَظَراً، وإنْ(١١) انفَرَدَ عن أنيثَته(١٢)،

---

(١) في ل، ض: «جمع حزيزة».

(٢) في الأصل: «بهاء».

(٣) كذا «تحتية» في الأصل، وفي بقية النسخ: «تحت».

(٤) «جمع ميلاء» ساقطة من ب.

- في ض: «جمع ميل».

(٥) في ل، ض: «بفتحها».

(٦) في ب، ض: «بشدة».

(٧) في ك: «مرورها فيه».

(٨) كذا في ظ، ل، وفي بقية لنسخ «يقدح».

(٩) كذا «كانت همتها» في الأصل، وفي بقية النسخ: «كان همتها».

(١٠) في ل: «في حالة».

(١١) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ «إذا».

(١٢) كذا «عن أنيثته» في ك، وفي ظ، ل: «عن انثته» وفي ب ، ض: «عن انيسه».

يَكْثُرُ حِينَئِذٍ تَحْدِيقُهُ في النَّظَرِ[1]، ويَقْوَى نَشَاطُهُ وخِفَّتُهُ.

فَإِنْ قِيلَ: لِمَ خَصَّهُ[2] بالبَيَاضِ، ولا مَدْخَلَ للَّونِ في تَشْبِيْهِهِ[3] النَّاقَةَ بالثَّوْرِ في حِدَّةِ البَصَرِ؟ فالجَوابُ في ذلكَ مَعْنًى آخرُ غَيْرُ تَحْدِيقِ النَّظَرِ وَحِدَّتِه، وهو الحُسْنُ؛ لأَنَّ عَيْنَ[4] البَقَرِ الوَحْشِيَّةِ[5] في غايَةٍ مِنَ السَّوادِ، فإذا كانَ الثَّوْرُ مِنْها مَعَ سَوادِ عَيْنَيْهِ أَبْيضَ، كانَ في غايةٍ مِنَ الحُسْنِ.

---

(١) في ب، ض: «تحديقه في الطريق».

(٢) في ل: «لم حضه».

(٣) في ض: «في تشبيه».

(٤) في ك: «لأن غير».

(٥) في ض: «الوحشي».



البَيْتُ السَّابِعَ عَشَرَ(١)

ضَخْمٌ مُقَلَّــدُهــا عَبْلٌ مُقَيَّــدُهــــا ... في خَلْقِها عَنْ بَناتِ الفَحْلِ تَفْضِيلُ(٢)

قَوْلُهُ: «ضَخْمٌ مُقَلَّدُها» أَيْ: ما يُبَلِّغُها إِلاّ ناقَةٌ عُذافِرَةٌ، ضَخْمٌ مُقَلَّدُها، والضَّخْمُ بِفَتْحِ الضَّادِ وإِسْكانِ الخاءِ: الغَليظُ، والمُقَلَّدُ بضَمِّ الميمِ وفَتْحِ القَافِ وتَشْديدِ اللامِ: مَوْضِعُ القِلادَةِ مِنَ العُنُقِ، ويَجوزُ أَنْ يُريدَ جَميعَ العُنُقِ(٣) تَشْبيهاً(٤) للْكُلِّ باسْمِ الجُزْءِ، ويُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ في البَيْتِ الذي يَليهِ: «غَلْباءُ»، فَإِنَّ المُرادَ بِها الغَليظَةُ العُنُقِ، كَما سَيَأْتي في مَوْضِعِهِ إِنْ شاءَ اللَّهُ تَعالَى.

وَقالَ أَبوهِلالٍ العَسْكَرِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى، في كِتابِهِ الصِّناعَتَيْنِ(٥): إِنَّ وصفَ المُقَلَّدِ بالغِلَظِ مِنْ خَطَإِ الوَصْفِ، وإِنَّما تُوصَفُ النَّجائِبُ بِرِقَّةِ المَذْبَحِ(٦)، فَتَعَيَّنَ حَمْلُهُ على جَميعِ العُنُقِ.

وقَوْلُهُ: «عَبْلٌ مُقَيَّدُها»، أي مُقَيَّدُ تِلْكَ النَّاقَةِ، والعَبْلُ بِفَتْحِ العَيْنِ وإِسْكانِ الباءِ(٧): الغَليظُ أَيْضاً، والمُقَيَّدُ بضَمِّ الميمِ وفَتْحِ القَافِ وتَشْديدِ الياءِ: مَوْضِعُ القَيْدِ مِنها، ويُرْوَى: «فَعْمٌ» بِفَتْحِ الفاءِ وإِسْكانِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ، بَدَلَ عَبْلٍ، وهو مَعْناهُ.

وقَوْلُهُ: «في خَلْقِها عَنْ بَناتِ الفَحْلِ تَفْضِيلُ»، أَيْ: في خَلْقِ تِلْكَ النَّاقَةِ عن

---

(١) في الأصل: «الباب السابع».

(٢) كذا «عبل مقيدها» في رواية ابن هشام الأنصاري (ص١٣٣) وعبد اللطيف البغدادي (ص١٢١) وروى سائر الرواة: «فعم مقيدها».

– سقط هذا البيت من رواية ابن بشران (انظر ص٨٠) والحاكم (انظر المستدرك ٣/٥٨١).

– يروى: عن تمام الفحل» (حاشية على شرح بانت سعاد ج٢/٤٢١).

– قال ابن هشام: «يجوز في (ضخم) الرفع والنصب والجرّ». (انظر شرحه ص١٣٣–١٣٤).

(٣) كذا في ظ، ل، ض، وفي ب، ك: «جمع العنق».

(٤) في ظ، ل: «تشبيه» وهو لحن من الناسخ.

(٥) في ظ: «الصاعتين» وفي ل: «الضاعتين» وفي ك: «الضاعنين».

(٦) في كتاب الصناعتين: «لأن النجائب توصف بدقة المذبح» (ص١١٣)، والأصل في ذلك مقولة الأصمعي: «هذا خطأ في الوصف، وإنما خير النجائب ما يدق مذبحه» (شرح ابن هشام ص١٣٥).

(٧) زاد في ب، ض: «وإسكان الباء الموحدة».

بَنَاتِ الفَحْلِ، والخَلْقُ بِفَتْحِ الخَاءِ وإِسْكَانِ اللامِ: بِمَعْنَى الخِلْقَةِ[1]، والمُرادُ بها الإناثُ مِنَ الإِبِلِ، و«الفَحْلُ»: المُرادُ فَحْلُ الإِبِلِ المُعَدُّ للضِّرابِ، و«التَّفْضِيلُ» المُرادُ بِهِ الزِّيادَةُ في الفَضْلِ، وهو مُحْتَمِلٌ لِمَعْنَيَيْنِ[2]:

الأَوَّلُ: أَنْ يُرِيدَ أَنَّها مُفَضَّلَةٌ على غَيْرِها[3] في عِظَمِ الخِلْقَةِ والضَّخامَةِ.

الثَّاني: يُرِيدُ[4] أَنَّها مُفَضَّلَةٌ على غَيْرِها في حُسْنِ التَّكْوِينِ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَهما جُمْلَةً.

ومَعْنى البَيْتِ: أَنَّ هذه النَّاقَةَ في غايَةِ القُوَّةِ والضَّخامَةِ والحُسْنِ على ما يَقْتَضِيهِ شَرْحُ[5] كَلامِهِ، وذلكَ أَنَّهُ وَصَفَها بثلاثَةِ أَوْصافٍ:

الوَصْفُ الأَوَّلُ: ضَخامَةُ المُقَلَّدِ، وقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الظَّاهِرَ المُرادَ بِهِ[6] جَمِيعُ العُنُقِ، وضخامَةُ العُنُقِ[7] دَلِيلُ ضَخامَةِ جَمِيعِ هامَتِها وعَظْمِها.

الوَصْفُ الثَّاني: عَبالَةُ المُقَيَّدِ[8] على ما تَقَدَّمَ شَرْحُهُ[9]، وغِلَظُ ذلكَ مِنْها مُؤْذِنٌ بِقُوَّتِها، وصَبْرِها على السَّيْرِ، وطاقَتِها[10] على كَثْرَةِ الحَمْلِ[11].

(١٥٤ أ) **الوَصْفُ الثَّالِثُ**: تَفْضِيلُها على غَيْرِها مِنَ الإِبِلِ، فَإِنْ /حَمَلْناهُ على عِظَمِ خَلْقِهِ[12]،

---

(١) في ب، ض: «بمعنى الخلق».

(٢) في الأصل: «محتمل المعنيين».

(٣) في ض: «عن غيرها» وذكرت في هامش ل (نسخة).

(٤) «يريد» ساقطة من ظ، ل، وفي هامش ل أنها في نسخة.

(٥) كذا «شرح» في الأصل، وفي بقية النسخ «تفسير».

(٦) زاد في ل: «أن الظاهر أن المراد».

(٧) «العنق» ساقطة من ب، ض.

(٨) في ل: «عبالة المقلد».

(٩) كذا «شرحه» في الأصل، وفي بقية النسخ «تفسيره».

(١٠) في الأصل: «وطلاقتها».

(١١) في ظ، ك: «على كثر الحمل» وفي ل: «على أكثر الحمل».

(١٢) في ل، ض: «عظم الخلقة».

وكِبَرِ الهامَةِ، كانَ في مَعْنى ما تَقَدَّمَ منْ ضَخَامَةِ المُقَلَّدِ وعَبَالَةِ المُقَيَّدِ، ويَكُونُ بَيْنَ أَجْزائِها مُناسَبَةٌ، وهوَ منْ صِفاتِ المَدْحِ أَيْضاً، بِخِلافِ(١) ما إذا كانَ بَعْضُ أَعضائِها لا يُناسِبُ بَعْضاً في الضَّخامَةِ والرِّقَّةِ، فَإِنَّهُ مما يُذَمُّ.

وإِنْ حَمَلْناهُ على حُسْنِ التَّكْوينِ، كانَتْ قَدْ جَمَعَتْ بَيْنَ ذلكَ وبَيْنَ القُوَّةِ في قَوْلِه: «عَبْلٌ مُقَيَّدُها» كما تَقَدَّمَ، وإِنْ حَمَلْناهُ على عِظَمِ الخَلْقِ، وحُسْنِ التَّكْوينِ جَميعاً(٢)، كانَتْ قَدْ جَمَعَتْ بَيْنَ القُوَّةِ، وعِظَمِ الخَلْقِ، وحُسْنِ التَّكْوينِ. واللَّهُ تَعالَى أَعلَمُ بالصَّوابِ(٣).

---

(١) في ك: «خلاف».

(٢) «جميعاً» زيادة في ب، ل، ض.

(٣) «بالصواب» زيادة في ك.



البَيْتُ الثَّامنَ عَشَرَ

غَلْباءُ وَجْنَاءُ عُلْكُومٌ مُذكَّرَةٌ في دَفِّها سَعَةٌ، قُدَّامُها مِيلُ(١)

قَوْلُهُ: «غَلْباءُ وَجْنَاءُ عُلْكُومٌ مُذكَّرَةٌ»، أَيْ: وما يُبَلِّغُها إلا ناقَةٌ عُذافِرَةٌ غَلْباءُ إلى آخرِه، و«الغَلْبَاءُ»، بِفَتْحِ الغَيْنِ وإسْكانِ اللامِ، وبَعْدَ الباءِ أَلِفٌ: وهي الغَليظَةُ العُنُقِ، وقَدْ يَجْري في غَيْرِ العُنُقِ أَيْضاً، كَمَا في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿**وحدائقَ غُلْبا**﴾(٢) أَيْ: غَليظَةُ الأَشْجارِ(٣).

والوَجْناءُ بفَتْحِ الواوِ وإسْكانِ الجيمِ وبَعْدَ النُّونِ أَلِفٌ: مُحْتَملَةٌ مَعْنَيَيْنِ(٤):

أَحَدُهما: أَنْ يُريدَ به العَظيمَةَ الوَجْنَتَيْنِ، وهُما طَرَفا الخَدِّ، الثَّاني: أَنْ يُريدَ به(٥) الصُّلْبَةَ، أَخْذاً مِنَ الوَجَنَتَيْنِ(٦)، وهو ما صَلُبَ مِنَ الأَرْضِ.

و«العُلْكُومُ»(٧) بِضَمِّ العَيْنِ(٨) وإسْكانِ اللاَّمِ: الشَّديدَةُ، وهُوَ مِنَ الأَوْصافِ المُخْتَصَّةِ

---

(١) كذا ورد هذا البيت في ترتيب روايته ثامن عشر في رواية ابن هشام في السيرة (٣/١٣٥٨) والتبريزي في شرحه (ص٢٠) وابن هشام في شرحه (ص١٣٧) والسهيلي في الروض الأنف (٤/١٥٩) والبغدادي في شرحه (ص١٢٢) والسبكي في طبقات الشافعية (١/٢٣٧)، ورواه القرشي برقم ٢٤(انظر ٢/٧٩٣) وسقط البيت من رواية السكري وأبي العباس الأحول ونفطويه (حاشية على بانت سعاد ٢/٤٣٨) وابن بشران (انظر ص٨٠)، وابن الأنباري وابن سيد الناس والحاكم وابن كثير.

– البيت في رواية ابن منظور (انظر اللسان مادة علكم ج١٥/٣١٧).

– قال ابن هشام: «والكلمات الأربع صفات العذافرة أو إخبار عن هي محذوفة، ويجوز نصبها وجرها». (ص١٣٨).

(٢) سورة عبس: آية رقم ٣٠.

(٣) في شرح ابن هشام: «وقد يستعار الغلب لغلظ غير العنق، قال تعالى: ﴿**وحدائق غلبا**﴾» (ص١٣٨).

(٤) في الأصل: «محتملة المعنيين».

(٥) «به» ساقطة من ظ، ل.

(٦) في ض: «الوجهين».

(٧) في الأصل: «والعكلوم» وهو تحريف.

(٨) في ظ ول: «بفتح العين».

بالإِبِلِ، ويَسْتَوي فيها الذَّكَرُ والأُنْثى[١].

و« المُذَكَّرَةُ » بالذَّال وفَتْحِ الكاف المُشَدَّدة: التي هِيَ في عِظَمِ خَلْقِها[٢] كالذَّكَرِ مِنَ الأَباعِرِ، وقَوْلُهُ: « في دَفِّها سَعَةٌ »، و « الدَّفُّ » بفَتْحِ الدَّال وتَشْديد الفاءِ: الجَنْبُ، والمرادُ جَنْباها جَميعاً، و« السَّعَةُ » بفَتْحِ السِّين: ضِدُّ الضِّيْقِ[٣].

قَوْلُهُ: « قُدّامُها مِيْلُ » ضِدُّ خَلْفُ، والمِيْلُ بكَسْرِ المِيْم: مَدُّ البَصَرِ، وهو مُقَدَّرٌ بالذِّراع بأَرْبَعَة آلاف ذِراعٍ بالهاشِميِّ، وهو ذِراعٌ قَدَّرَهُ بنو العَبَّاسِ حينَ أَفْضَت الخلافَةُ إِلَيْهِمْ، لقِياسِ الأَرْضينَ، ونُسِبَ إِلى بَني هاشِمٍ لكَوْنِ بَني العَبَّاسِ مِنْ جُمْلَتِهِمْ، وما وَقَعَ لبَعْضِ أَصْحابِنا الشَّافعيَّة مِنْ نِسْبَتِه إِلى هاشِمٍ جَدِّ النَّبيِّ ﷺ نَسَبٌ فيه إِلى الوَهْم. وقالَ أبو القاسِمِ الزَّجَّاجيُّ في شَرْحِ مُقَدِّمَة أَدَب الكاتِب[٤]: « وهو ذِراعٌ وثُلُثٌ بذِراعِ اليَد »[٥] ووَقَعَ في كلامِ الجيليِّ الشَّافعيِّ أَنَّه ذِراعٌ[٦] بذِراع اليَد. والظَّاهِرُ الأَوَّلُ، وهو أَرْبَعَةٌ وعِشْرونَ أُصْبَعٌ[٧]، كُلُّ أُصْبَعٍ[٨] سَبْعُ شَعِيرات مُعْتَرِضات، بَطْنُ إِحداُهُنَّ لظَهْرِ الأُخرى، والشَّعيرَةُ سَبْعُ شَعَراتٍ من شَعَراتِ[٩] البِرْذَوْن[١٠] مُعْتَرِضات بَطْناً لظَهْرٍ. وبالخُطا أَرْبَعَةُ[١١] آلافِ خُطْوَةٍ، كُلُّ خُطْوَةٍ ثَلاثَةُ أَقْدامٍ، وبالبُرُدِ أَرْبَعَةُ[١٢] بُرُدٍ، كُلُّ

---

(١) قوله: « الشديدة ... الذكر والأنثى » منقول من قول ابن هشام: « علكوم: أي شديدة، ويختص بالإبل، ويستوي فيه الذكر والأنثى » (ص١٣٨).

(٢) في الأصل: « عظم خلقتها ».

(٣) في ل: « ضد الضيقة ».

(٤) في الأصل: « أداب الكاتب ».

(٥) في الأصل: « بذراع إليه ».

(٦) « ووقع في كلام الجيلي الشافعي أنه ذراع » ساقط من ض.

(٧) في ض: « إصبعاً » وهو لحن من الناسخ.

(٨) في ض: « والأصبع ».

(٩) « من شعرات » ساقط من ض.

(١٠) في ض: « البردون » بدال مهملة.

(١١) كذا « وبالخطا أربعة » في الأصل، وفي بقية النسخ « وبالخطا بأربعة ».

(١٢) في الأصل وبقية النسخ: « وبالبرد بأربعة » وما أثبته أنسب للسياق.

بَريدٍ ثَلاثُ فراسخٍ[1]، وبالزَّمَنِ سَيْرُ[2] يَوْمَيْنِ مُعْتَدِلَيْنِ لا لَيْلَةَ بَعْدَهُما؛ بِسَيْرِ الأَثْقالِ ودَبِيْبِ الأَقْدامِ.

قَوْلُهُ: «قُدَّامُها مِيْلُ[3]» يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ، أَحَدُهما: أَنْ يُريدَ طولَ العُنُقِ، وأَنَّ عُنُقَها مَدُّ مِيْلٍ لِلْمُبالَغَةِ في طُولِه، وَعَلَيْه اقْتَصَرَ ابنُ هِشامٍ في شَرْحِه[4].

الثَّاني: أَنْ يريدَ به[5] سَعَةُ الخَطْوِ[6]، وأَنَّ مِقدارَ خُطْوَتِها مَدُّ البَصَرِ، قالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ فَرَساً[7]:

كَمْ سابحٍ أَعْدَدْتُـهُ فَوَجَدْتُــــهُ ... عِنْدَ الكَرِيهَةِ وهو نَسْرٌ طائرُ[8]

لم يَرْمِ قَطُّ بطَرْفِــهِ في غايَــةٍ ... إلاَّ وَسَابَقَهُ إليهـــا الحافِــرُ

ومَعْنَى البَيْتِ: أَنَّها مُشْتَمِلةٌ على القُوَّةِ والصَّلابَةِ، وذلكَ أَنَّه وَصَفَها بِسِتَّةِ أَوْصافٍ:

الأَوَّلُ: غِلَظُ العُنُقِ، وهو المَعْنِيُّ بِقَوْلِه «غلباءُ» على ما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وقَدْ تَقَدَّمَ في البَيْتِ الذي قَبْلَهُ ما يُوافِقُهُ مِنْ شَرْحِ[9] قَوْلِه: «ضَخْمٌ مُقَلَّدُها»، فَيكونُ هذا الوَصْفُ قد تَكَرَّرَ[10] مَعَهُ في بَيْتَيْنِ مُتواليَيْنِ، وهو أَخَفُّ مِنْ تَخْصِيْصِ المُقَلَّدِ بِمَوْضِعِ القِلادَةِ[11] على ما تَقَدَّمَ مِنْ كَلامِ العَسْكَرِيِّ؛ أَنَّ النَّجائبَ إِنَّما تُوْصَفُ بِرِقَّةِ المَذْبَحِ.

---

(١) والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، والفرسخ فارسي معرّب (اللسان مادة فرسخ ج٤/١٣).

(٢) في الأصل: «وبالزمن بسير».

(٣) قال ابن هشام: «ويجوز في قدامها النصب وهو الأصل والرفع» (١٣٩).

(٤) لم تزد عبارة ابن هشام عن: «وقوله قدامها ميل، يصفها بطول العنق» (ص١٣٩).

(٥) «به» ساقطة من ظ، ل.

(٦) في الأصل: «الخطوة» وفي ض: «الخطوات».

(٧) البيتان: من بحر الكامل.

البيتان منسوبان لابن الضيف حيدرة بن عبدالظاهر بن الحسن بن علي الربعي الضيف، يصف عدو فرسه في الميدان، وهما في خريدة القصر/ قسم شعراء مصر ١/٢٩٠، ومن غير نسبة في معاهد التنصيص ٣/٣٩ باب ادخال شيء على الغلو يقربه إلى الصحة مع تضمنه نوعاً حسناً من التخييل.

(٨) في ك: «كم سانح» في هامش ل: «نسخة كم سانح وفي أخرى كم سائح».

(٩) كذا «شرح» في الأصل، وفي بقية النسخ: «تفسير».

(١٠) في ب، ض: «قد تقرر».

(١١) في ب، ض: «بوضع القلادة».

الوَصْفُ الثَّاني: عِظَمُ الوَجْنَتَيْنِ، وهو المُرادُ «بالوَجْناء» على ما تَقَدَّمَ، وهو منَ الأَوْصَافِ المَحْمودَةِ في الإِبلِ، بخلافِ الخَيْلِ، فَإِنَّهُ يُحْمَدُ فيها قِلَّةُ لَحْمِ الخَدَّيْنِ، فَإِنْ حُملَ لَفْظُ «الوَجْناءِ» على الصُّلْبَةِ، وهو الشَّرْحُ[(١)] الثَّاني فيها، كانَ ذلكَ مُوافقاً[(٢)] لأَحَدِ أَمْرَيْنِ[(٣)] في العُذافِرَةِ في البَيْتِ الرَّابعَ عَشَرَ، أَنَّ المُرادَ بها الصُّلْبَةُ العَظيمَةُ على ما تَقَدَّمَ.

الوَصْفُ الثَّالثُ: كَوْنُها شَديدَةً، وهو المُرادُ بالعُلْكُومِ[(٤)]، وهو المُرادُ بالقُوَّة، وقد تَكَرَّرَ وَصْفُها به، فلا شَكَّ أَنَّهُ أَعْلَى أَوْصافِها.

الوَصْفُ الرَّابعُ: كَوْنُها عَظيْمةَ الخِلْقَة، وهو المَعْني بالمُذَكَّرَة[(٥)]، وقد تَكَرَّرَ الوَصْفُ به أَيْضاً، على أَنَّهُ قَدْ يُرادُ بالمُذَكَّرَة[(٦)] ما هو أَعَمُّ منْ عظَمِ الخِلْقَة، فَقَدْ قالَ بَعْضُ الحُكماء، أَنَّ المُذَكَّرَ منَ الإِبلِ أَحْسَنُ خُلُقاً، وأَقَلُّ عَبَثاً، وأَعَزُّ نَفْساً، وأَكْرَمُ عَهْداً، وأَدْوَمُ وُدًّا، وأَصْبَرُ على المَكْروهِ النَّازلِ به منَ الأُنْثى.

الوَصْفُ الخَامسُ: كَوْنُها[(٧)] واسعةَ الجَنْبَيْنِ، وهو مُؤَكِّدٌ للوَصْفِ الرَّابعِ؛ لاسْتلزامِ عِظَمِ الخِلْقَة.

الوَصْفُ السَّادسُ: طُولُ العُنُقِ، وهو المُرادُ بقَوْله: «قُدَّامُها ميْلُ» على أَحَدِ الشَّرْحَيْنِ[(٨)] فيه، وَفيه منْ تَمامِ حُسْنها، ويكونُ قَدْ وَصَفَها في أَوَّلِ البَيْتِ بغلَظِ العُنُق، وفي آخره بطُوله، فَأَكْمَلَ لها الوَصْفَيْنِ جَميعاً. وإِنْ حَمَلْنا «قُدَّامُها ميْلُ[(٩)]» على سَعَةِ الخَطْوِ، كانَ وَصْفاً لها /بسُرْعَةِ السَّيْرِ الذي هو المَقْصودُ الأَعْظَمُ، وَقَدْ تَكَرَّرَ. (١٥٤ب)

---

(١) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ «التفسير».

(٢) في الأصل: «موافق» وهو لحن من الناسخ.

(٣) في الأصل كلمة غير واضحة رسمها كما يلي: «مولو».

(٤) في ب: «العكوم».

(٥) في ض: «بالمذكر».

(٦) في ض: «بالمذكر».

(٧) زاد في الأصل: «كونها أنها».

(٨) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ «التفسيرين».

(٩) «ميل» ساقطة من ض.

البَيْتُ التَّاسِعَ عَشَرَ(١)

وَجِلْدُهَــــا مِنْ أَطُومٍ مَــــا يُؤَيِّسُهُ   طِلْحٌ بِضَاحِيَةِ المَتْنَيْنِ مَهْزُولُ(٢)

قَوْلُهُ: «وجِلْدُها مِنْ أطومٍ» أَيْ: جِلْدُ تِلْكَ النَّاقَة، و«الأَطُومُ» بِضَمِّ الطَّاء بِكُلِّ حالٍ، وهو بِفَتْحِ الهَمْزَة: الزَّرافَةُ(٣)، وقيلَ السُّلَحْفاةُ البَحْرِيَّةُ، أو سَمَكَةٌ غَليظَةُ الجِلْد(٤)، يُشَبَّهُ(٥) [بها](٦)، جِلْدُ البَعيرِ الأَمْلَسِ يُتَّخَذُ مِنْهُ(٧) الخُفَافُ لِلْجَمَّالِيْنَ، ويُخْصَفُ بها النِّعالُ(٨)، ويكونُ التَّقْديرُ، وجِلْدُها مِنْ جِلْدٍ(٩) كَجِلْدِ أَطُومٍ.

وقَوْلُهُ: «ما يُؤَيِّسُهُ» أَيْ: ما يُؤَثِّرُ فيه طِلْحٌ، ويُؤَيِّسُهُ بِضَمِّ الياءِ المُثَنَّاة مِنْ تَحْتُ، وفَتْحِ الهَمْزَةِ، وتَشْديد الياءِ المُثَنَّاة مِنْ تَحْتُ المَكْسُورَة، وضَمِّ السِّين، والطِّلْحُ بِكَسْرِ الطَّاءِ وإِسْكانِ اللاَّمِ، وبَعْدَها حاءٌ مُهْمَلَةٌ: القُرادُ.

وقَوْلُهُ: «بِضَاحِيَةِ المَتْنَيْنِ»، أَيْ: ما يُؤَثِّرُ الطِّلْحُ المَذْكورُ في ضاحِيَة(١٠) المَتْنَيْنِ،

---

(١) في الأصل: «البيت السابع عشر».

(٢) كذا وقع هذا البيت في ترتيب روايته تاسع عشر في رواية ابن هشام في السيرة وشرح التبريزي وشرح ابن هشام والسبكي والسهيلي، ورواه القرشي برقم (٢٦) ولم يروه بقية الرواة (ابن بشران وأبوالعباس الأحول ونفطويه والسكري وابن الأنباري والحاكم وابن سيد الناس وابن كثير).

– «كذا ما يؤيسه» في ظ، ل، ك، ض وهي رواية ابن هشام في السيرة (١٣٥٨/٣) وشرح ابن هشام (ص١٤٠).

– في ب: «لا يؤيسه» وبها روى بقية من رواه من الرواة ممن أشير إليهم سابقاً.

(٣) قال التبريزي: «قيل إن الأطوم: الزرافة، يصف جلدها بالملاسة» (ص٣١).

(٤) في الأصل: «أو سميكة».

– «أو سمكة غليظة» ساقط من ل واستدرك في الهامش «السلحفاة البحرية أو سمكة غليظة» نسخة.

(٥) في ب، ض، ل: «تشبه».

(٦) زيادة يستقيم بها النص والمعنى، وهي واردة في نص المحكم لابن سيدة. (انظر اللسان ١٤/٢٨٥).

(٧) في ك: «تتخذ منها».

(٨) جاء في المحكم لابن سيده: «الأطوم: سلحفاة بحرية غليظة الجلد، وقيل سمكة غليظة الجلد في البحر يشبه بها جلد البعير الأملس ويتخذ منها الخفاف للجمالين ويخصف بها النعال». (شرح ابن هشام ص١٤٠).

(٩) «من جلد» ساقطة من الأصل.

(١٠) في ب: «بجناحيه».

والمُرادُ بالضَّاحِيَة: البارِزَةُ للشَّمْسِ، ومنْهُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ **وإنَّكَ لا تَظْمأُ فيها ولا تَضْحى** ﴾[1]، أي: ولا تَبْرُزُ للشَّمْسِ، و«المَتْنَيْنِ»: جانبا ظَهْرِها[2]، وهو ما اكْتَنَفَ صُلْبَها مِن يَمينٍ وشِمالٍ[3] مِنْ لَحْمٍ وعَصَبٍ[4].

وقَوْلُهُ: «مَهْزولُ»، أيْ[5]: ما يُؤَثِّرُ فيه طِلْحٌ مَهْزولٌ[6].

ومَعْنَى البَيْتِ: أَنَّ هذه النَّاقَةَ في غايَةِ الصَّلابةِ لِسِمَنِها وضَخامَتِها، بِحَيْثُ إنَّ القُرادَ لا يُؤَثِّرُ في جِلْدِها، وذلكَ أنَّه إنْ فَسَّرْتَ الأَطُومَ الذي جَعَلَ جِلْدَها منْهُ، بالزَّرافَةِ أَوْ السُّلْحَفاةِ البحرية أو السَّمَكَةِ[7] الغَليظَةِ الجِلْدِ، كانَ وَصْفاً[8] بأَغْلَظِ جِلْدٍ وأَصْلَبِه، وإنْ شَرَحْناهُ[9] بالحُصُونِ المَبْنِيَّةِ بالحِجارَةِ، كانَ أَبْلَغَ في الصَّلابَةِ[10]، ثُمَّ أَكَّدَ ذلكَ مِنْ ثَلاثَةِ أَوْجُهٍ:

الأَوَّلُ: أَنَّه جَعَلَ ظَهْرَها في هذه الحَالَةِ بارزاً للشَّمْسِ، وَهُوَ المُرادُ «بالضَّاحِيَةِ» على ما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. المَعْنَى فيه أَنَّ القَرادَ في الشَّمْسِ تَقْوَى هِمَّتُهُ، وتَهيجُ حَرَكَتُهُ واشْتِدادُهُ على امتِصاصِ[11] الدَّمِ، بخِلافِ حَالَةِ البَرْدِ، فَإنَّهُ تَضْعُفُ قُوَّتُهُ، فإذا عَجزَ عَنِ التَّأْثيرِ فيها في

(١) سورة طه : آية رقم ١١٩.

(٢) في ب: «ظهرهما».

– في ض: «جانبيه ظهرهما».

(٣) كذا في ظ، ل، وفي بقية النسخ «من اليمين والشمال» وأشير إلى ذلك في هامش ل (نسخة).

(٤) في شرح ابن هشام: «المتنين : يريد به متني ظهرها، أي: ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال من عصب ولحم» (ص١٤٢).

(٥) «أي» ساقطة من الأصل.

(٦) في شرح ابن هشام: «مهزول: صفة لطلح».

(٧) في ظ، ل: «السلحفاة البحرية والسمكة».

(٨) في ظ، ل: «كان وصفها».

(٩) كذا في الأصل: «وإن شرحناه»، وفي بقية النسخ «وإن فسرناه».

(١٠) هو قول عبداللطيف البغدادي في شرحه: «شبه جلدها بالحصون لقوته»، (ص١٢٤).

– قال ابن هشام: «وجزم عبداللطيف بأن الأطوم في البيت بضمتين.. ولا خفاء بما في تشبيه الجلد بالحصون من البعد، ومما يزيده بعداً أنه قال من أطوم، ولم يقل شبه أطوم، ولا يحسن أن يقال جلدها من حصن أو قصر» (ص١٤٠).

(١١) في ب: «امتغاص».

حالَةَ بُرُوزِها[1] لِلشَّمْسِ، فَلأَنْ يَضْعُفَ[2] في البَرْدِ أَوْلَى.

الوَجْهُ الثَّاني[3]: لا يَسْتَطيعُ التَّأْثيرَ في جِلْدِها مَعَ شِدَّةِ الجُوعِ الذي هو فيه[4]، [لأَنَّهُ يَكُونُ][5] أَشَدَّ انْهِماكاً على امْتِصاصِ الدَّمِ، وأَكْثَرَ وُلُوعاً [بِهِ][6]. واللَّهُ أَعْلَمُ بالصَّوابِ[7].

---

(١) في هامش: «صوابه عدم بروزه».

(٢) كذا «فلأ يضعف» في ظ، ك، ب، ص، وفي ل: «فلانه» وفي هامشها: نسخة (فلان يضعف).

(٣) زاد في الأصل: «وفي الوجه الثاني».

(٤) في ب، ك «فيها».

(٥) ما بين المعكوفتين زيادة يستقيم بها السياق والمعنى.

(٦) ما بين المعكوفتين زيادة يستقيم بها السياق والمعنى.

(٧) سقط «الوجه الثالث» من النسخ أيضاً.



البَيْتُ العِشْرونَ

حَرْفٌ أَخُوهــا أَبُوها مِنْ مُهجَّنَةٍ وعَمُّهـا خالُها قَوْداءُ شِمْليـلُ(١)

قَوْلُه: «حَرْفٌ»، أَيْ: تلْكَ النَّاقَةُ حَرْفٌ، والمُرادُ بالحَرْف هُنا حَرْفُ الجَبَلِ، وهوَ القطْعَةُ الخارجَةُ عَنْهُ، شَبَّهها به لقُوَّتها، وأَنَّها لا تَتَأَثَّرُ بما يَأْتي عَلَيْها(٢)، كما أَنَّ حَرْفَ الجَبَلِ لا يَتَأَثَّرُ بما(٣) يَأْتي عَلَيْه لصَلابَته، إِذْ يَتَصَدَّعُ(٤) ما حَوْلَهُ ويَتَساقَطُ، لطُول الزَّمَن وحَرارَة الشَّمْسِ وإِجْحاف السَّيْلِ(٥)، ولا يَبْقَى فيه إِلا أَصْلَبُ الحَجَر وأَشَدُّهُ، ولا يَجوزُ أَنْ يُرادَ بالحَرْف في كَلامه حَرْفُ الكتابَة، إِشارةً إِلى رِقَّتها وضُمورها؛ لأَنَّ ذلكَ يُنافي ما تَقَدَّمَ مِنْ وَصْفها بعظَم الخِلْقَة، وسَعَة الجَنْب وغَيْر ذلكَ(٦).

وقَوْلُهُ: «أَخُوها أَبُوها» يَحْتَملُ مَعْنَيَيْنِ؛ الأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ أَخوها(٧) يُشْبهُ أَباها في الكَرَم، فَتكونُ مَوصوفةً بِكَرَمِ النَّسَب، وجَوْدَة الأَصْلِ(٨)، الثَّاني: أَنْ يُريدَ أَخاها

---

(١) كذا وقع هذا البيت في ترتيب روايته بعد قوله «وجلدها من أطوم...» مع اختلاف في رقمه (٢٠) أو (٢١)، فقد جاء العشرون في ترتيبه في رواية التبريزي هو الحادي والعشرون في رواية السبكي (طبقات الشافعية ١/٢٣٧) وعبد اللطيف البغدادي (ص١٢٥) وابن هشام في السيرة (٤/١٣٥٩) والسهيلي (٤/١٥٩) ورواه السكري ثامن عشر (ص١١) وكذلك ابن الأنباري (ص١٠١) وابن سيد الناس (٢/٢٨٢) ورواه القرشي تاسع عشر (٢/٧٩٢)، أما الحاكم فرواه برقم اثنين وعشرين بعد قوله «تخذى على يسرات..» (ج٣/٥٨١)، وقد رواه ابن بشران رقم (٢١) بعد قوله «تخدي على يسرات» أيضاً. (انظر ص٨٠).

- سقط هذا البيت من رواية نفطويه (حاشية على شرح بانت سعاد ٢/٤٦٥).

(٢) في ض: «يأتي عليه».

(٣) في ض: «لا يتأثر لما».

(٤) في الأصل: «ينصدع».

(٥) اجحاف السيل: ما يجترفه بمائه ويقشره، يقال سيل جحاف: يجرف كل شئ ويذهب به (اللسان مادة جحف ١٠/٣٦٤).

(٦) يقصد السيوطي بهذا الرد على قول ابن هشام: «قوله حرف محتمل لمعنيين: إرادة حرف الجبل... وإرادة حرف الخط، أي أنها مثله في الرقة والضمور» (ص١٤٣) وهو قول التبريزي أيضاً في قوله: «الحرف: الناقة، شبهوها بالحرف من حروف الكتابة لدقتها وضمرها» (ص٢١).

(٧) كذا «أخوها» في ب، ض، وفي بقية النسخ، (ظ، ل، ك) «أخاها» وهو لحن من الناسخ.

(٨) في الأصل: «وجودة الأصول».

أباها حقيقةً، ويكونُ المعنى أنَّها من إبلٍ كرامٍ يَحْمِلُ بَعْضُها على بَعْضٍ[1] لحفْظ أُصولها، وتَصْويرُهُ ظاهرٌ، وهو أنْ يَضْرِبَ فَحْلٌ أُمَّهُ فتَأْتِي بناقةٍ، فَيَكونُ ذلكَ البَعيرُ أباها[2] وهو أَخُوها لأُمِّها[3].

وقَوْلُهُ: «منْ مُهَجَّنَةٍ»، أيْ: تلْكَ النَّاقَةُ[4] مُولَّدةٌ منْ ناقَةٍ مُهجَنَّةٍ أَوْ منْ نياقٍ مُهَجَّنَةٍ، بِضَمِّ الميمِ وفَتْحِ الهاءِ وتَشْديْدِ الجيمِ المَفْتوحَةِ وفَتْحِ النُّونِ: الكَريمَةِ الأَبَوَيْنِ من الإبِلِ، وهو ممَّا يُتَمَدحُ[5] به هَا هُنا، وأَصْلُ المُهَجَّنَة: عظَمُ الخَلْقِ[6] وغلَظُ العُنُقِ، والهَجينُ منَ الخَيْلِ ما كانَ أبوهُ عَرَبيّاً وأُمُّهُ عَجَميَّةً[7]، وهو عَيْبٌ ونَقْصٌ في الخَيْلِ.

وقَوْلُهُ: «وعَمُّها خَالُها» يَحْتَمِلُ أَيْضاً وَجْهَيْنِ[8]:

الوَجْهُ الأَوَّلُ[9]: أَنَّ عَمَّها يُشْبِهُ خَالَها في الكَرَمِ.

الوَجْهُ الثَّاني: أَنَّ[10] عَمَّها هُوَ خالُها حَقيقَةً، وصُورَتُهُ[11] أَنْ يَضْرِبَ أَبو أَبيها أُمَّ أُمِّها فَتَأْتِي ببَعيرٍ، فَذلكَ البَعيرُ عَمُّها؛ لأَنَّهُ أَخو أَبيها لأَبيه، وخَالُها لأَنَّهُ أَخو أُمِّها لأُمِّه. ويُمْكنُ أَنْ يُصَوَّرَ بصُورَةٍ أُخرى؛ وَهيَ: أَنَّ أَخاها منْ أَبيها ضَرَبَ أُخْتَها منْ أُمِّها فَأَتَتْ ببَعيرٍ، فَيكونُ ذلكَ البَعيرُ عَمَّها؛ لأَنَّهُ أَخو أَبيها لأَبيه، وخَالَها؛ لأَنَّه أَخو أُمِّها

---

(١) «بعضها على بعض» ساقط من الأصل.

(٢) في ظ، ك: «أبوها» وذكر ذلك (نسخة) في هامش ل. وهو لحن من الناسخ.

(٣) يتجه السيوطي في هذا الشرح اتجاه ابن هشام في شرحه الذي نقله من أبي علي الفارسي. (انظر ص١٤٣).

(٤) «الناقة» ساقطة من ل.

(٥) في الأصل: «يمدح» وفي ض: «يمتدح».

(٦) في ض: «عظم الخلقة».

(٧) في ك، ب: «وأمه أعجمية».

(٨) زاد في الأصل: «يحتمل وجهين من الوجه الأول».

(٩) زاد في الأصل: «من الوجه الأول».

– «الوجه» ساقطة من ب، ض.

(١٠) «أن» ساقطة من ك، ب، ض.

(١١) في ك، ب، ض: «وصورتها».

/ لأُمِّه، عَلى أَنَّ مثْلَ هاتَيْنِ الصُّورَتَيْنِ تَتَأَتَّى في الآدَميِّينَ في الأَنْكِحَةِ الشَّرْعِيَّة . (١٥٥أ)

أَمَّا تَصَوُّرُ أَنْ يَكونَ أَخُوها أَبَاها(١) وعَمُّها خَالَها في صُورَةٍ واحِدَة، وهو أَنْ يَضْرِبَ فَحْلٌ بِنْتَهُ فَتَأْتي بِبَعِيرٍ، فَيَضْرِبُها أَحَدُهما فَتَأْتي بناقَة، فَأَبُوها(٢) أَحَدُ البَعِيرَيْن، وهو أَخُوها لأُمِّها، وعَمُّها البَعِيرُ الثَّاني؛ لأَنَّه أَخو أَبيها لأَبيه وأُمِّه(٣)، وخالُها؛ لأَنَّه أَخو أُمِّها لأَبيه.

وقَوْلُهُ: «قَوْدَاءُ» بالمَدِّ، وهو بِفَتْحِ القَاف وإِسْكان الواو وبالدَّال المُهْمَلة: الطَّويلَةُ الظَّهْرِ والعُنُق، وقَوْلُهُ: «شِمْلِيلُ» بِشِيْنٍ مُعْجَمَةٍ مَكْسُورةٍ ومِيْمٍ ساكِنَةٍ ولامٍ مَكْسُورَةٍ بَعْدَها ياءٌ ولامٌ: الخَفِيفَةُ السَّرِيعَةُ.

ومَعْنى البَيْت(٤): أَنَّ هذه النَّاقَةَ مَعَ كَرَمِ أَصْلِها خالِصَةُ النَّسَب، لم يَشُبْها شائِبَةٌ(٥) في نَسَبِها، ولا نَزَعها عِرْقٌ في كَرَمِها، وذلكَ أَنَّهُ جَعَلَ علامَتَها في النَّسَبِ في الأُبُوَّة والأُمومَة والأُخُوَّة راجِعاً(٦) إِلى أَصْلٍ واحِدٍ، لم يُخالِطْهُ(٧) غَيْرُهُ مِنْ إِبِلٍ أُخْرى، يُوشِكُ أَنْ تَكونَ غَيْرَ حَسَنَة(٨).

واعْلَمْ أَنَّهُ قد صَدَّرَ البَيْتُ بِقَوْلِه: «حَرْفٌ»، وقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ المُرادَ بالحَرْف؛ الصُّلْبَةُ القَوِيَّةُ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ تَداخُلِ نَسَبِها، إِشارةً إِلى أَنَّ مثْلَ ذلكَ يُؤَثِّرُ في الإِبلِ القُوَّةَ(٩)؛ لِرجُوعِها إِلى نَسَبٍ مُحَقَّقٍ فيه ذلكَ، إِلاّ أَنَّ مثلَ ذلكَ إذا وَقَعَ في الآدَميِّينَ أَثَّرَ الضَّعْفَ ونَحافَةَ البدَنِ، وقَدْ رُوِيَ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «لا تَناكَحوا القَرابَةَ القَرِيبَةَ، فَإِنَّ الوَلَدَ

---

(١) في النسخ جميعاً: «أن يكون أخوها أبوها» وهو لحن من الناسخ.

(٢) في ب، ض: «وأبوها».

(٣) في ب، ض: «وأمها».

(٤) الواو من «ومعنى» ساقطة من ل.

(٥) في ل: «لم تشنها سانية» وذكرت رواية: «لم يشبها شائبة» في الهامش (نسخة).

(٦) في النسخ جميعاً «راجع» وهو لحن من النساخ.

(٧) في ب، ض: «لم يخالطها».

(٨) كذا «غير حسنه» في ب، وفي ض: «غير حسنية»، وفي الأصل: «غير جنسه» وفي ك: «غير حسيبة» وفي الأصل «غير جنسه».

(٩) «القوة» ساقطة من ب، ض.

يُخْلَقُ ضَاوِياً[١]» والضَّاوي: الشَّديدُ النَّحافَة.

والمَعْنَى فيه أنَّ الشَّهْوةَ إنَّما تَثورُ بقُوَّة الإحْساسِ بالنَّظَرِ واللَّمْسِ، وإنَّما يَقْوى الإحْساسُ بالأمْرِ الجَديد الغَريب[٢]، أما المَعْهودُ الذي دامَ النَّظَرُ إليه مُدَّةً، فإنَّهُ يُضْعفُ الحسَّ[٣] عنْدَ تَمَام[٤] إدْراكه والتَّأثُّر به، فلا تَثُورُ الشَّهْوَةُ. وهذا المَعْنَى[٥] مَفْقودٌ في الإبِلِ، فإنَّها مُجَرَّدُ شَهْوَة[٦] منْ غَيْرِ عَقْلٍ، فَكانَتْ شَهْوَتُها في الغَريبِ وغَيْرِه على حَدٍّ واحدٍ، وإنّما يُعْتَبَرُ فيها بقُوَّة الفَحْلِ وأَصَالَته.

ثُمَّ أنَّهُ لَمَّا أثْبَتَ للنَّاقَة كَرَمَ الأَصْلِ بقَوْله: «منْ مُهَجَّنَة»، وخُلُوصِ النَّسَب بقَوْله: «أخوها أبُوها وعَمُّها خالُها»، رَتَّبَ لَهَا[٧] ذلكَ على صِفَتَيْنِ منْ صِفَات كَرائِم الإبِلِ:

الصِّفَةُ الأُولى: طُولُ الظَّهْرِ والعُنُق وَهْوَ المَعْنيُّ بقَوْله: «قَوْداءُ» على ما تَقَدَّمَ شَرْحُهُ[٨]، وَهْوَ منْ أَوْصاف الإبِلِ التي يُتَمَدَّحُ[٩] بهَا.

الصِّفَةُ الثَّانيَةُ: الخِفَّةُ والسُّرْعَةُ وهو المُرادُ بقَوْله: «شِمْليلُ»، وهوَ منْ أجْمَلِ الأَوْصاف[١٠] الَّتي فيْها.

فإنْ قيلَ: قَدْ ذُكرَ وَصْفُ الخفَّة والسُّرْعَة بقَوْله: «النَّجيبَاتُ المَراسيلُ» على ما تَقَدَّمَ، ثُمَّ أعادَهُ هُنا وَوَصَفَهُ بطُول العُنُق بقَوْله: «قَوْداءُ». الجوابُ: أنَّ ذكْرَ السُّرْعَة أوّلاً

---

(١) قال الإمام ابن الصلاح : لم أجد له أصلاً معتمداً. وقد وقع في غريب الحديث لابن قتيبة (٢/٣٥٥) بلفظ «اغتربوا ولا تضووا» وفسره نحواً مما عند المؤلف، وانظر التلخيص الجيد (٣/٦٤١).

(٢) في ب، ض: «وإنما يقوى الإحساس بالنظر للأمر الجديد الغريب».

(٣) في ك، ب، ض: «الحسن».

(٤) في ل، ض: «عن تمام».

(٥) «المعنى» ساقطة من ض.

(٦) في ظ، ل: «مجردة شهوة».

(٧) «لها» ساقطة من ب، ض.

(٨) كذا «شرحه» في الأصل، وفي بقية النسخ «تفسيره».

(٩) في الأصل: «يمتدح بها».

(١٠) كذا «أجمل الأوصاف» في ل أيضاً، وفي بقية النسخ «أحمد الأوصاف» وذكر هذا في هامش ل (نسخة).

راجعٌ إلى الوَصْفِ العامِّ في الإبلِ، حَيْثُ قالَ:

أَمْسَتْ سعادٌ بأَرْضٍ لا يُبَلِّغها إلا العتـــــــاقُ ... البيت

وذَكَرَهُ هُنا مَقْصوراً[1] على هذه النَّاقَة المَخْصُوصَة، وكَيْفَ ما كانَ، فالخِفَّةُ والسُّرْعَةُ هيَ المَطْلوبَةُ في النَّاقَة لهذه الحالَة، إذ الغَرَضُ سُرْعَةٌ[2]، تَوَصُّله إلى مَحْبوبَته مَعَ بُعْد مَسَافَة ما بَيْنَهُ وبَيْنَها، وأَمَّا وَصْفُ طُول العُنُق فإنَّهُ في قَوْله: «قُدَّامُها مِيلُ»، جَعَلَهُ وَصْفاً مُسْتَقلاً بهذا المَعْنَى، في قَوْله: «قَوْداءُ»، أَرادَ به[3] طولَ الظَّهْرِ، وطُوْلُ العُنُق جافيَتُهُ[4].

---

(١) في ل: «وذكره هنا مقصوده» وبهامشها «في نسخة مقصوراً على هذه».

(٢) في ب: «بسرعة».

(٣) في هامش ل: «نسخة أريد به».

(٤) كذا «جافيته» في ك، ل، وفي الأصل «جافية» وفي ب، ض: «حافيته».

-- جافيته: بعيدة عنه.



البَيْتُ الحَادي والعشْرونَ(١)

يَمْشِي القُرادُ عَلَيْها ثُمَّ يُزلِقُهُ منْها لَبَانٌ وأَقْرابٌ زَهالِيلُ(٢)

قَوْلُهُ: «يَمْشِي القُرادُ عَلَيْها» أَيْ: على النَّاقَة، و«القُرادُ» بضَمِّ القَاف: إِحْدَى القِرْدان(٣)، كالغُلامِ واحدُ الغلْمان(٤)، وقَوْلُهُ: «ثُمَّ يُزْلِقُهُ منْها لَبانٌ(٥) وأَقْرابٌ»، واللَّبانُ(٦) بفَتْحِ اللَّامِ: قيلَ هو الصَّدْرُ، وقيلَ وَسَطُهُ، وقيلَ ما بَيْنَ القَدَمَيْنِ، والمُرادُ أَنَّ القُرادَ يَزْلَقُ منْ هذا المَكان. والأَقْرابُ بهَمْزَة مَفْتوحَة وقَاف سَاكنَة وراءٍ مُهْمَلَة وبَعْدَ الأَلف ياءٌ مُوَحَّدَةٌ: الخَواصرُ، كأَبْعادٍ جَمْعُ بُعْدٍ، وقَوْلُهُ: «زَهاليلُ» والزَّهاليْلُ بفَتْحِ الزَّاي(٧): المُلْسُ.

ومَعْنى البَيْت: أَنَّ جِلْدَ هَذه النَّاقَة في غايَة المَلاسَة لسمَنها، بحَيْثُ إِنَّ القُرادَ لا يَثْبُتُ عَلَيْها، بَلْ إِذا وَقَعَ على جَسَدها زَلَقَ وسَقَطَ عَنْهُ، وَذَلكَ مما يُسْتَحْسَنُ في أَوْصاف الإِبل.

وهذا البَيْتُ في الحَقيقَة مُؤَكِّدٌ لقَوْله: «وجِلْدُها منْ أَطُوم .. البيت» المُتَقَدِّمُ. قَالَ ابنُ هشام: «ولو ذَكَرَهُ إِلى جانبه كانَ أَوْلَى(٨)»، وذلكَ أَنَّهُ في ذلكَ البَيْت وَصَفَ جلْدَها

---

(١) في ك: «البيت الحادي والعشرين» وهو لحن من الناسخ.

(٢) قال التبريزي: «ويروى (إذا القُرادُ نَمَى فيهنَّ أزلَقه) يصفها بالسمن والملاسة، إذا دبَّ القراد عليها لا يثبت عليها لملاستها، وقوله: نمى، أي: ارتفع...» (ص٢٣).
– روى أبو بكر بن الأنباري: «ثم يزلقه عنها» (ص١٠٢) وهي رواية عبد اللطيف البغدادي (ص١٢٧) والقرشي (٢/٧٩٣)، وفي رواية بقية الرواة «منها».
– وقع هذا البيت في ترتيب روايته تاسع عشر في رواية ابن الأنباري وابن سيد الناس (٢/٢٨٢) وفي رواية ابن بشران خامس عشر وفي رواية الحاكم سادس عشر (٣/٥٨١) وهو العشرون في رواية ابن هشام في السيرة (٤/١٣٥٩) والحادي والعشرون في رواية بقية الرواة.
– روى ابن بشران: «يحذو القراد».

(٣) كذا في الأصل: «إحدى القردان» على تانيث القراد، وفي بقية النسخ «أحد القردان». قال ابن منظور: «والقراد معروف، واحد القردان، والقُراد: دويبة تعض الإبل» (لسان العرب مادة قرد ج٤/٣٤٧).

(٤) كذا «واحد الغلمان» في ظ، ل، ك، وفي ب، ض: «أحد الغلمان» وذكر ذلك في هامش ل (نسخة).

(٥) في ب، ض: «لباب».

(٦) في ب، ض: «واللباب».

(٧) في ك: «وقوله زهاليل لبان وأقراب، والجمع زهاليل، والزهاليل بفتح الزاي».

(٨) في شرح ابن هشام: «وهذا تأكيد لقوله وجلدها من أطوم» البيت، فلو ذكره إلى جانبه لكان أليق. (ص١٤٦).

بالصَّلابَة، بحَيْثُ إنَّ الطِّلْحَ الذي هو القُرادُ لا يُؤَثِّرُ فيه لصَلابَتِه، وهذا قَدْرٌ زائدٌ على ذلكَ، وهو مَلاسَةُ جِلْدِها، بحَيْثُ إنَّ القُرادَ يَزْلَقُ مِنْ عَلَيْه.

فإنْ قِيلَ: لِمَ خَصَّ الصَّدْرَ والخواصرَ بإِزْلاقِ القُراد دُونَ غَيْرِها منْ سائرِ بَدَنها؟.

الجَوابُ: أَنَّ هذيْنِ المَوْضِعَيْنِ أَحْسَنُ ما يَكونُ في النَّاقَة لمُلامَسَتِها[1] الأَرْضَ إذا بَرَكَتْ، فإذا كانَ القُرادُ يَزْلَقُ[2] عَنْها لمَلاستِها[3]؛ فَلأَنْ يَزْلَقُ عَنْ غَيْرِها منْ باب أَوْلى، فَإِنْ قِيلَ: عَطَفَ قَوْلَهُ «يُزْلِقُهُ» بثُمَّ، وَهيَ للتَّراخي، لأَنَّكَ إذا[4] قُلْتَ جاءَ زَيْدٌ ثُمَّ عَمْرو، كانَ يَقْتَضي ذلكَ أَنَّ بَيْنَ مَجيئهما زَمَنُ مُهْلَة، فَإِنْ كانَ كذلكَ، فَمُقْتَضى قَوْله: «يَمْشي[5] القُرادُ عَلَيْها ثُمَّ يُزْلِقُهُ مِنْها[6] لَبَانٌ» ... إلى آخره؛ أَنَّ القُرادَ لا يُزْلَقُ عَنْها بسُرْعَة، بل يَبْقى[7] زمَاناً.

الجَوابُ: أَنَّ ثُمَّ قَدْ تَقَعُ في كَلامِ العَرَبِ لِغَيْرِ الإِمْهال كَمَا في قَوْلِ الشَّاعِر[8]:

كَهَزِّ الرُّدَيْنِـيِّ تَحْتَ العَجَـــاجِ ... جَرَى في الأَنابيْبِ ثُمَّ اضطَرَبْ[9]

إِذْ لَيْسَ المُرادُ تَأَخُّرَ اضطراب الرُّمْحِ عَنْ زَمَنِ جَرَيان هذه الأَنابيْب، فَكذلكَ لا يُرادُ هُنَا تَطاولُ زَمَنِ مَشْي القُرادِ عَلَيْها، وتَراخِي الإِزْلاقِ عَنْها.، واللهُ أَعْلَمُ بالصَّواب[10].

---

(١) في ب: «لملامستهما» و ذكر هذا في هامش ل على أنه في (نسخة).

(٢) «يزلق» ساقطة من ض.

(٣) في ل: «لملامستها» وفي هامشها نسخة «لملاستها».

(٤) في ظ، ل: «إن» وفي هامش ل: نسخة إذا قلت.

(٥) في ض: «تمشي».

(٦) في الأصل: «منه».

(٧) في ب، ض: «بل تبقى».

(٨) البيت: من بحر المتقارب وهو الثامن من قصيدة في وصف الفرس.

- قائله: أبودؤاد الإيادي، وهو جارية أو جويرية بن الحجاج، وقال الأصمعي: هو حنظلة بن الشرقي، منسوب إلى إياد بن نزار بن معد، شاعر جاهلي، قال عنه أبوعبيدة: أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام. (الشعر والشعراء ص١٢٠-١٢١ وحاشية على بانت سعاد ج٢/٤٨٣ معجم الشعراء ص١١٥).

(٩) في ك ،ب: «كفر الرديني».

- البيت من شواهد ابن هشام في أن ثم توضع موضع الفاء وإن كانت للترتيب والتراخي. (مغني اللبيب ج١/١١٩ ومنار السالك إلى أوضح المسالك ٢/٩٨).

(١٠) كذا «والله أعلم بالصواب» وفي ب، ض: «والله أعلم».

البَيْتُ الثَّاني والعِشْرونَ[١]

عَيْرانَةٌ قُذفَتْ بالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ   مِرْفَقُها عن بَنَاتِ الزُّورِ مَفْتولُ[٢]

قَوْلُه: «عَيْرانَةٌ» أيْ: تلْكَ النَّاقَةُ عَيْرانَةٌ، والعَيْرانَةُ[٣] بالعَيْنِ المُهْمَلَةِ وإِسْكانِ الياءِ وبَعْدَ الأَلفِ نُونٌ ثُمَّ هاءُ التَّأْنيثِ: المُشْبِهَةُ في صَلابَتِها عَيْرَ الوَحْشِ[٤]، وهو حِمارُهُ، وقَوْلُهُ: «قُذِفَتْ بالنَّحْضِ» أَي: رُمِيَتْ به، ومِنْهُ[٥] قَوْلُهُ تَعالى: ﴿**ويُقْذَفونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ دُحورا**﴾[٦] ويُرْوَى: «قُذِّفَتْ» بتَشْديدِ الذَّالِ للْمُبالَغَةِ[٧]، والنَّحْضُ بفَتْحِ النُّونِ وإسْكانِ الحاءِ المُهْمَلَةِ وبالضَّادِ المُعْجَمَةِ: اللَّحمُ[٨].

وَقَوْلُهُ: «عَنْ عُرُضٍ»، أَيْ: جانِبٍ، والعُرُضُ بضَمِّ العَيْنِ والرَّاءِ[٩] وبالضَّادِ:

---

(١) في ك: «البيت الثاني والعشرين» وهو لحن من الناسخ.

(٢) في رواية السكري «قذفت اللحم» (ص١٢) وفي رواية القرشي: «باللحم» (٢/٧٩٢)، وذكرها ابن هشام في شرحه (ص١٤٩) وسيشير إليها المصنف أيضاً.
– روى ابن منظور صدر البيت شاهداً على أن قذفت بالنحض أي: رميت (اللسان مادة نحض ٩/١٠٣).
– قال ابن السكيت: «النحيض من الأضداد، يكون الكثير اللحم ويكون القليل اللحم» (اللسان مادة نحض).
– كذا وقع هذا البيت في ترتيب روايته ثانياً وعشرين في رواية التبريزي (ص٢٢) والسبكي (١/٢٣٨) والبغدادي (١٢٨) وابن هشام الأنصاري (١٤٩) ورواه ابن هشام في السيرة ثالثاً وعشرين وكذلك رواه السهيلي (٤/١٥٩)، وهو العشرون في ترتيب روايته عند السكري (ص١٢) وابن الأنباري (١٠٢) والقرشي (٢/٧٩٢)، وابن سيد الناس (٢/٢٨٢) وهو السابع عشر في رواية الحاكم (٣/٥٨١) والسادس عشر في رواية ابن بشران (ص٨٠).

(٣) في ك: «والعيران».

(٤) في شرح ابن هشام «المشبهه من صلابتها» (ص٩٤١).
– قال ابن منظور «عيرانه: هي الناقة الصلبة تشبيهاً بعير الوحش، والألف والنون زائدتان» (اللسان مادة عر ج٦/٢٠١-٢٠٢).

(٥) «منه» ساقطة من الأصل.

(٦) زاد في الأصل: «ويقذفون بالغيب» وهو تحريف.
– سورة الصافات: آية رقم ٨-٩.
– تمام الآيتين: ﴿**لا يسَّمَّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب* دحوراً ولهم عذاب واصب**﴾.

(٧) في شرح ابن هشام: «ويروى قذفت بالتشديد للتكثير». (ص١٤٩) والسيوطي عنه يأخذ.

(٨) في الأصل: «اللجم» بجيم معجمة.

(٩) زاد في ض: «بضم العين والراء المهملتين».

الجانبُ والنَّاحيَةُ، والمُرادُ أنَّها رُميَتْ باللَّحْمِ منْ جوانبِها ونَواحِيْهَا منْ شدَّة السِّمَنِ[1].

وَقَوْلُه: «مِرْفَقُها عن بَنَات الزُّور مَفْتُولُ» عَنْ بَنات زَوْرِها، والمِرْفَقُ بكَسْر الميمِ وفَتْحِ الفاءِ: مَعْروفٌ[2]، وهو ممّا قامَ فيه المُفْرَدُ[3] مَقَامَ المُثَنَّى؛ لأنَّ لها في الحَقيقَة مِرْفَقان، والبَناتُ: جَمْعُ بِنْتٍ، والمُرادُ هُنَا ما حَوْلَ الزَّوْرِ وما يَتَّصِلُ به منَ الأَضْلاعِ، والزَّوْرُ: قيلَ جَميعُ الصَّدْرِ[4]، وَقيلَ وَسَطُهُ[5]، وقيلَ أَعْلاهُ[6]، والمَفْتولُ: المُتَجَافي، والمُرادُ أنَّ مِرْفَقَها جافٍ عَنْ صَدْرِها.

ومَعْنى البَيْت: أنَّ هذه النَّاقةَ تَشْتَمِلُ على ثَلاث صِفاتٍ تَكونُ في الإِبِلِ المَحْمُودَة[7]: **الصِّفَةُ الأُولَى**: شِدَّةُ الصَّلابَة بحَيْثُ إنَّها تُشابهُ حِمارَ الوَحْشِ في قُوَّتِها وصَلابَتِها، وذلكَ أنَّ حِمارَ الوَحْشِ منْ أَشَدِّ الحيوانات قُوَّةً، وأَصْلَبِها جَسَداً، وَقَدْ تَكَرَّرَ لَهُ وَصْفُ الصَّلابَة في النَّاقَة في غَيْرِ مَوْضِعٍ، إلاّ أنَّهُ بأَلْفاظٍ مُخْتَلفَة، فَحَسُنَ التَّكْرارُ في مَوْقعها، وقَدْ يُريدُ بذلكَ التَّأْكيدَ، فَإِنَّ هذا الوَصْفَ هو المَقْصَدُ الأَعْظَمُ منَ الإِبِلِ على ما تَقَدَّم ذِكْرُهُ قَبْلَ ذلكَ.

الصِّفَةُ الثَّانيَةُ: السِّمَنُ، وهو المَعْنيُّ بقَوْله: «قُذفَتْ بالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ» على ما تَقَدَّمَ شَرْحُهُ[8]، وقَدْ تَكَرَّرَ لَهُ هذا الوَصْفُ أَيْضاً بأَلفاظٍ مُخْتَلفَة، والمَعْنَى بتَكْرارِه: أنَّه قَدْ وَصَفَها بالسُّرْعَة والخِفَّة وَجَهْد نَفْسِها في السَّيْر، فإذا كانَتْ خَفيْفَةً في السِّمَنِ،

---

(١) في الأصل: «من كثرة الشمس».

(٢) المِرْفق والمَرْفق: موصل الذراع بالعضد، (اللسان مادة رفق ١١/٤٠٩).

(٣) زاد في الأصل: «وهو مما قام فيه المفرد أيضاً».

(٤) في شرح التبريزي: «والزور: الصدر» (ص٢٣).

(٥) في ظ، ل: «أوسطه».
- هو قول عبد اللطيف البغدادي: (انظر شرح ابن هشام ص١٤٩).
- «قيل وسطه» ساقطة من ض.

(٦) هو قول الجوهري: «والزور أعلى الصدر، ويستحب في الفرس أن يكون في زوره ضيق وأن يكون رحب اللبان» (الصحاح مادة زور م٢/٦٧٣).

(٧) كذا في ظ، ل، وفي بقية النسخ: «محمودة» وذكرت هذه الرواية بهامش ل (نسخة).

(٨) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ «تفسيره».

وسِمَنُها لا يَتأَثَّرُ[1] ولا يَنْقُصُ مَعَ طُولِ السَّيْرِ وقُوَّتِه، كانَتْ في غايَةِ التَّعاسَةِ، التي تَكونُ خارِقةً للْعادَةِ.

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ[2]: تَجافي مِرْفَقَيْها[3] عَمّا حَوْلَ زَوْرِها، وهو المَعْنيُّ بقَوْلِه: «مِرْفَقُها عَنْ بَناتِ الزَّوْرِ مَفْتولُ»، والمَعْنَى فيه: أَنَّهُ إذا كانَ مِرْفَقُها[4] مُتَجافياً[5] عَنْ صَدْرِها، لا يُصيبُها ضاغِطٌ ولا حَازٌّ[6]، فيكونُ أَسْلَمَ لَها[7] في السَّيْرِ، وأَبْعَدَ لَها في العَطَبِ، والمَفْتولُ: المُدْمَجُ المُحْكَمُ[8].

---

(١) في الأصل: «لاثيار».

(٢) في الأصل: «الصفة الثانية».

(٣) في ب: «مرفقها».

(٤) كذا «مرفقها» في ب، ض، وفي ظ، ل: «مرفقيها».

(٥) في ل: «متجافيان».

(٦) في شرح ابن هشام: «أي أن مرفقها جاف عن صدرها فهي لا يصيبها ضاغط ولا حاز». (ص١٤٩).

(٧) قوله: «مرفقها متجافياً ... أسلم لها» ساقط من ك.

(٨) قوله: «والمفتول: المدمج المحكم» من شرح ابن هشام (ص١٤٩).

- زاد في ض: «والله أعلم».



البَيْتُ الثَّالِثُ والعِشْرونَ(١)

كَأَنَّمـــا فاتَ عَيْنَيْهَـــا ومَذْبَحَهـــا مِنْ خَطْمِها ومِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ(٢)

«ما» في «كَأَنَّما» اسْمٌ بِمَعْنَى الذي، مَوْضِعُهُ نَصْبٌ بكَأَنَّ، والخَبَرُ بقَوْلِه(٣): «بِرْطِيلُ»(٤)، و«فَاتَ» قالَ أبو عَمْرٍو: مَعْنَاهُ تَقَدَّمَ، وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ: الوَجْهُ كُلُّهُ فائتُ العَيْنَيْنِ إلاّ الجَبْهَةُ، وقَالَ: هو ما انْقَطَعَ مِنَ المَذْبَحِ وفاتَ العَيْنَيْنِ، و«مَذْبَحُها» مَنْصوبٌ بالعَطْفِ على عَيْنَيْها(٥)، والمَذْبَحُ والمَنْحَرُ: واحدٌ(٦)، «والخَطْمُ» قالَ أبو عُبَيْدَةَ(٧): الأَنْفُ، وَرُدَّ عَلَيْه ذلكَ، فإنَّه لا يَخْتَصُّ بالأَنْفِ، بل هو المَوْضِعُ/ الذي يَقَعُ(٨) عَلَيْه الخطامُ، فَيَشْمَلُ الأَنْفَ وَغَيْرَهُ، ونَظِيْرُهُ تَسْمِيَتُهُمُ المَوْضِعَ الذي يَقَعُ عَلَيْه الرَّسَنُ مَرْسَناً(٩)، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ في الآدَمِيِّ كَقَوْلِ العَجَّاجِ يَصِفُ امْرأةً(١٠): (١٥٦أ)

(١) في الأصل: «الباب الثالث والعشرون». وهو تحريف
– في ك: «العشرين» وهو لحن من الناسخ.
(٢) وقع هذا البيت في ترتيب روايته سابع عشر في رواية ابن بشران (انظر ص٨٠)، وهو الثامن عشر في رواية الحاكم (٣/٥٨١) وهو الحادي والعشرون في رواية السكري (ص١٢) وابن الأنباري (ص١٠٣) والقرشي (٢/٧٩٣)، وهو الثاني والعشرون في رواية ابن سيد الناس (٢/٢٨٣) وهو الرابع والعشرون في رواية ابن هشام في السيرة (٤/١٣٥٩) والسهيلي (٤/١٥٩)، وهو الثالث والعشرون في رواية بقية الرواية.
(٣) في ب، ض: «قوله».
(٤) قوله: «ما في كأنما... برطيل» من شرح ابن هشام ص١٤٩.
(٥) في ظ، ل: «عينها» بالإفراد وهو تحريف، وفي ك، ب: «يمينها». وهو تحريف أيضاً.
(٦) قوله: «وفات» قال أبو عمرو... واحد» من شرح ابن هشام (ص١٤٩-١٥٠).
(٧) في الأصل: «أبو عبيد» وهو تحريف.
(٨) في ل: «يقطع».
(٩) «مرسناً» ساقطة من الأصل.
– في ض: «من سنا».
(١٠) في النسخ جميعاً: «ابن العجاج».
– البيتان: من بحر الرجز.
– البيتان أربعة أشطار في ديوان العجاج (٣٧-٤٠) من قصيدة عدد أشطارها (١٤٧) شطراً. (انظر ديوان العجاج ص٣٤٨-٣٩١).
– العجاج: هو عبد الله بن رؤبة، من بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم، يكنى أبا الشعثاء، وهي ابنته، والعجاج لقبه، وهو من المعمرين، ولد في الجاهلية وأدرك الصحابة، إذ لقي أبا هريرة وسمع منه أحاديث، وأدرك أواخر القرن الأول من الهجرة. (الشعر والشعراء ص٣٧٤-٣٧٥).

أَزْمانَ أَبْدَتْ واضِحاً مُفَلَّجاً أغرَّ بَرّاقا وطَرْفاً أَبْرَجا[1]

وَمُقلَةً وحاجِباً مُزَجَّجا وَفَاحِماً وَمَرْسَناً مُسَرَّجا[2]

الأَبْرَجُ: الذي بَيَاضُهُ مُحْدِقٌ بالسَّواد كُلِّه، فلا يَغيبُ[3] منْ سَواده شَيءٌ[4]، يُقالُ: امْرأةٌ بَرْجانيّةُ البَرَجِ، ورَجُلٌ أَبْرَجُ، وجَمْعُها بُرْجٌ بِوَزْنِ البُرْجِ واحِدُ البُروجِ[5]، ولم يُسْمَعْ وَصْفُ الأَنْفِ بالمُسَرَّجِ قَبْلَ العَجَّاجِ[6].

واخْتَلَفَ أَهْلُ اللُّغَةِ في مَعْناهُ على ثَلاثَةِ أَقْوالٍ، أَحَدُها[7]: كالسِّراجِ في البَريقِ، والثَّاني: أَنَّهُ مُحَسَّنٌ[8]، مِنْ قَوْلِهِمْ سَرَّجَ اللَّهُ وَجْهَهُ، أَيْ: حَسَّنَهُ، ولم يَذْكُرْ صاحِبُ المُحْكَمِ سِواهُ، والثَّالِثُ: أَنَّهُ[9] كالسَّيْفِ السُّرَيْجيِّ في الدِّقَّةِ[10] والاسْتِواءِ، وهو مَنْسُوبٌ إِلى قَيْنٍ[11] يُقالُ لَهُ[12] سُرَيْجٌ، ولم يَذْكُرِ التَّبْريزيُّ غَيْرَ هذا

---

(١) في ض: «أدمان» وهو تحريف.

- الواضح: السن، والواضحة: الأسنان التي تبدو عند الضحك، وفلج الأسنان: تباعد ما بين الثنايا والرباعيات خلقة، فإن تكلف فهو التفليج (اللسان مادة وضح، ومادة فلج).

(٢) حاجب مزجج: دقيق مطول، والزجج: رقة محط الحاجبين ودقتهما وطولهما وسبوغهما واستقواسهما، وقيل الزجج: دقة في الحاجبين مع طول. (اللسان مادة زجج ٣/١١١).

(٣) في ض: «فلا يعيب» بعين مهملة.

(٤) في الأصل: «شيئاً» وهو لحن من الناسخ.

(٥) في الأصل: «إحدى البروج».

(٦) قوله: «قال أبو عبيدة... قبل العجاج» منقول بحرفيته من شرح ابن هشام (ص١٥٠) ولكن السيوطي قدّم وأخر بعض الجمل، على أن قول أبي عبيدة وأبيات العجاج نقله ابن هشام من شرح التبريزي (ص٢٤).

(٧) في الأصل: «الأول».

(٨) كذا «محسن» في شرح ابن هشام وهو الصواب، وفي النسخ جميعاً «يحسن».

(٩) «أنه» ساقطة من الأصل.

(١٠) في النسخ جميعاً «الرقة» براء مهملة والصواب ما أثبته وهو من قول التبريزي تعليقاً وتفسيراً لقول الأصمعي «يعني أن الأنف دقيق كالسيف السريجي». (ص٢٤).

(١١) كذا «قين» في ظ، ل، وشرح التبريزي (ص٢٤) وشرح ابن هشام (ص١٥٠) وفي بقية النسخ «قبيلة» وذكرت هذه بهامش ل(نسخة).

(١٢) «لها» ساقطة من ظ، ل، وفي بقية النسخ «لها» اتساقاً مع «قبيلة».

القَوْلَ[١]، وقال الأَصْمَعِيُّ: ما كُنْتُ أَعْرِفُ المُسَرَّجَ ولا أَسْمَعُهُ[٢] إِلاَّ في بَيْتِ العَجَّاجِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ أَعرابياً فَقالَ: أَتَعْرِفُ السُّرَيْجِيَّاتِ؟ يَعْنِي السُّيوفَ، فَقُلْتُ: نَعَم، فَقالَ: ذلكَ أَرادَ». انتهى.

وَأَرْجَحُ الأَقْوالِ مِنْ حَيْثُ الصِّناعَةِ الثَّاني؛ لأَنَّ صِيغَةَ[٣] المَفْعولِ لا تُشْتَقُّ مِنْ أَسماءِ الأَعْيانِ كالسِّراجِ، وشَذَّ نَحْوَ قَوْلِهِمْ [مُدَرْهَم][٤] إلى ذلكَ[٥]، ولا مِنْ أَسْماءِ النَّسَبِ كالسُّرَيْجِيِّ، وإِنَّما تُشْتَقُّ[٦] مِنَ الفِعْلِ، وأَرْجَحُها، مِنْ حَيْثُ المَعْنَى، الأَخيرُ؛ لأَنَّهُ تَقَيُّدٌ بأَمْرٍ[٧] يَخْتَصُّ بالأَنْفِ[٨].

و«**اللَّحْيانُ**» **بفَتْحِ اللَّامِ**: العَظْمانِ اللَّذانِ يَنْبُتُ عَلَيْهِما اللِّحْيَةُ مِنَ الإِنْسانِ[٩]، ونَظيرُ ذلكَ مِنْ بَقِيَّةِ الحيواناتِ، و«البِرْطِيْلُ» بِكَسْرِ الباءِ[١٠]: مِعْوَلٌ مِنْ حَدِيْدٍ، وأَيْضاً

---

(١) قول التبريزي السابق كان تفسيراً لقول الأصمعي اللاحق «وقال الأصمعي ..» لكن السيوطي قدم وأخر تبعاً لشرح ابن هشام (انظر ص١٥٠).

(٢) كذا «ولا أسمعه» في رواية التبريزي عن الأصمعي، وفي شرح ابن هشام «ولم أسمعه».

(٣) كذا «صيغة» في شرح ابن هشام، وهو الصواب، وفي النسخ جميعاً «لأن صفة».

(٤) زيادة يقتضيها السياق، وهي من شرح ابن هشام: «وشذ نحو قولهم: مُدَرْهم».

(٥) في هامش ل بخط مغاير «قوله إلى ذلك، أي: نحو قولهم مدرهم بصيغة المفعول، حيث شذ اشتقاقه من درهم».

(٦) في ظ، ل: «وإنما يشتق» بياء تحتية.

(٧) كذا «تقيد بأمر» في نسخة ك، وفي شرح ابن هشام «تفسير بأمر».

– الكلمة غير واضحة في النسخ الأخرى ففي الأصل «يطير» من غير إعجام، وفي ب، ض: «تطير» وفي ض «ما مر» وفي ل: «تعبد».

(٨) في الأصل «يخص الانف».

(٩) كذا «من الإنسان» في شرح ابن هشام، وفي النسخ جميعاً «من الأسنان» وفي اللسان: «اللحيان: حائطا الفم، وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم من كل ذي لحي، قال ابن سيدة: يكون للإنسان والدابة» (مادة لحى ٢٠/١٠٩).

– قوله: «وأرجح الأقوال... يختص بالأنف» منقول حرفياً من شرح ابن هشام (ص١٥٠–١٥١).

(١٠) «بكسر الباء» ساقطة من ك.

حَجَرٌ مُسْتَطِيل(١). وَصَفَهَا(٢) [بِكَبَرِ الرَّأسِ وعِظَمِه](٣).

---

(١) كذا «معول من حديد، وأيضاً حجر مستطيل» في الأصل، وفي بقية النسخ: «معول من حديد أيضاً وحجر مستطيل».

– في شرح أبي البركات بن الأنباري: «وبرطيل: حجر مستطيل» (ص١٠٣) وفي شرح التبريزي «والبرطيل: حجر نحو الذراع شبه خطمها به» (ص٢٤) وفي شرح السكري: «البرطيل: واحد البراطيل، وهي حجارة إلى الطول ماهي، وقد يكون المعول» (ص١٢).

– في اللسان: «البرطيل: حجر أو حديد وحديد طويل صلب خلقة، ليس مما يطوله الناس ولا يحددونه، تنقر به الرحا، وقد يشبه به خطم النجيبة» (مادة برطل ج١٣/ ٥٣).

(٢) بقوله «وصفها» ينتهي شرح البيت في النسخ جميعاً، وفي هامش ل: «أي وصفها بكذا (   ) وعظمه».

(٣) زيادة يقتضيها السياق والمعنى، وهي من شرح ابن هشام (ص١٥١) وكتبت بحاشية ل.

– قوله: «واللحيان... وعظمه» منقول من شرح ابن هشام. (ص١٥١).

البَيْتُ الرَّابِعُ والعِشْرونَ

تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيْبِ النَّخْلِ ذا خُصَلٍ   في غارِزٍ لَـمْ تُخَوِّنْهُ الأَحاليلُ(١)

«تُمِرُّ» بِضَمِّ التَّاءِ المُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقُ، مُضارِعُ «أَمَرَّ»، مَنْقولٌ بالهَمْزَةِ مِنْ «مَرَّ»، وفاعِلُهُ ضَميرُ النَّاقَةِ، و«مِثْلَ» صِفَةُ المَحذوفِ، أيْ: ذَنَباً مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ، و«عَسِيبُ النَّخْلِ»: جَريدُهُ الذي لم يَنْبُتْ عَلَيْهِ الخُوصُ، فَإِنْ نَبَتَ(٢) يُسَمَّى سَعَفاً، وأمَّا عَسِيبٌ(٣) في قَوْلِ(٤) امْرِئِ القَيْسِ(٥):

أَجـــارَتَنا إِنَّ الخُطوبَ تَنوبُ   وإِنِّي مُقيمٌ مـا أَقـامَ عَسِيْبُ(٦)

أَجارَتَنا إِنَّـــا غَريبانِ هاهُنا   وكُـــلُّ غَريبٍ لِلْغَريبِ نَسيبُ

فَـإِنْ تَصِليْنا فالقَرابَةُ بَيْنَنـــا   وإِنْ تَهْجُرينا فالغَريبُ غَريبُ(٧)

---

(١) في ل: «من خصل» وبهامشها «ذا خصل» نسخة.

– في الأصل: «لم تخنه» وكذلك في ل، وفي هامشها: «لم تخونه» نسخة.

– قال ابن منظور: «ويروى بغارب» (اللسان مادة حلل ج١٣ / ١٨١).

– كذا «لم تُخَوِّنْهُ» بضم التاء في رواية ابن هشام في السيرة (٤ / ١٣٥٩) والتبريزي (ص٢٤) وعبد اللطيف البغدادي (ص١٢٩) وابن كثير (٤ / ٤٢٩) وابن منظور ١٣ / ١٨١) وهي «لم تَخَوَّنْهُ» بفتح التاء في رواية ابن الأنباري (ص١٠٣) وابن هشام الأنصاري (١٥١) والقرشي (٢٧٩٣) وابن سيد الناس (٢ / ٢٨٣) والروايتان بمعنى تنقصه.

– كذا وقع هذا البيت في ترتيب روايته رابعاً وعشرين في رواية التبريزي وابن هشام الأنصاري والسبكي وابن كثير، وهو الثالث والعشرون في رواية البغدادي وابن سيد الناس وهو الثاني والعشرون في رواية السكري والقرشي، وهو الخامس والعشرون في رواية ابن هشام في السيرة والسهيلي في الروض، أما الحاكم فرواه تاسع عشر، وأما ابن بشران فرواه ثامن عشر.

(٢) في جميع النسخ «لم يثبت .. فإن ثبت» وفي شرح ابن هشام: «لم ينبت .. فإن نبت» (ص١٥١)، (وانظر اللسان مادة عسب).

(٣) كذا في ض: «وأما عسيب» وكذلك شرح ابن هشام، وفي بقية النسخ: «عسيبه».

(٤) زاد في ب، ك، ض: «كما في قول».

(٥) الأبيات: من بحر الطويل.

– البيت الأول والثاني في ديوان امرئ القيس (زيادات نسخة أبي سهل) ص٣٥٧.

(٦) كذا روى ابن هشام «أجارتنا إن الخطوب تنوب» وفي رواية الديوان: «أجارتنا إن المزار قريب».

(٧) كذا وقع هذا البيت ثالثاً في ترتيب رواية ابن هشام الأنصاري، ولم يروه أبو سهل في زياداته.

فهو[1] اسْمُ[2] جَبَلٍ دُفِنَ فيهِ امرؤُ القَيْسِ .

و« ذا » صِفَةٌ ثَانِيَةٌ، أَوْ هوَ المَفْعولُ، و« مِثْلَ » حَالٌ منْهُ، وكانَتْ في الأَصْلِ صِفَةٌ لَهُ، ثُمَّ تَقَدَّمَتْ عَلَيْهِ، و« الخُصَلُ » جَمْعُ خَصْلَةٍ منَ الشَّعَرِ[3]، و« في » : بِمَعْنَى على نَفْسِها[4]، كَمَا في قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ **في جُذوعِ النَّخْلِ** ﴾[5]، وكَقَوْلِ الشَّاعِرِ[6] :

بَطَلٌ كَـــأَنَّ ثِيَابَهُ في سَرْحَـــــةٍ ... يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ[7]

و« **الغارِزُ** » : **الطَّرَفَيْنِ**[8]، **والمُرادُ**[9] **به هُنَا**[10] : الضَّرْعُ، وجَعَلَ التِّبْريزيُّ أَصْلَهُ مِنْ قَوْلِهِمْ : « غَرَزَتِ النَّاقَةُ » بالفَتحِ تَغْرُزُ بالضَّمِّ، إذا قَلَّ لَبَنُها، ولا أَدْري ما مَعْنَى

---

(١) في ظ، ب، ل : « هو » .

(٢) « اسم » ساقطة من ل .

(٣) زاد في ل : « وهي لفيفة من الشعر » .

(٤) كذا « نفسها » في ظ، ب، ض، وسقطت من ك، ل، وفي شرح ابن هشام « مثلها » .

(٥) سورة طه : آية رقم ٧١ .

– تمامها : ﴿ **قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ، إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى** ﴾ .

(٦) البيت : من بحر الكامل .

– البيت هو الستون في معلقة عنترة وعدد أبياتها أربعة وثمانون بيتاً . (ديوان عنترة ص٢١٢ تحقيق محمد سعيد مولوي) .

(٧) في ظ، ل، ك : « يظل » وفي ب، ض : « يظلل » .

– في ظ، ل : « سرجه » بجيم معجمة .

– في ض : « يخدى » بخاء معجمة، وهو تصحيف .

– « ليس بتوأم » ساقطة من النسخ جميعاً، واستدركت بخط مغاير في هامش ل .

– البطل : الشجاع الذي تبطل عنده شجاعة غيره، كأن ثيابه في سرحة : أي : هو طويل الجسم كامله، فكأن ثيابه على سرحة لطوله، والسرحة : الشجرة الطويلة، يحذى : ينتعل، السبت : ما دبغ بالقرظ ولم يجرد من شعره . أي : هو شريف ينتعل بما ينتعل به الملوك . (شرح الأعلم الشنمري لديوان عنترة ص٢١٢) .

(٨) في النسخ جميعاً وشرح ابن هشام : « والغارز : معجم الطرفين » ولعل الصواب « مجمع الطرفين » إذ الغرز للناقة مثل الحزام للفرس، يدخل الراكب فيه قدمه .

(٩) الواو من « والمراد » ساقطة من ب، ل، ك .

(١٠) « هنا » ساقطة من ض .

الأَصْلِ[١]، و«تُخوِّنْه» أَصْلُهُ: تَتَخَوَّنْهُ[٢]، أَيْ: تَنْقُصُهُ؛ لأَنَّه يُقالُ تَخَوَّنَني فُلانٌ حَقِّي بتائَيْنِ[٣]، فَحُذِفَتْ إِحْداهُما، كما حُذِفَتْ مِنْ تَتَلَوَّنُ في قَوْلِه: «كما تَلَوَّنُ في أَثْوابِها الغُولُ».

و«**الأَحاليلُ**» **بِفَتْحِ الهَمْزَةِ وبالحاءِ**: مَخارِجُ اللَّبَنِ مِنَ الضَّرْعِ أو الثَّدْيِ، والمَعْنَى أَنَّها حائلٌ لا تُحْلَبُ، حَتَّى يَنْقُصَ الضَّرْعُ بالحَلْبِ، وَجَعَلَ نَفْيَ النَّقْصِ عَنْ بَعْضِها[٤] نَفْياً لَهُ عَنْ جَميعِها[٥].

ومَعْنَى البَيْتِ: أَنَّ هذهِ النَّاقَةَ تَشْتَمِلُ على ثَلاثِ صِفاتٍ مِنَ الصِّفاتِ المَحْمودَةِ التي تَكُونُ[٦] في الإِبِلِ:

الأُولى[٧]: غِلَظُ ذَنَبِها وطُولُهُ، مُسْتَفادٌ ذلكَ مِنْ قَوْلِهِ «مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ» عَلَى ما تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، وهو مِنَ الصِّفاتِ المَحْمودَةِ في الإِبِلِ.

الصِّفَةُ الثَّانيةُ[٨]: كَوْنُهُ كثيرَ الشَّعَرِ، وهو المَعْنِيُّ بِقَوْلِهِ: «ذا خُصَلٍ»، وهو مِن الصِّفاتِ المَحْمودَةِ في تَكْوينها أَيْضاً.

الصِّفَةُ الثالثَةُ: كَوْنُها حائلاً لم تَحْلِب اللَّبَنَ؛ لأَنَّ ذلكَ يَكُونُ أَقْوَى لَهَا[٩] في السَّيْرِ، وهو مِنَ الصِّفاتِ المَحْمودَةِ أيضاً[١٠]. واللهُ أَعْلَمُ بالصَّوابِ[١١].

---

(١) قال التبريزي: «والغارز ها هنا الضرع، وأصله من قولهم: غرزت الناقة وغيرها إذا قل لبنها، وأكثر ما يستعمل في الإبل»، (ص٢٤)، وفي اللسان أيضاً: «الغارز من النوق: القليلة اللبن» (مادة غرز).

(٢) في الأصل: «تتخنوه».

(٣) من قوله: «تمر» بضم التاء المثناة من فوق... لأنه يقال تخونني فلان حقي». منقول بحرفيته من شرح ابن هشام (ص١٥١-١٥٢).

(٤) في الأصل: «عن عرضها».

(٥) قوله: «الأحاليل... عن جميعها» منقول بمعناه من شرح ابن هشام (ص١٥٢).

(٦) «تكون» ساقطة من ظ، ل.

(٧) في ظ، ك: «الأول».

(٨) كذا «الصفة الثانية» في ظ، ل، وفي بقية النسخ «الثانية». بدون «الصفة».

(٩) في الأصل: «أولى لها».

(١٠) «أيضاً» ساقطة من ظ، ل.

(١١) في ب، ض: «والله أعلم».
- «والله أعلم بالصواب» ساقطة من الأصل.



البَيْتُ الخامسُ والعِشْرونَ[1]

/ قَنواءُ في حُرَّتَيْهـا للبَصيرِ بهَـا   عِتقٌ مُبينٌ وفي الخَدَّينِ تَسْهيلُ[2] (١٥٦ب)

قَوْلُهُ: «قَنْواءُ في حُرَّتَيْها»، القَنْواءُ بفَتْحِ القَافِ وإِسْكانِ النُّونِ وبالمَدِّ: هيَ المَحْدوبَةُ الأَنْفِ، ومنهُ قِيلَ للرَّجُلِ أَقْنَى، إِذا كانَ كَذلِكَ، ويُرْوَى «وَجْناءُ» بَدَلَ «قَنْواءَ»[3].

و «الحُرَّتانِ» بضَمِّ الحَاءِ وتَشْديدِ الرَّاءِ وبَعْدَها تاءٌ مُثَنَّاةٌ منْ فَوْقُ[4] ثُمَّ أَلِفٌ ونُونٌ: الأُذُنانِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لما سَمِعَ هذا البَيْتَ قالَ للصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهم: ما «حُرَّتَيْها»؟ قالَ بَعْضُهُمْ: عَيْناها، ثُمَّ سَكَتَ البَاقِي، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «هُمَا أُذُناها»[5].

---

(١) في الأصل: «الباب الخامس والعشرون»، وهو تحريف.

(٢) تفرد عبد اللطيف البغدادي برواية «وجناء في حريتها...» (ص١٣٠).

– كذا وقع هذا البيت في ترتيب روايته خامساً وعشرين في رواية التبريزي (ص٢٥) وابن هشام في شرحه (ص١٥٣) والسبكي (١/٢٣٩).

– وهو السادس والعشرون في رواية ابن هشام في السيرة (٤/١٣٦٠) والسهيلي في الروض (٤/١٥٩)، وهو الثاني والعشرون في رواية ابن كثير (٤/٤٢٩) والثالث والعشرون في رواية ابن الأنباري (١٠٣) والقرشي (٢/٧٩٣)، وهو الرابع والعشرون في رواية البغدادي (ص١٣٠) والعشرون في رواية الحاكم (٣/٥٨١)، والتاسع عشر في رواية ابن بشران (ص٨٠).

– روى القرشي بعده:

غلباء، وجناء، عُلْكوم مُذَكَّرةٌ   في دفِّهـا سعة، قدامهـا ميل

(٣) قال ابن هشام «ويروى (وجناء) بدل (قنواء) أي: صلبه، أو عظيمة الوجنتين. وبها روى نفطويه وعبداللطيف البغدادي. (انظر حاشيته على شرح بانت سعاد ج٢/٥١٩)..

– قال ابن منظور معقباً على بيت كعب: «وقد يوصف بذلك البازي والفرس، يقال فرس أقنى، وهو في الفرس عيب، وفي الصقر والبازي مدح».

– جعل أبو عبيدة القنا خاصاً في الخيل الهجن، على أنه احديداب في الأنف. (لسان العرب مادة قنا ج٢٠/ص٦٦) وزاد الأمر وضوحاً بقوله: «كل شئ ارتفع من قصبة أنفه من بين عينيه إلى أرنبته فهو قَنَى» (كتاب الخيل ص١٣١).

(٤) كذا «من فوق» في ظ، ل، وفي بقية النسخ «فوق».

(٥) اسند التبريزي هذه الرواية إلى السكري بقوله «روى السكري أن النبي ﷺ...» (ص٢٦) غير أن السكري لم يذكر هذه الرواية في شرحه (انظر ص١٣) واسند ابن هشام الأنصاري الحديث إلى العسكري (انظر ص١٥٣).

– وفي شرح أبي بكر بن الأنباري استشهد بالحديث بقوله: «جاء في الحديث عن رسول الله أنه لما سمع هذا البيت قال لأصحابه... الحديث» (ص١٠٤)، قال عبدالقادر البغدادي: «لم أقف على تخريج الحديث، ولا على إسناده، ولا على صحابيه» (٢/٥١٩).

و« البَصيرُ بِهَا »[١] المُرادُ به العارفُ بالإبِلِ، و« العِتْقُ » بِكَسْرِ العَيْنِ وسُكُونِ التَّاءِ في آخِرِهِ قَافٌ[٢]: كَرَمُ الأَصْلِ، والمُبِينُ: « الظَّاهِرُ »، و« الخَدَّانِ »: جانِبا الوَجْهِ، و« التَّسْهِيلُ »: أَنْ يَكُونَا أَسِيلَيْنِ لا ارتفاعَ فيهِما.

ومَعْنَى البَيْتِ: أنَّ هذه النَّاقةَ تَشْتَمِلُ على ثَلاثَةِ أَوْصافٍ:

الوَصْفُ[٣] الأَوَّلُ: كَوْنُها قنواءَ، وَقَدْ عَدَّهُ في جُمْلَةِ الأَوْصافِ المَحْمودَةِ مِنَ الإِبِلِ، لكنَّ المَنْقولَ عنِ العَرَبِ أَنَّ القناءَ عَيْبٌ في الإِبِلِ، كما هو عَيْبٌ في الخَيْلِ. وإِنْ أُنْشِدَ على الرِّوايَةِ الأُخرى وهي: « وَجْناءُ » لَزِمَ مِنْهُ التِّكْرارُ، لتَقَدُّمِ هذا الوَصْفِ في البَيْتِ الثَّامِنَ عَشَرَ في قَوْلِه: « غَلْبَاءُ »، إلا أَنَّه تَقَدَّمَ هُناكَ[٤] شَرْحُ[٥] الوَجْناءِ بِمَعْنَيَيْنِ، أَحَدُهُما: الصُّلْبَةُ[٦]، والثَّاني: العَظِيمَةُ الوَجْنَتَيْنِ، فَيجوزُ أَنْ يَكُونَ قَصَدَ هُنَاكَ مَعْنَى الصُّلْبَةِ؛ لأَنَّهُ هُناكَ تَكَلَّمَ في عِظَمِ خَلْقِها[٧]، والمُناسِبُ لعظَمِ الخلْقَةِ هو الصَّلابَةُ والقُوَّةُ، وأَنْ يكونَ قَصَدَ هُنَا[٨] العَظِيمَةَ الوَجْنَتَيْنِ؛ لأَنَّهُ هنا تَكَلَّمَ في حُسْنِ الوَجْهِ والرَّأْسِ؛ مِنَ الأَنْفِ[٩] والأُذُنَيْنِ والخَدَّيْنِ، فَلا يَلْزَمُ مِنْهُ[١٠] تَكْرارُ[١١] المَعْنَى[١٢] وإِنْ تَكَرَّرَ في اللَّفْظِ، وهو

---

(١) في ض: « والبعير بها ».

(٢) في النسخ جميعاً: « بكسر العين وفتح التاء » وفي هامش ل بخط مغاير: « لعله بسكون التاء ».
- في اللسان: « العِتْق: الكرم... وفرس عتيق: رائع كريم بيّن العِتْق، وقد عَتق عتاقة والاسم العِتْقُ والجمع العتاق » (مادة عتق ج١٢/١٠٦).

(٣) « الوصف » ساقطة من ك.

(٤) « هناك » ساقطة من ك.

(٥) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ « تفسير ».

(٦) في الأصل: « الصلابة ».

(٧) في الأصل: « لأنه تكلم هناك في معظم خلقها ».

(٨) كذا « هنا » في النسخ جميعاً، وفي هامش الأصل (نسخة هناك).

(٩) في ل، ض: « والأنف ».

(١٠) في الأصل: « لا يلزم فيه » وفي بقية النسخ « منه ».

(١١) في ض: « فلا يلزم منه تكراراً » وهو لحن من الناسخ.

(١٢) كذا في الأصل. وفي ب، ض: « لا يلزم منه تكرار في المعنى » وفي ل: « لا يلزم منه تكرار إذ المعنى » وفي ك: « لا يلزم منه تكرار ان المعنى ».

أَوْلى الوَصْفِ[1] بِما يُعَدُّ عَيْباً في الإِبِلِ[2].

الوَصْفُ الثَّاني: حُسْنُ أُذُنَيْها بحَيْثُ إِنَّهُ إذا تَأَمَّلها مَنْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِكِرامِ الإِبِلِ حَكَمَ عَلَيْها بِأَنَّها مِنَ النَّوْقِ العِتَاقِ الكِرامِ الأُصولِ.

واعْلَمْ أَنَّ المُسْتَحْسَنَ في الإِبِلِ ممّا يَدُلُّ على كَرَمِ النَّاقَةِ طُولُ أُذُنَيْها، والمَحاسِنُ الدَّالَّةُ على كَرَمِ الأَصْلِ لا يُدْرِكُها إِلا العالِمُ بِشَأْنِها كَمَا في الخَيْلِ، وأَشَارَ إِلى قَوْلِه «مبينٍ» عَلى أَنَّ دلالَةَ أُذُنَيْها على عِتْقِها لا يَخْفَى على ذي بَصِيْرَةٍ.

الوَصْفُ الثَّالِثُ: تَسْهِيلُ خَدَّيْها بِحَيْثُ لا نُتُوءَ[3] فِيها ولا ارْتِفاعَ، وهو مِنَ الصِّفَاتِ المَحْمودَةِ في الإِبِلِ.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يُجْمَعُ الوَصْفُ بِتَسْهِيلِ الخَدَّيْنِ[4] مَعَ الوَصْفِ بِكَوْنِها وَجْناءَ على شَرْحِه[5] بِعِظَمِ الوَجْنَتَيْنِ، وهو يُنافي تَسْهِيلَ الخَدَّيْنِ؟.

الجَوابُ: أَنَّهُ تَقَدَّمَ هُناكَ أَنَّ المُرادَ بالوَجْنَتَيْنِ طَرَفا الخَدَّيْنِ، فَيَجوزُ أَنْ يَكُونَ[6] خَدَّاها في نَفْسَيْهِما[7] أَسِيلَيْنِ مُسْتَرْسِلَيْنِ، وطَرَفاهُما فيهما غِلَظٌ وارتفاعٌ، ويَكُونُ كُلٌّ[8] مِنْهُما مَعْدوداً مِنَ المَحاسِنِ[9].

---

(١) في ض: «وهو أولى من الوصف».

(٢) توجيه السيوطي للروايتين «قنواء» و«وجناء» أساسه ما ذهب إليه ابن هشام في قوله: «ويروى (وجناء) بدل (قنواء) أي: صلبة أو عظيمة الوجنتين. وهذه هي الرواية التي جزم بها عبداللطيف، ويضعفها أنه يلزم عليها تكرار؛ لأن هذا الوصف قد تقدم في قوله (غلباء وجناء علكوم).. البيت. ويرجحها ما قيل: إن القنا عيب في الإبل والخيل». (شرح قصيدة بانت سعاد ص١٥٣).

(٣) في ض: «لا التواء».

(٤) في ض: «بتسهيل الحديث».

(٥) كذا في الأصل وفي بقية النسخ «تفسيره».

(٦) كذا في ض: «أن يكون»، وفي بقية النسخ «أن يكونا».

(٧) في ب: «نفسها».

- في ظ، ل: «في نفسهما».

(٨) في ل: «ويكون كلاً منهما».

(٩) زاد في ض: «والله سبحانه وتعالى أعلم».



البَيْتُ السَّادِسُ والعِشْرونَ

تَخْدي على يَسَراتٍ وهي لاحِقَةٌ ذَوابِلٍ مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْليلُ(١)

قَوْلُهُ: « تَخْدي »(٢) بِفَتْحِ التَّاءِ وإِسْكانِ الخاءِ وكَسْرِ الدَّالِ(٣) ثُمَّ ياءٌ ساكِنَةٌ، تَسيرُ

---

(١) كذا « تخدي » بدال مهملة في ب، ض أيضاً، وبها روى السكري في شرح الديوان (ص١٣) وابن هشام في السيرة (٤ / ١٣٦٠) وابن بشران في إسلام كعب وقصيدته (ص٨٠) والتبريزي (ص٢٦) وأبو البركات بن الأنباري (ص١٠٤) والبغدادي (١٣٢) والقرشي (٢ / ٧٩٤) والسهيلي (٤ / ١٥٩) والسبكي (١ / ٢٣٩) وابن منظور (مادة خدى ١٨ / ٢٤٦).

– في ك، ل: « تخذي » بذال معجمة، وبها روى ابن هشام في شرحه (ص١٥٤) والحاكم (٣ / ٥٨١).

– روى ابن سيد الناس (٢ / ٢٨٣) وابن كثير (٤ / ٤٢٩): « تهوي » وأشير إليها في هامش ل « نسخة ».

– في ب، ض: « على يسيرات » وهو تحريف يختل به الوزن.

– روى البغدادي وابن بشران وابن سيد الناس وابن كثير والقرشي وابن منظور « وهي لاهية ». قال ابن هشام: « ولا إشكال عليه (عبد اللطيف البغدادي) والمعنى: أنها تسرع من غير اكتراث، كأن ذلك سجية لها، فهي تفعله وهي غافلة عنه » (ص١٥٥).

– قال السكري: « ويروى (غير فائرة) والفائرة التي فيها انتشار، أي قد انتشرت » (ص١٤).

– اختلفت رواية « ذوابل » إذ إنها جاءت بالكسر وبالرفع، إذ روى بالكسر كل من ابن هشام في السيرة وابن سيد الناس والتبريزي والقرشي والبغدادي. وروى بالرفع الحاكم وابن بشران وابن كثير وابن هشام الأنصاري الذي قال في توجيه ذلك: « ذوابل خبر ثان ، أو خبر لمحذوف، ويجوز نصبها حالاً من ضمير لاحقة، وجرها صفة ليسرات، وإنما نونت للضرورة » (شرح قصيدة بانت سعاد ص١٥٥) على أن السكري روى بالرفع والكسر معاً. (انظر شرح الديوان ص١٣).

– كذا « مَسُّهن » في سيرة ابن هشام وشرح ابن هشام والمستدرك للحاكم والروض الأنف للسهيلي، وفي رواية بقية الرواة « وقعهن ».

– كذا وقع هذا البيت في ترتيب روايته سادساً وعشرين في رواية التبريزي وابن هشام في شرحه، وهو الخامس والعشرون في رواية البغدادي والسبكي، والرابع والعشرون في رواية ابن الأنباري والسكري وابن سيد الناس، وهو السابع والعشرون في رواية ابن هشام في السيرة والسهيلي والقرشي، وهو الخامس والعشرون في رواية ابن كثير، والحادي والعشرون في رواية الحاكم، وهو العشرون في رواية ابن بشران.

(٢) كذا « تخدي » في ب، ض، وفي ك، ل « تخذي ».

(٣) كذا « وكسر الدال » في ب، ض، وفي بقية النسخ « وبكسر الذال ».

الوَخْدَ[١]، وهو ضَرْبٌ مُرْتَفِعٌ مِنَ السَّيْرِ يُقالُ: خَدَى يَخْدي خَدْياً، وَوَخَدَ يَخِدُ وَخْداً[٢]، وقَوْلُهُ: «على يَسَراتٍ» أيْ على قوائمَ خِفافٍ[٣]، واليَسَراتُ: بفَتْحِ الياءِ والسِّينِ، مَأْخوذَةٌ مِنَ اليَسَرِ[٤]، وقَوْلُهُ:[٥] «وهيَ لاحِقَةٌ» أيْ: تلْكَ[٦] اليَسَراتُ[٧] لاحِقَةٌ، ومَعْناها غافِلَةٌ لاشْتِغالِها بالسَّيْرِ، وقَوْلُهُ: «ذَوابِلُ» بالذَّالِ والباءِ، أيْ: وَهِيَ ذوابِلُ أَيْضاً، شَبَّهها بالرِّماحِ الذَّوابِلِ، وأشارَ إلى صَلابَتِها وقُوَّتِها.

وقَوْلُهُ: «مَسُّهُنَّ الأَرضَ تَحْليلُ» أيْ: مَسُّ قوائِمِها الأَرْضَ بِخِفَّةٍ، أَخْذاً مِنْ قَوْلِهِم: فَعَلْتُ تَحِلَّةَ قَسَمٍ[٨]، والمَعْنى أنَّها تُسْرِعُ قوائِمُها لِشِدَّةِ السَّيْرِ.

ومَعْنى البَيْتِ: أَنَّ هذه النَّاقَةَ في غايَةِ الإِسْراعِ في سَيْرِها، وذلكَ أَنَّهُ وَصَفَ قوائِمَها في السَّيْرِ بِخَمْسَةِ أَوْصافٍ:

الأَوَّلُ: أَنَّها تَسيرُ الوَخْدَ[٩]، وهو مِنْ أَسْرَعِ أَنْواعِ السَّيْرِ، وهو المَعْنيُّ بِقَوْلِهِ:

---

(١) في الأصل: «سير الوجد».

- في ب، ل، ض: «تفسير الوخد» وفي ك: «تسير الوخذ» وفي هامش ل: «نسخة تسير الوخذ».

- قال الليث: «الوخد: سعة الخطو في المشي». (اللسان مادة خدا ج١٨/ ٢٤٦).

(٢) كذا «خدي يخدى خدياً، ووخد يخد وخداً» في الأصل، وهذه التصريفات بالذال معجمة في ك، ل، وفي ل أيضاً «وخذ يخذ وخذاً» وهذا التصريف نقله السيوطي من التبريزي الذي زاد «خدى يخدى خدياً وخدياناً» (ص٢٦) وقوله «خدي ... وخداً» ساقط من ب، ض.

(٣) قوله «على يسرات أي على قوائم خفاف» قال به أبو البركات بن الأنباري (ص١٠٤) والجوهري (مادة يسر ج٢/ ٨٥٨) واستصوبه ابن هشام الأنصاري في شرحه (ص١٥٤).

(٤) مأخوذة من اليَسَر: السهل.

(٥) من قوله: «خدى يخدي... اليسر وقوله» ساقط من ب، ض.

(٦) كذا «تلك» في ظ، ل، وفي بقية النسخ «وتلك» وذكرت هذه في هامش ل على أنها نسخة.

(٧) في ب، ض: «السيرات».

(٨) في ك: «فعلت تحلة قسيم».

- قال أبو البركات بن الأنباري: «تحليل: تفعيل، من تحلة القسم، أي وقعهن على الأرض قليل كما يفعل الإنسان الشيء القليل مما يحلف على فعله تحلة لقسمه» (ص١٠٤) وزاد على ذلك ابن هشام بقوله: «هذا أصله، ثم كثر حتى قيل لكل شئ لم يبالغ فيه» (ص١٥٦).

(٩) في ل، ك: «الوخذ» بذال معجمة.

«تَخْدي»(١) على ما تَقَدَّمَ شَرْحُهُ(٢).

الوَصْفُ الثَّاني: خِفَّةُ قَوائِمِها باليَسَرات(٣).

الوَصْفُ الثَّالثُ: الضُّمورُ والرِّقَّةُ، وهو المَعْنِيُّ بالَّلاحِقَة والذَّوابِل، وإذا كانَت القوائمُ قَليلَةَ الَّلحْمِ لَم تَكُنْ رَهْلَةً(٤) ولا مُسْتَرْخِيَةً، فَيَكونُ ذلكَ أَسْرَعُ لوُقوعِ قَوائِمها وَبَسْطِها. /وإنْ أُنْشِدَ على الرِّوايَة الأُخْرى: «وهي لاهِيَةٌ(٥)» بَدَل قَوْله: «لاحِقَةٌ»، (١٥٧أ) كانَ المَعْنَى أنَّها لاهِيَةٌ عَنِ السَّيْر(٦)؛ غَيْرُ مُكْتَرِثَة به(٧)، مَعَ إِسْراعها فيه، وذلكَ سَجِيَّةٌ لَها، فَهي(٨) تَعْقِلُهُ(٩) مَعَ غَفْلَتِها لَهُ، وهو أَوْلَى(١٠) مِنْ حَيْثُ تَعَدُّدُ المَعْنَى، إِذِ الَّلاحِقَةُ والذَّوابِلُ مُتَقارِبان في المَعْنَى.

الوَصْفُ الرَّابِعُ: صَلابَةُ قَوائِمِها، وهو المَعْنِيُّ بِقَوْلِه: «ذَوابِلُ» على ما تَقَدَّمَ بيانُهُ؛ لأَنَّها قد تَكونُ ضامِرَةَ القَوائِمِ وَلَيْسَتْ بِصُلْبَةٍ، وإذا اجْتَمَعَ فيها الوَصْفانُ كَمُلَتْ حُسْناً.

الوَصْفُ الخامِسُ: سُرْعَةُ رَفعِ قوائِمِها عَنِ الأَرْضِ، وهو المَعْنِيُّ بِقَوْلِه: «مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْليلُ»، وإنْ كانَتْ قَوائِمُها مُشْتَمِلَةً على هذه الأَوْصاف، كانَتْ في غايَة إِسْراعِ السَّيْر، فإنْ قيلَ كَيْفَ ساغَ أَنْ يَصِفَ قَوائِمَها بالضُّمورِ والرِّقَّةِ بَعْدَ قَوْلِه فيما

---

(١) في ل، ك: «تحذي».

(٢) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ «تفسيره».

(٣) في ب، ض: «بالسيرات».

(٤) في ب، ض: «رهلية».

(٥) في ل: «وهي لاهبة».

(٦) كذا «لا هية عن السير» في ظ، ل، وفي بقية النسخ «لاهية، أي: عن السير».

(٧) في الأصل: «غير مكثرة به».

(٨) في الأصل: «وهي».

(٩) في ب، ل، ض: «تفعله».

(١٠) في ض: «وهو إلى».

تَقَدَّمَ: «فَعْمٌ مُقَيَّدُها»[1] مُشيراً إلى غِلَظِ مَوْضِعِ القَيْدِ منها، وهو مُسْتَلْزِمٌ لِغِلَظِ[2] جَميعِ القائِمَةِ[3].

الجَوابُ: أنَّ المُرادَ هناكَ غِلَظُ العَظْمِ والعَصَبِ[4]، وهنا قِلَّةُ اللَّحْمِ[5]، فَلا مُنافَاةَ بَيْنَهما.

---

(١) في ظ، ل: «فعم قيدها».

(٢) في ض: «لفظ».

(٣) في ل: «جميع القامة».

(٤) في الأصل: «غلظ العظم الصعب».

(٥) في الأصل: «وهو قلة اللحم».

البَيْتُ السَّابِعُ والعِشْرونَ

سُمْرُ العُجَايات يَتْرُكْنَ الحصَا زِيمَا   لم يَقِهِنَّ رُؤُوسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ[1]

قَوْلُهُ: «سُمْرُ العُجَايات»؛ السُّمْرُ: جَمْعُ أَسْمَرَ، كَحُمْرٍ جَمْعُ أَحْمَرَ، وَهيَ مِنْ أَوْصَافِ الرِّماحِ أَيْضاً[2]، والعُجَاياتُ، بضَمِّ العَيْنِ وفَتْحِ الجيمِ وبَعْدَ الأَلفِ ياءٌ مُثَنَّاةٌ تَحْتُ، وتاءٌ مُثَنَّاةٌ فَوْقُ: جَمْعُ عُجَايَةٍ، وهيَ الأَعْصَابُ[3] المُتَّصِلَةُ بالحافرِ، وَقِيلَ لَحْمَةٌ مُتَّصِلَةٌ بالعَصَبِ المُنْحَدِرِ مِنْ رُكْبَةِ البَعِيْرِ إلى الفِرْسِنِ[4]، وَشَبَّهَ عَصَبَها أَوْ لَحْمَ قَوائمها بالرِّماحِ لِقُوَّتِهِ وصَلابَتِه.

وقَوْلُهُ: «يَتْرُكْنَ الحَصَا زِيمَا»، و«يَتْرُكْنَ» بمَعْنَى يَجْعَلْنَ، والحَصَى: مَعْروفٌ، و«زِيمَا» بكَسْرِ الزَّاي وفَتْحِ الياءِ: المُتَفَرِّقَةُ.

وَقَوْلُهُ: «لم يَقِهِنَّ رُؤُوسُ الأُكمِ تَنْعِيلُ»، أَيْ: لَيْسَ بَيْنَ تِلْكَ العُجَايات وبَيْنَ الأُكُمِ التي تَمُرُّ عَلَيْها تَنْعِيلٌ يَقِيها مِنْها، والأُكْمِ بِضَمِّ الهَمْزَةِ وإِسْكانِ الكَافِ: الرَّوابي المُرْتَفِعَةُ منَ الأَرْضِ.

ومَعْنى البَيْتِ: أَنَّ هذهِ النَّاقةَ صُلْبَةُ الأَعْلَى، صُلْبَةُ الأَسْفَلِ، شَدِيدةٌ، وذلكَ أَنَّهُ وَصَفَها بِثَلاثَةِ صِفاتٍ[5]:

---

(١) في رواية عبد اللطيف البغدادي «شم العجايات» (ص١٣٤).
- في رواية الحاكم «ما أن تقيهن» (٣/ ١٨٥) وفي رواية القرشي: «ولا يقيها» (٢/ ٧٩٤).
- كذا وقع هذا البيت في روايته سابعاً وعشرين في رواية التبريزي (ص٦٢) والسبكي (١/ ٢٣٩) وابن هشام الأنصاري (١٥٦)، وهو الثامن والعشرون في رواية السيرة لابن هشام (٤/ ١٣٦٠) والسهيلي في الروض (٤/ ١٥٩) والقرشي (٢/ ٧٩٤) وهو السادس والعشرون في رواية البغدادي (١٣٤) والخامس والعشرون في رواية السكري (ص١٤) وابن الأنباري (١٠٤) وابن سيد الناس (٢/ ٢٨٣) و الثالث والعشرون في رواية الحاكم (٣/ ٥٨١) والثاني والعشرون في رواية ابن بشران. وسقط البيت من رواية ابن كثير (انظر البداية والنهاية ٤/ ٤٢٨).

(٢) «أيضاً» ساقطة من ظ، ل.

(٣) زاد في الأصل: «من الأعصاب».

(٤) في الأصل: «إلى الفرشن» وفي ض: «إلى الفرس»، والفرسن: خف البعير، وهو من البعير بمنزلة الحافر للدابة (اللسان، مادة فرسن).

(٥) في النسخ جميعاً «ثلاثة صفات» وأنث العدد حملاً على أن صفات بمعنى «أوصاف».

الصِّفَةُ الأُولى: صَلابةُ العَصَبِ في قَوْلِه: «سُمْرُ العُجَاياتِ» حَيْثُ شَبَّهها بالرِّماحِ لِقُوَّتِها.

الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ: شدَّةُ وَطْئِها الأَرْضِ، بحَيْثُ إِنَّها تُفَرِّقُ الحَصَا إذا وَطِئَتْهُ، وَقَدْ قيلَ في قَوْله تَعَالَى: ﴿**والعَاديات ضَبْحًا**﴾[1]: إِنَّها الإِبلُ، وفُسِّرَ قَوْلُهُ: ﴿**فالمُوريات قَدْحاً**﴾[2]، إذا اشتَدَّ سَيْرُها وَقَعَت الحجارَةُ بَعْضُها على بَعْضٍ فَقَدَحَت النَّارَ، وإِنْ كَانَ المَشْهورُ أَنَّ المُرادَ في الآيَة الخَيْلُ[3].

الصِّفَةُ الثالثَةُ[4]: صَلابَةُ خُفِّها[5]، بحَيْثُ إِنَّها مَعَ كَثْرَةِ السَّيْرِ لا تَحْفَى، ولا تَحْتَاجُ إلى تَنْعِيْلٍ مَعَ طُولِ المَدَى[6].

وإِنَّما خَصَّ الأُكْمَ، التي هيَ الرَّوابِي، بالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِها منَ الأَرْضِ؛ لأَنَّها قَليلةُ السُّلوك، فَتَبْقَى بها[7] الحجَارةُ الخَشِنَةُ ونَحْوُها، فإذا[8] كانَتْ لا تَحْتَاجُ إلى تَنْعيلٍ[9] لمثلِ ذلكَ، فَغَيْرُهُ أَوْلَى. واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بالصَّواب[10].

---

(١) سورة العاديات: آية رقم ١.

(٢) سورة العاديات: آية رقم ٢.

(٣) ذهب عامة المفسرين وأهل اللغة إلى القول بأن (العاديات ضبحا) هي الخيل تعدو في سبيل الله فتضبح إذا عدت، أي تحمحم، بذا قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وعطاء، وممن قال إنها الإبل، علي بن أبي طالب، وابن مسعود، على أن من قال إنها الإبل فقوله (ضبحا) بمعنى (ضبعا) فالحاء عنده مبدلة من العين، لأنه يقال: ضبعت الإبل، إذ أكثر ما يستعمل الضبح في الخيل والضبع في الإبل (انظر الجامع لأحكام القرآن ج٢٠/١٥٥-١٥٨).

(٤) في الأصل: «الصفة الثانية».

(٥) في ظ، ل: «صلابة خفافها».

(٦) في ض: «مع طول المد».

(٧) في ض: «تنفى بها».

(٨) زاد في الأصل: «فإنها إذا».

(٩) في ض: «إلى التنعيل».

(١٠) في ظ، ل: «والله تعالى الموفق للصواب» وفي ب، ض: «والله أعلم».

البَيْتُ الثَّامنُ والعِشْرونَ

كَـأَنَّ أَوْبَ ذراعَيْهــا إِذا عَرِقَتْ   وَقَدْ تَلَفَّعَ بالقُورِ العَسَاقِيلُ(١)

قَـوْلُهُ: «كـأَنَّ أَوْبَ ذراعَـيْـهـا إذا عَـرِقَـتْ» إلى آخـرِ قَـوْلِه(٢) في البَـيْـتِ الحَـادي والثَّلاثينَ(٣): «ذراعا عَيْطلٍ نَصَفٍ»، وسيأتي هُناكَ، أَنَّ المُرادَ مِنَ التَّشْبيهِ(٤): الإِسْراعُ بحَرَكَةِ ذِراعَيْها في السَّيْرِ، إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى.

و«الأَوْبُ»، بفَتْحِ الهَـمْزَةِ وإِسْكانِ الواوِ وبَعْدَها ياءٌ مُوَحَّدَةٌ: سُرْعَةُ تَقْليبِ اليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ، وقَوْلُهُ: «إِذا عَرِقَتْ»، كَنَى به عَنْ وَقْتِ الهَاجِرَةِ، وكأَنَّهُ يَقُولُ: كَأَنَّ(٥) سُرْعَةَ تَقْليبِ(٦) يَدَيْها في وَقْتِ اشْتِدادِ الحَرِّ، ذراعا عَيْطلٍ.. إلى آخرِه.

وَقَوْلُهُ: «تَلَفَّعُ» بِفَتْحِ التَّاءِ المُثَنَّاةِ فَوْقُ، واللَّامِ والفَاءِ المُشَدَّدةِ والعَيْنِ المُهْمَلَةِ، مَعْنَاهُ:

---

(١) كذا وقع هذا البيت في ترتيب روايته ثامناً وعشرين في رواية التبريزي (ص٢٧). والسبكي (١/ ٢٤٠) وابن هشام الأنصاري (ص١٥٩)، وابن سيد الناس، غير أنه رواه بعد قوله: «وقال للقوم حاديهم» (٢/ ٢٨٤). والبيت هو التاسع والعشرون في رواية ابن هشام في السيرة (٤/ ١٣٦٠) والسهيلي (٤/ ١٥٩) والقرشي (٢/ ٧٩٤). وهو الخامس والعشرون في رواية الحاكم (٣/ ٥٨١)، وهو السادس والعشرون في رواية ابن الأنباري (ص١٠٥) والبغدادي (ص١٣٤) والسابع والعشرون في رواية السكري (ص١٦)، وهو الرابع والعشرون في رواية ابن بشران الذي رواه بعد قوله «يوماً تظل حداب الأرض» وسقط البيت من رواية ابن كثير (انظر البداية والنهاية ٤/ ٤٢٩).

– روى ابن منظور البيت بلفظ مختلف عن الأزهري:

عَيْرانَةٌ كأتان الضحل ناجية   إذا تَرَقَّصَ بالقُورِ العساقيلُ

وصوبه ابن بري كما الرواية المطردة «كأن أوب ذراعيها...» (اللسان مادة عسقل ج١٣/ ٤٧٤–٤٧٥).

– روى الحاكم «كأن أوب يديها بعد ما نجدت» (٣/ ٥٨١)، وروى ابن بشران: «كأن أوب يديها بعدما عرفت».

– روى السكري ونفطويه والزمخشري (حاشية ٢/ ٤٦٥) «وقد عرقت» وبها روى ابن بري (اللسان ١٣/ ٤٧٥ مادة عسقل) والبغدادي (ص١٣٥) الذي قال: «ويروى إذا عرقت، وهو أحسن لئلا يتكرر (وقد) مرتين» (ص١٣٦).

(٢) كذا «إلى آخر قوله» في ظ، ل، وفي بقية النسخ «إلى آخره».

(٣) في ك، ظ: «في البيت الحادي والثلاثون» وهو لحن من الناسخ.

(٤) في ك: «أن المراد في التشبيه».

(٥) «كأن» ساقطة من ض.

(٦) في ب، ض: «تقلب».

التحَفَ، و« القُورُ » بضَمِّ القاف وبَعْدَ الواو راءٌ مُهْمَلَةٌ، جَمْعُ قارَة[1]، وهي الجَبَلُ الصَّغيرُ، و« العَسَاقيلُ » جَمْعُ[2] عَسْقَال[3]، وهو بفَتْحِ العَيْنِ والسِّين وبَعْدَ الألف قافٌ، المُرادُ به السَّرابُ، والتَّقْديرُ: /وَقَدْ تَلَفَّعَتْ بالعَسَاقيْلِ القُورُ[4]، إذِ الجِبَالُ الصِّغارُ هيَ التي تَلْتَحفُ بالسَّراب، لا[5] أنَّ السَّرابَ يَلْتَفعُ بها، فَوَقَعَ القَلْبُ في كَلامِه كَما تَقولُ: أدْخَلْتُ القُلُنْسُوَةَ في رَأْسِي، والمُرادُ أدْخَلْتُ رَأْسِي في القُلُنْسُوة[6]. (١٥٧ب)

ومَعْنَى البَيْت: أنَّ سُرْعَةَ حَرَكَةِ ذراعَيْ هذه[7] النَّاقة في السَّيْرِ يكونُ في شدَّة وَقْتِ الهاجِرَةِ وقُوَّةِ الحَرِّ في غايَةِ الإسْراعِ، فما ظَنُّكَ بها في غَيْرِ هذا الوَقْتِ؟ وإنْ لم يُصَرِّحْ بالحَرِّ، فَقَدْ أشارَ إليه مِنْ وَجْهَيْن:

الأوَّلُ: عَرَقُها[8] مَعَ ما تَقَدَّمَ مِنْ وَصْفِها بالقُوَّةِ والصَّلابَة، والنَّاقَةُ التي بهذه

---

(١) في الأصل: « جمع قار ».

(٢) « جمع » ساقطة من ظ، ل.

(٣) « عسقال » ساقطة من ظ، ك، ل.

– قال الأصمعي: « لا واحد للعساقيل » وقال غيره: واحد العساقيل عَسْقَل، وهو السراب » (شرح ديوان كعب ص١٦) وقال الجوهري: « العسقلة: تَرَيُّع (تلمع) العساقيل، وهي السراب، ولم أسمع بواحده » (الصحاح، ج٥ ص١٧٦٥) وفي اللسان: « عساقل جمع عسقلة، وعساقيل جمع عسقول » (مادة عسقل ج١٣ / ٤٧٥).

(٤) في ل: « وقد تلفعت بالقور العساقيل ».

– قوله: « وقد تلفع بالقور العساقيل » قال ابن بري: « وهذا من المقلوب؛ لأن القور هي التي تلفعت بالعساقيل، وقال ابن سيدة: أراد وقد تلفعت القور بالعساقيل فقلب » (اللسان: مادة عسقل ج١٣ / ٤٧٥)، وبالقلب قال ابن الأنباري في شرحه أيضاً (أنظر قصيدة البردة ص١٠٥).

(٥) في ل: « لأن ».

(٦) اختلف في القلب فريقان: النحويون والبيانيون، أما النحويون فمنهم من خصه بالضرورة وشرط التأويل، ومنهم من أجازه في الكلام واحتج بقوله تعالى: ﴿**ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة**﴾ وبقولهم: « أدخلت القلنسوة في رأسي » وكذلك اختلف البيانيون فيه، فمنهم من قبله مطلقاً، ومنهم من رده مطلقاً. ومنهم من شرط تضمنه اعتباراً لطيفاً، (شرح ابن هشام الأنصاري ١٦٢-١٦٣، وانظر تفصيله في حاشيته على شرح بانت سعاد ٢ / ٥٨٣ – ٥٨٤).

(٧) « هذه » ساقطة من ض.

(٨) في ض: « عرفها » بالفاء وهو تصحيف.

الصِّفَاتِ[١] لا تَعْرَقُ لإعياءٍ ولا تَعَبٍ، وإِنّما تَعْرَقُ[٢] لِشِدَّةِ الحَرِّ، وإِنْ كانَتْ لا تَتَأَثَّرُ بِهِ.

الوَجْهُ الثَّاني: قُوَّةُ السَّرابِ وغَلَبَتُهُ[٣] بالمَفَازَة، حَتَّى إِنَّه على صِغارِ الجبالِ وعِظامِها[٤]، وذلكَ لا يكونُ إلاّ في وَقْتِ الهَاجِرَة. واللَّهُ تَعالى[٥] أَعْلَمُ بالصَّواب[٦].

---

(١) كذا «الصفات» في ظ، ل، وفي بقية النسخ «الأوصاف».

(٢) في ض: «لا تعرف الإعياء ولا تعبا وإنما تعرف».

(٣) في ض: «وغلبته».

(٤) في الأصل: «وعطاها».

(٥) «تعالى» ساقطة من ظ، ل.

(٦) «بالصواب» ساقطة من ب، ض.

- زاد في ض: «والله سبحانه وتعالى أعلم».



البَيْتُ التَّاسِعُ والعِشْرون

يَوْماً يَظَلُّ به الحِرْبَاءُ مُصْطَخِداً   كأَنَّ ضَاحِيَهُ بالشَّمْسِ مَمْلولُ[1]

قَوْلُهُ: «يَوْما»، أَيْ: كَأَنَّ أَوْبَ ذراعَيْها إِذا عَرِقَتْ يَوْماً، بِمَعْنَى أَنَّ الأَوْبَ والعَرَقَ وَقَعَ في ذلكَ اليَوْمَ بِصِفَةِ[2]. وقَوْلُهُ: "يَظَلُّ" بِفَتْحِ الياءِ والظَّاءِ[3]، مَعْناهُ: يَصِيرُ، و«الحِرْبَاءُ» بِكَسْرِ الحاءِ[4] وإِسْكانِ الرَّاءِ والباءُ المُوَحَّدَةُ[5]: وهو حَيَوانٌ له سَنامٌ كَسَنَامِ

---

(١) في نسخة ل: «يوم».

– كذا «مصطخداً» في رواية عبد الملك بن هشام في السيرة (٣/١٣٦٠) والسبكي (١/٢٤٠) وابن الأنباري (ص١٠٥) والحاكم (٣/٥٨١) والسهيلي (٤/١٥٩) وابن منظور (مادة صخد ٤/٢٣١) وابن هشام الانصاري (١٦٣) وذكر السكري هذه الرواية في شرحه (١٥) وكذلك البغدادي (١٣٨).

– روى السكري (ص١٥) وعبد اللطيف البغدادي (١٣٧) والقرشي (٢/٧٩٥): «مصطخماً» وذكر ابن هشام الأنصاري هذه الرواية في شرحه (ص١٦٤).

– روى ابن سيد الناس «مرتبئاً» أي مرتفعاً (٢/٢٨٣) و قال التبريزي: «ويروى مصطحباً» أي: منتصباً» (ص٢٨) قال ابن منظور: «المصطخد: المنتصب، وكذلك المصطخم، يصف انتصاب الحرباء إلى الشمس» (اللسان مادة صخد ٤/٢٣١).

– في رواية ابن الأنباري: «كأن ضاحيه بالنار مملول» (١٠٥) وفي رواية ابن سيد الناس «كأن ضاحيه في النار» (٢/٢٨٣).

– كذا وقع هذا البيت في ترتيب روايته تاسعاً وعشرين في رواية التبريزي (ص٢٨) وابن هشام الأنصاري (١٦٣) وهو في رواية البغدادي ثامن وعشرون (١٣٧) وكذلك السبكي (١/٢٤٠)، وهو الثلاثون في رواية ابن هشام في السيرة (٤/١٣٦٠) والسهيلي (٤/١٥٩) والقرشي (٢/٧٩٥)، وهو السادس والعشرون في رواية السكري (ص١٥) والحاكم (٣/٥٨١) وابن سيد الناس (٢/٢٨٣)، وهو السابع والعشرون في رواية ابن الأنباري (١٠٥).

– روى ابن بشران البيت ثالثاً وعشرين ورواه الحاكم رابعاً وعشرين في ترتيبه وكان عندهما على النحو التالي:

يومـاً تظل حداب الأرض ترفعهـا   من اللوامع تخليط وترجيل

(٢) كذا «بصفة» في ل، ب، ض، وفي الأصل: «نصفه» وفي ك: «يصفه».

(٣) في ب، ك: «بفتح الظاء والياء».

(٤) في النسخ جميعاً «بفتح الحاء» وهو تحريف.

(٥) كذا «والباء الموحدة» في ظ، ل وفي بقية النسخ «وباء موحدة».

الإبِلِ، يَسْتَقْبِلُ الشَّمْسَ، ويَدُورُ مَعَهـا كَيْفَ ما دَارَتْ[١]، وهو في الظِّلِّ أَخْضَرُ، ويَتَلَوَّنُ أَلواناً[٢] بحَرِّ الشَّمْسِ، وكُنْيَتُه أبو قُرَّة[٣]، وكُنْيَةُ أُنْثاهُ: أُمُّ حُبَيْنٍ[٤].
و«المُصْطَخِدُ» بضَمِّ الميمِ وإسْكانِ الصَّادِ وفَتْحِ الطَّاءِ وكَسْرِ الخاءِ وبالدَّالِ المُهْمَلَةِ: المُصْطلي بحَرِّ الشَّمْسِ.

وقَوْلُه: «كَأَنَّ ضَاحِيَهُ» أَيْ كَأَنَّ ذَلكَ الحِرْباءَ، والضَّاحي بالضَّادِ والحَاءِ: البارزُ للشَّمْسِ كما تَقَدَّمَ في قَوْلِه: «بضاحيَةِ المَتْنَيْنِ» وَمِنْهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿**وإنك لا تَظْمأُ فيها ولا تَضْحى**﴾[٥]، أي: ولا تَبْرُزُ للشَّمْسِ، والمُرادُ هُنا: ما بَرَزَ مِنَ الحِرْباءِ للشَّمْسِ.

وقَولُهُ: «مَمْلولُ» بفَتْحِ المِيْمِ الأُولَى، وإسْكانِ الثَّانيةِ، وضَمِّ اللَّامِ بَعْدَهُما: المُتَلَظِّي[٦] بحَرِّ الرَّمْضاءِ، أَخْذاً مِنْ قَوْلِهِمْ: مَلَلْتُ الخُبْزَ، إذا جَعَلْتُهُ في المَلَّةِ بِفَتْحِ الميمِ، وهي الرَّمادُ الحارُّ.

ومَعْنَى البَيْت: أَنَّ اليومَ[٧] الذي حَصَلَ مِنْ هذه النَّاقة فيه غايَةُ[٨] الإسراعِ في السَّيْرِ مِنْ شدَّة حَرِّه، وهو، أَيْ: حَرُّهُ يُصيرُ الحِرْباءَ مُصْطَلِياً بالشَّمْسِ؛ لتَعَشُّقِه بها، حتَّى كَأَنَّ ما بَرَزَ مِنْهُ[٩] للشَّمْسِ خُبْزُ مَلَّةٍ، قد أَنْضَجَتْهُ النَّارُ بشدَّة حَرِّها. وإذا كانَ هذا سَيْرُها في هذا اليَوْمِ الشَّديدِ الحَرِّ، ففي غَيْرِه أَقْوَى وأَشَدُّ وأَسْرَعُ حَرَكَةً. واللَّهُ أَعْلَمُ[١٠].

---

(١) في ك: «كيف ما درت».
(٢) «ألواناً» ساقطة من ض.
(٣) في الأصل: «أبو اقمة».
(٤) في النسخ جميعاً «أم جبين».
- قوله: «وهو حيوان له سنام ... أم حبين» مأخوذ من شرح ابن هشام (ص١٦٤).
(٥) سورة طه: آية رقم ١١٩.
(٦) في ب، ض: «بعدها المصطلي».
(٧) في الأصل: «أن هذا اليوم».
(٨) في ل: «في غاية» وفي هامشها «نسخة فيه».
(٩) في ل، ض: «ما يبرز منه».
(١٠) «والله أعلم» ساقطة من ظ، ل، وفي ض: «والله تعالى أعلم».

البَيْتُ الثَّلاثُونَ[1]

وَقَـالَ للْقَوْمِ حادِيْهِمْ وَقَـدْ جعَلَتْ   وُرْقُ الجَنادِبِ يرْكُضْنَ الحصَا قِيْلوا[2]

قَوْلُهُ: «وقَالَ لِلْقَوْمِ حادِيْهِم»، المَقُولُ لَهُمْ هُوَ قَوْلُهُ في آخرِ البَيْتِ: «قِيْلوا»، والمُرادُ: أَنَّ الحادي في تِلْكَ الحالَةِ التي تُلَفَّعُ فيها الجبالُ بالسَّرابِ، أَمَرَهُمْ بالقَيْلولَةِ، و«الوُرْقُ» بضَمِّ الواوِ وإِسْكانِ الرَّاءِ وبَعْدَها قافٌ: الخُضْرَةُ المائِلَةُ للسَّوادِ، و«الجَنَادِبُ» بِجيْمٍ مَفْتُوحَةٍ بَعْدَها نُونٌ وأَلِفٌ ثُمَّ دالٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورةٌ وباءٌ مُوحَّدَةٌ: ضَرْبٌ مِن الجَرادِ.

وقوله: «يَرْكُضْنَ[3] الحَصَا[4]»: يَدْفَعْنَه[5]، ومِنْهُ قَوْلُهُ: رَكَضَ الدَّابَةَ، أَيْ: دَفَعَها في جَنْبِها بِرِجْلَيْه لِتَسيْرَ، إِذِ المَعْنَى أَنَّ الجَنادِبَ تَقْفِزُ على الحَصَا، فَتَدْفَعُ بَعْضَهُ إِلى بَعْضٍ لِقُوَّتِها.

وقَوْلُهُ: «قِيْلوا»، أَمْرٌ بالْقَيْلولَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الإِشَارَةُ إِليه[6] في أَوَّلِ البَيْتِ، ومَعْنَاهُ: أَنَّ هذا اليَوْمَ[7] مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ وهَوَاجِرِه، كانَ الحَادِي الذي مِنْ شَأْنِه تَنْشيطُ الإِبِلِ[8]

---

(١) زاد في ظ، ل: «البيت الموافي ثلاثون».

(٢) كذا وقع هذا البيت في ترتيب روايته الثلاثين في رواية التبريزي (ص٢٨) وابن هشام الأنصاري (ص١٠٦)، وهو التاسع والعشرون في رواية البغدادي (١٣٩) والسبكي (١ / ٢٤٠) وهو الثامن والعشرون في رواية ابن الأنباري (ص١٠٦) والسابع والعشرون في رواية ابن سيد الناس (٢ / ٢٨٤) وابن كثير (٤ / ٤٢٩) وهو الحادي والثلاثون في رواية ابن هشام في السيرة (٤ / ١٣٦١) والسهيلي (٤ / ٩٥١) والقرشي (٢ / ٧٩٥) وسقط البيت من رواية ابن بشران (انظر ص٨١) والحاكم (انظر ٣ / ٥٨١).

- في رواية ابن سيد الناس «بقع الجنادب» (٢ / ٢٨٤).

(٣) في ك: «تركض».

(٤) «الحصا» ساقطة من ب، ض.

(٥) في ب، ض: «تدفعنه».

(٦) «إليه» ساقطة من الأصل.

(٧) في الأصل: «معناه في هذا اليوم».

(٨) كذا «تنشيط الإبل» في ب، وفي ض «يتنشط الإبل» وفي بقية النسخ «ينشط الإبل» ولعله ما أثبته الصواب.

للسَّيْرِ ناظراً(١)، هُوَ الآمرُ لِلْقَوْمِ بالقَيْلولَةِ، اشْفاقاً على الإبلِ، وأَكَّدَ ذلكَ(٢) بوَصْفِ الجنادبِ بكَوْنِها وُرْقاً، فإنَّها لا تَكُونُ بهذا اللون إلاّ في القفارِ المُوْحِشَةِ الشَّديْدَةِ الحَرِّ، البَعيدَةِ الماءِ كما تَقَدَّمَ، فَتكونُ مَعَ سَيْرِها في الحَرِّ الشديدِ، فيها صَبْرٌ على العَطَشِ، والسَّيْرُ في القفارِ عِنْدَ عَجزِ غَيْرِها. واللهُ أَعلمُ بالصَّوابِ(٣).

---

(١) ناظراً: ساقطة من ب.

(٢) في ض: «وأكد بذلك».

(٣) «والله أعلم بالصواب» ساقطة من الأصل.

- «الصواب» ساقطة من ب، ل.

- زاد في ض: «والله تعالى أعلم بالصواب».

البَيْتُ الحادِي والثَّلاثُونَ[1]

شَدَّ النَّهارُ ذِراعــا عَيْطَلٍ نَصَفٍ   قامَتْ فَجاوَبَها نُكْدٌ مَثاكِيلُ[2]

قَوْلُهُ: «شَدَّ النَّهارُ» بِفَتْحِ الشِّينِ وتَشْدِيدِ الدَّالِ المَفْتُوحَةِ، والمُرادُ: بِشَدِّ النَّهارِ، ارْتِفاعُهُ، تَقُولُ: جِئْتُكَ شَدَّ النَّهارِ، أَيْ: وَقْتَ ارْتِفاعِهِ، والمَعْنَى أَنَّ ذلكَ كانَ وَقْتَ ارْتِفاعِ النَّهارِ، وهُوَ مُبالَغَةٌ في شِدَّةِ الحَرِّ.

وقَوْلُهُ: «ذِراعا عَيْطَلٍ» هو خَبَرُ كَأَنَّ في قَوْلِهِ في البَيْتِ الثَّامِنِ والعِشْرِينَ[3]: «كأَنَّ أَوْبَ ذِراعَيْها إذا عَرِقَتْ» كَما تَقَدَّمَتِ الإشارَةُ إليهِ، والتَّقْدِيرُ: كَأَنَّ أَوْبَ ذِراعَيْها، أَيْ[4]: أَوْبُ ذِراعَيّ هذه النَّاقَةِ كالعَيْطَلِ، والعَيْطَلُ بِفَتْحِ العَيْنِ وإِسْكانِ الياءِ وفَتْحِ الطَّاءِ بَعْدَها الَّلامُ: الطَّوِيلَةُ[5]، والمُرادُ هُنا: المَرْأَةُ[6] السَّبَّاطَةُ[7] القائِمَةُ.

---

(١) في ك: «البيت الحادي والثلاثين»، وهو لحن.

(٢) في رواية السكري: «ناحت فجاوبها» (ص١٠٦) وكذلك ابن الأنباري (ص١٠٦).
– في رواية ابن منظور «قامت تجاوبها نكد مثاكيل» (مادة نكد ج٤/٤٣٩).
– كذا وقع هذا البيت في ترتيب روايته الحادي والثلاثون في رواية التبريزي (ص٢٩) وابن هشام الأنصاري (١٦٩)، وهو الثلاثون في رواية البغدادي (ص١٣٩) والتاسع والعشرون في رواية السكري (ص٢٧) وابن الأنباري (ص١٠٦) وابن سيد الناس مع اختلاف في لفظ صدر البيت، وهو الثامن والعشرون في رواية ابن كثير (٤/٤٣٠) والسابع والعشرون في رواية الحاكم (٣/٥٨١) وهو الثاني والثلاثون في رواية ابن هشام في السيرة (٤/١٣٦١) والسهيلي في الروض الأنف (٤/١٥٩) والقرشي في الجمهرة (٢/٧٩٥).
– جاء صدر البيت بلفظ مختلف «أَوْبُ يَدَيْ فاقدٍ شَمْطاء مُعْوِلَةٍ» في رواية كل من الحاكم وابن بشران وابن كثير وابن سيد الناس، وهي رواية الأصمعي التي ذكرها السكري في شرحه (ص١٧).

(٣) في ظ، ل: «الثامن والعشرون» وهو لحن من الناسخ.

(٤) «أي» ساقطة من ظ، ل.

(٥) في اللسان: «وامرأة عيطل: طويلة، وقيل طويلة العنق في حسن جسم، وكذلك من النوق والخيل، والعيطل: الناقة الطويلة في حسن منظر» (مادة عطل ج١٣/٤٨٢).

(٦) كذا «المرأة» في ظ، ب، ل، وفي ك، ض: «المدادة» وأشير إليها في هامش ل على أنها نسخة.

(٧) كذا «السباطة» في ب، ك، وفي ظ، ل «النساطة» وهو تحريف. وفي ض: «البساطة» وما أثبته الصواب.
– يقال: رجل سبط الجسم وسبطه: طويل الألواح مستويها، بين السباطة (اللسان مادة سبط).

و« النَّصَفُ » بفَتْحِ النُّونِ والصَّادِ المُهْمَلَةِ وبَعْدَها فاءٌ: التي بَيْنَ الشَّابَّة والكَهْلَة.

وقَوْلُه: « قَامَتْ » أَيْ: قَامَت المَرْأَةُ فَجاوبَها نُكْدٌ، والنُّكدُ بضَمِّ النُّونِ[1] وإِسْكانِ[2] الكاف وبَعْدَها دَالٌ: التي لا يَبْقَى لها وَلَدٌ، و« المَثَاكيلُ » بفَتْحِ الميمِ وثاءٌ مُثَلَّثةٌ بَعْدَها أَلفٌ ثُمَّ كافٌ مَكْسورةٌ ثُمَّ ياءٌ ساكِنَةٌ بَعْدَها لامٌ: [جَمْعُ مِثْكالٍ، وهي المَرْأَةُ التي فَقَدَت وَلَدَها][3].

... [4] الكَثيرِ الخَيالِ بالسَّرابِ[5]، واصطِلاءِ الحِرْباءِ بالشَّمْسِ[6] حَتَّى يَنْضُجَ جِلْدُها[7] منْ شِدَّةِ حَرِّها[8] وضَجَرِ الحادي وإِشْفاقِهِ على الإِبِلِ منْ شِدَّةِ الحَرِّ، والسَّيْرِ في المَفاوِزِ وَقْتَ ارْتِفاعِ النَّهارِ.

والمعنى: أَنَّ[9] ذراعَيْها[10] في سُرْعَةِ السَّيْرِ كَذراعَيْ[11] امرأَةٍ طَويلَةٍ قامَتْ تَلْطُمُ وَجْهَهَا لِشدَّةِ حُزْنِها على وَلَدِها، فَجاوبَها نِسْوَةٌ فَقَدْنَ أَوْلادَهُنَّ، وذلكَ أَنَّها إِذا رَأَتْ حُزْنَ غَيْرِها على وَلَدِها، وشِدَّةَ ما عَلَيْه[12] منَ اللَّطْمِ، اشْتَدَّ فِعْلُها، وقَوِيَ تَرْجيعُ /يَدَيْها[13] عِنْدَ النَّائِحَةِ. وهذا التَّشْبيهُ في غايَةِ الحُسْنِ. (١٥٨أ)

فَإِنْ قيلَ ما المَعْنَى في وَصْفِها بالطُّولِ في قَوْلِهِ: « عَيْطَلٍ » وبالتَّوَسُّطِ في السِّنِّ في

---

(١) في النسخ جميعاً « بكسر النون » وهو تحريف.

(٢) « واسكان » ساقطة من ب، ض.

(٣) ما بين المعكوفتين زيادة من لسان العرب (مادة ثكل ج١٣ / ٩٣) يستقيم بها السياق.

(٤) في الكلام سقط أصاب النسخ جميعاً. ولعل تقديره [يصف سرعة سير الناقة في وقت الهاجرة].

(٥) في الأصل: « الكثيرة الجبال بالسراب » وفي ل: « الكثيرة الجبال بالشراب ».
– كذا في ب، ك، ض، وفي الأصل.

(٦) في ب، ض: « واصطلاء الحر بالشمس ».

(٧) في ظ، ل « جلده » وأشير إلى « جلدها » في هامش ل على أنه نسخة.

(٨) في ب، ض: « من شدة الحر ».

(٩) « والمعنى أن » ساقط من ظ، ل، وأشير إليه في هامش ل على أنه نسخة.

(١٠) في ظ، ك: « ذراعها ».

(١١) في ب، ض: « كذراع ».

(١٢) في ل: « وشدة ما عليها » وأشير إلى « ما عليه » أنه نسخة.

(١٣) في ل: « ترجيع يدها ».

قَوْله: «نَصَف»؟ الجَوابُ: أَنَّ الطَّويلَةَ تَكُونُ أَطْوَلَ ذراعاً، فَتَكُونُ أَوْسَعَ خُطْوَةً، فإذا وافَقَها[1] سُرْعَةُ الحَرَكَة مَعَ ذلكَ، كانَ في غاية الإسْراعِ، وأَمّا التَّوَسُّطُ في السِّنِّ؛ فإِنَّهُ حينَ اكتمال قُوَّتِها، وبُلُوغ أَشُدِّها، وتَمامِ قامَتِها، إِذْ تَكُونُ قَد انْتَهَتْ في الطُّول، فَتَكونُ أَمَدَّ لِلْخُطْوَةِ[2]، وأَمْكَنَ للسُّرْعَة.

(١) في ض: «فإذا رافقها».

(٢) في ض: «أمد الخطوة».



البَيْتُ الثَّانِي والثَّلاثُونَ

نوَّاحَـــةٌ رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لهـــا لَمَّا نَعى بِكْرَهَا النَّاعونَ مَعْقُولُ(١)

قَوْلُهُ: «نَوَّاحَةٌ»، أَيْ كَأَنَّ ذراعَيْها في تِلْكَ الحَالَةِ ذراعا عَيْطَلٍ نَوَّاحَةٍ، والنَّوَّاحَةُ بِفَتْحِ النُّونِ وتَشْدِيدِ الواوِ وَبَعْدَها أَلِفٌ وحاءٌ(٢) مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ هاءُ التَّأْنيثِ: التي بَالَغَتْ في نَوْحِها على مَيِّتِها. و«الرِّخْوَةُ»(٣) بِكَسْرِ الرَّاءِ وإِسْكانِ الخَاءِ وفَتْحِ الواوِ(٤): المُسْتَرخِيَةُ(٥)، والمُرادُ بالضَّبْعَيْنِ: العَضُدانِ، بِفَتْحِ الضَّادِ وإِسْكانِ الباءِ وفَتْحِ العَيْنِ وبَعْدَها يَاءٌ ثُمَّ نونٌ.

وقَوْلُهُ: «لَيْسَ لها لَمَّا نَعَى بِكْرَها النَّاعونَ مَعْقولُ» أَيْ: لَيْسَ لَهَا لَمَّا نُعِيَ(٦) بِكْرُها مِنْ أَوْلادِها مَعْقُولُ، والنَّعْيُ: عِبارَةٌ عَنِ الإِخْبارِ بِمَوْتِ(٧) المَيِّتِ وإِذاعَتِهِ ونَدْبِهِ(٨)،

---

(١) في ض: «نواحةٍ» بالخفض، وهي رواية التبريزي (ص٢٩) وابن بشران والبغدادي (ص١٤١) والسبكي (١/ ٢٤٠) والقرشي (٢/ ٧٩٥) وابن سيد الناس (٢/ ٢٨٤). وفي بقية النسخ «نواحةٌ» بالرفع، وهي رواية ابن هشام في السيرة (٤/ ١٣٦١) وابن الأنباري (ص١٠٧) والقرشي (٢/ ٧٩٥) وابن كثير (٤/ ٤٣٠)، وروى السكري بالرفع والخفض معاً (ص١٨)، ومن روى «نواحةٍ» بالخفض روى «رخوة» بالخفض أيضاً، ومن روى «نواحةٌ» بالرفع روى «رخوةٌ»، وكذلك الحال فيمن روى بالرفع والخفض، غير أن البغدادي روى «نواحةٍ رخوةُ» (ص١٤١).

– قال ابن هشام: «وهي (نَوَّاحةٍ) بالخفض صفة لعيطل، أو بالرفع خبر لهي محذوفة، أو بالنصب بتقدير أمدح أو أعنى، والأوجه الثلاثة في قوله «رخوة» وعلى الخفض فإنما جاز أن تقع صفة للنكرة ؛ لأن إضافتها لفظية كحسن الوجه» (ص١٧٢).

(٢) في ل «وبعد الألف حاء مهملة».

(٣) كذا «والرخوة» في ض أيضاً، وفي ظ، ب، ل: «الرخوة» بدون الواو.

(٤) «وفتح الواو» ساقط من ض.

(٥) في ض: «والمسترخية».

(٦) في ظ، ب: «ليس لما نُعِي بكرها».

(٧) في ك: «موت» بدون الباء.

(٨) الندب غير النعي، ندب الميت: بكى عليه وعدد محاسنه، والندب أن تدعو النادبة الميت بحسن الثناء في قولها: وافلاناه... (اللسان مادة ندب ٢/ ٢٥١).

و«البكْرُ» بكَسْرِ البَاءِ وإِسْكان الكَاف: أَوَّلُ أَوْلادِ الأُمِّ، و «النَّاعونَ»: المُخْبِرونَ بالمَوْت، النَّادبُونَ لَهُ، و«المَعْقُولُ» هُنا بمَعْنى العَقْلِ.

ومَعْنَى البَيْت: أَنَّ هذه النَّائحةَ التي شَبَّهَ ذراعَيِّ النَّاقة في سُرْعَة الحَرَكَة بذراعَيْها مَعَ كَثْرَة نَوْحِها، مُسْتَرْخِيَةُ العَضُدَيْنِ، فَيَداها[1] سَرِيْعَتا[2] الحَرَكَة، وأَنَّها لَمَّا أَخْبَرَها النَّاعونَ بمَوْت[3] وَلَدِها، لم يَبْقَ لَهَا عَقْلٌ[4]، فَهِيَ مَعَ اسْتِرْخائها، وسُرْعَة حَرَكَة يَدَيْها، وقُوَّة نِياحَتِها، لَيْسَ لها منَ العَقْلِ رادعٌ يَرْدَعُها، ولا زاجرٌ يَزْجُرُها، ولا تُحسُّ بالإِعْياء والتَّعَب، فكانَتْ نِياحَتُها حينَئذٍ أَشَدَّ وأَبْلَغَ، وكَذَلكَ هذه النَّاقةُ في سَيْرِها، ويُؤَكِّدُهُ قَوْلُهُ في البَيْت السَّادسِ والعشْرينَ[5]: «وَهِيَ لاهِيَةٌ» على إِحْدَى[6] الرِّوايَتَيْنِ كما تَقَدَّمَ هُناكَ، وَقَدْ وَقَعَ المُبالَغَةُ في أَرْبَعَة[7] أَوْجُه:

أَحَدُها: أَنَّ صِيْغَةَ «نَوَّاحَة» مُبالَغَةٌ مُقْتَضِيَةٌ لكَثْرَة النَّوْحِ.

الثَّاني: أَنَّ الرِّخْوَةَ الضَّبْعَيْنِ أَسْرَعُ حَرَكَةً منْ غَيْرِها.

الثَّالثُ: أَنَّ وَلَدَها المَنْعِيُّ إِليها هو بكْرُها وأَعَزُّ أَوْلادها.

الرَّابعُ: أَنَّهُ نُعِيَ إِليها وجَاءَها خَبَرُهُ منْ بَعْدُ، ولم تَكُنْ مُمَرِّضَةً لَهُ فَتَتَسَلَّى بتَمْريضه[8].

---

(١) في ب: «فيدانها» وفي ض: «قيداها».

(٢) كذا «سريعتا» في الأصل وشرح ابن هشام (ص١٧٣).

(٣) في ل، ك: «موت» بدون الباء.

(٤) قوله «مسترخية العضدين... لم يبق لها عقل» منقول بحرفيته من شرح ابن هشام (ص١٧٣).

(٥) في ظ، ل: «والعشرون» وهو لحن من الناسخ.

(٦) كذا «إحدى» في الأصل، وفي بقية النسخ «أحد».

(٧) في ل، ض: «من أربعة».

(٨) زاد في ض: «والله سبحانه وتعالى أعلم».

البَيْتُ الثَّالثُ والثَّلاثُون

تَفْرِي اللَّبَانَ بِكَفَّيْها ومِدْرَعُها مُشَقَّقٌ عَنْ تَراقِيها رَعابِيلُ[1]

قَوْلُهُ: «تَفْرِي» بفَتْحِ التَّاءِ وإسْكَانِ الفَاءِ وكَسْرِ الرَّاءِ وبَعْدَها ياءٌ، أَيْ: تَقْطَعُ، واللَّبَانُ بِفَتْحِ اللَّامِ: الصَّدْرُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ في قَوْلِهِ: «يَمْشِي القُرادُ عَلَيْها ثم يُزْلِقُهُ لَبَانٌ»، وَقَوْلُهُ: «ومِدْرَعُها» أَيْ: وَمِدْرَعُ تِلْكَ النَّوَّاحَةِ، والمِدْرَعُ بِفَتْحِ الميمِ وإسْكانِ الدَّالِ وَفَتْحِ الرَّاءِ: القَمِيْصُ، و «المُشَقَّقُ»: المَشْقوقُ بِكَثْرَةٍ، و«التَّراقي» بفَتْحِ التَّاءِ والرَّاءِ وبَعْدَ الأَلفِ قافٌ وياءٌ: عِظَامُ الصَّدْرِ التي يَقَعُ عَلَيْها القِلادَةُ، ومنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **كلا إِذا بَلَغَت التَّراقِيَ** ﴾[2]، بَلَغَت الرُّوحُ عظامَ صَدْرِه[3]، و«الرَّعابِيْلُ» بِفَتْحِ الرَّاءِ والعَيْنِ وبَعْدَ الأَلِف باءٌ مُوَحَّدَةٌ ثُمَّ ياءٌ مُثَنَّاةٌ تَحْتُ وفي آخِرِهِ لامُ القَطْعِ.

ومَعْنَى البَيْت: أَنَّ هذه النَّائحَةَ لما ذَهَبَ عَقْلُها بنَعْي وَلَدِها إِلَيْها[4]، صَارَتْ تَقْطَعُ صَدْرَهَا بكَفَّيْهَا، وقَميصُها مُشَقَّقٌ، قُطِعَ عَنْ صَدْرِها. وهو كالمُؤَكِّد للَّذي قَبْلَهُ[5] في ذَهابِ العَقْلِ، والمرادُ تَشْبِيهُ النَّاقَةِ بها في هذهِ الحالَةِ، أَنَّها صارَتْ مَسْلُوبَةَ الإِدراكِ لما تُلاقِيه

---

(١) كذا وقع هذا البيت ثالثاً وثلاثين في ترتيب روايته عند التبريزي (ص٣٠) وابن هشام الانصاري (١٧٤) وهو الثاني والثلاثون في رواية السبكي (١/ ٢٤٠) والحادي والثلاثون في رواية السكري (ص١٨) وابن الأنباري (ص١٠٧) وابن سيد الناس (٢/ ٢٨٤) وهو الثلاثون في رواية ابن كثير (٤/ ٤٣٠) وهو الرابع والثلاثون في رواية ابن هشام في السيرة (٤/ ١٣٦١) والقرشي (٢/ ٧٩٥) والسهيلي (٤/ ١٦٠) وسقط البيت من رواية ابن بشران (ص٨١) والبغدادي (انظر ص١٤١-١٤٢) والحاكم (انظر ٣/ ٥٨١).

- «روى: ترمي اللبان، أي: تضربه، وروى نفطويه: تمري اللبان، أي تمسحه بيديها، وهذا شيء يفعله المكروب». (حاشية على بانت سعاد ج٢/ ٦٣٤).

(٢) سورة القيامة: آية رقم ٢٦.

(٣) في ب، ض: «وتراقيه عظام صدره».

(٤) كذا «إليها» في ظ، ل وهو الصواب، وفي بقية النسخ «لها».

(٥) في ض: «وهو كالموكد الذي قبله».

مِنَ المَحْذورِ في سَيْرِها، كما أَنَّ هذه صارَتْ مَسْلوبَةَ الإِدراكِ[1] والعَقْلِ، لا تُحِسُّ بما تُلاقيْهِ[2] مِنَ الأَلَمِ في بَدَنِها وما يَفْسُدُ مِنْ ثيابِها.

وهذا آخِرُ ما أَتى عَلَيْهِ مِنْ أوصافِ النَّاقَةِ، واللَّهُ أَعْلَمُ بالصَّوابِ[3].

---

(١) «الإدراك» ساقطة من ل، ض.

(٢) في ل، ض: «بما تلاقي».

(٣) «والله أعلم بالصواب» ساقطة من الأصل.

البَيْتُ الرَّابعُ والثَّلاثُونَ

تَسْعَى الوُشَـاةُ جَنابَيْهـــا وقولُهُمُ إنَّكَ يا ابنَ أَبي سُلْمَى لَمَقْتولُ(١)

قَوْلُهُ(٢): «تَسْعَى»: تَحْتَمِلُ(٣) ثَلاثَ مَعَانٍ:

الأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ: سَعَى به إِلى السُّلطانِ سِعايَةً، إِذا وَشَى بِهِ.

الثَّاني: أَنْ يَكُونَ مِنْ باب الإِسْراعِ في السَّيْرِ، ومِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ إِنَّهُ قالَ(٤): «إِذا أَتَيْتُمُ الصَّلاةَ فلا تَأْتُوها وأَنْتُمْ تَسْعَونَ»(٥)، ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وجَاءَ رَجُلٌ من أَقْصى المَدِيْنَةِ يَسْعَى﴾(٦).

---

(١) كذا «تسعى» بتاء فوقية في رواية ابن هشام في السيرة (٤/١٣٦١) والتبريزي (ص٣٠) وابن الأنباري (ص١٠٨) والحاكم (٣/٥٨١) وابن كثير (٤/٤٣٠) والسهيلي (٤/١٦٠) والقرشي (٢/٧٩٦)، وروى السكري «يسعى» (١٠٩) وكذلك البغدادي (ص١٤٢) وابن هشام الأنصاري (ص١٧٥) والسبكي (١/٢٤٠) والعسكري (المصون ٢٠٢) وروى ابن سيد الناس (٢/٢٨٤): «تمشي».

- روى ابن كثير «تسعى الغواة» وكذلك العسكري (المصون ص٢٠٢)، وابن بشران.

- كذا «جنابيها» في رواية عبد الملك بن هشام وأبي البركات بن الأنباري، وابن هشام الأنصاري، وروى السكري والتبريزي وصاحب الجمهرة والبغدادي: «بجنبيها» وروى العسكري: «بدَفَّيْها»، وكذلك ابن بشران.

- كذا «وقولهم» في رواية عبد الملك بن هشام والسكري والتبريزي، وصاحب الجمهرة وابن هشام الأنصاري، وفي رواية أبي البركات بن الأنباري والعسكري وعبد اللطيف البغدادي: «وقيلهم» وذكرها السكري بقوله: «ويروى وقيلهم، ورواه أبو عبيدة بالنصب» (ص١٩) وقصر نفطويه روايته عليه (حاشية ٢/٦٥٥) قال ابن الأنباري: «وقيلهم منصوب على المصدر، ويجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء، وتكون الواو فيه واو الحال». (ص١٠٨).

(٢) كذا «قوله» في الأصل، وهي ساقطة من بقية النسخ.

(٣) في ل، ض: «يحتمل».

(٤) «أنه قال» ساقطة من ض، وهو الأجود للسياق.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الآذان (١/١٥٦) باب لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة، وفي الجمعة (١/٢١٧) باب المشي إلى الجمعة، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/٤٢٠) حديث ١٥١-١٥٥ باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعياً، ومالك في موطئه - كتاب الصلاة (١/٦٨-٦٩) باب ما جاء في النداء إلى الصلاة، وأبو داود في كتاب الصلاة (١/٣٨٤) برقم ٥٧٢) باب السعي إلى الصلاة، والترمذي في أبواب الصلاة (٢/١٤٨-١٤٩ برقم ٣٢٧) باب ما جاء في المشي إلى المسجد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) سورة القصص: آية رقم ٢٠ وتمامها: **﴿وجاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى المَدِيْنةِ يَسْعَى قالَ يا موسى إنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتلُوكَ فاخرجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينْ﴾**.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِم: سَعَى إِلَيهِ، إذا أَتَاهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ الله**﴾(١).

و«الوُشَاةُ» بضَمِّ الواوِ: جَمْعُ واشٍ، وهو الذي يَمْشِي بالنَّمِيمةِ لِيُغَيِّرَ الخَواطِرَ، وسُمُّوا وُشاةً؛ لأَنَّهُمْ يُوَشُّونَ الحَديثَ، أَيْ: يُزَيِّنونَهُ(٢)، أَخذاً مِنَ الوَشْيِ.

وَقَوْلُهُ: «جَنَابَيْها» أَيْ: جانِبَيْ سُعَادَ لا النَّاقةَ(٣)، وواحِدُها جَانِبٌ بفَتْحِ الجِيمِ، وهو فِناءُ الشَّيْءِ وما حَوْلَهُ، والمُرادُ هُنا: ناحِيَتَنا النَّاقة، ويُرْوَى: «حَوَالَيْها» بَدَلَ «جَنَابَيْها» وهو بِمَعْناهُ، ومِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ في دُعاءِ الاسْتِسْقاءِ: «اللَّهُمَّ حَوالَيْنا ولا عَلَيْنا»(٤).

و«**قَوْلُهم**»: حِينَئذٍ هذا القَوْلَ، ويُرْوَى: «وقِيلُهُمْ(٥)» بكَسْرِ القَافِ، وهو بِمَعْنى

---

(١) سورة الجمعة: آية رقم ٩ وتمامها ﴿**يَا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا إذا نُودِيَ للصَّلاة مِنْ يَوْمِ الجُمُعَة فاسعوا إلى ذكرِ الله وذَروا البَيْعَ ذلكم خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونْ**﴾.

- المعنى الثاني وشاهده من الحديث والمعنى الثالث وشاهده من الآية مأخوذ من شرح ابن هشام (ص١٧٦).

(٢) وشى الكذب والحديث يشي: يؤلفه ويلونه ويزينه.

(٣) قال عبد اللطيف البغدادي «وقوله بجنبيها، أي بجنبي المدينة، ويقال إن الضمير يرجع إلى المرأة، أي يسعى الوشاة حول هذه المرأة بوعيد رسول الله ﷺ» (ص١٤٣) وذهب الشراح إلى أن الضمير في «جنابيها» يعود إلى سعاد، أي من يشي إليها بوعيد النبي ﷺ، (انظر شرح التبريزي ص٣٠ وشرح ابن الأنباري ص١٠٨ وشرح ابن هشام ص١٧٨).

- قال عبداللطيف البغدادي: «ولا يخفى أن الضمير إنما هو راجع إلى الناقة... ولا يصح أن يرجع إلى سعاد، لأن الخطاب بقولهم: «إنك يا بن أبي سلمى لمقتول» لا يناسبه أن يكون المشي حول سعاد، بل المشي حول الناقة، وأن الوشاة يأتون حوالي الناقة ويخوفونه، بدليل أن قولهم هذا له لا لها، ثم رأيت الشارح البغدادي قد تنبه لهذا، قال: وها في جنابتيها ضمير الناقة الموصوفة بالصفات المذكورة، كذا قال ابن الأنباري وهو جيد، وقال التبريزي: هي ضمير سعاد التي ذكر أنه لا يبلغه إليها إلا العتاق، وهو بعيد، ويحتمل أن يكون ضمير موصوف نواحه وهو عيطل، انتهى كلامه» (حاشية على شرح بانت سعاد ج٢ ص٦٥٤).

(٤) قوله: «ويروى حواليها... اللهم حوالينا لا علينا» مأخوذ من شرح ابن هشام (ص١٧٧).

- الحديث أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء (٢/١٦-١٧) باب الاستسقاء في المسجد الجامع و (٢/١٧) باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة (٢/١٧-١٨) باب الاستسقاء على المنبر و(٢/١٩) باب الدعاء إذا كثر المطر حوالينا لا علينا من حديث أنس.

وأخرجه مسلم في صلاة الاستسقاء (٢/٦١٢-٦١٤) باب الدعاء في الاستسقاء وأبو داود في كتاب الصلاة (١/٦٩٣-٦٩٤ برقم ١١٧٤) باب رفع اليدين في الاستسقاء مطولاً.

(٥) مضى تخريج هذه الرواية.

القَوْلِ أَيْضاً، يُقالُ: قالَ يَقُولُ قَوْلاً وقِيْلاً، وأَرادَ «بابنِ أَبي سُلْمَى» وهو كَعْبُ بنُ زُهَيْر ابن أَبي سُلْمى، نَسَبَ بُنُوَّتَهُ إلى جَدِّه، كَما في قَوْلِه ﷺ: «أَنا النَّبيُّ لا كَذِبْ، أنا ابنُ عَبْدِ المُطَّلِب»[١]. و«سُلْمَى» بِضَمِّ السِّينِ، قالَ عُلَماءُ الحَدِيْثِ: «ولَيْسَ في العَرَبِ سُلْمَى بِضَمِّ السِّينِ غَيْرُهُ».

والمُرادُ بِقَوْلِه: «لَمَقْتُولُ» أَيْ: لَصَائِرٌ إلى القَتْلِ، كَما في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُم مَيِّتُون**﴾[٢]، أَيْ لَصائِرونَ إلى المَوْتِ.

ومَعْنَى البَيْتِ: ما كَفَى[٣] ما لاقاهُ مِنْ صَدِّ مَحْبُوبَتِه وإِعْراضِها عَنْهُ، وبُعْدِها عَنْهُ، بِحَيْثُ صارَتْ إلى مَسافَةٍ في البُعْدِ لا يَبْلُغُها إلا النَّاقَةُ التي وَصَفَها، حَتَّى إِنَّ الوُشاةَ يَسْعَونَ به عِنْدَها، ويُغَيِّرُونَ خاطِرَها عَلَيْه، ويُنَفِّرُونَها عَنْهُ[٤]، ثم يَرْجِعونَ/ إِليه (١٥٨ب) فَيُخَوِّفُونَهُ بالقَتْلِ، ويُضَيِّقونَ عَلَيْه سَبِيلَ النَّجاةِ.

والحاصِلُ أَنَّ أَمْرَ الوُشاةِ يَرْجِعونَ في شَأْنِه إلى مَقْصَدَيْنِ:

المَقْصَدُ الأَوَّلُ: سَعْيُهم به عِنْدَها، وإِيعادُ[٥] صَدِّها عَلَيْه، وهو بِقَوْلِه[٦]: «تَسْعَى الوُشاةُ جَنابَيْها». وهذا ابْتُلي به كَثيرٌ مِنَ المُحِبِّينَ فِيمَنْ يُحِبُّونَهُ[٧]، فَقَلَّ أَنْ يَظْفَرَ الإِنْسانُ بِمَنْ يُحِبُّهُ إلاّ حُسِدَ عَلَيْه، وتَطَرَّقَتْ عُيونُ الوُشاةِ إليه، فاسْتَمالُوهُ عَنْهُ،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (٥/٩٨-٩٩) باب قول الله تعالى: ﴿**ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم**﴾ وفي الجهاد (٣/٢١٨) باب من قاد دابة غيره في الحرب. و(٣/٢٢٠) باب بغلة النبي ﷺ البيضاء. و(٣/٢٣٣) باب من صف أصحابه عند الهزيمة، ونزل عن دابته واستنصر. و(٤/٢٨) باب من قال خذها وأنا ابن فلان، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) سورة الزمر: آية رقم ٣٠.

(٣) في ب، ل، ض: «ما كفاه».

(٤) في الأصل: «وينفذونها».

- في هامش ب: «وينفرون طبعها عنه».

(٥) في ض: «وإبعاد».

(٦) في ض: «وهو المراد بقوله».

(٧) في ب، ض: «ابتلى به كثيرون من المحبين فيمن يحبون».

وصَرَفوا نَظَرَهُ(١) عَنْ رُؤْيَةِ مَحَاسنه، وإِنْ كانَ الصَّادقُ في المَحبَّة لا يُغَيِّرُهُ(٢) على مَنْ يُحبُّهُ إِعْراضٌ، ولا يَصْرِفُ قَلْبَهُ عَنْ مُحبِّه(٣) صُدُودٌ، وما دامَ النَّاسُ قَديماً وحَديثاً يَذُمُّونَ الوُشاةَ ويُحَذِّرونَ منْهُمْ، ويَقْرِنُونَهُمْ بالذَّمِّ بالعاذلِ والرَّقيبِ، وَللّه دَرُّ(٤) القائلِ في المَعْنَى(٥):

عِنْدي لَكُمْ يَوْمَ التَّواصُلِ دَعْوَةٌ ... يا مَعْشَرَ الجُلَساءِ والنُّدَماءِ(٦)

أَشْوي قُلُوبَ الحاسدينَ بهـا ... وأَلْسنَةَ الوُشاةِ وأَعْيُنَ الرُّقَبـاءِ

واعْلَمْ أَنَّ السَّعْيَ(٧) والمَشْيَ بالنَّميمَة، وإِفْسَادَ ما بَيْنَ الأَحبَّة، خُصوصاً بالزُّورِ والبُهْتَان أَمْرٌ مَذْمُومٌ شَرْعاً، وقد وَرَدَ الكتابُ والسُّنَّةُ بذَمِّه، والنَّهْي عَنْهُ، قال اللهُ تَعالَى: ﴿ **يا أَيُّهَا الذين آمَنوا إِنْ جاءَكم فاسقٌ بنبأٍ فَتَبَيَّنوا أَنْ تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فتُصْبِحوا على ما فَعَلْتُمْ نادمين** ﴾(٨)، فَأَمَرَ بالتَّبَيُّنِ والتَّثَبُّت(٩) فيما يَنْقُلُهُ السَّاعي، ويَمْشي به النَّمَّامُ، لمَا يَحْملُهُ عَلَيْه الحَسَدُ منَ الكَذب(١٠) والاخْتلاق(١١)، مما يُلْقيه(١٢) في تَضَاعيفِ كلامه، وتَوْجيه زُخْرُف قَوْله، وسَمَّاهُ فاسقاً بقَوْله: ﴿ **إِنْ جاءَكُمْ فاسقٌ** ﴾،

(١) في ض: «وصرفوا نظرهم».

(٢) في الأصل: «لا يغير».

(٣) في ب، ض: «عن محبته».

(٤) «در» ساقطة من ك.

(٥) في ض: «حيث قال في المعنى».

- البيتان: من بحر الكامل.

- البيتان مقطوعة من غير عزو في ديوان الصبابة ص١٦١.

(٦) في ديوان الصبابة: «لي عندهم».

(٧) في ظ، ل: «السعاية».

(٨) سورة الحجرات: آية رقم ٦.

(٩) في النسخ جميعاً «التثبيت والتبيين» ولعل ما أثبته الصواب.

(١٠) في الأصل: «لما يحمله عليه من الحسد والكذب».

- في ب، ض: «لما يحمله عليه من الحسد من الكذب».

(١١) في الأصل: «والاختلاف» بالفاء.

(١٢) في ب، ض: «فيما يلقيه».

والمَعْنَى فيه أَنَّهُ إذا نَمَّ ومَشَى في السِّعايَةِ خَرجَ عن أَنْ يكونَ ثقةً، وقد ذَمَّهُ اللَّهُ تَعَالَى، ونَهى عَنْ طاعَته واتِّباعه بقَوْله: ﴿ **ولا تُطعْ كُلَّ حلاَّف مَهين، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بنَميم، مَنَّاعٍ للْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثيمٍ** ﴾[١]، وَوَعَدَهُ[٢] بالوَيْل بقَوْله: ﴿ **وَيْلٌ لكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ** ﴾[٣] ﴿ **واللهُ يقولُ الحقَّ وهو يَهْدي السَّبيلَ** ﴾[٤] وَقَدْ قالَ[٥] ﷺ: «أَبْغَضُكُمْ إِليَّ المَشَّاؤُونَ بالنَّميمَة، المُفَرِّقونَ بَيْنَ الأَحبَّة»[٦].

وَعيبَ[٧] إِنْسانٌ في كَلامٍ نُقلَ عَنْهُ، قَالَ: مَنْ أَخْبَرَكَ به، قَالَ: الثِّقَةُ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ ثقَةً ما نَمَّ، وَللَّه دَرُّ[٨] القائلِ[٩]:

لا تَسْمَعَنَّ منَ الحَسُود مَقالَةً   لَوْ كانَ حَقّاً ما يَقولُ لَمَا وَشى

وَوَشَى واشٍ برَجُلٍ إِلى ذي القَرْنَيْنِ فَقَالَ: إِنْ شئْتَ سَمعْنا منْكَ ما تَقُولُ فيه، على أَنْ نَسْمَعَ منْهُ ما يَقُولُ فيكَ، وإِنْ شئْتَ عَفَوْنَا عَنْكَ، فَقَالَ: العَفْوُ، لا أَعُودُ[١٠].

---

(١) سورة القلم: آية رقم ١٠-١٢.

(٢) في ب، ل، ض: «وأوعده».

- قال الأزهري: «كلام العرب وعدت الرجل خيراً ووعدته شراً وأوعدته خيراً وأوعدته شراً، فإذا لم يذكروا الخير قالوا وعدته ولم يدخلوا ألفاً، وإذا لم يذكروا الشر قالوا أوعدته ولم يسقطوا الألف، وقال الجوهري: الوعد يستعمل في الخير والشر خلافاً لابن سيده الذي قال الوعد والعدة في الخير وفي الشر الايعاد والوعيد. (اللسان مادة وعد ج٤ /٤٧٩).

(٣) سورة الهُمَزَة: آية رقم ١.

(٤) سورة الأحزاب: آية ٤ وتمامها: ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم، وما جعل أدعيائكم أبناءكم ذلك قولكم بأفواهكم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل** ﴾.

(٥) في الأصل: «وهو يقول».

(٦) هو جزء من حديث أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العمدة (ص١٥٤ برقم ٢٥٣) والطبراني في الصغير (٢/٨٩ برقم ٨٣ - الروض الداني) والأوسط أيضاً، كلاهما من طريق صالح المري عن سعيد الجريري عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة به. قال الطبراني: لم يروه عن الجريري إلا صالح المري (٢/١٦٠).

والحديث ضعفه الحافظ العراقي في تخريج الاحياء (٢/١٦٠) والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢١).

(٧) في ظ، ب، ض: «وعتب».   (٨) «درّ» ساقطة من ك.

(٩) البيت: من بحر الكامل.

- البيت في غرر الخصائص الواضحة ص٥١ منسوب لبعض الشعراء الظرفاء.

(١٠) في عيون الأخبار: «وشى واشٍ برجل إلى الاسكندر؛ فقال له: أتحب أن أقبل منك ما قلت فيه على أن نقبل منه ما قال فيك؟ قال: لا، قال: فكُفَّ عن الشر يَكُفَّ عنك الشر» (٢/٢٤).

وبالجُمْلَة مَنْ قالَ لكَ، قالَ عَلَيْكَ، ومَنْ نَقَلَ حَديثَ غَيْرِكَ إليكَ، نَقَلَ حَديثَكَ إلى غَيْرِكَ، وهذا مَرَضٌ يُبْتَلى به كَثيرٌ منَ النَّاسِ، فَيَصيرُ فيه طَبْعاً مُرَكَّباً، وغَريزَةً ثابتَةً، فلا يَسْتَطيعُ أَنْ يَسْمَعَ حَديثاً إلاّ نَقَلَهُ، ولا مَجْلساً إلا حَكاهُ، وهو كَمَا قيلَ[١]:

تَراهُ يَلْتَقِطُ الأَخْبــارَ مُجْتَهِداً   حَتَّى إذا ما وَعاها زَقَّ ما لَقَطَا

ولِلَّه دَرُّ[٢] القَائلِ أَيْضاً[٣]:

أَنُمُّ بِمَــا اسْتَوْدَعْتُه مِنْ زُجاجَــةٍ   تَرَى الشَّيْءَ فيها ظاهراً وهو باطِنُ[٤]

المَقْصَدُ الثَّاني: إرْجافُهُم وتَخْويفُهم لَهُ، وإِظْهارُ الشَّماتَةِ به، وهو المَعْنِيُّ بِقَوْلِهِمْ: «إنَّكَ يابنَ أَبي سُلْمَى لَمَقْتُولُ».

ومِنْ هُنا تَخَلَّصَ إلى ذِكْرِ قصَّة نَفْسه[٥]، وكَيْفَ كانَ ابْتداءُ أَمْرِه مَعَ النَّبيِّ ﷺ، فانْتَقَلَ منْ ذِكْرِ سَعْي الوُشاة به عنْدَ سُعادَ إلى تَخْويفهمْ لَهُ بالقَتْلِ الذي كانَ أَوْعَدَهُ به النَّبيُّ ﷺ حينَ هَدَرَ دَمَهُ قَبْلَ إسْلامه. وهذا هُوَ النَّوعُ الرَّابعُ منْ أَنْواع النَّسيبِ[٦]، وهو المُتَعَلِّقُ بغَيْرِ المُحبِّ والمَحْبوبِ بسَبَبِهما[٧]، كما تَقَدَّمَ في أَوَّلِ الشَّرْحِ، وهو كالتَّوْطِئَةِ لما يَأْتي بَعْدَهُ منَ المَدْحِ[٨].

---

(١) البيت: من بحر البسيط.

- البيت لابن شرف البغدادي في خريدة القصر (قسم شعراء الأندلس) ق٤/ج٢/١١٩ ونهاية الأرب ٣/٢٩٤ وقبله:

وناصبٍ نحـو أفـواه الورى أذنــاً   كالقعب يلقط منهم كل ما سقطا

(٢) «در» ساقطة من ك.

(٣) البيت: من بحر الطويل.

- لم أقف على قائله.

(٤) في الأصل: «ظاهر» وهو لحن من الناسخ.

(٥) في ب، ض، ك: «تخلص إلى قصة ذكر نفسه».

(٦) في ض: «من أنواع التشبيب».

(٧) في ظ، ل: «بسببه» وأشير إلى ذلك في هامش ل«نسخة».

(٨) زاد في ض: «والله تعالى أعلم».

البَيْتُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

وَقَالَ كُـــلُّ خَليلٍ كُنْتُ آمُلُـــهُ   لا أُلْهِيَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغولُ[1]

قَوْلُهُ: «وقَالَ كُلُّ خَليلٍ»، أَيْ: وقالَ كُلُّ خَليلٍ مِنْ أَخلاَّئي[2]، والخَليلُ: الصَّديقُ، وهُوَ مَأْخُوذٌ منَ الخُلَّة بضَمِّ الخَاء، وهي الصَّداقَةُ، وقَوْلُهُ: «كُنْتُ آمُلُهُ» أَيْ: أَرْجوهُ لوَقْت الشَّدائد والضَّرورات، وقَوْلُهُ[3]: «لا أُلْهِيَنَّكَ»[4]، أَيْ: لا أَشْغَلَنَّكَ[5] عَمَّا أَنْتَ فيْه[6] بأَنْ[7] أُسَهِّلَهُ عَلَيْكَ، وَأَسْأَلَكَ عَنْهُ، يُقالُ لَهَا عَنْهُ، أَيْ: تَشاغَلَ عَنْهُ بغَيْرِه، وَقَوْلُهُ: «إِنِّي عَنْكَ مَشْغولُ»، أَيْ شُغْلُ نَفْسي يَشْغَلُني عَنْكَ.

---

(١) كذا «كل خليل» في رواية ابن سلام (١ / ١٠٠) والسكري (ص١٩) والتبريزي (ص٣١) وأبي البركات ابن الأنباري (ص١٠٨) وابن هشام الأنصاري (ص١٨٠) والسبكي (١ / ٢٤٠). وروى ابن هشام في السيرة (٤ / ١٣٦٢) والسهيلي (٤ / ١٦٠) وابن كثير (٤ / ٤٣٠) وابن سيد الناس (٢ / ٢٨٤) والبغدادي (١٤٤) وابن منظور (مادة لها ٢٠ / ١٢٧): «كل صديق».

– كذا «لا ألهينك» في رواية ابن هشام في السيرة (٣ / ١٣٦٢) والتبريزي وعبد اللطيف البغدادي وابن منظور. وروى السكري وابن هشام الأنصاري: «لا ألفينك». وكذلك رواه ابن سلام الجمحي (١ / ١٠٠) والقرشي في جمهرة أشعار العرب (٢ / ٧٩٦)، ورواه العسكري: «لا أَلْفَيَنَّك» (المصون ٢٠٢).

– ومعنى لا ألفينك، قال السكري: «أي: لا أكون معك في شئ، غيره: لا أنفعك فاعمل لنفسك». (ص١٩).

– كذا وقع هذا البيت خامساً وثلاثين في ترتيب روايته عند التبريزي (ص٣١) وابن هشام الأنصاري (ص١٨٠) ورواه ابن هشام في السيرة (٤ / ١٣٦٢) والقرشي (٢ / ٧٩٦) والسهيلي (٤ / ١٦٠) سادساً وثلاثين، وهو الثالث والثلاثون في رواية ابن الأنباري (ص١٠٨) والسبكي (١ / ٢٤٠) والسكري (ص١٩) والبغدادي (ص١٤٤) وابن سيد الناس (٢ / ٢٨٤) وسقط البيت من رواية ابن بشران (ص٨١)، والحاكم (انظر المستدرك ٣ / ٥٨١).

(٢) في ب، ك: «أخلاي».

(٣) «وقوله» ساقطة من الأصل.

(٤) في ض: «لا لهينك».

(٥) في الأصل: «لأشغلنك» وكذلك ل، ض.

(٦) في ب، ض: «عما كنت فيه».

(٧) في الأصل: «بل».

ومَعْنَى[1] **البَيْت**: أَنَّ أَصْدقاءَهُ[2] الذينَ كانَ يَرْجُوهُمْ لِشَدائِده، ويُخَبِّؤُهُمْ[3] لِوَقْتِ مَصَائِبه، قَدْ تَلاهُوا عَنْهُ وتَغافَلوا، وأَعْرَضوا عَنْ نُصْرَتِه وخَلاصِه منَ القَتْلِ، وتَبَرَّأُوا منْهُ[4] يَأْسَاً منْ سَلامَتِه، وخَوْفاً منْ سَطْوَةِ رَسُولِ الله ﷺ وغَضَبِه حينَ أَهدَرَ دَمَهُ، وأَذِنَ في قَتْلِه لِكُلِّ مَنْ لَقِيَهُ، وحُقَّ لَهُمْ أَنْ يَخْشَوْا سَطْوَةَ النَّبيِّ ﷺ، فَقَدْ ثَبَتَ في الصَّحيحَيْنِ منْ حَديثِ أَنَسِ بنِ مالكٍ أَنَّه[5] ﷺ حينَ نَزَلَ بِخَيْبَرَ قالَ: «اللَّهُ أَكبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذا نَزَلْنا[6] بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَساءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ»[7].

هذا وَقَد هَادَاهُ جَميعُ المُلُوكِ، واتَّقَوا سَطْوَتَهُ وخافُوهُ، فَهُم ما بَيْنَ مُسْلِمٍ ومُسالِمٍ، كَيْفَ واللهُ تَعالَى أَيَّدَهُ بالنَّصْرِ، وحَمَاهُ بالعِصْمَةِ![8].

---

(١) «ومعنى» ساقطة من ل.

(٢) في ك: «أن أصدقاؤه».

(٣) في ض: «ويخباوم».

(٤) في ض: «وتبروا منه».

(٥) في الأصل: «أن النبي».

(٦) في ظ، ك: «إذا نزل».

(٧) الحديث أخرجه البخاري في الجهاد (٤/٥) باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة و(٤/١٥-١٦) باب التكبير عند الحرب، وفي كتاب المغازي (٥/٧٣) باب غزو خيبر وفي غير موضع. وأخرجه مسلم في الجهاد والسير (٢/١٤٢٦ برقم ١٣٦٥) باب غزو خيبر، والنسائي في النكاح (٦/١٣١-١٣٤) باب البناء في السفر كلهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٨) زاد في ب، ك، «انتهى».

البَيْتُ السَّادِسُ والثَّلاثُونَ

فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلي، لا أَبَـا لَكُمُ   فَكُلُّ ما قَدَّر الرَّحمنُ مَفْعُولُ[١]

قَوْلُهُ: «فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلي» وخَلُّوا بِمَعْنَى: اتْركوا، والسَّبِيلُ: الطَّرِيقُ، وقَوْلُهُ «لا أَبا لَكُم» نَفْيٌ للأَبِ عَنْهُمْ، كما يَقُولُونَ لا أَبا لَكَ، وهِيَ كَلِمَةٌ تَقُولُها العَرَبُ تَقْصِدُ بِها الذَّمَّ تَارَةً والمَدْحَ أُخرى، فأمّا مَعْنَى المَدحِ، فإِنَّهُم يُرِيدونَ نَفْيَ نَظِيرِ المَمْدوحِ، إِذْ نَظِيرُهُ لا يَكُونُ مِنْ أَبٍ مِثْلِ أَبِيه، فإذا نَفَى / أَنْ يَكونَ لَهُ أَبٌ، امْتَنَعَ أَنْ يكونَ لَهُ نَظِيرٌ، (١٥٩أ) وأَمَّا مَعْنَى الذَّمِّ؛ فإِنَّهُمْ يُرِيدونَ أَنَّهُ مَجْهولُ النَّسَبِ، لا يَعْرِفونَ لَهُ أَباً[٢]. **وقَوْلُهُ**: «فَكُلُّ ما[٣] قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعولُ»، أَيْ: ولا بُدَّ[٤] أَنْ يَقَعَ[٥].

ومَعْنَى البَيْت: أَنَّهُ لما يَئِسَ مِنْ نُصْرَةِ أَخلاَّئه[٦]، وتَحَقَّقَ أَنَّهم لا يُغْنونَ عَنْهُ شَيْئاً، ولا يَسْتَطِيعونَ أَنْ يَمْنَعوا[٧] بَأْسَ رَسول اللَّه ﷺ عَنْهُ، أَمَرَهُمْ أَنْ يُخْلوا طَرِيقَهُ لِيَذْهَبَ إِلى رَسُولِ اللَّه ﷺ، ولا يَحْبِسوهُ[٨] عَنْ لِقائه، والمُثُول بَيْنَ يَدَيْه، لِيَمْضِيَ فيه حُكْمُهُ، ذاماً لَهُمْ، ومُنْتَهِكاً[٩] لَهُمْ بِقَوْلِه: «لا أَبَا لَكُم»[١٠].

---

(١) روى السكري: «فقلت خلوا طريقي» (ص١٩) وكذلك ابن سيد الناس (٢/ ٢٨٤).
- روى الحاكم «خلوا الطريق يديها» (٣/ ٥٨١)، وروى ابن بشران: «خلوا سبيل يديها» (ص٨١).
- روى ابن سلام الجمحي: «ما وعد الرحمن» (طبقات ١/ ١٠١).

(٢) في ظ، ل: «لا يعرفون له أب».
(٣) في ل: «فكلما».
(٤) في ل: «لا بد».
(٥) في ض: «ولابد أن يقع».
(٦) في ض: «أحلامه».
(٧) «أن يمنعوا» ساقطة من الأصل.
(٨) في الأصل: «لا يحبسونه».
(٩) في ل: «ومنتهكاً».
(١٠) يقول الأستاذ محمود شاكر معقباً على مثل هذا الشرح: «ولا أرتضي هذا السياق في معنى الشعر، فإنه ذكر قبل أن كل خليل قال له: إني عنك مشغول، فليس أحد منهم يحبسه أو يملكه، حتى يصح سياق هذا الشرح، وأرى أن معنى «خلوا سبيلي» هو الاستنكار والاستهزاء والأنفة من التجائه إليهم، والتحقير لشأنهم فيقول افسحوا طريقي وابتعدوا عنه أيها الجبناء، وليس منهم إمساك ولا حبس له عن المثول بين يدي رسول الله، وقوله لا أبا لكم، مما يستعمله العرب على وجه الذم الشديد، ويأتون به في المدح على طريق التعجب» (حاشية طبقات فحول الشعراء رقم ١ ص١٠١).
- قال البغدادي: «لا أبا لكم: يكون مدحاً وذماً، وهي كلمة يقولها المتفجع والمتوجع والموبخ والداعي والمقسم». (ص١٤٦ وانظر أقوال أهل العلم في ذلك في حاشية على بانت سعاد ٢/ ٦٩١-٦٩٢).

واسْتَنَدَ في أَمْرِهِ إلى اعْتماد قَدَرِ الله[1] تَعَالَى، مُتَيَقِّناً أنَّ مَا قُدِّرَ لَهُ وعَلَيْه، لا بُدَّ أَنْ يَسْتَوفِيَهُ، لا مَحِيدَ لَهُ عَنْهُ، ولا بَرَاحَ[2] لَهُ عَنْ[3] اسْتِيفائِهِ، فَأَدْرَكَتْهُ العِنَايَةُ الإِلهيَّةُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: قُوَّةُ عَزْمِه على لِقاءِ[4] النَّبيِّ ﷺ، والمَسِيرِ[5] إليه لِيَحْصُلَ على السَّعادة الأَبَديَّة، والنِّعَمِ السَّرْمَديَّة، التي لا تَحِيدُ ولا تَنْفَدُ، وذلكَ أَنَّهُ تَحَقَّقَ بما كَتَبَ إليه أَخُوهُ[6] بُجَيْرٌ، أَنَّه ﷺ يَقْبَلُ مَنْ جاء إليه تائباً، ولا يُطالِبُ بما كانَ قَبْلَ الإِسْلامِ، كما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ في أَوَّلِ الشَّرْحِ.

وكانَ ذلكَ قَدْ شَاعَ عَنْهُ ﷺ في قَبَائِلِ العَرَبِ، وطوائفِ الأُمَمِ، وشَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ للإِسْلامِ، وَهَدَاهُ الصِّراطَ المُسْتَقيمَ، كَمَا في قَولِه تَعَالَى[7]: ﴿**مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهْتَدِي، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً**﴾[8].

الوَجْهُ الثَّاني: رُكُونُهُ إلى القَدَرِ، واعترافُهُ بوُقُوعِه، تَوْفِيقاً لِمَذْهَبِ الحَقِّ، ومَنْهَجِ الصِّدْقِ، قالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[9] وقالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وكانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً**﴾[10]، وقَدْ أَخْرَجَ أَبو داودَ مِنْ حَديثِ[11] عُبادَةَ بنِ الصَّامتِ رَضِيَ

(١) في ب، ك، ض: «قدرة الله».
(٢) في الأصل: «ولا برح».
(٣) «عن» ساقطة من ض.
(٤) في الأصل: «على التقاء».
(٥) في الأصل: «والمشي».
(٦) «أخوه» ساقطة من ض.
(٧) «كما في قوله تعالى» ساقطة من ب، ك، ض.
(٨) سورة الكهف: آية رقم ١٧.
- تمام الآية: ﴿**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه، ذلك من آيات الله، من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً**﴾.
(٩) سورة القمر: آية رقم ٤٩.
(١٠) سورة الأحزاب: آية رقم ٣٨.
- تمام الآية: ﴿**ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له، سنة الله في الذين خلوا من قبل، وكان أمر الله قدراً مقدوراً**﴾.
(١١) في ض: «من حيث».

اللهُ عَنْهُ[١] أَنَّهُ قَالَ لابنه عِنْدَ المَوْت: يا بُنَيَّ إِنَّكَ لم تَجدْ طَعْمَ حَقيقَة الإيمان حَتَّى تَعْلَمَ؛ أَنَّ[٢] ما أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ ليُخْطئَكَ، وما أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ ليُصيبْكَ، فَإِنِّي سَمعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «إِنَّ أَوَّلَ[٣] ما خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ قالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقالَ: يا رَبِّ، وما أَكْتُبُ؟ قالَ: اكْتُبْ مَقاديرَ كلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، يا بُنَيَّ، إِني سَمْعْتُ رَسولَ الله ﷺ يَقولُ: «مَنْ ماتَ على غَيْرِ هذا، فَلَيْسَ منِّي»[٤].

وفي صَحيح مُسْلمٍ وغَيْرِه منْ حَديث يَحْيى بن يَعْمَرَ قالَ: أَوَّلُ ما كانَ في القَدَرِ بالبَصْرَة مَعْبَدٌ الجُهَنيُّ[٥]، فانْطَلَقْتُ أَنا وحُمَيْدُ بنُ عبد الرَّحْمن الحِمْيَريُّ حاجِّينَ أَوْ مُعْتَمرينَ، [فَقُلْنَا: لَوْ لَقينَا أَحَداً منْ أَصْحَاب رَسُول اللَّهُ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤلاء في القَدَر، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّه بنُ عُمَرَ داخلاً المَسْجدَ][٦] فاكتَنَفْتُهُ أَنَا وصاحبي، أَحَدُنا عَنْ يَمينه، والآخَرُ عَنْ شماله، وظَنَنْتُ أَنَّ صاحبي[٧] مُتَّكِلٌ عَلَيَّ في الكلام، فَقُلْتُ يا أَبا[٨]

---

(١) زاد في ض: «رضي الله تعالى عنه».

(٢) «أن» زيادة في ل.

(٣) «أول» ساقطة من الأصل.

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في السنة (٥/ ٧٦ برقم ٤٧٠٠) باب القدر، والترمذي في القدر (٤/ ٤٥٧-٤٥٨ برقم ٢١٥٥) باب ٧١ وقال غريب من هذا الوجه، وأبو داود الطيالسي في مسنده (ص٧٩ برقم ٥٧٧) وأحمد في المسند (٥/ ٣١٧) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

(٥) كذا «أول ما كان في القدر بالبصرة معبد الجهني» في ظ، ك، وفي بقية النسخ: «أول ما كان في القدر منكراً له بالبصرة» وفي رواية مسلم: «كان أول ما قال في القدر بالبصرة معبد الجهني». (١/ ١٥٠-١٥١).

- معبد الجهني: «هو معبد بن خالد الجهني نسبه إلى جهينة، قبيلة من قضاعة كان يجالس الحسن البصري، وهو أول من تكلم بالبصرة بالقدر» (شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ١٥٣).

- قوله أول ما كان في القدر: معناه أول من قال بنفي القدر، فابتدع وخالف الصواب الذي عليه أهل الحق في قولهم: أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها الله سبحانه وتعالى. (انظر تفصيل ذلك في شرح النووي على صحيح مسلم ١/ ٤٥١ وما بعدها).

(٦) ما بين المعكوفتين زيادة من صحيح مسلم (ج١/ ١٥١-١٥٥) يستقيم بها السياق.

(٧) في ظ، ل: «أنا وصاحبي».

(٨) في الأصل: «يا أبي» وهو لحن من الناسخ.

عَبْد الرَّحمنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنا أُناسٌ[١] يَقْرؤُنَ القُرآنَ، ويَقْتَرِفونَ العِلْمَ[٢]، وذَكَرْتُ مِنْ شَأْنِهِمْ، وأَنَّهُمْ[٣] يَزْعُمونَ أَن لا قَدَرَ، والأَمْرُ أُنُفٌ[٤]، فإذا لَقِيْتَ أُولئكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وأَنَّهُمْ بُرآءُ مِنِّي، والذي يَحْلِفُ به عَبْدُ اللَّه بنُ عُمَرَ لو أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ جَبَلِ أُحُد ذَهَباً فَأَنْفَقَهُ ما قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بالقَدَرِ »[٥].

وأَخْرَجَ أَبو داودَ مِنْ حَديثِ ابنِ اليَمانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: « لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجوسٌ، ومَجُوسُ أُمَّتي هَؤلاءِ الذينَ يَقولونَ لا قَدَرَ، مَنْ ماتَ مِنْهُمْ فلا تَشْهَدوا جَنَائِزَهُمْ[٦]، ومَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فلا تَعُودُوهُمْ[٧]، وهُمْ شيعَةُ الدَّجالِ »[٨]. وحَقٌّ على

---

(١) في صحيح مسلم: « ناس ».

(٢) في الأصل: « ويقرءون العلم ».

- في صحيح مسلم: « ويتفقرون العلم » قال النووي: « وهو بتقديم القاف على الفاء ومعناه يطلبونه ويتتبعونه، هذا هو المشهور، وقيل: معناه يجمعونه، ورواه بعض شيوخ المغاربة من طريق ابن ماهان « يتفقرون » بتقديم الفاء، وهو صحيح أيضاً، معناه: يبحثون عن غامضه، ويستخرجون خفيه، وروى في غير مسلم: « يتقفون » بتقديم القاف وحذف الراء، وهو صحيح أيضاً ومعناه أيضاً: يتتبعون، قال القاضي عياض: ورأيت بعضهم قال فيه: يتقعرون بالعين، وفسره بأنهم يطلبون قعره، أي: غامضه وخفيه، ومنه تقعر في كلامه إذا جاء بالغريب منه، وفي رواية أبي يعلى الموصلي « يتفقهون » بزيادة الهاء وهو ظاهر ». (شرح صحيح مسلم للنووي ج١ / ١٥٥-١٥٦).

(٣) في الأصل: « أنهم ».

(٤) في صحيح مسلم: « وأن الأمر أنف ».

- الأمر أنف بضم الهمزة والنون: أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه، وهذا القول قول غلاة القدرية وليس جميعهم، وهو قول كذب قائله وافترى (شرح صحيح مسلم للنووي ج١ / ١٥٦).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (١ / ٣٦-٣٨ برقم ٨) باب بيان الإيمان والإحسان من حديث يحيى بن يَعْمَر، والترمذي في الإيمان (٥ / ٨-٩ برقم ٢٦١٠) باب بني الإسلام على خمس ، وقال: حسن صحيح، وأبو داود في السنة (٥ / ٦٩-٧٣ برقم ٤٦٩٥) باب في القدر، وابن ماجة في المقدمة رقم ٦٣ باب الإيمان.

(٦) في الأصل: « جنازته ».

(٧) في الأصل: « فلا تعودوه ».

(٨) الحديث أخرجه أبو داود في السنة (٥ / ٦٧ برقم ٤٦٩٢) و ابن أبي عاصم في السنة (١ / ١٤٤) من طريق عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة به وابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١ / ١٥٠-١٥١) وقال : هذا حديث لا يصح، قال ابن حبان: مولى غفرة لا يحتج به، كان يقلب الأخبار، وفيه أيضاً إبهام شيخ عمر مولى غفرة.

رَسول اللَّهِ ﷺ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بالدَّجال.

وفي صَحيحِ مُسْلمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو[١] بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقادِيرَ الخَلائقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّماواتِ والأَرْضَ بخَمْسينَ أَلفَ سَنَةٍ، قالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»[٢].

وأَخْرَجَ التِّرْمذيُّ مِنْ حَديثِ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعالَى[٣] عَنْهُ قالَ: خَرَجَ عَلَيْنا رَسُولُ الله ﷺ ونَحْنُ نَتَنازَعُ في القَدَرِ، فَغَضِبَ حَتَّى احمَرَّ وَجْهُهُ، كَأَنَّما نُقِيَ[٤] في وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ، فَقالَ: «أَبِهذا أُمِرْتُمْ، أَمْ بهذا أُرْسِلْتُ إِليكُمْ[٥]، إِنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تنازعوا في هذا الأَمْرِ، عَزَمْتُ عَلَيْكُم، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ[٦] أَنْ لا تَنَازَعوا فيه»[٧].

---

(١) في الأصل: «عن عبد الله بن عمر».

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب القدر (٤/ ٢٠٤٤ رقم ٢٦٥٣) باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، والترمذي في القدر (٤/ ٤٥٨ رقم ٢١٥٦) باب رقم ١٨ نحوه.

– قال النووي: «قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره، لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له» (ج١٦/ ٢٠٣).

(٣) «تعالى» ساقطة من الأصل.

(٤) في ل: «كما نقي» وبهامشها «وفي نسخة كانما نقي» وفي ض: «كانما بقي».

(٥) في ض: «ابهذا أرسلت لكم».

(٦) «عزمت عليكم» الثانية ساقطة من ل، ض.

(٧) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب القدر (٤/ ٤٤٣) رقم ٢١٣٣) باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، من طريق صالح المري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة، وأبو يعلى في مسنده (رقم ٦٠٤٥) ومن طريقه ابن حبان في المجروحين (١/ ٣٧٢) قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري، وصالح المري له غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها. إسناده ضعيف. وله شاهد صحيح عند ابن ماجه في المقدمة (١/ ٣٣ رقم ٨٥) باب في القدر، وأبي بكر القطيعي في جزء الألف دينار (ص٢٧٠ رقم ١٠٧٧) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بنحوه، قال البوصيري في الزوائد (١/ ٥٨) هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.



البَيْتُ السَّابعُ والثَّلاثُونَ

كُلُّ ابنِ أُنْثَى وإِنْ طالَتْ سَلامَتُهُ   يَوْماً على آلَةٍ حَدْباءَ مَحْمُولُ(١)

قَوْلُهُ(٢): «كُلُّ ابنِ أُنْثَى»، أَرادَ بِه: كُلُّ مَوْلودٍ يُولَدُ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى(٣)، وإنْ كانَ لَفْظُ الابنِ(٤) لا يَقَعُ في اللُّغَةِ إلاّ على الذَّكَرِ.

والمُرادُ بالآلة الحَدْباء: النَّعْشُ سُمِّيَ بذلكَ(٥)؛ قيلَ: لِصُعوبَةِ مُرْتَقاهُ، وقيلَ: لارْتِفاعِه، وقيلَ: أَخْذاً مِنْ قَوْلِهِمْ ناقَةٌ حَدْباءُ، إذا بَدَتْ جَوانِبُها(٦)، لأنَّ النَّعْشَ كَذلكَ، والظَّاهِرُ سُمِّيَ بذلكَ تَشْبيهاً بالرَّجُلِ الأَحْدَبِ، فإنَّ العَرَبَ لم تَكُنْ تَعْرِفُ هذه الأَسِرَّةَ المُنَجَّرَةَ مِنَ الخَشَبِ، وإنَّما كانوا يَأْخذونَ عِصِيّاً يُرَبِّعُونَها تَرْبيعاً مُسْتَطيلاً، ويَنْسِجونَ وَسْطَها بالحِبالِ، يَحْملونَ عَلَيْها / مَوْتاهُمْ، والعَرَبُ في البَوادي عَلَى ذلكَ (١٥٩ب) إلى الآن، وهذه الآلَةُ إذا وُضِعَ فيها المَيِّتُ وثَقُلَ على الحِبالِ(٧)، بَرَزَتْ عَنِ العِصِيِّ، فَأَشْبَهَتِ الرَّجُلَ الأَحْدَبَ في بُروزِ ظَهْرِه.

ومَعْنى البَيْت: أَنَّ الإنْسانَ وإنْ طالَ في فُسْحَةِ الأَجَلِ سلامَتُهُ مِنَ العَوارِضِ والآفاتِ(٨)، فلا بُدَّ مِنْ وُرُودِه حِياضَ المَوْتِ(٩) وحَمْلِه إلى الرَّمْسِ، ومَصيرِه إلى

---

(١) قال السكري: «ويروى على آلة لا بد محمول». (ص١٩) وروى العسكري «يوماً على حالة حدباء» (المصون ٢٠٣) قال التبريزي: «والآلة: الحالة» (ص٣١) قال ابن منظور: «على آلة: يريد النعش، وقيل أراد بالآلة: الحالة، والحدباء: الصعبة الشديدة» (اللسان مادة حدب ١/٢٩٢).

(٢) في ض: «فقوله».

(٣) في الأصل: «من ذكر أو أنثى».

(٤) «الابن» ساقطة من ظ، ل، واستدركت في هامش ل.

(٥) في الأصل: «يسمى بذلك».

(٦) في الأصل: «حواقبها» وأشير إليها في هامش ل.

(٧) في ل: «على الجبال» بجيم معجمة، وهو تصحيف.

(٨) في الأصل: «من الآفات والعوارض».

(٩) في الأصل: «فلا بدّ من ورود حياض الموت».

الأَجْداث، وإِنْ كانَ الأَمْرُ على ذَلِكَ، فَهَلْ[١] يَجْزَعُ الجازِعُ بِمِثْلِه[٢]، يُخَوَّفُ بِها مِنْ[٣] قَتْلٍ وَغَيْرِه؟!

وَحَقِيْقٌ ما قَالَهُ، فالمَوْتُ لا مَخْلَصَ مِنْهُ بِالفِرارِ ولا امتِناعَ بالتَّحْصِيْنِ، وما أَحْسَنَ قَوْلُ الشَّاطِبيِّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ[٤] مُلْغِزاً في النَّعْشِ[٥] :

أَتَعْرِفُ شَيْئاً في السَّماءِ يَطِيْرُ ... إِذا سَارَ صَاحَ النَّاسُ حَيْثُ يَسيرُ[٦]

فَتَلْقاهُ مَرْكوباً وتَلْقاهُ رَاكِباً ... وكُلُّ امرئٍ يَعْتَليهِ أَسيرُ[٧]

يَحُضُّ على التَّقْوى ويُكْرَهُ قُرْبُهُ ... وتَنْفِرُ مِنْهُ النَّفْسُ وهو نَذيرُ

ولَمْ يَسْتَزِرْ في رَغْبَةٍ عَنْ زِيارَةٍ ... وَلكِنْ على رَغْمِ المَزُورِ يَزُورُ[٨]

---

(١) في ل: «فهم» وفي ض: «فقد يجزع».

(٢) في ك، ل: «بمثلة».

(٣) في ب: « بخوف من» وكذلك ض، وفي ل: «بخوف بها».

(٤) كذا «رضي الله عنه» في ظ، ل، وفي بقية النسخ «رحمه الله».

(٥) الأبيات: من بحر الطويل.

– الأبيات للشاطبي في شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام (ص٥٨١)، ووفيات الأعيان (٤ / ٧٢).

– الشاطبي: أبومحمد القاسم بن فِيِّرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني، الضرير المقرئ، ولد سنة ٥٣٨هـ بشاطبة في الأندلس ونسب إليها، وهو صاحب القصيدة التي سماها «حرز الأماني ووجه التهاني» في القراءات وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً، توفي بمصر سنة ٥٩٠هـ. (وفيات الأعيان ٤ / ٧١-٧٣).

(٦) كذا في شرح ابن هشام «يطير»، وفي النسخ جميعاً «نطير».

(٧) في ض: «فتلقاه».

– في شرح ابن هشام «وكل أمير».

(٨) في ب: «ولم يستزر» وفي ض«ولم يسترد».

البَيْتُ الثَّامِنُ والثَّلاثُونَ

أُنبِئْتُ أَنَّ رَسولَ اللهِ أَوْعَدَنِـــي والعَفْو عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمولُ(١)

جَميعُ ما تَقَدَّمَ تَوْطِئةٌ لهذا البَيْت، فَإِنَّ غَرَضَهُ مِنَ القَصيدَةِ التَّنَصُّلُ والاسْتِعْطَافُ.

ومَعْنَى «أُنْبِئْتُ» أَيْ: أُخْبِرْتُ، ويُرْوَى: نُبِّئتُ(٢)، وهو مَعْناهُ(٣). وتَرَكَ ذِكْرَ الفاعلِ هُنا لأَمْرَيْنِ:

الأَوَّلُ: أَنَّه لا يَتَعَلَّقُ بتَعْيينِه غَرَضٌ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿إِذا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحوا في المجالسِ﴾**(٤) **﴿وإِذا قِيلَ لَكُمْ انْشُزوا﴾**(٥) **﴿وإِذا حُيِّيتُم بتَحِيَّةٍ﴾**(٦).

---

(١) كذا «أنبئت» في ظ، ل، ض، وبها روى السكري (ص١٩) وابن بشران والعسكري (٢٠٣) والتبريزي (ص٣٢) وأبو البركات بن الأنباري (ص١١٠) وعبد اللطيف البغدادي (ص١٤٨) وابن هشام الأنصاري (ص١٨٧) والسبكي (١/٢٤١) والقرشي (٢/٧٩٦) والحاكم (٣/٥٨١).

– قال ابن هشام الأنصاري: «ويروى نبئت وهو بمعناه». (ص١٨٧).

– روى أبو البركات بن الأنباري: «والوعد عند رسول».

– روى ابن قتيبة: «والعفو عند رسول الله مبذول». (ص٦٨).

– كذا وقع هذا البيت ثامناً وثلاثين في رواية التبريزي (ص٣٢) وابن هشام الأنصاري (ص١٨٧) ورواه ابن هشام في السيرة (٤/١٣٦٢) والسهيلي (٤/١٦٠) والقرشي (٢/٧٩٦) تاسعاً وثلاثين، وهو السابع والثلاثون في رواية السبكي (١/٢٤٠) والسادس والثلاثون في رواية السكري (ص١٩) وابن الأنباري (ص١١٠) وابن سيد الناس (٢/٢٨٤)، وهو الخامس والثلاثون في رواية ابن كثير (٤/٠٣٤)، والثاني والثلاثون في رواية الحاكم (٣/٥٨١)، والثلاثون في رواية ابن بشران (ص٨١).

– زاد الحاكم بعده بيتاً:

فقد أتيت رسول الله معتذراً والعذر عند رسول الله مقبول

(٢) في ض: «نبيت» وهو تحريف.

(٣) قوله: «ويروى نبئت وهو معناه» منقول من شرح ابن هشام النحوي (ص١٨٧).

(٤) سورة المجادلة: آية رقم ١١. (٥) سورة المجادلة: آية رقم ١١.

– تمام الآية: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم، وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات، والله بما تعملون خبير﴾**.

– «لكم» ساقطة من ظ، ب، ل، ض.

٦– سورة النساء: آية رقم ٨٦.

– تمام الآية: **﴿وإذا حييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردوها، إن الله كان على كل شئ حسيبا﴾**.

الثَّاني: أَنَّ مُقامَ الاسْتِعْطَافِ يُناسِبُهُ إلا يُحَقِّقَ الخَبَرَ بالوَعِيدِ، بَلْ أَنْ يُؤْتَى بِهِ مُمَرَّضاً كما يُقالُ: رُوِيَ كَذا.

وأنْ[1] وَصِلَتُها إِمّا على تَقْديرِ الباءِ، وهو الأَصْلُ مثل: ﴿ **أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ** ﴾[2] ﴿ **نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ** ﴾[3]، وإِمَّا سادَّةً مَسَدَّ المفعولَيْنِ، على تَضْمِينِ أَنْبَأَ ونَبَّأَ، أَعْلَمَ وأَرَى.

والوَعْدُ في الخَيْرِ، والإِيعادُ في الشَّرِّ، وقال الشَّاعِرُ[4]:

وإِنِّي إِذا واعَدْتُه أَوْ وَعَدْتُه   لَمُخْلِفُ إِيعادِي ومُنْجِزُ مَوْعِدِي[5]

ولهذا قالَ بَعْضُ فُصَحاءِ[6] العَرَبِ في دُعائِهِ: «يا مَنْ إِذا وَعَدَ وَفَى، وإِذا أَوْعَدَ عَفا»، وما أَحْسَنَ قَوْلَ ابنِ الفارِضِ رَحِمَهُ اللهُ[7]:

---

(١) في ض: «فان».

(٢) سورة البقرة: آية رقم ٣٣.

- تمام الآية: ﴿ **قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾.

(٣) سورة الأنعام: آية رقم ١٤٣.

- تمام الآية: ﴿ **ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين، قل آلذكرين حرّم أم الأنثيين أمَّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين. نبؤني بعلم إن كنتم صادقين** ﴾.

(٤) البيت: من بحر الطويل.

- البيت لعامر بن الطفيل في ديوانه ص٩٤ بتحقيق د. هدى جهنور، مع اختلاف في لفظه:

وإني إن أوعدته أو وعدته   لأخلف إيعادي وأنجز موعدي.

- وهو في اللسان كذلك (انظر مادة وعد ج/٤/٤٧٩) وهو من غير عزو في طبقات النحويين واللغويين ص٣٩ وشرح ابن هشام ص١٨٨. ورواية السيوطي هي رواية أبي سعيد السيرافي في ما يحتمل من الشعر من الضرورة ص١٦١.

(٥) في اللسان: «وإني إن أوعدته أو وعدته».

- في رواية ابن منظور وابن هشام «لاخلف إيعادي وأنجز موعدي».

(٦) في ض: «ملحا العرب» وهو تحريف.

(٧) البيت: من بحر الطويل.

- البيت رقم (١٦) من قصيدة عدد أبياتها ١٠٣ (انظر ديوان ابن الفارض ص٢٠٩-٢١٨).

مَتَى أَوْعَدَتْ أَوْلَتْ وإِنْ وَعَدَتْ لَوَتْ   وإِنْ أَقْسَمَت لا تُبْرِئُ السُّقْمَ بَرَّت[١]

وإنما يُسْتَعْمَلُ[٢] وَعَدَ في الشَّرِّ مُقَيَّداً كَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿ **النَّارُ وَعَدَها اللهُ الذين كَفروا** ﴾[٣].

وفي البَيْت إِعادَةُ [ذِكْرِ][٤] رَسول اللَّه ﷺ؛ لإظْهارِ التَّفْخيمِ والتَّعْظيمِ، ولهذا أَتى بـ «عنْدَ» ولم يَأْت[٥] بـ «منْ»؛ لأنَّ «عنْدَ» أَدَلُّ في التَّفْخيمِ[٦]، ولقُوَّة الرَّجاء؛ لأَنَّهُ قد ثَبَتَ وتواتَرَ أَنَّ الصَّفْحَ منْ أَخلاقه[٧] ﷺ[٨]، وغَريزَةٌ منْ غرائزِ الكرام[٩]، وكانَ النَّبيُّ ﷺ منْ أَبْعَد النَّاس غَضَباً، وأَسْرَعهمْ رضاً، والأَحاديثُ بحلْمه واردَةٌ، والأَخْبارُ والآثارُ بعَفْوه وَصَفْحه الجَميلِ مُشَاهَدَةٌ، قالَتْ عائشَةُ رَضيَ اللَّه[١٠] عَنْها: «ما رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ مُنْتَصراً منْ مَظْلَمَة ظُلمَها، مالم تَكُنْ حُرْمَةً منْ محارِمِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وما ضَرَبَ بِيَده قَطُّ

---

(١) في ك: «متى أوعد».
– في ك: «وإن أقسمت أن لا تبر يوماً لبرت» والوزن مختل.
– في ب، ض: «وإن أقسمت أن لا تبر السقم برت» والوزن مختل.
– في ظ، ل: «وإن أقسمت لا تبر السقم برت» والوزن مختل.
وما أثبته هو رواية الديوان وابن هشام الأنصاري (ص١٨٨) وهو الصواب.

(٢) في ك: «وإنما تستعمل».

(٣) لفظ الجلالة «الله» ساقط من ك.
– سورة الحج: آية رقم ٧٢.
– تمام الآية: ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر، يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا، قل أفأنبئكم بشر من ذلكم، النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير** ﴾.

(٤) زيادة يقتضيها السياق وهي في شرح ابن هشام ص١٨٨.

(٥) في ض: «لم يأتي» وهو لحن من الناسخ.

(٦) في شرح ابن هشام «على التفخيم».

(٧) في ل: «من أخلاق رسول الله» وهي كذلك في شرح ابن هشام.

(٨) من قوله: «جميع ما تقدم توطئة لهذا البيت ...» وتواتر أن الصفح من أخلاقه ﷺ» منقول حرفياً من شرح ابن هشام (ص١٨٧–١٨٨).

(٩) في ك: «من غرائز الكرم».

(١٠) «رضي الله» ساقطة من الأصل.

شَيْئاً إلا أَنْ يُجاهِدَ في سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وما ضَرَبَ خادِماً ولا امرَأَةً»(١).

وفي حَديثِها الآخر: «وما انتَقَمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِه إلا أَنْ تُنْتَهكَ حُرْمَةٌ مِنْ محارِمِ(٢) اللهِ تَعَالى، فَيَنْتَقِمُ لِذلِك»(٣).

وجِيءَ إِليه بِرَجُلٍ فَقِيلَ: هذا أرادَ(٤) أَنْ يَقْتُلَكَ فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ(٥) ﷺ: «لَنْ تُراعَ، لَنْ تُراعَ، ولو أَرَدْتَ ذلكَ لَم تُسَلَّطْ عَليَّ»(٦).

وتَصَدَّى لَهُ غَوْرَثُ بنُ الحارِثِ في بَعْضِ الغَزَواتِ(٧)، وَهوَ ﷺ مُنْتَبِذٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَحْدَهُ قائلاً، والنَّاسُ قائلونَ، فَلَمْ يَنْتَبِهْ رَسولُ اللَّهِ ﷺوسَلَّمَ إلا وهو قائمٌ بالسَّيفِ، صَلْتاً في يَدِه(٨)، فَقالَ: ما(٩) يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقالَ: اللَّه، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِه،

---

(١) هذا الحديث بهذا اللفظ أخذه المؤلف من الشفا للقاضي عياض (١٠٨/١) والظاهر أنه مركب من روايتين عن عائشة رضي الله عنها أخرج الشطر الأول «ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة».. الخ اسحاق بن زهويه في مسنده (٢٩٤/٢ رقم٨١٣) وأبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي وأدبه (ص٣٥) وأما شطره الثاني «وما ضرب بيده ...» فأخرجه مسلم في كتاب الفضائل (١٨١٤/٤ رقم ١٣٢٨) وأبوداود في كتاب الأدب (١٤٢/٥ رقم ٤٧٨٦) باب التجاوز في الأمر، وابن ماجة في النكاح (٦٣٨/١ رقم ١٦٨٤) باب ضرب النساء، وأبو بكر بن أبي داود في مسند عائشة (رقم ٨٦) وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (ص٣٤).

(٢) «من محارم» ساقطة من الأصل.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المناقب (١٦٦/٤-١٦٧) باب صفة النبي ﷺ، وفي كتاب الحدود (١٦/٨) باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله. ومسلم في كتاب الفضائل (١٨١٣/٤ رقم ٢٣٢٧) باب مباعدته ﷺ للآثام، ومالك في الموطأ كتاب حسن الخلق (٩٠٢/٢-٩٠٣) باب ما جاء في حسن الخلق.

- «لذلك» ساقطة من ض.

(٤) في الأصل: «هذا يريد». (٥) في ض: «فقال له رسول الله».

(٦) ذكره القاضي عياض في الشفا (١٠٨/١) قال ابن حجر: «ووجدت لقصته شاهداً من وجه آخر، لكنه لم يسم فيه، قال ابن سعد: ثنا يزيد، حدثنا جرير بن حازم، حدثني من سمع الزهري، يحدث أن يهودياً قال: فذكر القصة. (الإصابة ٥٦٦/١ وينظر دلائل النبوة للبيهقي ودلائل النبوة للأصفهاني).

(٧) هي غزوة ذات الرقاع لقول جابر: «كنا بذات الرقاع» (فتح الباري ٤٢٦/٧) وكذلك صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٩/٦) وهي عنوان باب عند البخاري: «باب غزوة ذات الرقاع، وهي غزوة محارب خصفة من بني ثعلبة من غطفان فنزل نخلاً، وهي بعد خيبر، لأن أبا موسى جاء بعد خيبر» (فتح الباري ٤١٦/٧) وذات الرقاع من قبل نجد (انظر نص جابر بن عبد الله عليها في فتح الباري كتاب الجهاد (٩٦/٦ برقم ٢٩١٠) باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة.

(٨) في الأصل: «صلتاً على رأسه».

(٩) في ب، ل: «من».

فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ وقالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، فَتَرَكَهُ وعَفَا عَنْهُ، فجاءَ إِلى قَوْمِهِ فَقال: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ»[1].

وَهَبَطَ عَلَيْهِ ﷺ ثَمانُونَ رَجُلاً مِنَ التَّنْعِيمِ صَلاةَ الصُّبْحِ لِيَقْتُلوهُ، فَأُخِذوا، فَأَعْتَقَهُمْ[2] ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعالَى: ﴿ **وهو الذي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ** ﴾[3].

(١٦٠أ) وَجَاءَهُ[4] /زَيْدُ بنُ شُعْبَةَ قَبْلَ إِسْلامِهِ يَتَقاضَاهُ دَيْناً عَلَيْهِ، فَجَذَبَ ثَوْبَهُ[5] بِمَنْكِبَيْهِ، وَأَخَذَ بِجامِعِ ثِيابِه[6]، وأَغْلَظَ لَهُ القَوْلَ، ثُمَّ قالَ: إِنَّكُمْ يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ مُطْلٌ، فانْتَهَرَهُ عُمَرُ وشَدَّدَ لَهُ[7] في القَوْلِ، والنَّبِيُّ ﷺ يَبْتَسِمُ، فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري في كتاب الجهاد (٣/٢٢٩) باب من علق سيفه بالشجر عند القائلة، و(٣/٢٢٩-٢٣٠) باب تفرق الناس عن الإمام عند القائلة والاستظلال بالشجر، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين (١/٥٧٦ رقم ٨٤٣) باب صلاة الخوف، وهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) زاد في الأصل: «فعفا عنهم واعتقهم».

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير (٣/١٤٤٢ رقم ١٨٠٨) باب قوله تعالى: ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم...** ﴾ الآية بلفظ «أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول ﷺ من جبل التنعيم مسلحين يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلماً فاستحياهم فأنزل الله عز وجل «وهو الذي كف... الآية» (صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجهاد والسير (٢/١٨٧) باب قوله تعالى: ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم ...** ﴾ الآية.

وأخرجه أبو داود في الجهاد (رقم ٢٦٨٨) والترمذي في التفسير (٥/٣٨٦ رقم ٣٢٦٤) تفسير سورة الفتح وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى كتاب التفسير (٦/٤٦٤ رقم ١١٥١٠) باب رقم ٣٤١. والإمام أحمد في مسنده (٣/١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ٢٩٠) والواحدي في أسباب النزول ص٤٠٥ وفي التفسير الوسيط (٤/١٤٢-١٤٣) كلهم من حديث أنس رضي الله عنه.

- والآية رقم ٢٤ من سورة الفتح وتمامها ﴿ **وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم، وكان الله بما تعملون بصيراً** ﴾.

(٤) في ل: «وجاه».

(٥) في ك: «فجذبه ثوبه».

(٦) في ل: «بمجامع ثيابه».

- جامع الثياب: مجتمعها، ومجمع الشئ ملتقاه، وفي الحديث: «فضرب بيده مجمع ما بين عنقي وكتفي» أي: حيث يجتمعان، ومجمع البحرين: ملتقاهما.

(٧) «له» ساقطة من ض.

«أنا إلى[1] غيرِ هذا أحْوجُ منْكَ، تأمُرني بحُسْنِ القَضاءِ، وتأمُرُهُ بحُسْنِ التَّقاضي، ثُمَّ قالَ بَقِيَ منْ أَجَلِه ثَلاثٌ، وأمَرَ عُمَرَ أنْ[2] يَقْضيَهُ منْ مالِه، ويَزيدُهُ عِشْرينَ صاعاً لما روَّعَهُ، فكانَ ذلكَ سَبَبُ إسْلامِه[3]».

وعَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ، وعَلَيْه بُرْدٌ غَليظُ[4] الحاشيَة، فجَذَبَهُ أعْرابيٌّ بردائه حتَّى أثَّرَتْ حاشِيَةُ البُرْدَةِ في صَفْحَةِ عاتقِه، وقالَ: يا مُحَمَّدُ، احْمِلْني على بَعيرَيَّ هَذَيْنِ منَ المالِ[5] الذي عِنْدَكَ، فإنَّكَ لا تَحْمِلْني منْ مالِكَ، ولا منْ مالِ أبيكَ، فَسَكَتَ النَّبيُّ ﷺ، ثُمَّ قالَ: المالُ مالُ اللّهِ، وأنَا عَبْدُهُ، ثُمَّ قالَ: ويُقادُ منْكَ يا أعْرابيُّ[6] بما فَعَلْتَ بي، قالَ: لا، قالَ: لمَ[7]، قالَ: لأنَكَ[8] لا تُقابِلُ السَّيِّئَةَ بالسَّيِّئَةِ[9]، فضَحِكَ النَّبيُّ ﷺ، ثُمَّ أمَرَ أنْ يُحْمَلَ لَهُ على بَعيرٍ شَعيرٌ، وعلى الآخرِ تَمْرٌ»[10].

وقالَ لَهُ رَجُلٌ: اعْدِلْ، فإنَّ هذه قِسْمَةٌ ما أُريدَ بها وَجْهُ اللّهِ تَعالى، فَقالَ:

---

(١) في ب، ض: «نا كنا إلى غير هذا».

(٢) «أن» زيادة في ض.

(٣) الحديث ذكره القاضي عياض في الشفا (١/١٠٩).

- الحديث أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (الإصابة ١/٥٦٦). وقال رجال الإسناد موثقون، وقد صرح الوليد فيه بالتحديث، ومداره على محمد بن أبي السري الراوي له عن الوليد، وثقه ابن معين ولينه أبو حاتم وقال ابن عدي: محمد كثير الغلط والله أعلم. وأخرجه من طريق الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده عن عبدالله بن سلام قال: قال زيد بن سعنه: ما من علامات النبوة شئ إلا وقد عرفته.

(٤) في ض: «غليط» بطاء مهملة.

(٥) في ظ، ل: «من مالي».

(٦) في الأصل: «يا عرابي».

(٧) في ل: «لما».

(٨) في الأصل: «إنك».

(٩) في ك: «لا تقابل السيئة السيئة».

(١٠) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس (٤/٦٠) باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم من الخمس ... الخ بنحوه، ومسلم في كتاب الزكاة (٢/٧٣٠ رقم ١٠٥٧).

«وَيْحَكَ! فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ، خِبْتُ وخَسِرْتُ إِنْ لم أَعْدِلْ»(١). فَأَرادَ بَعْضُ الصَّحابَةِ قَتْلَهُ، فَنهاهُ عَنْ ذلكَ.

وَسِيقَ إِليه أَبو(٢) سُفْيانَ بن حَرْبٍ؛ جَلَبَ إِليه الأَحْزابَ، وَقَتَلَ عَمَّهُ وأَصْحابَهُ، فَعفَا عَنْهُ ولاطَفَهُ في القَوْلِ، وقالَ: وَيْحَكَ يا أَبا سُفْيانَ، أَلَمْ يأْنِ(٣) لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَقَالَ: بِأَبي أَنْتَ وأُمِّي، ما أَحْلَمَكَ وَأَوْصَلَكَ وأَكْرَمَكَ(٤).

وعَفَا ﷺ عَنِ اليَهودِيَّةِ التي سَمَّتْهُ في ذِراعِ الشَّاةِ بَعْدَ اعترافِها بذلكَ، على صَحيحِ الرِّوايَةِ(٥).

ولم يُؤاخِذْ لَبيْدَ بنَ الأَعْصَمِ اليَهوديَّ، حينَ سَحَرَهُ، وأَوْحَى اللَّهُ تَعالَى إِليه بِخَبَرِه، ولا عَتِبَ عَلَيْه، فَضْلاً عَنْ مُعاقَبَتِه(٦).

وَلَمْ يُؤاخِذْ عَبْدَ اللَّه بنَ أَبي سَلولٍ وأَشْباهَهُ مِنَ المُنافقينَ بعظَمِ ما نَقَلَهُ عَنْهُمْ ﷺ قَوْلاً وَفِعْلاً، وأَشَارَ عَلَيْه بَعْضُ الصَّحابَةِ(٧) رِضْوانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِقَتْلِ بَعْضِهِمْ، فَقَالَ: لا يُتَحدَّثُ(٨) أَنَّ مُحمَّداً يَقْتُلُ أَصْحابَهُ(٩).

---

(١) «خبت وخسرت إن لم أعدل» ساقطة من ل وفي الهامش ذكرت على أنها نسخة.
- أخرجه البخاري بنحوه في كتاب فرض الخمس (٤/ ٦٠-٦١) باب ما كان يعطي النبي ﷺ المؤلفة قلوبهم من الخمس من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وفي مواضع أخر من الصحيح. (انظر أرقامها في فتح الباري ٦/ ٢٥١-٢٥٢).

(٢) «أبو» ساقطة من ظ، ل.

(٣) في ض: «ألم يأت».

(٤) قوله لأبي سفيان ذكره القاضي عياض في الشفا(١/ ١١٠) وهو جزء من حديث طويل، أخرجه الطبراني بتمامه في الكبير(٨/ ١٠-١٥ رقم ٧٢٦٤) ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٦٧).

(٥) خبر عفوه عن اليهوديه أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق النبي ﷺ ص٤٣ من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) خبر عفوه عن لبيد بن الأعصم أخرجه البخاري في كتاب الطب (٧/ ٣٠) باب السحر بجزء منه، وتتمة الحديث في البخاري في الجزية والموادعة مع أهل الذمة (٤/ ٦٨) باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر.

(٧) في الأصل: «بعض أصحابه».

(٨) زاد في ض: «لا يتحدث الناس».

(٩) خبر ابن أبي سلول أخرجه البخاري في التفسير (انظر فتح الباري ٨/ ٦٥٢) سورة المنافقون، والترمذي في التفسير (٥/ ٤١٧-٤١٨ رقم ٣٣١٥) وقال: حسن صحيح.

ولَمَّا كُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ ﷺ وشُجَّ وَجْهُهُ يَوْمَ أُحد، شَقَّ على أَصْحابه رَضِيَ اللَّهُ تَعالَى(١) عَنْهُمْ، فَقَالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «إِنِّي لم أُبْعَثْ لَعَّاناً، ولكنْ بُعِثْتُ داعياً ورَحْمةً، اللَّهُمَّ اهدِ قَوْمي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمونَ»(٢). إلى غَيْرِ ذلكَ منَ الأَحاديثِ الصَّحيحَة والأَخْبارِ المُتواترَةِ في علْمه وَحِلْمه وعَفْوِه وَصَفْحه، مَعَ القُدْرَةِ والظَّفَرِ، بما لا يَأْتي(٣) عَلَيْهِ حَصْرٌ، ولا يَحْويه(٤) طِرْسٌ(٥).

وقد(٦) تَقَرَّرَ أَنَّ العَفْوَ والصَّفْحَ منْ أَخْلاق رَسُولِ اللَّه ﷺ، فالتَّخَلُّقُ(٧) به والتَّمَسُّكُ بسُنَّته أَمْرٌ مَنْدُوبٌ إليه، ومُرَغَّبٌ فيه(٨)، تَأَسِّياً برَسُولِ اللَّه ﷺ، قالَ تَعالَى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ في رسولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾(٩)، وَقَدْ أَمَرَ(١٠) اللَّهُ تَعالَى بالعَفْوِ أمراً عامّاً فَقَالَ تَعالَى: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا**﴾(١١) وقالَ عزَّ وَجَلَّ: ﴿**فَمَنْ عَفَا وأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ على اللَّهِ**﴾(١٢)، إلى غَيْرِ ذلكَ منَ الآثارِ الوارِدَةِ

---

(١) «تعالى» ساقطة من ظ، ل.

(٢) حديث كسر رباعيته في أحد ودعائه لقومه، أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير (٣/١٤١٧ رقم ١٧٩١ باب غزوة أحد) والترمذي في التفسير (٥/٢٢٦) باب ومن سورة آل عمران. وقال حسن صحيح. واخرج شطراً منه البخاري في المغازي تعليقاً، وانظر الفتح في وصله وتمام تخريجه (٧/٣٦٥-٣٦٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) في ض: «بما يأتي».

(٤) في الأصل: «ولا تحويه».

(٥) الطرس: الصحيفة، ويقال التي محيت ثم كتبت، وجمعه أطراس وطروس. (اللسان مادة طرس ج٧/٤٢٧).

(٦) الواو في «وقد» ساقطة من الأصل.

(٧) في ض: «فالتحقق».

(٨) في ض: «أمر تدوب إليه ويرغب فيه».

(٩) سورة الأحزاب: آية ٢١.

- تمام الآية: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾.

(١٠) كذا «أمر» في ظ، ض وفي بقية النسخ «أنزل».

(١١) سورة النور: آية ٢٢.

- تمام الآية: ﴿**ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله، وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم، والله غفور رحيم**﴾.

(١٢) سورة الشورى: آية رقم ٤٠.

- تمام الآية: ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها، فمن عفا وأصلح فأجره على الله، إنه لا يحب الظالمين**﴾.

في العَفْوِ. ثُمَّ لطالبِ العَفْوِ منَ القادرِ سَبَبان:

السَّبَبُ الأَوَّلُ: غَلَبَةُ الهَفَواتِ في أَقْوالِ النَّاسِ وأَفْعالِهم، فَإِنَّ الهَفَواتِ قَدْ تَعْرِضُ في المَوَدَّاتِ المُسْتَقيمَةِ، كما تَعْرِضُ الأَمْراضُ للأَجْسَامِ السَّلِيْمَةِ؛ لأَنَّ الناسَ مَعَ أَطْوارِهِم المُخْتَلفَةِ، وأَخْلاقِهِم المُتفاضِلَةِ، لا يَسْلَمونَ منَ الهَفَواتِ، فَكانَ الحَرَجُ(١) فيها مَرْفوعاً، والعَتَبُ بِسَبَبِها مَوْضوعاً، وَقَدْ قِيْلَ مَنْ رامَ سَلِيْماً مِنْ هَفْوَةٍ، والتَمَسَ بريئاً مِنْ نَبْوَةٍ(٢)، فَقَد رامَ مِنَ الدَّهْرِ خلافَ ما هوَ عَلَيْهِ، وقالَ بَعْضُ الحُكَماءِ: لا صَدِيْقَ لِمَنْ أَرادَ صَدِيْقاً لا عَيْبَ فيهِ، وقالَ الأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ: «حَقُّ الصَّديقِ أَنْ يُحْتَمَلَ لَهُ ثَلاثٌ: الهَفْوَةُ والزَّلَّةُ والغَضَبُ».

وإذا كانَتْ نَفْسُ الشَّخْصِ قَدْ تَعْصَى عَلَيْهِ فَتُؤْذيهِ(٣)، وأَنَّ جِسْمَهُ قَدْ يُسْقِمُ قَلْبَهُ فَيُؤْلِمُهُ، وَهُمَا أَخَصُّ بِه وأَحْنَى عَلَيْهِ مِنْ صَديقٍ قد تَمَيَّزَ بذاتِه، فَيُريدُ مِنْ غَيْرِ(٤) نَفْسِهِ ما لا يَجِدُهُ مِنْ نَفْسِه لنَفْسِه، فَقَدْ رامَ المُحالَ، ولِلَّهِ كُشَاجِم(٥) حَيْثُ يَقُولُ(٦):

أَقِلْ ذا الـوُدِّ عَثْرَتَهُ وقِفْهُ ... على سُنَنِ الطَّريقِ المُسْتَقيمَهْ
ولا تُسْرِعْ بِمَعْتَبَةٍ إِلَيْهِ ... فَقَدْ يَهْفو ونِيَّتُهُ سَليمَهْ(٧)

---

(١) في الأصل: «الجرح» وأشير إليها في هامش ل على أنها نسخة.

(٢) في الأصل: «من كبوة» وأشير إلى «نبوة» في هامش ل.

(٣) في الأصل: «فتوديه» بدال مهملة.

(٤) في ظ، ل: «من غيره» وفي ض: «فتريد من غيرها لنفسه».

(٥) في الأصل: «ولله در القائل» وفي ض: «ولله در كشاجم».

(٦) البيت: من بحر الوافر.

– كشاجم: أبوالفتح محمود بن محمد بن الحسين بن السندي بن شاهك، وكشاجم لقبه، وهو مركب من حروف يدل كل منها على صناعة أتقنها (كاتب، شاعر، أديب..)، يعد في شعراء سيف الدولة، ولد عام ٢٩٠هـ، سكن في مدينة الرملة، ثم ارتحل إلى الموصل ومصر، وتوفي في الشام عام ٣٥٠هـ وقيل عام ٣٦٠هـ، وكان شيعياً إمامياً، وله ديوان شعري مطبوع، وله كتاب المصايد والمطارد وهو مطبوع أيضاً. (انظر وفيات الأعيان ٢/١٤ شذرات الذهب ٣/٣٧، ريحانة الألباء ١/٦٣، الحيوان ٥/٣٩٣).

– البيت مع آخر مقطوعة في ديوان كشاجم ص٣٦٢.

(٧) في رواية الديوان «ولا تسرع بمعتبة عليه» بدل «إليه».

السَّبَبُ الثَّاني: اخْتبارُ العَبْد وابتلاؤُهُ[1] في حالَة عزَّته[2] وقُدْرَته، ليُجَازيَهُ اللَّهُ بعَفْوِه وصَفْحه أكرَمَ عَوَضٍ في أرْفَعِ مَحَلٍّ، فقد مَدَحَ اللَّهُ الكاظمينَ الغَيْظَ، وأثْنَى عَلَيْهِمْ، وأخْبَرَ بمَحَبَّته لَهُمْ، فَقَالَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ: ﴿ **والكاظمين الغيْظَ والعافينَ عن النَّاسِ، واللهُ يُحبُّ المُحْسنين** ﴾[3]، وَوَرَدَ في الحَديث أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ /وهو قادرٌ عَلَيْه أَنْ يُنْفذَهُ، دَعاهُ اللَّهُ تَعالَى يَوْمَ القيامَة على رُؤُوس الخَلائق حَتَّى يُخَيِّرَهُ[4] منَ الحُور ما يَشَاءُ»[5]، ويُرْوَى أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعُ كلماتٍ مَنْ كُنَّ فيه وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وحُفظَ منَ الشَّيْطَان؛ مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ حينَ يَرْغَبُ، وَحينَ يَرْهَبُ، وَحينَ يَغْضَبُ، وَحينَ يَشْتَهي»[6]، واغْتَاظَتْ عائشَةُ رَضيَ اللَّهُ عَنْها عَلى خَادمٍ لَهَا فَقَالَتْ: «للَّه دَرُّ التَّقْوَى ما تَرَكَتْ لذي غَيْظٍ شفَاءً»[7]. تريدُ: أَنَّها مَنَعَتْهَا منَ الانْتقام منْها.

(١٦٠ب)

---

(١) في الأصل «ابتلاءه» وهو لحن من الناسخ.

(٢) في ض: «في حالة غرته».

(٣) سورة آل عمران: آية رقم ١٣٤.

– تمام الآية: ﴿ **الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾.

(٤) في الأصل «حتى يجيزه».

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة (رقم ٢٠٢٢) باب ما جاء في كظم الغيظ، وقال حسن غريب، وفي صفة القيامة باب فضل الرفق بالضعيف، وأبو داود في الأدب (٥/١٣٧ رقم ٤٧٧٧) باب من كظم غيظاً، من حديث معاذ رضي الله عنه، وابن ماجة في الزهد (٢/١٤٠٠ رقم ٤١٨٦) باب الحلم.

(٦) لفظه: «أربع من كن فيه حرمه الله على النار، وعصمه من الشيطان، من ملك نفسه حين يرغب، وحين يرهب، وحين يشتهي، وحين يغضب» قال الألباني: ضعيف (السلسلة الضعيفة ٢٩١) وللحديث تكملة: «وأربع من كن فيه نشر الله تعالى عليه رحمته وأدخله الجنة، من آوى مسكيناً، ورحم الضعيف، ورفق بالملوك، وأنفق على الوالدين». (انظر موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة – إعداد علي حسن الحلبي ج١/٥٩٧)، وضعيف الجامع ص٧٦١.

(٧) في الأصل «أشفى».

البَيْتُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ

مَهْلاً هَداكَ الذي أَعْطاكَ نافلةَ الـ قُرآنِ فيـه مَواعيظٌ وتَفْصيـلُ(١)

قَوْلُهُ: «مَهْلاً» أيْ: امْهَلْ عَليَّ مَهْلاً، يُخاطبُ بذلكَ النَّبيَّ ﷺ، فالتَفَتَ فيه منَ الغَيْبَةِ في قَوْلِه في البَيْتِ الذي قَبْلَهُ «أُنْبئْتُ أنَّ رسولَ اللَّه أَوْعَدني»، إلى الخطاب بقَوْلِه: «مَهْلاً».

وقَوْلُهُ: «هداكَ الذي أَعْطاكَ نافلةَ القُرآن»، دُعاءٌ للنَّبيِّ ﷺ، وإنْ كانَ لَفْظُهُ على الماضي كَمَا تَقُولُ(٢) ﷺ، وهو أَبْلَغُ منْ صيغَةِ الطَّلب(٣)، والنافلَةُ: الزِّيادَةُ، ومنْهُ سُمِّيَ ما زادَ على الفرائضِ نافلةً، والقُرآنُ: كتابُ اللَّه المُنَزَّلُ على رَسول اللَّه ﷺ، والمواعيظُ: جَمْعُ مَوْعظَة(٤)، والتَّفْصيلُ(٥) بالصَّاد المُهْمَلَة: المُرادُ به تَبْيينُ ما يَحْتاجُ إليه منْ أَمْرِ المَعَاشِ والمَعَاد.

---

(١) في رواية الحاكم «مهلا رسول الذي أعطاك نافلة القرآن..» (٣/ ٥٨١)، وكذلك روى ابن بشران (ص٨١).

- في رواية البيهقي: فيه نافلة الفرقان (السنن الكبرى ١٠/ ٢٤٤) وهي رواية أبي العباس الأحول.

- كذا «فيه مواعيظ» في ض أيضاً، وبها روى التبريزي (ص٣٢) وابن الأنباري (١١١) والقرشي (٢/ ٧٩٦) وابن كثير (٤/ ٤٣٠).

- في ل، ب، ك: «فيها مواعيظ» وبها روى ابن قتيبة(ص٦٨) والسكري (ص١٩) وابن هشام في السيرة (٤/ ١٣٦٢) والسهيلي (٤/ ١٦٠) وابن سيد الناس (٢/ ٢٨٤) والحاكم (٣/ ٥٨١) والبغدادي (ص١٥٠) وابن هشام الأنصاري (ص١٨٨).

- قال عبد اللطيف البغدادي: «ويروى (فيه مواعيظ فتكون جملة حالية من القرآن، وتكون (نافلة) في معنى عطية وموهبة، وفيه إضافة الشئ إلى نفسه لاختلاف جهتيه» (ص١٥٢).

- سقط البيت من رواية المصون.

(٢) كذا في ض، وفي الأصل وبقية النسخ «كما يقول».

(٣) تصرف السيوطي بعبارة ابن هشام حيث يقول: «الدعاء له في قوله «هداك الذي» فإنه خبر لفظاً ودعاء معنى، ومثله: غفر الله لك، وصلى الله على محمد، وهو أبلغ من صيغة الطلب» (شرح قصيدة بانت سعاد ص١٨٨-١٨٩).

- قال عبدالقادر البغدادي: «وهو أبلغ من صيغة الطلب؛ لأن الخبر إخبار عن شيء حصل وثبت، والدعاء له عبارة عن استدعاء شيء لم يحصل قبله، فالتعبير عن شيء لم يحصل بلفظ الخبر عن حصوله أبلغ، قال صاحب التلخيص: الخبر قد يقع موقع الإنشاء إما للتفأل أو لإظهار الحرص في وقوعه، والدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتملهما» (حاشية ج٢/ ٧٢١).

(٤) في الأصل: «والمواعظ جميع موعظة».

(٥) في الأصل: «وتفصيل».

ومَعْنى البَيْت: طَلَبُ الإمْهالِ منَ النَّبيِّ ﷺ، وأَنْ لا يَعْجلَ عَلَيْه بالانْتقامِ، واستعْطافُهُ لَهُ بذكْرِ ما امتَنَّ[1] اللَّهُ عَلَيْه به[2]، منْ إعْطائه القرآنَ الكَرِيْمَ المُشْتَمِلَ على الأَوامرِ والنَّواهي وتَفْصيلِ الأَحكامِ. وهو كالتَّتمَّة للْبَيْتِ الذي قَبْلَهُ؛ لاشْتِماله على تَمامِ الاسْتعْطاف في ثَلاثَة أَوْجُه[3]:

الأَوَّلُ: طَلَبُ الإمْهالِ منْهُ ﷺ، إشارةً إلى قُدْرَته عَلَيْه وتَمَكُّنه[4] منْهُ، وأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ منَ النَّبيِّ ﷺ مَخْلَصٌ ولا مَهْرَبٌ، وَفيه التَّعْظيمُ، والتَّفْخيْمُ لمَقَامِ النُّبُوَّة، ولا خَفَاءَ[5] فيه.

الوَجْهُ الثَّاني: التَّذْكيرُ بنعْمَة اللَّه تَعَالى على رَسوله ﷺ منْ إعْطائه القُرآن، وتَنْزيله عَلَيْه[6] ليَكُونَ أَدْعَى إلى العَفْوِ والشُّكْرِ لنعْمَة اللَّه تَعَالَى[7]، إذْ منْ جُمْلَة المُنَزَّل عَلَيْه: ﴿**خُذ العفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأَعْرِضْ عَنِ الجَاهلين**﴾[8].

الوَجْهُ الثَّالثُ: الإقْرارُ بالتَّنْزيل[9]، وَهُوَ منْ تَمامِ الإسْلامِ الذي به[10] يُحْقَنُ الدَّمُ، ويُصانُ عَنِ القَتْلِ.

فَإنْ قيلَ: إذا كانَ مَعْنَى النَّافلَة الزِّيادةُ فما المُرادُ بزيادَة القُرآنِ هُنَا[11]؟ فالجَوابُ: ما

---

(١) في الأصل: «بذكر ما منن» وفي ض: «ما امنن».

(٢) في ض: «به عليه».

(٣) في شرح ابن هشام أن هذا البيت وما بعده تتميم للاستعطاف، والاستعطاف فيه من جهات خمس: طلب الرفق، الدعاء له، التذكير بنعمة الله، الإقرار بالتنزيل، التذكير بما جاء في التنزيل(انظر ص١٨٨-١٩٠).

(٤) في ظ، ل: «وتمكينه» وفي هامش ل «نسخة وتمكنه».

(٥) الواو «و لا» ساقطة من الأصل.

(٦) زاد في ض: «إذ من جملة القرآن المنزل عليه».

(٧) قوله: «التذكير بنعمة الله... والشكر لنعمة الله» من شرح ابن هشام (ص١٨٩).

(٨) سورة الأعراف: آية رقم ١٩٩.

(٩) قوله: «الاقرار بالتنزيل» من شرح ابن هشام (انظر ص١٨٩).

(١٠) «به» ساقطة من ض.

(١١) في ب: «فما المراد بزيادة القرآن فيه».

أَشارَ إليه ابنُ هشامٍ في شَرْحِه؛ أنَّ اللَّهَ تَعَالى أَنْزَلَ على رَسُوله ﷺ آيات عظيمةً علَّمَهُ[1] إيّاها، وجَعَلَ الكتابَ زيادَةً كَمَا في قَوْلِه تَعالَى[2]: ﴿ **ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ تَماماً عَلَى الذي أَحْسَنَ** ﴾[3]، أَيْ:[4] زيادةً على العِلْمِ الذي أَتْقَنَهُ[5].

---

(١) في ض: «فعلمه إياها».

(٢) «كما في قوله تعالى» ساقطة من الأصل.

(٣) سورة الأنعام: آية رقم ١٥٤.

- تمام الآية: ﴿ **ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شئ وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون** ﴾.

(٤) كذا «أي» في ل، ض وشرح ابن هشام (ص١٨٩) وساقطة من بقية النسخ.

(٥) في شرح ابن هشام: «إن قوله نافلة القرآن إشارة إلى أن اللّه أنعم على رسوله ﷺ بعلوم عظيمة علمه إياها، وجعل الكتاب زيادة على تلك العلوم، وهذا أحسن ما يظهر لي من تفسير قوله تعالى: ﴿ **ثم آتينا موسى الكتاب..** ﴾ أي: زيادة علم العلم الذي أحسنه، أي: أتقن معرفته» (ص١٨٩).

- في تفسير الآية أقوال مروية فضلاً عما ذكره ابن هشام، منها: تماماً على المحسنين إذ كان فيهم مؤمن وغير مؤمن أو تماماً على الذي أحسنه الله عز وجل إلى موسى من الرسالة وغيرها، أو تماماً على إحسان الله عز وجل إلى أنبيائه، أو تماماً على إحسان موسى من طاعته للّه عز وجل. (انظر الجامع لأحكام القرآن ج٢/١٤٣).



البَيْتُ الأَرْبعونَ(١)

لا تَأْخُذَنِّي بِأَقوالِ الوُشاةِ وَلَـمْ ... أُذْنِبْ وإِنْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقاويلُ(٢)

قَوْلُهُ: «لا تَأْخُذَنِّي بأقوالِ الوُشاةِ» سُؤالٌ وَتَضَرُّعٌ، لا نَهْيٌ وأَمْرٌ(٣)، إذِ النَّهْيُ لا يَكُونُ إلا منَ الأَعْلَى لمَنْ دُونَهُ، ومُقامُ النَّبيِّ ﷺ مَعْلُومٌ(٤)، والأَقْوالُ(٥): جَمْعُ قَوْلٍ، والوُشَاةُ: جَمْعُ واشٍ(٦)، وقَد تَقَدَّمَ القَوْلُ عَلَيْهِم(٧) في البَيْتِ الرَّابعِ والثَّلاثين(٨)؛ أَنَّهُمْ الذين يَمشونَ بالسِّعايَةِ عنْدَ النَّبيِّ ﷺ، والأَقاويلُ: جَمْعُ قيْلٍ(٩).

ومَعْنَى البَيْتِ: أَنَّ جَميعَ ما رُمِيْتُ به منَ الذُّنوب بأَقْوالِ الوُشَاة على كَثْرَتها، لَيْسَ منِّي ما صَدَرَ البَتَّةَ(١٠) عَنِّي، فلا تُؤاخِذْني(١١) يا رَسُولَ اللَّهِ بما يُثْبِتُونَهُ(١٢) لي

(١) كذا في ب، ك، ض، وفي ظ: «البيت الموافي أربعون» وفي ل: «البيت الموفي أربعون».

(٢) في ض: «لا تؤاخذني» والوزن مختل بذلك.

– في رواية الحاكم: «ولم أجرم» (٣/٥٨١)، «ولو كثرت عني».

– كذا «وإن كثرت» في رواية التبريزي (٣٢) وابن بشران (ص٨١)، وابن هشام الأنصاري (١٩١)، وفي رواية السبكي: «وإن كثرت عني» (١/٢٤١).

– قال التبريزي: «ويروى ولو كثرت في الأقاويل» (ص٣٢) وهي رواية ابن هشام في السيرة (٤/١٣٦٢) وابن سيد الناس (٢/٢٨٤) والسهيلي (٤/١٦٠) والبغدادي (١٥٢) وابن كثير (٤/٤٣٠) وابن قتيبة (٧٦) وابن هشام الأنصاري (ص١٩١) وروى السكري (ص٢٠) وابن الأنباري (ص١١١) والقرشي (٢/٧٩٦) والحاكم (٣/٥٨١).

(٣) في ض: «لا أمر ونهي».

(٤) «معلوم» ساقطة من الأصل.

(٥) كذا «والأقوال» في ب، ك، ض وفي ظ، ل: «والأقاويل» وفي هامش ل: «نسخة الأقوال».

– والأقوال: جمع قول، وجمع الجمع: أقاويل، وفي القرآن ﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل**﴾.

(٦) «جمع واش» ساقطة من الأصل.

(٧) «عليهم» ساقطة من الأصل.

(٨) في الأصل: «الرابع والثلاثون» وهو لحن من الناسخ.

(٩) «والأقاويل جمع قيل» ساقطة من الأصل.

(١٠) البَتَّة: مصدر بت بمعنى قطع، وأل فيه للجنس، وهي لازمة عند سيبويه، والتاء للمبالغة، والمسموع قطع همزته على غير القياس ويعرب مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف.

(١١) في ض: «فلا تأخذني».

(١٢) في الأصل «بما يثبتوه» وفي ب، ض: «ينسبونه».

مِنْ ذُنوبٍ أنا عَنْها بَرِيءٌ، وهذا مِنْ تَتِمَّة الاسْتِعطاف والتَّلَطُّف في القَوْل المُتَوصَّل به إلى اسْتِجلاب القُلُوب واسْتِمالَة الخواطِر، وقد وَقَعَ التَّلَطُّفُ[1] والاستعْطافُ فيه مِنْ ثَلاثَة أوْجُه:

الأوَّلُ: تَعْبِيرُهُ عن السَّاعِينَ به بالوُشَاة[2]، إشارةً إلى كَذِبهِمْ، وتَعْريضاً لذَمِّهِمْ[3]، إذِ السِّعايَةُ والمَشْيُ بالنَّمِيمَة، وإفْساد ما بَيْنَ الأَحِبَّة خُصُوصاً بالزُّور والبُهْتان أمرٌ مَذْمُومٌ شَرْعاً، ومَرْفُوضٌ[4] عَقْلاً، وقدْ وَرَدَ الكتابُ والسُّنَّةُ بذَمِّه والنَّهي عَنْهُ، قالَ تَعالى: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا إنْ جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبيَّنوا أنْ تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فتُصبحوا على ما فعلْتُم نادمين**﴾[5]، فأَمَرَ تَعالَى[6] بالتَّبَيُّن والتَّثَبُّت[7] فيما يَنْقُلُه السَّاعي، ويَمْشي به النَّمَّامُ، لما يَحْمِلُهُ عَلَيْه الحَسَدُ[8] منَ الكَذِب والاخْتلاق[9]، ممَّا يُلْقيه في[10] تَضاعيف كَلامه، وتَوْجيه زُخْرُف قَوْله، وسَمَّاهُ فاسقاً بذلكَ، والمَعْنَى فيه إذا نَمَّ ومَشَى بالسِّعايَة خَرَجَ عَنْ[11] أنْ يكونَ ثقةً، وقد ذَمَّهُ اللهُ تَعالَى ونَهَى عَنْ طاعَته واتِّباعه بقَوْله: ﴿**ولا تُطعْ كُلَّ حلّافٍ مَهينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بنَميمٍ، مَنَّاعٍ للْخير مُعْتَدٍ أثيمٍ**﴾[12]، ووعَدَهُ بالوَيْل بقَوْله: ﴿**وَيْلٌ لكُلِّ هُمَزَةٍ**

---

(١) قوله: «والاستعطاف والتلطف في القول المتوصل به إلى استجلاب القلوب واستمالة الخواطر، وقد وقع التلطف» ساقط من ب.

(٢) الباء من «بالوشاة» ساقطة من الأصل.

(٣) في ظ، ل: «وتعريضاً بذمهم».

(٤) في ل: «ومرفوضاً» وهو لحن من الناسخ، وصوبت بهامشها «مرفوض» نسخة.

(٥) سورة الحجرات: آية رقم ٦.

(٦) زاد في ض: «فأمر الله تعالى».

(٧) في ك، ض: «والتثبيت».

(٨) في ب، ك: «لما يحمله عليه أحد».

(٩) ي ب، ض: «والاختلاف» بالفاء.

(١٠) في النسخ جميعاً «من».

(١١) «عن» ساقطة من ك.

(١٢) سورة القلم: آية ١٠-١٢.

لُمَزَةٍ﴾(١) واللَّهُ تَعَالَى(٢) يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ(٣).

وقد رُوي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «أَبْغَضُكُم إِليَّ المَشَّاؤونَ بالنَّميمَةِ، المُفَرِّقونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ»(٤).

ويُحْكَى عَنْ(٥) بَعْضِ السَّلَف أَنْ(٦) عَتبَهُ إِنْسانٌ في كلامٍ نُقِلَ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ(٧): مَنْ أَخْبَرَكَ؟ قالَ: الثِّقَةُ، قَالَ: لَوْ كانَ ثِقَةً ما نَمَّ، وإِلى هذا يُشيرُ بَعْضُهم:

لا تَسْمَعَنَّ مِنَ الحَسودِ مَقَالَةً ... لَوْ كانَ حَقّاً ما يَقولُ لَمَا وَشَى

ويُقالُ إِنَّه وَشَى واشٍ بِرَجُلٍ إلى ذِي القَرْنَيْنِ فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ قَبِلْنَا مِنْكَ ما تَقُولُ فيه، على أَنْ نَقْبَلَ مِنْهُ ما يقولُ فيكَ / ، وإِنْ شِئْتَ عَفَوْنا عَنْكَ، فقالَ: العَفْوُ، لا أَعودُ(٨). (١٦١أ)

وقَدْ قالَ ﷺ: «لا يُبَلِّغُني أَحَدٌ مِنْكُم عَنْ أَحَدٍ مِنْ(٩) أَصحابي شَيْئاً، فإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ عَلَيْهِمْ وأَنَا سَليمُ الصَّدْرِ»(١٠).

الوَجْهُ الثَّاني: التَّبَرُّؤُ مِنَ الذَّنْبِ والتَّنَصُّلُ مِنْهُ بِقَوْلِه: «ولم أُذْنِبْ»، وذلكَ أَنَّ عَدَمَ الانْحِرافِ أَبْلَغُ في الاعْتِرافِ(١١)، وأَدَلُّ على الرَّهْبَةِ والخَوْفِ، والذَّنْبُ إذا ظَهَرَ

---

(١) سورة الهمزة: آية رقم ١.

(٢) «تعالى» ساقطة من ب.

(٣) سورة الأحزاب: آية ٤ وقد سبقت الإشارة إلى تمامها.

(٤) سبق تخريجه في شرح البيت ٣٤.

(٥) في ظ، ل: «يحكى أن».

(٦) «أن» ساقطة من الأصل، وفي ض: «أنه».

(٧) «له» ساقطة من الأصل.

(٨) قوله: «إذا السعاية والمشي بالنميمة... فقال: العفو، لا أعود» تكرار في هذا الموضع، لشرح السيوطي الذي سبق في البيت الرابع والثلاثين. (انظر ص٣٣٣).

(٩) «أحد من» ساقط من الأصل.

(١٠) أخرجه الترمذي في المنافقين (٥/ ٧١٠ رقم ٣٨٩٦) باب فضل أزواج النبي ﷺ، وقال: غريب من هذا الوجه، وأبو داود في الأدب (٥/ ١٨٣ رقم ٤٨٦٠) باب في رفع الحديث من المجلس، من حديث ابن مسعود، وفي إسناده ضعف كما قال الترمذي.

(١١) كذا «الاعتراف» في الأصل، وأشير إليها في هامش ل على أنه نسخة وفي ب، ل، ض: «الاحتراف» وفي ك: «الاحتراق».

عَظُمَ خَطَرُهُ، وَكَدَّرَ الخواطِرَ ذِكْرُهُ.

واعلَمْ أَنَّ لِلْمُسيئِ مَعَ مَنْ أَساءَ إِليه ثَلاثَ حالاتٍ:

الأُولى(١): سَتْرُ الذَّنْبِ(٢)، ثُمَّ يُرْسِلُ إِلى الاعتذارِ والتَّنَصُّلِ مِنَ الذَّنْبِ، ويُظْهِرُ الخَوْفَ مِنَ الاطِّلاعِ عَلَيْه(٣)، فَيُوجِبُ(٤) قَبُولَ عُذْرِه، والإِغْضاءَ(٥) عَنْ ذَنْبِه، ولا يُكْشَفُ عَنْ باطِنِ عُذْرِه، ولا يُعَنَّفُ بظاهِرِ إِساءَتِه(٦) بِشَيْءٍ، فيه يَظْهَرُ بَيَانُ نَدَمِه، وتَبْيِينُ خَجْلَتِه، والنَّدَمُ تَوْبَةٌ، والخَجَلُ إِنابَةٌ، ولا ذَنْبَ لِتائِبٍ، ولا لَوْمَ على مُنِيْبٍ؛ ولِذلِكَ لم يُثَرِّبِ(٧) النَّبيُّ ﷺ على كَعْبٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ، ولم يُوَبِّخْهُ، وَقَدْ قالَ بَعْضُ الحُكَماءِ: «شافِعُ الذَّنْبِ(٨) خُضوعُهُ إِلى عُذْرِه»، وما أَحْسَنَ قَوْلَ القائِلِ(٩):

اقبَلْ مَعاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِراً ... إِنَّ بَرَّ عِنْدَكَ فيما قالَ أو فَجَرا

فَقَدْ أَطاعَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظاهِرُهُ ... وَقَدْ أَجَلَّكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِرا(١٠)

---

(١) في الأصل: «الأول».

(٢) في ب: «يستر الذنب».

(٣) «عليه» ساقطة من الأصل.

(٤) كذا «فيوجب» في ظ، ل، وفي ب، ض: «فوجب» وفي ك: «فتوجب».

(٥) في ظ، ل: «والاغعاء».

(٦) في ل: «إساته» والكلمة ساقطة من ض.

(٧) في ض: «لم يشرب».
- لم يُثَرِّب: لم يعير، ثربت عليهم وعربت عليهم: إذا قبحت عليهم فعلهم، والمثرب: المعيّر، وقيل: المخلط المفسد، (لسان العرب: مادة ثرب ج١/٢٢٨).

(٨) في ب، ض: «شافع المذنب».

(٩) البيت: من بحر البسيط.
- البيتان من مقطوعة عدد أبياتها ثلاثة في ديوان البحتري (م٢/١١٠٥) وهما مقطوعة للبحتري أيضاً في ديوان الصبابة (ص١٦٨) وفي الزهرة (ج١، ص٢١٠).

(١٠) في ض: «فقد أحلك» بحاء مهملة.
- في ل: «من يعطيك» وذكر بهامشه «من يعصيك» نسخة.
- في رواية الديوان «من أرضاك» بدل «من يرضيك» و«قد أضلك» بدل «أجلك» على أن رواية السيوطي في البيتين مطابقة لرواية ابن حجلة المغربي في ديوان الصبابة.

الحالَةُ الثّانيَةُ[١]: أَنْ يَعْتَرِفَ بالذَّنْبِ، ويُقِرَّ بالتَّوْبَةِ، فَيُقْنَعُ منْهُ بإِظْهارِ التَّوْبَةِ، والنَّدَمِ على ما سَقَطَ منْهُ، ولا يُكَلَّفُ عُذْراً[٢] عَنْ ذلكَ، فَيَلْجَأَ إلى الكَذِبِ، وتَوَرُّطِ[٣] خَجَلِ التَّفْريطِ، وقَدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «إيَّاكُمْ والمَعاذرَ، فَإِنَّ أَكْثَرَها مَفاجِرُ[٤]»، وقال[٥] عَليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٦]: «كَفَى بما يُعْتَذَرُ منه تُهْمَةً»، وقالَ بَعْضُ الحُكماءِ: «شَفيعُ الذَّنْبِ[٧] إقْرارُهُ»، وقالَ بَعْضُ الأُدباءِ: «أَوْسَعُ ما تَكُونُ المَغْفِرَةُ إذا ضاقَتْ بالذَّنْبِ المَعْذِرَةُ»، وانْظُرْ إلى كَرَمِ أَخْلاقِ يُوسُفَ[٨] عليه السَّلامُ حينَ قالَ لَهُ إخْوَتُهُ: ﴿ **تاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنا وإِنْ كُنّا لخاطئين** ﴾[٩]، إذ كانَ جَوابُه لَهُمْ: ﴿ **لا تَثْريبَ عليكمُ اليومَ، يَغْفِرُ اللهُ لكم، وهو أَرْحَمُ الرَّاحِمين** ﴾[١٠]، ولِلَّهِ دَرُّ[١١] القائلِ[١٢]:

---

(١) في ظ، ض: «الحالة الثالثة».
(٢) في النسخ جميعاً: «ولا يكلف عذر».
(٣) في ب، ض: «ويورط».
(٤) لم أجده بهذا اللفظ، وإنما وجدت نحوه جزءاً من حديث فيه قصة رواه ابن عمر رضي الله عنه، وفي آخره قال ﷺ: «صل صلاة مودع كأنك لا تصلي بعدها، وإياس مما في أيدي الناس تعش غنياً، وإياك وما يعتذر منه» أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/٩٣-٩٤ برقم ٩٥٢) من حديث ابن عمر، والبيهقي في الزهد (ص٢٣٨) من حديث ابن عمر، وله شاهد أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٣٢٦- ٣٢٧) من حديث سعد بن أبي وقاص وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وأحمد في المسند (٥/٤١٢) وابن ماجه في السنن (٢/٤١٧١) وآخر من حديث أبي أيوب الأنصاري أخرجه أبو الشيخ في الإمثال (ص١٣٩- ١٤٠) وأبو نعيم في الحلية (١/٣٦٢) وآخر عن جابر رضي الله عنه عند الطبراني في الأوسط (مجمع الزوائد ١٠/٢٤٨) وضعف سنده، وانظر المقاصد الحسنة للسخاوي (ص١٣٧-١٣٩) ومال إلى تحسينه، وكشف الخفاء للعجلوني (١/٢٧٥-٢٧٧) وأورد العسكري في الأمثال (١/٢٩) ومن أمثالهم أي العرب: «المعاذر مكاذب» وقال بعضهم: «لا يعتذر أحدكم إلا كذب».
(٥) زاد في ظ، ل: «وقد قال».
(٦) في ظ، ل: «كرم الله وجهه».
(٧) في ب، ل، ض: «شفيع المذنب».
(٨) في ظ، ل: «وانظر إلى كرم الأخلاق من يوسف».
(٩) سورة يوسف: آية رقم ٩١.
(١٠) سورة يوسف: آية رقم ٩٢.
- تمام الآية: ﴿ **قال لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين** ﴾.
(١١) «در» ساقطة من ك.
(١٢) البيتان: من بحر البسيط.
- نسبهما محمد بن داود الظاهري لبعض أهل العصر (الزهرة ج١ ص٢١١).

العُذْرُ يَلْحَقُهُ التَّحريفُ والكَـذِبُ وليْسَ في غَيْرِ ما يُرْضِيكَ لي أَدَبُ

وَ قَدْ أَسَأْتُ فَبالنُّعْمَى التي سَلَفَتْ ألا مَنَنْتَ بِعَفْوٍ مـا لَهُ سَبَبُ(١)

الحالَةُ الثَّالِثَةُ: لا يُظْهِرُ تُوْبَتَهُ(٢)، ولا يُبْدي عُذْرا، وهو على مَرْتَبَتَيْنِ:

المَرْتَبَةُ الأُولى: أَنْ يكونَ قَدْ كَفَّ عَنِ الذَّنْبِ، وأَمْسَكَ عَنِ الزَّلَلِ، فلم يَتَجاوَزْهُ إلى زِيادَةٍ عَلَيْه، فَحُكْمُهُ حُكْمُ وُقوفِ المَرَضِ عن التَّزايُدِ في العِلَّة، فَكَأَنَّهُ(٣) قَدْ أَصْلَحَ نِصْفاً، وتَرَكَ نِصْفاً، فَيَجبُ المُبادَرَةُ بِمُعالَجَةِ شَطْرِهِ الآخَرِ(٤)، لِيَكْمُلَ صَلاحُهُ(٥). فَإِنَّهُ مَتى أُهْمِلَ، رُبَّما سَرَى الدَّاءُ إلى الشَّطْرِ الصَّالِحِ فَأَفْسَدَهُ، فَعَادَ إلى النُّكْسِ(٦)، فَإِنَّ مَنْ سَقِمَ شَطْرٌ(٧) مِنْ جِسْمِهِ(٨) فَلَمْ يُعالِجْهُ، سَرَى السُّقْمُ(٩) إلى صَحِيحِهِ، وإنْ عالَجَهُ سَرَتِ الصِّحَّةُ إلى سَقِيْمِه.

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يَكونَ مُسْتَمِراً على الإِساءَةِ، وَيَأْخُذَ في الزِّيادَةِ فيها على مُرورِ اللَّيالي، وتَعاقُبِ الأَيَّامِ، فهذا مِنَ الدَّاءِ العُضَالِ، الذي يَعْسُرُ مداواتُهُ، ويَشُقُّ الصَّبْرُ على مُقاساتِه، فَإِنْ أَمْكَنَ اسْتِدْرَاكُهُ، وتَأَتَّى إِصْلاحُهُ بما أَمْكَنَ مِنَ المُلاطَفَةِ، وإلاَّ فآخِرُ الدَّواءِ بَعْدَ العَيَاءِ الكَيُّ(١٠)، وَمَنْ لم(١١) تَلْتَفِتْ(١٢) به الأَعذارُ إلى غايَتِها فالمَلامَةُ

---

(١) في ض: «وقد أسيت».
- في كتاب الزهرة: «لما» بدل «إلا».
(٢) في ك، ض: «لا يظهر توبة».
(٣) في ظ، ك: «فكأن».
(٤) «زاد في ظ، ل: «بمعالجة صلاح شطره الآخر».
(٥) في ب، ك، ض: «ليكمل إصلاحه».
(٦) النكس: عود المرض بعد النقه.
(٧) «شطر» ساقطة من ب، ك، ض.
(٨) في هامش ل: «فإن من سقم من جسمه الشطر».
- في ض: «فإن من سقم من جنبه الشطر».
(٩) في ل: «سرى كالسقم».
(١٠) في الأصل: «فأخر الداء العيا الكي».
(١١) «لم» ساقطة من ظ، ك.
(١٢) كذا في ل، ض، وفي ظ، ب، ك «يلتفت».

عَلَيْهِ، والمُقيْمُ على شِقاقِهِ[1] باغٍ مَصْرُوعٌ، وَقَدْ قِيلَ: «مَنْ سَلَّ سَيْفَ البَغْيِ أُغْمِدَ في رَأْسِهِ».

الوَجْهُ الثَّالثُ: الإشارَةُ إلى عِظَمِ العَفْوِ باسْتعظامِ الذَّنْبِ، وتَهْوِيلِ الأَمْرِ[2] بقَوْلِهِ: «وإِنْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقاوِيلُ»، وذلكَ أَنَّهُ إذا وَقَعَ الصَّفْحُ والإِغْضَاءُ[3] مَعَ عَظِيمِ الذَّنْبِ، وتَهْوِيلِ الأَمْرِ، كانَ ذلكَ أَبْلَغَ في عِظَمِ[4] العَفْوِ والكَرَمِ، مَعَ ما في ذلكَ مِنْ تَمامِ التَّنَصُّلِ مِنَ الذَّنْبِ، والتَّبَرِّي مِنْهُ، وَنِسْبَةِ الوُشاةِ إلى الزُّورِ والبُهْتَانِ، وأَنَّهُ لا يَلِيْقُ بذي المَقَامِ الأَعْلَى، والرُّتْبَةِ السَّنِيَّةِ، أَنْ يَقْبَلَ قَوْلَهُمْ قَوْلاً وفِعْلاً، ولا يَحْمِلُهُم على صِدْقٍ. واللَّهُ تَعَالى أَعْلَمُ بالصَّوابِ[5].

---

(١) في ض: «والمقيم على شقائه».

(٢) «تهويل الأمر» ساقطة من ظ، ل، واستدركت بهامش ل.

(٣) في ل: «الإعفاء» وأشير بهامشها إلى «الإغضاء» أنها نسخة.

(٤) في الأصل: «عظيم».

(٥) «الصواب» ساقطة من ظ، ل.



البَيْتُ الحادي والأَرْبَعونَ(١)

لَقَـــدْ أَقومُ مَقَامـــاً لَـــوْ يَقومُ بِـــهِ   أَرَى وأَسْمَعُ ما لَوْ يَسْمَعُ الفِيلُ(٢)

البَيْتُ الثَّاني والأَرْبَعونَ

لَظَلَّ يرعَـدُ إلاّ أَنْ يَكُونَ لَـــهُ   مِنَ الرَّسُولِ بإِذْنِ اللّهِ تَنْويلُ(٣)

هذان البَيْتان مُرْتَبطٌ أَحَدُهُما بالآخرِ مَعَ تَواليهِما، فَحَسُنَ الكَلامُ عَلَيْهِما جُمْلَةً واحدةً، والتَّقْديرُ فيهما: لَقَدْ أَقُومُ مَقاماً لَوْ يَقومُ(٤) بِهِ الفِيْلُ لَظَلَّ يَرْعَدُ إِلاّ أَنْ يَكونَ لَهُ مِنَ الرَّسُولِ تَنْويلُ.

وَقَوْلُهُ في البَيْتِ الأَوَّلِ: «لَقَدْ أَقومُ»، فيهِ قَسَمٌ مَحْذوفٌ؛ لأَنَّ لَقَدْ(٥) يَكُونُ جَواباً لِلْقَسَمِ(٦)، إما مَلْفوظٌ بِهِ [كَمَا في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**تاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنا**﴾

---

(١) في ب، ل، ك، ض: «البيت الحادي والثاني والأربعون».

(٢) روى عبد اللطيف البغدادي: «إني أقوم مقاماً لو يقوم به» (ص١٥٣) وكذلك أبو زيد القرشي (٢/٧٩٧)، وذكر هذه الرواية في شرحه كل من السكري (ص٢٠) والتبريزي (ص٣٢) وابن هشام الأنصاري (١٩٢)، وهي رواية مفضولة عند السيوطي كما سيأتي في الشرح.
- روى ابن هشام في السيرة (٤/١٣٦٢) وابن سيد الناس (٢/٢٨٤): «يرى ويسمع ما قد أسمع الفيل» وروى ابن كثير (٤/٤٣٠): «أرى وأسمع ما قد يسمع الفيل».

(٣) في رواية السيرة والديوان والسبكي وشرح ابن هشام «لظلَّ يُرْعَد» بضم الياء وفتح العين، وفي رواية التبريزي وأبي البركات بن الأنباري وعبد اللطيف البغدادي: «لظل يَرْعَد» بفتح الياء وفتح العين. وكلا البنائين جائز بالبناء للمفعول والبناء للفاعل.
- في رواية القرشي: «من النبي» (٢/٧٩٧).
- في رواية ابن بشران (٨١) والحاكم (١/٢٤١): «عند الرسول بإذن الله تنويل».
- روى ابن سيد الناس (٢/٢٨٤) البيت بلفظ مختلف:

لظـل ترعـد مـن وجـد بوادره   إن لم يكن من رسول الله تنويل

(٤) في ب: «لو تقوم».

(٥) كذا «لأن لقد» في ب، ض، وشرح ابن هشام أيضاً (ص١٩٢) وفي بقية النسخ «لأنه قد».

(٦) كذا «يكون جواباً للقسم إما ملفوظ» في ب، ض. وفي ظ، ك «لا يكون جواباً للقسم» وفي ل: «لا يكون له جواباً للقسم» وصوبت في الهامش: «صوابه لأن لقد يكون جواباً للقسم».

وإما مُقَدَّرٌ][1] كَمَا في قَوْله تَعَالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[2]. ويُرْوَى: «إِنِّي أقومُ مَقاماً» والرِّوايَةُ المَشْهُورَةُ الأُولى، وهي[3] أَبْلَغُ في المَعْنَى لتَأَكُّدِها[4] بالقَسَمِ المَحْذوف. و«المَقام» بفَتْحِ الميمِ: القيامُ، والمُرادُ قيامُهُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبيِّ ﷺ، و«الفيلُ» الحَيَوانُ المَعْروفُ.

وَقَوْلُهُ في البَيْتِ الثَّاني: «لَظَلَّ يَرْعَدُ» بالظَّاءِ المُعْجَمَةِ، مَعْنَاهُ لَصَارَ، إِلاَّ أَنَّ ظَلَّ[5] يَقْتَضِي ثُبوتَ الفعْلِ ودَاومَهُ، كما في قَوْله تَعَالى: ﴿**وَلَإِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ**﴾[6]، وقَوْله ﴿**ولوفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ**﴾[7] ونَحْوِ ذَلكَ.

(١٦١ب) **وَقَوْلُهُ**: «يَرْعُد» بفَتْحِ الياءِ وضَمِّ العَيْنِ: أَنَّه تَأْخُذُهُ/ الرِّعْدَةُ، و«التَّنْوِيلُ» في أَصْلِ اللُغَة: العَطيَّةُ، والمُرادُ هُنا إِعطاءُ الأَمانِ[8].

ومَعْنَى البَيْتَيْنِ: أَنَّ المَقَامَ الذي قُمْتُهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّه ﷺ، لو أَقَامَ[9] فيه الفِيْلُ الذي هو أَعْظَمُ مِنْ جَميعِ الحَيَوانات جُثَّةً، وأَثْبَتُها جَأْشاً[10]، ورأى ما رَأَيْتُ

---

(١) ما بين المعكوفتين زيادة من شرح ابن هشام الأنصاري يستقيم به النص. (انظر ص٢٩١) إذ إن السيوطي ينقل عنه حرفياً.
- الآية رقم ٩٠ من سورة يوسف وتمامها: ﴿**قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين**﴾.

(٢) سورة الأحزاب: آية رقم ٢١.
- تمام الآية: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾.

(٣) في الأصل: «وهو».

(٤) في الأصل: «لتأكيدها».

(٥) «ظل» زيادة من ب، ض.
- في ظ، ك: «الا أن» وفي ل: «إلا أنه».

(٦) سورة الروم: آية رقم ٥١.

(٧) في ل، ك: «ظلوا» وهو تحريف.
- سورة الحجر: آية رقم ١٤.

(٨) في ض: «أعطاك الأمان».

(٩) في ض: «لو قام».

(١٠) في ض: «جأثاً»

هُنالكَ، وسَمعَ ما سَمعْتُ لارْتَعَدَتْ فَرائصُهُ، وتَزعْزَعَتْ قُوَّتُهُ(١)، إلاّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ تَأْمينٌ يُسَكِّنُ بِهِ رَوْعَهُ، ويُثَبِّتُ بِهِ نَفْسَهُ، كُلُّ ذلكَ لِمَا يُدْرِكُهُ مِنْ هَيْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ(٢) ﷺ.

وَقَدْ جَعَلَ الهَيْبَةَ التي أَشَارَ بها ناشئةً عَنْ ثلاثةِ أَشْياءَ، الأَوَّلُ: هَيْبَةُ المَقَامِ وخَفَرِ المَجْلسِ(٣)، وذلكَ أَنَّ مَجْلسَهُ ﷺ كانَ في غايَةِ الخَفَرِ(٤) والاحْترامِ، وعِظَمِ الهَيْبَةِ والجَلالِ، وَقَدْ وَصَفَ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٥) مَجْلسَهُ فَقَالَ: «إذا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ كَأَنَّما على رُؤُسهمُ الطَّيْرَ، وإذا سَكَتَ تَكَلَّموا، لا يَتَنازَعُونَ عِنْدَهُ الحَديثَ، مَنْ تَكَلَّمَ عِنْدَهُ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرَغَ حَديثُهُ»(٦). ولا شَكَّ أَنَّ ذلكَ مِنْ هَيْبَتِه ﷺ عِنْدَهُمْ، واحْترامِه لَدَيْهِمْ، فَلَمْ يَزَلْ ﷺ عَظيمَ الهَيْبَةِ عِنْدَهُمْ، رَفيعَ القَدْرِ لَدَيْهِمْ، لا يَزيدُهُمْ تَلَطُّفُه بِهِمْ، وتَأْنيسُهُ لَهُمْ إلا هَيْبَةً(٧).

الثَّاني: هَيْبَةُ الرُّؤْيةِ(٨)، وذلكَ أَنَّه ﷺ كانَ مَهيباً في نَفْسه، مَحْفوفاً(٩) بالجَلالَةِ والخَفَرِ، يَهابُهُ كُلُّ مَنْ يَراهُ، ويُجِلُّهُ كُلُّ مَنْ لاقاهُ، وَقَدْ جاءَ في وَصْفه ﷺ: «مَنْ رآهُ بَديهَةً هابَهُ، ومَنْ عاشَرَهُ أَحَبَّهُ»(١٠). وفي صَحيحِ مُسْلمٍ مِنْ حَديثِ عَمْرو بنُ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وما كُنْتُ أُطيقُ [أَنْ](١١) أَمْلأَ عَيْني مِنْهُ إجلالاً لَهُ، ولو قيلَ لي صِفْهُ

(١) في ظ، ل: «قواه».

(٢) في الأصل: «من هيبة النبي».

(٣) في ض: «وحقر المجلس».

(٤) قوله: «وذلك أن مجلسه ﷺ كان في غاية الخفر» ساقط من ب، ض.

(٥) في الأصل: «كرم الله وجهه».

(٦) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٩١) وفي إسناده مقال.

(٧) في ض: «إلا حياء».

(٨) زاد في ض: «هيبة الرؤيا والنفي عبارة عن الأخبار».

(٩) في ل: «مخوفا».

(١٠) جزء من حديث أخرجه الترمذي في المناقب (٥/ ٥٩٩ برقم ٣٦٣٨). باب ما جاء في صفة النبي ﷺ من حديث علي رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن غريب ليس اسناده متصلاً، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٦٩-٢٧٠).

(١١) [أن] زيادة من صحيح مسلم تستقيم بها الجملة.

ما اسْتَطَعْتُ[١]، لأَنِّي لم أَكُنْ أَمْلأُ عَيْني مِنْهُ»[٢]. وَرُبَّما غَلَبَت الهَيْبَةُ على رائيه[٣] حَتَّى تَأْخُذَهُ الرَّعْدَةُ، لولا ما يَلْقَاهُ مِنْهُ ﷺ منَ التَّلَطُّف والتَّأْمين، فَقَدْ جاءَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْه ﷺ رَجُلٌ فَأَصابَتْهُ مِنْ هَيْبَتِه رَعْدَةٌ فَقالَ لَهُ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ، إِنّما أَنا ابنُ امرأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، تَأْكُلُ القَديدَ»[٤].

الثَّالثُ: هَيْبَةُ السَّماعِ، وكأَنَّهُ يُشيرُ إِلى سَمَاعِ القُرآن، فَإِنَّ له رَوْعَةً تَلْحَقُ قُلُوبَ سامعيه، وَهَيْبَةً تَعْتَريهِمْ عِنْدَ تلاوَته؛ لقُوَة جَلالَته، وإِنَافَة خَطَره[٥]، قالَ تَعَالى: ﴿**لو أَنْزلنا هذا القرآنَ على جَبَلٍ لَرأَيْتَهُ خاشعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّه**﴾[٦]، وقالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلودُ الذين يَخْشَونَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلينُ جُلودُهُمْ وقُلوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾[٧].

---

(١) في صحيح مسلم «ولو سئلت أن أصفه ما أطقت».
- في الأصل: «لما استطعت».

(٢) قوله: «إجلالاً له ... أملأ عيني منه» ساقط من متن ل، ومستدرك بهامشها.
- جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (١/ ١١٢-١١٣ رقم ١٢١) باب كون الإسلام يهدم ما قبله.

(٣) في الأصل: «على رأسه».
- زاد في ل: «على رائيه ﷺ».

(٤) القديد: اللحم المقدد، والقديد ما قطع من اللحم وشُرِّر، وقيل هو ما قطع منه طولاً.
- الحديث صحيح انظر (تخريجه في سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني رقم ١٨٧٦).
وللحديث لفظ آخر: «هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة...» (صحيح ابن ماجه رقم ٢٦٧٧ وصحيح الجامع للألباني رقم ٧٠٩).

(٥) إنافة خطره: الإنافة الارتفاع والعلو.

(٦) سورة الحشر: آية ٢١.
- تمام الآية: ﴿**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**﴾.

(٧) سورة الزمر: آية رقم ٢٣.
- تمام الآية: ﴿**الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله. ذلك هدى الله يهدي به من يشاء، ومن يضلل الله فما له من هاد**﴾.

وَقَدْ ثَبَتَ في الصَّحيحِ مِنْ حَديثِ جُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ قَالَ: « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرأُ في المَغْرِبِ بالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هذه الآيةَ: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخالِقونَ** ﴾(١) إلى قَوْلِه ﴿ **المُسَيْطِرونَ** ﴾(٢) « كادَ قَلْبِي يَطِيرُ »، وفي رِوايَةٍ: « وذلكَ أَوَّلُ ما قَرَّ(٣) الإِسْلامُ في قَلْبي »(٤).

ورُبَّما اعتَرَتْ هذه الهَيْبَةُ والرَّعدَةُ مَنْ لا يَفْهَمُ مَعانيَهُ، إلا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الرَّسُولِ بإِذْنِ اللَّهِ تَنْويلٌ بِلُطْفِه(٥) ﷺ، وإِقْبالِه عَلَيْه، لَهَلَكَ مِنْ شِدَّةِ الجَزَعِ، وَغَلَبَةِ الهَيْبَةِ، وأَعْظَمُ شاهِدٍ لذلكَ ما تَقَدَّمَ مِنْهُ ﷺ أَنَّهُ(٦) دَخَلَ عَلَيْه رَجُلٌ فَجَعَلَ يَرْعَدُ، فَقَالَ: « هَوِّنْ عَلَيْكَ، إِنَّما أَنا ابنُ امرأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ القَديدَ ». واللَّهُ تَعالى أَعْلَمُ بالصَّوابِ(٧).

---

(١) سورة الطور: آية رقم ٢٥.

(٢) هي الآية ٢٦ و ٢٧ من سورة الطور.

- تمام الآية: ﴿ **أم خلقوا السموات والأرض، بل لا يوقنون، أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون** ﴾.

(٣) في ب، ض: « أول ما وقر ».

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير (٦/٤٩-٥٠) باب سورة « والطور »، وأما أصل الحديث؛ أعني القراءة دون قوله بعدها فقد أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه، وكذلك مسلم في الصلاة (١/٣٣٨) باب القراءة في الصبح، وأبو داود في الصلاة (١/٥٠٨ رقم ٨١١) باب قدر القراءة في المغرب، والنسائي في الافتتاح (٢/١٦٩) باب القراءة في المغرب بـ« والطور ».

(٥) في الأصل: « بلفظه ».

(٦) « أنه » ساقطة من الأصل.

(٧) « تعالى » ساقطة من الأصل ومن ض.

- في ب: « والله أعلم » وسقط « تعالى » و« بالصواب ».



البَيْتُ الثَّالِثُ والأَرْبَعُونَ

حتَّى وَضَعْتُ يَميني لا أُنــازِعُــهُ   في كَفِّ ذي نَقِماتٍ قِيْلُهُ القِيلُ[1]

والتَّقْديرُ: لَقَدْ قُمْتُ[2] مَقاماً بحَضْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخَذَني منهُ الرَّهْبَةُ والهَيْبَةُ[3] ما أَخَذَني، حتَّى وَضَعْتُ يَمِيْنِي في كَفِّ ذِي نَقِماتٍ قِيْلُهُ القِيْلُ، لا أُنازِعُهُ في شَيْءٍ.

«**والمُنازَعَةُ**»: مُجاذَبَةُ الأَمْرِ[4]، و«النَّقِماتُ»: بفَتْحِ النُّونِ وكَسْرِ القافِ: جَمْعُ نَقِمَةٍ، كَكَلِماتٍ جَمْعُ كَلِمَةٍ، و«القِيْلُ» والقَوْلُ: واحِدٌ، والمُرادُ: أَنَّ أَمْرَهُ نافِذٌ، وقَوْلَهُ ثابِتٌ لا يَتَغَيَّرُ.

---

(١) روى ابن هشام في السيرة قبل هذا البيت: (٤/١٣٦٣).

مـا زلتُ أقتطعُ البيداءَ مدَّرعـاً   جُنْحَ الظلام وثوبُ الليل مسبول

ولم يروه بقية الرواة المعتمدين في هذا التحقيق.

- في رواية ابن سيد الناس: «حتى وضعت يميناً» (٢/٢٨٥) قال التبريزي: «ويروى حتى جعلت يميني» (ص٣٣).

- روى ابن هشام في السيرة وابن سيد الناس وابن كثير (٤/٤٣٠): «ما أنازعها».

- في رواية ابن هشام في السيرة «نَقَمات» بفتح النون والقاف، وروى بها أيضاً ابن كثير.

- والنِّقمة والنَّقمة: المكافأة بالعقوبة.

قال الجوهري: نَقَمتُ على الرجل أنقِم بالكسر فأنا ناقم: إذا عتبت عليه، الصحاح ٥/٢٠٤٥).

وقال الكسائي: ونَقِمت بالكسر لغة، ونَقِم من فلان الإحسان، إذا جعله مما يؤديه إلى كفرالنعمة، وقال أبو اسحق والأجود: نَقَمتُ أَنْقِمُ وهو الأكثر في القراءة.

- ونَقِمات جمع مثل كلمة وكلمات وكلم، وإن شئت سكنت القاف ونقلت حركتها إلى النون فقلت نِقْمة. (اللسان مادة نقم).

- وفي شرح التبريزي: «ونَقِمات: جمع نَقِمة، يقال: نَقِمه و نَقَم عليه يَنْقُم ونَقِم يَنْقَم بفتح القاف أفصح». (ص٣٣).

- روى ابن كثير في البداية والنهاية: «قوله القيل» (٤/٤٣٠).

(٢) كذا «قمت» في ظ، ل، وفي ك: «اقمت» وفي ب، ض: «أقمته».

(٣) في الأصل: «أخذني منه الهيبة والرهبة».

(٤) زاد في ض: «والمنازعة في مجاذبة الأمر».

ومَعْنى البَيْت: أنَّه وَضعَ كَفَّهُ اليَمينَ في كَفِّ النَّبيِّ ﷺ وَضْعَ طَاعَةٍ، تَسْليماً لَهُ، وانْقياداً[1] لأمْرِه، خَوْفاً مِنْ سَطْوَته، وشدَّة بَأْسه. يُشيرُ بذلكَ إلى حَاله مَعَ النَّبيِّ ﷺ حينَ قَدمَ عَلَيْه وهو في المَسْجد، وَوَضعَ يَدَهُ في يَده، وقالَ: يا رسولَ اللَّه، إنَّ كَعْبَ بنَ زُهَيْر جاءَ ليَسْتَأْمنَ منْكَ، تائباً مُسْلماً، فَهَلْ أنْتَ قابلٌ منْهُ إنْ أنَا جئْتُكَ به؟ قالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: يا رَسولَ اللَّه، أنا كَعْبٌ، على ما تَقَدَّمَ ذكْرُهُ في أوَّلِ الشَّرْحِ.

وَقَدْ أشارَ في بَعْضِ كَلامه إلى ثَلاثَة مَقاصدَ:

المَقْصَدُ الأوَّلُ: وَضْعُ يَمينه في كَفِّ النَّبيِّ ﷺ، إشارَةً إلى الاعْتناء بشَأْن التَّيَمُّنِ في تَنَعُّله وَتَرَجُّله وشَأْنه كُلِّه. وأَخْرَجَ أبو داودَ منْ حَديث حَفْصَةَ أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ كانَ يَجْعَلُ يَمينَهُ لطَعامه وشَرابه / وأَخْذه وإعْطائه، وَيَجْعَلُ شمالَهُ لما عدا ذَلكَ[2]. (١٦٢أ)

وحاصلُ الأَمْر أنَّ الأشْياءَ الشَّريفَةَ كالأَخْذ والإعطاء[3] والأَكْلِ والمُصافَحَة[4] تُفْعَلُ باليَمين[5]، والأشْياءُ الخَبيثَةُ كالاستنْجاء ومَسِّ الذَّكَر وما شاكَلَ ذلكَ تُفْعَلُ باليَسَار، ولا شَكَّ أنَّ مُصافَحَةَ النَّبيِّ ﷺ منْ أعْلَى الأُمور الشَّريفَة وأرْفَعها رُتْبَةً، لا جَرَمَ حُسْنُ التَّيَمُّنِ فيها على الحَرَكَة الطَّبيعيَّة منْ بَني آدمَ، إنَّما تَصْدُرُ في الغالب منْ جهَة اليَمين[6]، حَتَّى إنَّهُ يَعْسُرُ[7] التَّناوُلُ والدَّفْعُ ونَحْوُها باليُسْرَى، إلا لمَن اعتادَهُ، وذلكَ أنَّ مَنْشَأَ[8] الحَرَكَة على الكَبد وَهيَ الجانبُ الأيْمَنُ[9]. قالَ الصَّلاحُ الصَّفَديُّ:

(١) في ض: «وانقياد لأمره» وهو لحن من الناسخ.

(٢) حديث أبي داود إسناده جيد (انظر المجموع للنووي ١/٣٨٤) ولفظ الحديث: أن رسول الله ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه ويجعل يساره لما سوى ذلك».

(٣) في الأصل: «والعطاء».

(٤) زاد في الأصل: «والأكل والشرب والمصافحة».

(٥) في الأصل: «يفعل باليمين» وفي ض: «تفعل بالتيمن».

(٦) في ظ، ل: «جهة اليمنى» وذكرت «اليمين» في هامش ل.

(٧) في ض: «يعبر».

(٨) في ض: «أن نشأ».

(٩) في الأصل: «وهو في الجانب الأيمن».

– زاد في ض: «وهي في الجانب الأيمن».

« ولا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ كَبِدُ الأَعْسَرِ في الجانبِ الأَيْسَرِ[1] فَتَصِيرُ حَرَكَتُهُ عَنْها على القِياسِ».

الثَّاني: عَدَمُ المُنازَعَةِ للنَّبيِّ ﷺ، والدُّخولُ تَحْتَ أَمْرِه، والانقِيادُ لطاعَتِه، وهو مِنَ الأُمورِ اللازِمَةِ، والواجباتِ المُتَّجِهَةِ، حَتَّى إن اللَّهَ قَرَنَ طاعَتَهُ بطاعَتِه، قالَ تَعالَى: ﴿ **يا أَيُّها الذِّينَ آمنوا أَطيْعوا اللَّهَ وأَطيْعوا الرَّسولَ** ﴾[2]، وقالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **قُلْ أَطيعوا اللَّهَ والرَّسُولَ** ﴾[3]، وقالَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ: ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ** ﴾[4] إلى غَيْرِ ذلكَ مِنَ الآياتِ الدَّالَةِ على وُجوبِ طَاعَتِه، وفي صَحيحِ البُخاريِّ مِنْ حَديثِ أَبي سَلَمَةَ ابنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّه سَمِعَ أَبا هُرَيْرَةَ[5] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقولُ: إنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقولُ: « مَنْ أَطاعَنِي فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصاني فَقَدْ عَصَى اللَّهَ»[6]. وفي حَديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ[7] قالَ: « كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلونَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبى، قالُوا: ومَنْ يَأْبى؟ قَالَ: مَنْ أَطاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاني فَقَدْ أَبى»[8].

---

(١) في هامش ل: «نسخة الجانب الآخر».

(٢) سورة النساء: آية رقم ٥٩.

- تمام الآية: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾.

(٣) سورة آل عمران: آية رقم ٣٢.

- تمام الآية: ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول، فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين** ﴾.

(٤) سورة النساء: آية رقم ٨٠.

- تمام الآية: ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً** ﴾.

(٥) في الأصل: «أبي هريرة» وهو لحن من الناسخ.

(٦) أخرجه البخاري في الأحكام (٨/ ١٠٤) باب قوله تعالى: ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ وفي الجهاد (٤/ ٧-٨) «باب يقاتل من وراء الإمام ويتقرب منه». ومسلم في الإمارة (٣/ ١٤٦٦ رقم ١٨٣٥) باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية. والنسائي في البيعة (٧/ ١٥٤) باب الترغيب في طاعة الإمام.

(٧) من قوله: «يقول إن رسول الله... إن رسول الله ﷺ» ساقط من متن ل ومستدرك في هامشها.

(٨) أخرجه البخاري في الاعتصام (٨/ ١٣٩) باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وناهيكَ أنَّ اللَّهَ جَعَلَ طاعَتَهُ عَلَيْه السَّلامُ منْ تَمَام الإيمان وكَمَاله، قالَ تَعَالَى: ﴿فلا وربِّكَ لا يؤْمنونَ حتّى يُحكِّموكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ لا يَجدوا في أنْفُسِهِمْ حَرَجاً مما قَضَيْتَ، ويُسلِّموا تَسْليماً﴾(١).

الثَّالثُ: وَصْفُهُ النَّبيَّ ﷺ بأَنَّهُ ذو نَقمات، والمُرادُ شدَّةُ السَّطْوَة(٢)، وقُوَّةُ البَأْسِ على الكُفَّار، والإغلاظُ لَهُمْ(٣) في القَوْل، وعَدَم الضَّراعَة لَهُمْ، ائتماراً بأَمْره تَعَالَى حَيْثُ قالَ: ﴿يا أَيُّها النَّبيُّ جاهد الكُفّار والمنافقينَ واغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾(٤)، إلا وَقَدْ وَصَفَهُ تَعَالَى بالرَّأْفَة للْمُؤْمنينَ والرَّحمة، فَقَالَ: ﴿بالمُؤْمنين رؤوفٌ رَحيمٌ﴾(٥)، وفي حَديث عائشَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْها: «ما انتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لنَفْسه إلا أَنْ تُنْتَهَكَ مَحَارمُ(٦) اللَّه تَعَالَى، وما ضَرَبَ بيَده شَيْئاً قَطُّ، إلا أَنْ يُجاهدَ في سَبيل اللَّه تَعَالَى»(٧).

الرَّابعُ: وَصْفُهُ(٨) ﷺ بأَنَّ «قَوْلَهُ القيلُ»، وهو مُحْتَملٌ لأَمْرَيْن(٩)، أَحَدُهما: أَنْ

---

(١) سورة النساء: آية رقم ٦٥.

(٢) في ب: «بشدة السطوة».

(٣) في ك: «وإغلاظ لهم».

(٤) سورة التوبة: آية رقم ٧٣.

- تمام الآية: ﴿**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير**﴾.

(٥) سورة التوبة: آية رقم ١٢٨.

- تمام الآية: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾.

(٦) في ظ، ل: «حرمات».

(٧) حديث عائشة رضي اللّه عنها في صحيح البخاري، الجامع الصحيح رقم ٦١٢٦ وصحيح الألباني، صحيح أبي داود رقم ٤٠٠٢ وصحيح الألباني، صحيح الأدب ٢٠٨ وصحيح الترغيب ٢٦٧ ولفظه: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلاَّ أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً ؛كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلاَّ أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها».

(٨) زاد في ظ، ك: «وصف وصفه...»

(٩) زاد في الأصل: «محتمل الأمرين».

يَكونَ المُرادُ أَنَّهُ إذا قالَ قَوْلاً مِنْ وَعْدٍ أَوْ وَعِيدٍ لا بُدَّ[١] وَأَنْ يَقَعَ[٢]، وكانَ كَذلكَ النَّبيُّ ﷺ، وَقَدْ أَخْرَجَ أَبو داودَ مِنْ رِوايَةِ عَبْدِ اللَّه بنِ أَبي[٣] الحَمْسَاءِ[٤] قالَ: «بايَعْتُ النَّبيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ، فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتيَهُ بها في مَكانه فَنَسيتُ، ثُمَّ تَذَكَّرْتُ بَعْدَ ثَلاثٍ، فَجِئْتُ فإذا هو في مَكَانه، فَقَالَ: يا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ، أَنا هنا[٥] مُنْتَظِرُكَ مُدَّةَ ثَلاثٍ»[٦].

ويُرْوَى أَنَّ أُبَيَّ بنَ خَلَفٍ كانَ يَقُولُ للنَّبيِّ ﷺ حينَ افتَدَى يَوْمَ بَدْرٍ: «عِنْدي[٧] فَرَسٌ أَعْلِفُها كُلَّ يَوْمٍ فَرْقاً[٨] مِنْ ذُرَةٍ أَقْتُلُكَ عليها، فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شاءَ اللَّهُ تَعالى، فَلَمَّا كانَ يَوْمَ أُحُدٍ قالَ: أَيْنَ مُحَمَّدٌ؟ لا نَجَوْتُ إِنْ نَجا. وشَدَّ على فَرَسِه طَالباً[٩] رَسُولَ اللَّه ﷺ، فاعْتَرَضَهُ رِجالٌ مِنَ المُسْلمينَ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبيُّ ﷺ: هَكَذا، أَيْ: خلُّوا طَريقَهُ، وتَنَاوَلَ الحَرْبَةَ مِنَ الحارث بنِ الصِّمَّةِ[١٠]، فانْتَفَضَ بها انتفاضَةً تَطَايَروا عَنْهُ تطَايُرَ الشَّعَرِ عَنْ ظَهْرِ البَعيرِ إذا انْتَفَضَ، ثُمَّ استَقْبَلَهُ النَّبيُّ ﷺ، فَطَعَنَهُ في عُنُقِه طَعْنَةً تَرَدَّى مِنْها عَنْ فَرَسِه مِراراً، وَقِيلَ كَسَرَ ضِلْعاً مِنْ أَضْلاعِه، فَرَجَعَ

---

(١) في ب، ض: «ولا بد».

(٢) في ض: «أن يقع» بدون الواو.

(٣) «أبي» ساقطة من الأصل.

(٤) في ظ، ب، ض: «الحمسا» وفي ك، ل: «الحميا».

(٥) في ظ، ل: «ها هنا».

(٦) أخرجه أبو داود في الأدب (٥/٢٦٨- ٢٦٩ رقم ٤٩٩٦) باب في العدة من حديث عبد الله بن أبي الحمساء به. وإسناده ضعيف.

(٧) زاد في ب، ل، ض: «وعندي».

(٨) الفَرْق: مكيال بالمدينة يسع ثلاث آصع، أو يسع ستة عشر رطلاً، أو أربعة أرباع. والفَرْق باسكان الراء وتحريكها، والتحريك أفصح. (القاموس المحيط، مادة: فرق ٣/٢٨٣-٢٨٤).

(٩) في الأصل: «وقصد» وفي بقية النسخ «طالب» وهو لحن من الناسخ.

(١٠) الحارث بن الصِّمَّة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن عامر، يكنى أبا سعد، كان رسول الله ﷺ آخى بينه وبين صهيب بن سنان، خرج مع رسول الله إلى بدر، وشهد أحداً وثبت معه حين انكشف الناس، وقتل شهيداً يوم بئر معونة. (االاستيعاب ص١٤٧).

إِلى قُرَيْشٍ يَقولُ: «قَتَلَني مُحَمَّدٌ، وَهُمْ يَقولونَ: لا بَأْسَ عَلَيْكَ، فَقالَ: لو كانَ ما بي بِجَميعِ النَّاسِ لَقَتَلَهُمْ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ: أَنَا أَقْتُلُكَ، واللَّهِ لو بَصَقَ[1] عَلَيَّ لَقَتَلَني، فماتَ بالطَّريقِ في قُفولِهِمْ إِلى مَكَّةَ»[2].

الثاني: أَنَّه إِذا سَطا لا يَثْبُتُ شَيْءٌ لِسَطْوَتِه، فَقَدْ وَرَدَ أَنَّه ﷺ كانَ إِذا غَضِبَ ولا يَغْضَبُ إِلاَّ للَّه، لم يَقُمْ لِغَضَبِه شَيْءٌ[3]. واللَّهُ تَعَالى أَعْلَمُ بالصَّوابِ[4].

---

(١) في الأصل: «بسق»، بالسين مهملة، وهو تصحيف.

(٢) خبر أبي بن خلف في الخصائص (١ / ٢١٣) وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣ / ٢٥٨-٢٥٩) وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤ / ٣٢).

(٣) في حديث: «كان لا يغضب لنفسه، فإذا انتهك شيء من حرمات الله تعالى لم يقم لغضبه شيء». قال الألباني: غريب بهذا اللفظ. إصلاح المساجد ٣٠..

(٤) في ب: «والله أعلم».

- «والله تعالى أعلم بالصواب» ساقطة من ض.

البَيْتُ الرَّابِعُ والأَرْبَعُونَ(١)

لَذَاكَ أَهْيَبُ عِنْدِي إذْ أُكَلِّمُهُ   وَقِيلَ: إِنَّك مَنْسُوبٌ ومَسْؤُولُ(٢)

البَيْتُ الخامسُ والأَرْبَعونَ

مِنْ خَادرٍ مِنْ لُيُوثِ الأُسْدِ مَسْكَنُهُ   مِنْ بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ(٣)

---

(١) كذا فصل بين البيتين في ظ، ل البيت الرابع والأربعون والبيت الخامس والأربعون، وفي بقية النسخ جمع البيتان في عنوان واحد: «البيت الرابع والخامس والأربعون».

– في ك: «والأربعين» وهو لحن من الناسخ.

(٢) في ض: «كذاك».

– كذا «لذاك أهيب» في رواية السكري» (ص٢١) والتبريزي (ص٣٤) وابن الأنباري (ص١١٣) والسبكي (١/ ٢٤١)، وفي رواية البغدادي: «وذاك أهيب» (ص١٥٧).

– وروى ابن هشام في السيرة: «فلهو أخوف عندي» (٤/ ٤٣٠) والسهيلي (٤/ ١٦٠). وروى القرشي: «ولهو أهيب عندي» (٢/ ٧٩٧)، أما الحاكم فرواه: «فكان أخوف». (٣/ ٥٨١)، وروى ابن بشران «وكان أخوف».

– قال التبريزي: «ويروى لذاك أرهب عندي». (ص٣٤) وأشار إلى ذلك أيضاً أبو البركات بن الأنباري (ص١١٣) وابن هشام (ص١٩٥) ويروى: «لكان أهيب عندي».

– روى عبد اللطيف البغدادي: «إذ يكلمني» وأشار إليها التبريزي في شرحه (ص٣٤).

– روى الحاكم: «إذ قيل».

– روى السكري: «وقيل إنك مسبور ومسئول». (ص٢١).

– روى أبو البركات بن الأنباري: «منسوب ومسلول» (١١٣).

(٣) كذا «من خادر من ليوث الأسد مسكنه» في رواية التبريزي (ص٢٢) وابن الأنباري (ص١١٣) والبغدادي (ص١٥٨) والسبكي (١/ ٢٤١) وابن هشام الأنصاري (١٩٦).

– وروى السكري (ص٢١) والقرشي (٢/ ٧٩٧): «من ضيغم من ضراء الأسد مخدره» وذكرها التبريزي وابن هشام في شرحيهما. وروى ابن هشام في السيرة (٤/ ١٣٦٣) وابن سيد الناس (٢/ ٢٨٥) والسهيلي (٤/ ١٦٠) وابن كثير (٤/ ٤٣٠) وابن منظور (اللسان مادة ضغم): «من ضيغم بضراء الأرض مخدره» أما الحاكم فروى «من خادر شبك الأنياب طاع له» (٣/ ٥٨١)، وكذلك رواه ابن بشران (ص٨١).

– كذا «من بطن» في ب، ض أيضاً، وبها روى التبريزي والسبكي وابن هشا م الأنصاري.

– في ل، ك: «في بطن» وبها روى ابن هشام في السيرة وابن سيد الناس والسهيلي وابن كثير.

– روى السكري وابن الأنباري والبغدادي والقرشي وابن بشران والحاكم «ببطن».

(١٦٢ب) / **الإشـارَةُ في قَـوْلِه**: «لَذاكَ» للنَّبيِّ ﷺ، و«أَهْيَبُ» مَـعْنَاهُ أَشَـدُّ هَيْـبَـةً، ويُروَى: «أَرْهَبُ»[١]، وقَوْلُهُ: «إِذْ أُكَلِّمُهُ» أَيْ حالَ كَلامِي لَهُ، ويُرْوَى: «أَنْ يُكَلِّمَني»[٢]، وقَوْلُهُ: «وَقِيلَ[٣] إِنَّك مَنْسُوبٌ»، أَيْ: إِنَّكَ مَطْلوبٌ بالإِعراب عَنْ نَسَبِكَ، وَقَوْلُهُ: «وَمَسْئُولُ»[٤] عَمَّا نَقَلَهُ عَنْكَ، وقَدْ تَقَدَّمَ في أَوَّلِ الشَّرْحِ أَنَّهُ مِنْ بَني مُزَيْنَةَ.

وَقَوْلُهُ: «مِنْ خَادِرٍ»، أَيْ: أَهْيَبُ عِنْدي مِنْ لَيْثٍ خادرٍ[٥]، وهُوَ بالخاءِ المُعْجَمَةِ، والدَّالِ المُـهْمَلَةِ المَكْسُورَةِ، والمُرادُ اللَّيْثُ الدَّاخِلُ الخِدْرَةَ، والُّليوثُ جَمْعُ لَيْثٍ، وهو الأَسَدُ، و«مَسْكَنُهُ»: مَوْضِعُ سَكَنِه، و«عَثَّرُ» بفَتْحِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ وتَشْديدِ الثَّاءِ المُثَلَّثَةِ المَفْتُوحَةِ، وراءٌ مُهْمَلَةٌ في آخرِه: اسمُ مَكانٍ، ويُرْوَى «ببَطْنِ عَثَّرَ»[٦]، و«الغِيلُ» بالغَيْنِ المُعْجَمَةِ وسُكونُ الياءِ المُثَنَّاةِ مِنْ[٧] تَحْتُ: شَجَرٌ مُلْتَفٌّ يُشْبِهُ الأَجَمَةَ مِنَ القَصَبِ[٨]، يَأْوِي إليه الأَسَدُ، **وَقَوْلُهُ**: «غِيلٌ دُونَهُ[٩] غِيلُ»، أَيْ: أَجَمَةٌ داخلُ أَجَمَةٍ؛ التَّقْديرُ: لَذلكَ[١٠] أَهْيَبُ عِنْدي مِنْ لَيْثٍ خـادرٍ، ويُرْوَى «مِنْ ضَيْـغَمٍ مِنْ ضَـرَّاءِ الأُسْدِ[١١]» والضَّيْغَمُ مِنْ أَسْماءِ الأَسَدِ، و«الضَّرَّاءُ»[١٢] بضَمِّ الضَّادِ المُعْجَمَةِ وتَشْديدِ الرَّاءِ المُهْمَلَةِ

(١) في ك: «أهيب».
- ذكر رواية «أرهب» كل من التبريزي وأبو البركات بن الأنباري في شرحيهما (انظر هامش رقم ٤).
(٢) في رواية عبد اللطيف البغدادي: «إذ يكلمني» وذكرها التبريزي في شرحه (انظر هامش رقم ٤).
(٣) «وقيل» ساقطة من ظ، ل.
(٤) الواو في «ومسئول» ساقطة من ظ، ض.
(٥) في ض: «من الليث الخادر».
- قوله: «أي: أهيب عندي من ليث خادر» ساقط من ل ومستدرك بهامشها.
(٦) هي رواية السكري وعبد اللطيف البغدادي.
(٧) «من» ساقطة من ض.
(٨) في ظ، ل: «من القضب» بضاد معجمة، وهو تصحيف.
(٩) في ض: «دون غيل».
(١٠) في ب: «كذاك».
(١١) هي رواية الديوان والجمهرة، وذكرها كل من التبريزي وابن هشام الأنصاري.
(١٢) في ك: «والضر».

مَعَ المَدِّ: جَمْعُ ضَارٍ(١)، وهو الكاسِرُ، أَخْذاً مِنْ قَوْلِهِم [ضَرِيَ بكذا وكَذَا، إذا أُولِعَ به](٢).

ومَعْنى البَيْتَيْن: أَنَّهُ لَمَّا كَلَّمَ النَّبيَّ ﷺ لَدَى(٣) مَقامِه الذي(٤) بَيْنَ يَدَيْه، الذي تَقَدَّمَت الإشارَةُ إليه، وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ تَكَلَّمَ(٥) مَعَهُ في نَسَبِه، وَمِنْ أَيِّ قَبيلَةٍ هُوَ، وَسَاءَلَهُ(٦) عَمَّا وُشِيَ في حَقِّه للنَّبيِّ ﷺ، لِيُطالِبَهُ بالخروجِ منْهُ، اشْتَدَّتْ هَيْبَتُهُ عَلَيْه في خطابه، وعَظُمَ في نَفْسه وَقْعُ كلامه(٧)، حَتَّى وَهَنَتْ قُواهُ، وداخَلَهُ الرَّوعُ، واشْتَدَّتْ به الرَّهْبَةُ أَكْثَرَ ممَّا تُداخِلُهُ الهَيْبَةُ مِنَ الأَسَد.

وَقَد اشْتَمَلَ البَيْتُ عَلَى ثَلاثَة مَقاصِدَ(٨):

المَقْصَدُ الأَوَّلُ: هَيْبَةُ النَّبيِّ ﷺ، لِمَا وُشِيَ في حَقِّه للنَّبيِّ ﷺ(٩)؛ لِيُطالِبَهُ بالخُروجِ منْهُ. وحَقيقٌ بذلكَ؛ فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ وَصْفه ﷺ أَنَّه إذا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَساؤُهُ كَأَنَّما عَلَى رُؤُوسِهِم الطَّيْرُ، وَخَصَّ الهَيْبَةَ بالأَسَد، إشارَةً إلى أَنَّهُ أَعْظَمُ الحَيَوانات هَيْبَةً، حَتَّى يُقالُ إنَ الإِنْسانَ بِمُجَرَّدِ(١٠) رُؤْيَتِه لا يَسْتَطيعُ الفِرارَ مِنْهُ؛ لِشِدَّة الخَوْف منه(١١).

---

(١) ضراء: جمع ضار على غير قياس، والقياس ضراة كساع وسعاة ورام رماة (شرح ابن هشام ص١٩٧).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من شرح ابن هشام (ص٧٩١) وفي شرح التبريزي «من قولهم ضري بكذا وكذا إذا لهج به»(ص٥٣).

(٣) في ل، ك: «لذى» بذال معجمة.

(٤) «الذي» ساقطة من ض.

(٥) زاد في ب: «لما تكلم».

(٦) في ظ، ض: «وسائله»، وفي ل، ك: «ومسائله» وفي ب «يسائله» ولعل الأصوب «وسأله».

(٧) في ك: «وعظم في نفسه ووقع في كلامه».

(٨) في ب، ض: «ثلاث مقاصد» ولكل من ثلاث وثلاثة وجه من صواب

- لم يذكر السيوطي من المقاصد الثلاثة إلاّ المقصد الأول، ولعل سقطاً أصاب النسخ جميعاً.

(٩) كذا في ب: «النبي ﷺ ليطالبه...»، وفي بقية النسخ: هيبة.

(١٠) في ك: «لمجر».

(١١) «منه» ساقطة من ظ، ب، ل، ض.

فَإِنْ قِيلَ: لِمَ خَصَّ الهَيْبَةَ الواقِعَةَ[1] عِنْدَهُ بِحالَةِ[2] الكَلامِ؟ فَالجَوابُ: أَنَّهُ[3] لَمَّا أَخَذَ ﷺ في الكَلامِ مَعَهُ ما هو مُتَوَقِّعُهُ...[4] الكَلامِ، مُبالَغَةً في مَزِيدِ الهَيْبَةِ، وعِظَمِ الحُرْمَةِ، إِذِ الرَّجُلُ[5] الجَليلُ إِذا أَخَذَ في مُخاطَبَةِ مَنْ هو دُونَهُ[6] سَكَنَ جَأْشُهُ، وذَهَبَ رَوْعُهُ، فإِذا كانَتِ الهَيْبَةُ قائِمَةً في هذِهِ الحالَةِ، كانَ ذَلِكَ[7] دَلِيلَ عِظَمِ الهَيْبَةِ[8]، وَوُفُورِ الحُرْمَةِ في كُلِّ حالٍ[9].

فَإِنْ قِيلَ: ما المَعْنَى في مُسائَلَتِه عَنْ نَسَبِه، وأَيُّ غَرَضٍ يَتَعَلَّقُ بذلكَ؟ فالجَوابُ: أَنَّ ذلكَ مِنْ بابِ التَّوْبِيخِ والتَّقْرِيعِ لَهُ، إِذا كانَ أَوَى إِلى قَبِيلَةِ مُزَيْنَةَ للْجِيرَةِ[10] مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَبَتْ ذلكَ على ما تَقَدَّمَ في أَوَّلِ الشَّرْحِ، وكَأَنَّهُ يَقُولُ مَنْ قَبِيلَتُكَ التي تُجِيرُكَ عَلَيَّ، وقَوْمُكَ الذينَ يَعْصِمونَكَ مِنِّي؟ قد بَرِئوا[11] مِنْكَ، وتَخَلَّوْا عَنْكَ.

فَإِنْ قِيلَ لِمَ وَصَفَ الأَسَدَ بالخَادِرِ، والشَّجاعَةُ تَقْتَضِي الزَّفِيرُ؟ فالجَوابُ عَنْهُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأَوَّلُ:[12] أَنَّ الأَسَدَ في الوُحوشِ كالمَلِكِ في الآدَمِيينَ، كُلَّما كانَ مُخْتَفِياً عَنِ العُيونِ كانَ أَشَدَّ هَيْبَةً ووَقْعاً في النُّفوسِ، ولذلكَ لا تَزالُ المُلوكُ تَحْتَجِبُ عَنِ الرَّعِيَّةِ

---

(١) في ك: «الواقفة».

(٢) في ك: «بجلالة».

(٣) «أنه» ساقطة من ب.

(٤) في السياق سقط في النسخ جميعاً، ليشمل بعض الكلمات وجواب الشرط.

(٥) في ظ، ل: «إذا الرجل».

(٦) زاد في ض: «في مخاطبة من هو دونه ومكالمته».

(٧) «ذلك» زيادة في ض.

(٨) في ض: «عظيم الهيبة».

(٩) كذا «في كل حال» في ظ، ك، وفي ب، ل، ض: «بكل حال».

(١٠) في ب، ض: «لتجيره».

(١١) في ل، ض: «قد تبروا».

(١٢) زاد في الأصل: «الجواب الأول».

لِيَعْظُموا في نُفوسِهِمْ، ولو خالَطُوهُمْ أو قَرُبوا مِنْهُمْ لَهَانُوا[١] عَلَيْهِمْ.

الثَّاني: إذا لَزِمَ الخِبَاءَ[٢] إزْدادَ تَوَحُّشُهُ، فَتَعْظُمُ جُرْأَتُهُ وإِقْدامُهُ.

فَإِنْ قِيلَ: إذا كان اللَّيْثُ اسماً للأَسَد، صار التَّقديرُ: لَذَلِكَ أَهْيَبُ مِنْ خادرٍ مِنْ أَشَدِّ الأُسْدِ، ولا مَعْنَى لَهُ؟ فالجوابُ: أَنَّ اللَّيْثَ اسمٌ للأَسَد تَقْييداً[٣] لجَلادَتِه[٤]، كَما أَنَّ الحُسَامَ اسمٌ للسَّيْف بصفَةِ الحَسْمِ[٥]، وهو القَطْعُ، يُقالُ رَجُلٌ لَيْثٌ، إذا كانَ شَديدَ الجَلادَة، وَحيْنَئذٍ يَكُونُ بَيْنَ اللَّيْث والأَسَد مُغَايَرَةٌ ما[٦]، وَيَكُونُ[٧] لَذلكَ[٨] أَهْيَبُ عِنْدي مِنْ خادرٍ مِنْ أَجْلَد الأُسْدِ وأَقْواهُم[٩].

فَإِنْ قِيلَ: لِمَ خَصَّ هذا الأَسَدَ بِبَطْنِ عَثَّرَ؟ فالجوابُ: أَنَّهُ مكانٌ مَعْروفٌ بالأُسْدِ.

فَإِنْ قِيلَ: ما المَعْنَى في جَعْله[١٠] في غيْلٍ داخلَ غيْلٍ[١١]، ولا يكونُ[١٢] مُخْتَفياً في مَكَانٍ داخلَ مَكان إلا الشَّديدُ الخَوْف؟ فالجَوابُ: أَنَّه قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الأَسَدَ كالمَلك[١٣]، كُلَّما كانَ مُخْتَفياً كانَ أَبْلَغَ في هَيْبَته[١٤]، ومُقْتَضَى ذلكَ أَنَّه كُلَّما زادَ اختفاؤُهُ اشْتَدَّتْ هَيْبَتُهُ. واللَّهُ تَعالَى أَعلمُ بالصَّواب[١٥].

---

(١) في ك، ل: «لهالوا» وهو تحريف.

(٢) في ظ، ك: «الخبا».

(٣) في ب: «تقييد».

(٤) في الأصل: «لجلاده».

- في ك: «لجلالدته».

(٥) في الأصل: «كما أن الحيام اسم للسيف نصفه الجسم».

(٦) «ما» ساقطة من ك. (٧) في ك: «فيكون»، أي فيكون التقدير.

(٨) في ل: «لذاك». (٩) «وأقواهم» ساقطة من ك.

(١٠) في ض: «في جعل».

(١١) في ظ، ل: «جعله في غيل» وذكرت «في غيل ذاخل غيل» في هامش ل على أنها نسخة.

(١٢) في ض: «ولا تكون».

(١٣) في ض: «كلملك».

(١٤) في ب، ض: «أبلغ في الهيبة».

(١٥) كذا «والله تعالى أعلم بالصواب» في ك أيضاً، وفي ب: «والله أعلم بالصواب» وفي ض: «والله أعلم» وزاد في ظ، ل: «والله تعالى الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب».



البَيْتُ السَّادِسُ والأَرْبَعون

يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغامَيْنِ عَيْشُهما ... لَحْمٌ مِنَ القَوْمِ معْفورٌ خَراديلُ(١)

قَوْلُه: «يَغْدو» منَ الغَدْوِ، وهو الذَّهابُ في أوَّلِ النَّهارِ، وقَوْلُهُ «فَيَلْحَم» بفَتْحِ الياءِ وسُكونِ اللامِ وفَتْحِ الحاءِ، وميمٌ في آخرِه(٢)، ويَجُوزُ فيه ضَمُّ الياءِ أيْضاً، والأوَّلُ أفْصَحُ، والمُرادُ يُطْعِمُ اللَّحْمَ، والمُرادُ «بالضِّرْغامَيْنِ» وَلَداهُ، وهُما تَثْنِيَةُ ضِرْغامٍ، بكَسْرِ الضَّادِ وسُكونِ الرَّاءِ وفَتْحِ الغَيْنِ المُعْجَمَةِ، وألفٌ ثُمَّ ميمٌ، قالَ ابنُ الأثيرِ: وهو الأسَدُ الضَّاري الشَّديدُ الإقدامِ(٣)، والمَعْنَى أنَّه يُطْعِمُ وَلَدَيْه اللَّحْمَ الآتي ذِكْرُهُ.

وقَوْلُهُ: «عَيْشُهُما لَحْمٌ منَ القَوْمِ»، عَيْشُ الضِّرْغامَيْنِ المذْكُورَيْنِ لَحْمٌ منَ القَوْمِ(٤)، والمُرادُ بالعَيْشِ القُوتُ، وبالقَوْمِ الرِّجالُ، وقَوْلُهُ: «مَعْفورٌ» أيْ: اللَّحمُ المذْكُورُ مَعْفورٌ(٥)؛ وهُوَ بفَتْحِ الميمِ وسُكونِ العَيْنِ المُهْمَلةِ وَضَمِّ الفاءِ وسُكونِ الواوِ، ورَاءٌ مُهْمَلَةٌ في الآخرِ: المُلْقَى على العَفَرِ بفَتْحِ العَيْنِ والفاءِ، وهو التُّرابُ، وقَوْلُهُ: «خَراديلُ» بفَتْحِ الخاءِ المُعْجَمَةِ

---

(١) كذا «فَيَلْحَم» في ظ، ض، وبها روى كل من السكري في الديوان (ص٢٢) وابن هشام في شرحه (ص١٩٧) والقرشي (٢/٧٩٧). وفي نسخة ل: «فيُلحم» بضم الياء. وبها روى التبريزي (ص٣٥) وابن بشران (ص٨١)، وابن الأنباري (ص١١٤) والبغدادي (ص١٦١) وابن هشام في السيرة (٤/١٣٦٣) وابن سيد الناس (٢/٣٨٥).

– قال ابن هشام: «يجوز في ياء (يلحم) الفتح راجحاً والضم مرجوحاً، حكى الجماعة لحمته أي أطعمته لحماً، وحكى الأصمعي ألحمته، والحاء مضمومة إذا فتحت الياء. (ص١٩٧–١٩٨).

– روى ابن بشران والحاكم في المستدرك: «عندهما» بدل «عيشهما» و«منثور» بدل «معفور» (٣/٥٨١).

– روى السكري وابن بشران والتبريزي وأبو بكر بن الأنباري والقرشي: «خراذيل» بالذال معجمة قال التبريزي: «الخراديل بالدال» والذال ، يقال: «خردل اللحم وخرذله إذا قطعه» (ص٣٥ وانظر قصيدة البردة شرح أبي البركات بن الأنباري ص١١٤ وشرح ابن هشام ص١٩٨).

– سقط هذا البيت من رواية السبكي في طبقات الشافعية (انظر ١/٢٤١–٢٤٢).

(٢) في ظ، ل: «في الآخر».

(٣) في النهاية في غريب الحديث: «والأسد الضرغام: هو الضاري الشديد المقدام من الأسود» (ج٣/٧٩).

(٤) قوله: «عيش الضرغامين المذكورين لحم من القوم» ساقط من ل، ومستدرك في الهامش على أنه نسخة.

(٥) قوله: «أي: اللحم المذكور معفور» ساقط من ل ومستدرك بهامشها على أنه نسخة.

والرَّاءِ المُهْمَلَةِ، وألفٌ بَعْدَها، وكَسْرِ الدَّالِ المُهْمَلَةِ، وسُكونِ الياءِ المُثنَّاة تَحْتُ، ولامٌ في آخرِهِ[1]، وهيَ القِطَعُ الصِّغارُ.

ومَعْنى البَيْت: أنَّ الأَسَدَ المُشبَّهَ به في الهَيْبَةِ لشَجاعَتِه[2]، لا يُطْعِمُ ولَدَيْه إلاَّ لَحْمَ بَني آدمَ، ولشِدَّةِ ضَراوتِه يُقَطِّعُهُ قطَعاً صغاراً[3]، ويُعَفِّرُهُ في التُّرابِ، كأنَّهُ غيرُ مُكْتَرِثٍ بالآدَمِيِّينَ، وإذا كانَ كذلكَ، كانَ حَقيقاً بأنْ يُهابَ.

فإنْ قيلَ: لِمَ خَصَّ وَصْفَ ذهابِه إلى الاصطِيادِ بالغُدُوِّ[4]، وهو أوَّلُ النَّهارِ؟ فالجَوابُ: أنَّ ذلكَ[5] أبْلَغُ في الضَّراوَةِ[6]، منْ حَيْثُ أنَّهُ لا يَخْتَطِفُ الآدميَّ لَيْلاً وهو نائمٌ، وإنَّما يأتيهِ نَهاراً وهو مواجِهُهُ، وهُوَ في نَشاطِه وقُوَّتِه، لم يَتْعَبْ معَهُ بكَثْرَةِ الحَرَكَةِ، والحَرَكَةُ في أوَّلِ النَّهارِ أقْوى، بخلافِ آخرِ النَّهارِ.

فإنْ قيلَ: لِمَ ذكَرَ أوْلادَهُ بلَفْظِ التَّثْنِيَةِ بحَيْثُ قالَ: «ضِرْغامَيْنِ»، ولم يَقْتَصِرْ على ذِكْرِ[7] واحدٍ، ولم يَزِدْ على اثْنَيْنِ[8]؟ فالجَوابُ: أنَّهُ لم يَقْتَصِرْ على واحدٍ؛ لأَنَّ في إطعامِ الاثْنَيْنِ زيادةَ شَجاعَةٍ على إطْعامِ[9] الواحدِ[10]، بكَثْرَةِ الاصْطِيادِ، وأمَّا عَدَمُ زيادَتِه على الاثْنَيْنِ، فلَعَلَّ الاثْنَيْنِ أكْثَرُ ما يَلِدُ الأَسَدُ[11].

(١٦٣أ) **فإنْ قيلَ**: إذا كانَ الضِّرْغامُ/ اسماً للأَسَدِ الشَّديدِ الضَّاري كما تَقَدَّمَ، فكَيْفَ ساغَ أنْ يَصِفَ شِبْلَيْ هذا الأَسَدِ بهذا الوَصْفِ؟ فالجَوابُ[12]: أنَّهُ يَجوزُ أنْ يكُونا قَدْ

---

(١) في ظ، ل: «في الآخر».
(٢) في الأصل: «وشجاعته» وذكرت في هامش ل أنها نسخة.
(٣) في الأصل: «قطعاً صغار» وهو لحن من الناسخ.
(٤) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ «بالغدوة».
(٥) في ض: «أما ذلك».
(٦) «في الضراوة» ساقط من ل.
(٧) «ذكر» ساقطة من الأصل.
(٨) في ظ، ل: «على الإثنين».
(٩) في الأصل: «على طعام».
(١٠) في ض: «على إطعام الواحدة».
(١١) في ظ، ل: «ما يولد الأسد».
(١٢) في ل: «والجواب».

كَبُرا وكَمُلا حتَّى[1] صارا أَسَدَيْن كامِلَيْن، وهو مَعَ ذلكَ لضَراوَته وشَجاعَته لا يُكَلِّفُهما السَّعْيَ والاصطيادَ، ويكُونُ احتياجُهما حينئذٍ إلى الطَّعامِ أكثَرَ، فيكونُ أبْلَغَ في شَجَاعَته واصْطِيادِه.

فإنْ قيلَ: لِمَ خَصَّ إطْعامَهُمَا[2] بلَحْمِ الآدميِّينَ؟ فالجَوابُ: أنَّ الآدَميَّ أشَدُّ جُرْأَةً، وأكْثَرُ مدافَعةً منْ غَيْرِه منْ سَائرِ الحَيَوانات، مَعَ ما خُصَّ به منَ العَقْلِ الذي يَحْصُلُ به التَّحَيُّلُ[3] والخَلاصُ والهَرَبُ، خُصوصاً وَقَدْ خُصَّ ذلكَ[4] بلَحْمِ القَوْمِ، الذينَ هُمْ جَماعَةٌ منَ الرِّجالِ، مُبالَغةً في الشِّدَّة والقُوَّة[5].

فإنْ قيلَ: لِمَ وَصَفَ اللَّحْمَ بكَوْنه يُلْقَى على التُّراب، وكَوْنه قِطَعاً صِغاراً؟ فالجوابُ: أنَّ إلقاءَهُ[6] على التُّراب دَليلٌ[7] على عَدَمِ اكْتراث به كما تَقَدَّمَ، ورُبَّما دَلَّ ذلكَ[8] على الشِّبَعِ والعِيافَةِ على أكْلِ اللَّحْمِ لِكَثْرَتِه، كما في قَوْلِ امرئِ القَيْسِ يَصِفُ عُقاباً[9]:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً ويابِساً   لَدَى وَكْرِه العُنَّابُ والحَشَفُ البَالي[10]

يَعْني أنَّها لِكَثْرَة اصطِيَادِهَا تُصيبُ[11] قُلوبَ الطَّيْرِ مُلْقاةً[12] حَوْلَ وَكْرِها، رَطْباً ويابِسَةً[13] لِعِيافَتِها عَنْ أَكْلِها.

---

(١) في ل: «حيث».

(٢) في ظ، ل: «طعمهما». وأشير إلى «اطعامهما» في هامش ل أنها نسخة.

(٣) في ض: «الحيل».

(٤) «خص ذلك» ساقطة من ض.

(٥) في ض: «مبالغة في القوة والشدة».

(٦) في ض: «إلقاه».

(٧) في الأصل: «دليلاً» وهو لحن من الناسخ.

(٨) «ذلك» ساقط من الأصل.

(٩) البيت: من بحر الطويل.

- البيت لامرئ القيس، وهو الحادي والخمسون من قصيدة عدد أبياتها أربعة وخمسون بيتاً (ديوان امرئ القيس ص٣٨).

(١٠) في ب، ل، ض: «لدى وكرها» وهي رواية الديوان أيضاً.

(١١) في ظ، ل «تصيد».

(١٢) في ك، ب، ض: «ملقى».

(١٣) في ب، ض: «ويابساً».



البَيْتُ السَّابِعُ والأَرْبَعونَ

إذا يُساوِرُ قِرْنـــاً لا يَحِــلُّ لَـــهُ أَنْ يَتْرُكَ القِرْنَ إلا وَهُوَ مَفْلُولُ[١]

قَوْلُهُ: «إذا يُساوِرُ قِرْناً» أيْ يُواثِبُهُ[٢]، بِمَعْنَى أَنْ يَثِبَ[٣] كُلٌّ مِنْهما عَلَى الآخَرِ، وهو بِضَمِّ الياءِ المُثَنَّاةِ تَحْتُ مِنْ يُساوِرُ[٤]، وفَتْحِ السِّينِ المُهْمَلَةِ، وأَلِفٌ بعدها، وكَسْرِ الواوِ وراءٌ مُهْمَلَةٌ في الآخِرِ. و«القِرْنُ» بِكَسْرِ[٥] القافِ، وسُكونِ الرَّاءِ المُهْمَلَةِ، ونُونٌ في الآخِرِ، المُرادُ بِهِ المُقاوِمُ في الشَّجاعَةِ.

وَقَوْلُهُ: «لا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتْرُكَ القِرْنَ إِلاّ وَهوَ مَفْلُولُ» أيْ: لا يَتَأَتَّى لَهُ، بِمَعْنَى أَنَّه لا[٦] يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنَ النُّكُوصِ والهَرَبِ، حَتَّى كَأَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَيْهِ، و«المَفْلُولُ» بِفَتْحِ المِيمِ، وسُكونِ الفاءِ، وضَمِّ اللامِ وسُكونِ الواوِ، ولامٌ في الآخِرِ: المَكْسُورُ المَهْزومُ، وأَصْلُ الفَلِّ:

---

(١) كذا «الا وهو مفلول» بالفاء في رواية السكري، (ص٢٢) والتبريزي (ص٣٥) وابن الأنباري (ص١١٤) وابن سيد الناس (٢/ ٢٨٥) والسهيلي (٤/ ١٦٠). وروى البغدادي (ص١٦٢) وابن هشام الأنصاري (ص١٩٨) والقرشي (٢/ ٧٩٨) «الا وهو مجدول» قال التبريزي: «ويروى إلا وهو مجدول، وهو مرمى بالجدالة، وهو وجه الأرض» (ص٣٥).

– وروى الأصمعي: «مثلول، أي مكسور، ومنه ثل عرشه» (شرح ديوان كعب بن زهير للسكري ص٢٢).

– وروى ابن هشام في السيرة (٤/ ١٣٦٣) وابن كثير (٤/ ٤٣٠): «إلا وهو مغلول» بالغين المعجمة، والغل: الحديدة التي تجمع يد الاسير إلى عنقه، ويقال لها جامعة. (اللسان مادة غل).

– كذا وقع هذا البيت سابعاً وأربعين في ترتيب روايته عند كل من التبريزي وابن هشام الأنصاري، ورواه السكري والبغدادي وابن سيد الناس خامساً وأربعين، وهو الرابع والأربعون في رواية ابن كثير. وهو التاسع والأربعون في رواية ابن هشام في السيرة ورواية القرشي، وهو الثامن والأربعون في رواية السهيلي.

– سقط هذا البيت من رواية السبكي (انظر ١/ ٢٤٢) وابن بشران (ص٨١) والحاكم (انظر ٣/ ٥٨١).

(٢) في ض «أي: يواتية».

(٣) في الأصل: «أن يثبت» وطمس أكثر الكلمة في ك.

– في ل: «أنه يثبت».

– في ض: «أن يشب».

(٤) في ض: «من ساور».

(٥) «بكسر» ساقطة من ض.

(٦) «لا» ساقطة من ظ، ل، ض.

الكَسْرُ[١]، ومنْهُ فَلَلُ الحُسامِ، وهو ثَلْمٌ في[٢] حَدِّهِ، ويُرْوَى: «إلاّ وَهْو مَجْدولُ»[٣] بفَتْحِ الميمِ، وسكونِ الجيمِ، وضَمِّ الدَّالِ المُهْمَلَةِ، وسُكونِ الواوِ، ولامٌ في الآخِرِ، والمُرادُ: المُلْقَى بالجَدالَةِ[٤]؛ وهي الأَرْضُ.

(١٦٣ب) / ومَعْنَى البيْت: أنَّ هذا الأَسَدَ إذا التَقَى مَعَ مقاومٍ لَهُ في الشَّجاعَةِ لا يَسْتَجيزُ[٥] في طَريقِ الشَّجاعَةِ أَنْ يُعْرِضَ عَنهُ حَتَّى يَكْسِرَهُ ويَهْزِمَهُ، على الرِّوايةِ الأُولَى، أَوْ يَدَعُهُ[٦] طَرِيحاً مُلْقىً، على الرِّوايَةِ الثَّانيَةِ. وإذا كانَ بهذهِ الصِّفَةِ كانَ جَديراً أَنْ[٧] يُهابَ.

وقَدْ وَقَعَتْ فيه المُتابَعَةُ بالشَّجاعَةِ[٨] منْ وَجْهَيْنِ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: أَنَّهُ لا يُساورُ ضَعيفاً ولا جَباناً، بل يُقاوِمُهُ[٩] في الشَّجاعَةِ، ويُساويهِ في القُوَّةِ[١٠]، وهو طَرِيقَةُ الشُّجْعَانِ في الحَرْبِ حَتَّى كَأَنَّ أَحَدَهما إذا بارَزَ[١١] مَنْ هو دُونَهُ في الشَّجاعَةِ لا يَبْرُزُ لَهُ ولا يُقابِلُهُ.

الوَجْهُ الثَّاني: أَنَّهُ يَرْبَأُ[١٢] بنَفْسِهِ عَنْ أَنْ يُعْرِضَ عَنْهُ أَوْ يُوَلِّيَ حَتَّى يَقْهَرَهُ ويَغْلِبَهُ،

---

(١) في ب: «وأصل المفلل: المكسر» وفي ض: «وأصل المظل المكسر».

(٢) «في» ساقطة من ظ، ل، ض.

(٣) وهي رواية عبد اللطيف البغدادي وابن هشا م الأنصاري.

(٤) في ض: «بالجدالة» بالحاء المهملة.

(٥) في ب: «لا يستجنز» وفي ل: «لا يستجير» وفي ض: «لا يستحنز».

(٦) في الأصل: «ويدعه».

(٧) في ض: «بأن يهاب».

(٨) في ظ، ل: «في الشجاعة».

(٩) زاد في الأصل: «بل من يقاومه».

– في ب ، ك، ض: «بل مقاومه».

(١٠) في ب ، ك، ض: «ومساويه في القوه» وأشير إلى هذا في هامش ل أنه نسخة.

(١١) في ض: «بارزه».

(١٢) كذا «يربأ» في ك، وفي بقية النسخ «يربو».

وهَذه أَتَمُّ حالات الشُّجْعَان، وكَذلكَ(١) كانَ منْ خَصائصه ﷺ أَنَّهُ لا يَجوزُ لَهُ أَنْ يُولِّيَ عَنِ العَدُوِّ وَلَوْ كانوا أُلُوفاً، ولم يُعْرَفْ لَهُ(٢) ﷺ أَنَّهُ أَدبَرَ يَوْماً في الحَرْبِ ولا وَلَّى(٣). واللَّهُ أَعْلَمُ بالصَّوابِ(٤).

---

(١) في ك: «ولذلك».

(٢) «له» ساقطة من الأصل.

(٣) ذكر ذلك السيوطي في الخصائص الكبرى (٢ / ٢٣١) باب اختصاصه ﷺ بوجوب مصابرة العدو وإن كثر عددهم.

- ووجه الأمر أن الله تعالى وعده بالحفظ والعصمة، فقال: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ فلم يكونوا يصلون إليه بسوء قلوا أو كثروا.

(٤) كذا «والله أعلم بالصواب» في ك، وفي ظ ، ل: «والله الموفق» وفي ب ,و ض: «والله أعلم».



البَيْتُ الثَّامِنُ والأَرْبَعونَ

مِنْــهُ تَظَلُّ سِبَاعُ الجَوِّ ضامِــزَةً ولا تُمَشَّى بِوادِيْه الأَراجيلُ(١)

قَوْلُه: «مِنْهُ تَظَلُّ سِباعُ الجَوِّ ضامِزَةً» أَيْ مِنْ ذلكَ الأَسَدِ، وتَظَلُّ بِفَتْحِ التَّاءِ المُثَنَّاةِ فَوْقُ(٢) والظَّاءِ، ومَعْناهُ لا تَزالُ، و«السِّباعُ»: جَمْعُ سَبُعٍ، وهو في الأَصْلِ اسْمٌ لِكُلِّ حَيَوانٍ كاسِرٍ، ثُمَّ غَلَبَ في الاسْتِعْمالِ(٣) عَلَى الأَسَدِ، و«الجَوُّ»: البَرُّ الواسِعُ على ما فَسَّرَهُ بِه ابْنُ هِشامٍ(٤)، و«الضَّامِزَةُ» بالضَّادِ والزَّايِ المُعْجَمَتَيْنِ: السَّاكِنَةُ(٥).

وقَوْلُهُ: «تُمَشَّى» بِضَمِّ التَّاءِ المُثَنَّاةِ فَوْقُ(٦)، وفَتْحِ المِيمِ، وتَشْدِيدِ الشِّينِ المُعْجَمَةِ

---

(١) كذا «سباع الجو» في رواية السيرة لابن هشام (٤/١٣٦٤) وعبد اللطيف البغدادي (١٦٣) وشرح ابن هشام (١٩٨) والسهيلي (٤/١٦٠)، وابن سيد الناس (٢/٢٨٥) وذكرها التبريزي في شرحه، وروى السكري (٢٢) والتبريزي (٣٥) وأبو البركات بن الأنباري (١١٥) والقرشي في الجمهرة (٢/٧٩٨) وابن بشران (ص٨١) والحاكم (٣/٥٨١): «حمير الوحش».

- قال البغدادي: «ويروى تظل جميع الوحش» (١٦٤).

- كذا «ضامزة» بزاي معجمة في ض، وبها روى السكري والتبريزي والبغدادي وابن الأنباري والقرشي وابن هشام الأنصاري، وفي نسخة ب، ك، ل: «ضامرة» براء مهملة، وبها روى الحاكم في المستدرك (٣/٥٨١)، وروى ابن بشران «طامرة».

- روى ابن منظور: «تظل منه سباع الجو ضامزة» (اللسان مادة رجل ١٣/٢٨٢).

- كذا «تُمَشَّى» في رواية السكري وابن هشام الأنصاري، وروى ابن هشام في السيرة وابن سيد الناس والقرشي والبغدادي وابن منظور: «تَمَشَّى» بتاء فوقية مفتوحة وروى ابن الأنباري: «ولا يُمَشَّى» بياء تحته مضمومة.

- سقط هذا البيت من رواية السبكي في طبقات الشافعية (انظر ١/٢٤١-٢٤٢).

- تقدم هذا البيت على البيت السابق في رواية القرشي (انظر ٢/٧٩٨).

(٢) كذا «التاء المثناة» في ل، ض.

- كذا «فوق» في ظ، ل، ض.

(٣) كذا «في الاستعمال» في ظ، ل، وفي بقية النسخ «في استعماله».

(٤) شرح قصيدة بانت سعاد ص١٩٨.

- زاد ابن هشام: «وأخطأ من فسره هنا بما بين السماء والأرض».

(٥) قال ابن منظور: «ضَمَزَ البَعيْرُ يَضْمِز ضَمْزاً وضُمازاً وضموزاً: أمسك جِرَّتَهُ في فيه ولم يجتر من الفزع وكذلك الناقة، وبعير ضامز لا يرغو، وناقة ضامزة لا ترغو» (اللسان ٧/٢٣٢).

(٦) «فوق» ساقطة من الأصل.

المَكْسُورَة؛ بمَعْنَى تَمْشي، وقَوْلُهُ: «بواديه» أيْ في وَاديه[١]، والأَراجيلُ[٢] جَمْعُ أَرْجَالٍ[٣]، والأَرْجالُ جَمْعُ رَجُلٍ[٤].

ومَعْنَى البَيْت: أَنَّ هذا[٥] الأَسَدَ لشَجاعَته لا تَزالُ سِباعُ البَرِّ ساكنَةً منْ هَيْبَته، والرِّجالُ لا تَمْشي بواديه خَوْفاً منْهُ وحَذَراً، وهذا أَعْلَى[٦] ما يَكُونُ منَ الهَيْبَة والشَّجاعَة، وهو أَنْ يهابَهُ جنْسُ السِّبَاع حَتَّى لا تَسْتَطيعَ[٧] حركةً منْهُ، خَوفاً وحَذَراً، وغَيْرُ جنْسه منْ بني آدمَ الذينَ هُمْ أَشَدُّ جُرْأَةً وإقداماً منْ سائر الحيوانات، لا يَسْتَطيعُ أَحَدٌ منْهُمْ أَنْ يَمُرَّ بالوَادي[٨] الذي هُوَ مُقيمٌ فيه[٩].

فإنْ قيلَ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُفَسَّرَ[١٠] الجَوُّ في كلامه بما بَيْنَ السَّماءِ والأَرْض؟ فالجوابُ[١١]: أَنَّه لا يَمْتَنعُ ذلكَ، وإنْ خَطَّأَهُ ابنُ هشامٍ في شَرْحه[١٢]؛ لأَنَّه قَدْ يُرادُ بسبَاع الجَوِّ: الطُّيورُ الكواسرُ كالنَّسْر وَغَيْره، ويَكُونُ في[١٣] ذلكَ مُبالغةٌ في الشَّجاعَة، وهو أَنْ تَخافَهُ سباعُ الطَّيْر التي هي مُمْتَنعَةٌ عَنْهُ بأَجْنحَتها، فما الظَّنُّ بسباع الوَحْش التي هي سَاكنَةٌ مَعَهُ في البَرِّ. واللَّهُ تَعَالى أَعْلَمُ بالصَّواب[١٤].

---

(١) «واديه» ساقطة من ل.

(٢) الواو من «والأراجيل» ساقطة من ل.

(٣) في الأصل: «جمع رجال».

(٤) قال ابن هشام: «والأراجيل: جمع أرجال كالأناعيم جمع أنعام، وأرجال جمع رَجْل كأفراخ جمع فرخ، ورجل اسم جمع راجل كالصحب اسم جمع صاحب» (شرح قصيدة بانت سعاد ص١٠٢).

(٥) «هذا» ساقطة من ظ، ل.

(٦) كذا «أعلى» في ب، وفي بقية النسخ «أعني».

(٧) في ض: «لا يستطيع».

(٨) كذا «بالوادي» في ظ، ل وفي بقية النسخ «بواديه».

(٩) كذا «هو مقيم فيه» في ظ، ل وفي بقية النسخ «يقيم به» وأشير إلى هذه الرواية في هامش ل أنها (في نسخة).

(١٠) «يفسر» ساقطة من الأصل.

(١١) «فالجواب» ساقط من ل.

(١٢) انظر شرح قصيدة بانت سعاد ص١٩٨.

(١٣) «في» ساقطة من الأصل.

(١٤) في ب، ض: «والله أعلم».



البَيْتُ التَّاسِعُ والأَرْبَعونَ

ولا يَزالُ بِواديْهِ أَخو ثِقَةٍ مُطَرَّحُ البزِّ والدِّرْسان مَأْكُولُ(١)

قَوْلُه: «ولا يَزالُ بواديهِ أَخو ثقَةٍ» أيْ بوادي ذلكَ الأَسَدِ، والمُرادُ بـ«أَخي ثِقَةٍ»(٢) الواثِقُ بنَفْسِه في الشَّجَاعَة.

وقَوْلُهُ: «مُطَرَّحُ البَزِّ والدِّرْسان» أيْ: مُطَرَّحُ كُلٍّ مِنَ البَزِّ والدِّرْسان(٣)، و«المُطَرَّحُ»، بضَمِّ الميم، وفَتْحِ الطَّاء المُهْمَلَة، وتَشْديد الرَّاء المُهْمَلَة المفتوحَة، وحَاءٌ مُهْمَلَةٌ في الآخر: [المُلْقى](٤)، و«البَزُّ» بفَتْحِ الباء المُوَحَّدَة وبالزَّاي المُعْجَمة: المُرادُ به هُنا السِّلاحُ، و«الدِّرْسانُ» الثِّيابُ الخَلِقَةُ المُقَطَّعَةُ، وقَوْلُهُ: «مَأْكولُ»، أيْ: مُطَرَّحٌ مأكولٌ.

ومَعْنَى البَيْت: أَنَّ(٥) هذا الأَسَدَ المُشَبَّهَ به لم يَزَلْ يَرَى في واديه مَنْ يَثِقُ بنَفْسِه في الشَّجاعَة إلا(٦) وهو مَأْكولٌ، وسلاحُهُ وأَخْلاقُ ثيابه مُطَرَّحاتٌ حَوْلَهُ، وكَأَنَّهُ لا يُولَعُ إلا بالشُّجْعان، ولا يَلْتَفِتُ إلى مَنْ عداهُمْ. واللَّهُ تَعَالَى(٧) أَعْلَمُ بالصَّواب.

---

(١) قال السكري: ويروى (أخو سفر) (ص٢٣).
- في نسخة ك: «مطرح البرز» وهو تحريف.
- روى ابن هشام في السيرة (٤/١٣٦٤) وابن سيد الناس (٢/٢٨٥) والسهيلي (٤/١٦٠) وابن كثير (٤/٤٣١) «مُفَرَّج البزِّ»، وروى ابن بشران: «مطرح اللحم» (ص٨١).
- قال السكري «ويروى الدرسين، وقال بعضهم: واحد الدرسين دِرْس ودَرْس،... ويروى (مطرح اللحم والدرسين مقتول» (ص٢٣).
- سقط هذا البيت من رواية السبكي في طبقات الشافعية (انظر ١/٢٤٢).
(٢) في الأصل: «أخي الثقة».
(٣) قوله: «أي: مطرح كل من البز والدرسان» ساقط من ل.
(٤) [الملقى] زيادة يقتضيها السياق.
(٥) «أن» ساقطة من الأصل.
(٦) «إلا» ساقطة من الأصل.
(٧) «تعالى» ساقطة من ظ، ل.
- في ب، ض: «والله أعلم».

البَيْتُ الخَمْسُونَ[١]

إِنَّ الرَّسولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ[٢]

لما فَرَغَ مِنْ وَصْفِ الأَسَدِ، وَجعَلَ[٣] هَيْبَتَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ[٤] أَشَدَّ مِنْ هَيْبَتِهِ لَهُ، رَجَعَ إلى تمامِ مَدْحِه لِلْنَبيِّ ﷺ.

قال التِّبْريزيُّ: وَجَعَلَهُ سَيْفاً اسْتِعارَةً[٥]، قالَ ابنُ هشامٍ: وَلَيْسَ كَذلِكَ، وإِنَّما سُمِّيَ مِثْلُ هذا عِنْدَ أَهْلِ البَيانِ تَشْبيهاً مُؤَكَّداً[٦]، قالَ: والمُرادُ «يُسْتَضاءُ به»: يَهْتَدي

---

(١) في ظ، ل: «البيت الموافي خمسون».

(٢) كذا «لسيف يستضاء به» في رواية ابن سلام (١/١٠١) والسكري (ص٢٣) والأصفهاني (١٧/٨٨) وأبي أحمد العسكري (٢٠٣) وعبداللطيف البغدادي (١٦٥) وأبي البركات بن الأنباري (١١٥) والجرجاني (ص١٧) وابن هشام الأنصاري (٢٠٢) والسبكي (١/٢٤٢).

– وروى ابن هشام في السيرة (٤/١٣٦٤) وابن قتيبة (ص٦٨) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٤٤) وابن كثير (٤/٤٣١) والقرشي (٢/٧٩٨) والتبريزي (ص٣٧)، وابن بشران (ص٨١) والحاكم (٣/٥٨١): «لنور».

– قال ابن هشام في شرحه: «ويروى لنور يستضاء به وهو حسن» (٢٠٢) وهذه الرواية أحسن وإن كانت رواية «لسيف» أكثر؛ لأن تشبيه الرسول بالنور يتناسب مع مهمته الأولى في الرسالة وهي الهداية إذ قال تعالى: ﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً**﴾ ولأن النور متلائم مع ما أعقبه من وصف الاستضاءة به، ولأن تشبيهه بالسيف مستدرك بما يأتي في الشطر الأخير. أما التلاؤم بين السيف والاستضاءة به حسب الرواية الثانية فيمكن تمحله من ملاحظة ما يزعمون عن العرب أنهم كانوا إذا أرادوا استدعاء من حولهم شهروا سيفاً صقيلاً فيكون لمعانه وبريقه كالنداء لهم. (نصوص – عبد المقصود السعداوي ص١٦٧–١٦٨).

– روى ابن قتيبة (ص٦٨) والقرشي والبيهقي وابن بشران والحاكم: «وصارم من سيوف الله مسلول».

(٣) الواو من «وجعل» ساقطة من الأصل.

(٤) في ل، ك: «أشد هيبة من هيبته له».

(٥) قول التبريزي هو: «وإنما جعله سيفاً مختاراً من سيوف الله استعارة». (ص٣٧).

(٦) قال ابن هشام: «وهذا في اصطلاح البيانيين إنما يسمى تشبيهاً مؤكداً لا استعارة، إذ شرط الاستعارة عندهم طي المشبه» (ص٢٠٢).

– قال السعد: «هذا خلاصة كلام الشيخ (عبدالقاهر الجرجاني) في أسرار البلاغة، وعليه جميع المحققين، ومن الناس من ذهب إلى أنه – أي (زيد أسد) استعارة لإجرائه على المشبه مع حذف كلمة التشبيه والخلاف لفظي راجع إلى تفسير التشبيه والاستعارة المصطلحين، ثم حقق السعد في أول بحث الاستعارة أنه استعارة لا تشبيه، قال فقولنا (زيد أسد) أصله زيد رجل شجاع كالأسد، فحذف المشبه واستعملنا المشبه به في معناه، فيكون استعارة». (انظر أسرار البلاغة ١٩٣–١٩٦ والمطول ص٣٣٠ وحاشية على شرح بانت سعاد ج٢/٢/ص٦٥).

بهِ[١]، ويُرْوَى: «إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضاءُ به» قالَ ابنُ هشامٍ: وهو حَسَنٌ[٢].

و«المُهَنَّدُ» بضَمِّ الميم[٣] وفَتْحِ الهاءِ وتَشْديدِ النّونِ المَفْتُوحَة، ودالٌ مُهْمَلَةٌ في الآخرِ: المَنْسُوبُ إلى الهِنْد، [ويُرْوَى أَنَّ كَعْباً أَنْشَد: من سُيوفِ الهِنْد][٤] فَقالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «منْ سُيوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ»[٥]، و«المَسْلولُ»: المُصْلَتُ منْ غمْده[٦].

ومَعْنى البَيْت: أَنَّهُ ﷺ في الاقتداءِ به إلى الحقِّ كالسَّيْفِ المُهَنَّدِ المَسْلُول، وذلكَ أنَّه كانَ منْ عادَةِ العَرَبِ أَنَّهُمْ إذا أَرادوا اسْتِدْعاءَ مَنْ حَوْلَهُمْ منَ القَوْمِ في لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ شَهَروا السَّيْفَ الصَّقيلَ، وبُرِقَ به[٧] فَتَظْهَرُ لامعَتُهُ[٨] على بُعْدٍ، فَيَأْتوا إليه مُهْتَدينَ بنُوره، ومُؤْتَمِّينَ[٩] بهَدْيِه ،والنَّبيُّ ﷺ لَمّا جاءَ بالنُّور المُبين، والمُعْجزات الظّاهرَة، ودعا النَّاسَ إليه[١٠]، أتوا مُهْتَدينَ بنُوره السَّاطعِ، ومُؤْتَمِّينَ بضيائه الّلامعِ، وَقَدْ وَرَدَ منْ هذا المَعْنَى[١١] في القُرآن: ﴿**يا أَيُّها النَّبيُّ إنَّا أَرْسلناكَ شاهداً ومُبَشِّراً ونَذيراً، وداعياً إلى اللَّه بإذْنه وسراجاً مُنيراً**﴾[١٢]، فَشَبَّهَهُ بالسِّراجِ المُنيرِ عنْدَما وَصَفَهُ بكَوْنه داعياً إلى اللَّه بإذْنه[١٣].

---

(١) في شرح ابن هشام: «يستضاء به معناه يهتدي به إلى الحق».
- قال السكري: والهاء التي في «به» راجعه إلى النبي ﷺ (ص٢٣) قال محمود شاكر: «وهو ليس بشئ عندي» (انظر حاشية طبقات فحول الشعراء ١/١٠١ هامش رقم ٣).

(٢) كذا «وهو حسن» في ظ، ل، وشرح ابن هشام (ص٢٠٢) وفي بقية النسخ «وهو أحسن».

(٣) في الأصل: «بفتح الميم» وهو خطأ.

(٤) ما بين المعكوفتين زيادة من شرح عبد اللطيف البغدادي (ص١٦٦) وابن هشام ص٢٠٢ وهي مما يقتضيها السياق.

(٥) لم أقف على سند لهذا الخبر.

(٦) مصلت من غمده: مجرد من غمده، ووصف السيف بذلك يفيد صلاحيته للعمل به في كل حين، ويسري هذا المعنى من طريق التشبيه، فيفيد أنه ﷺ لا يفتر لحظة ولا يتوانى في الدفاع عن دين الله.

(٧) في ب، ض: «فيرق به» في ل: «أو برق به».

(٨) في ب، ض: «فتظهر لامعتيه».

(٩) في ض: «ومؤتمنين».

(١٠) في ب، ل، ض: «ودعي الناس إليه».

(١١) في ظ، ل، ك: «وقد ورد في هذا المعنى».

(١٢) سورة الأحزاب: آية رقم ٤٥-٤٦.

(١٣) «إلى الله بإذنه» ساقطة من الأصل.
- من قوله: ﴿**وسراجاً منيراً**﴾... «إلى الله بإذنه» ساقط من ض.

وَقَدْ وَرَدَ في روايَةِ ابنِ الأَنْباريِّ أَنَّ كَعْباً(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا وَصَلَ في إِنْشادِهِ إِلى هذا البَيْتِ رَمَى رَسُولُ الله ﷺ إِليه بُرْدَةً كانَتْ عَلَيْه، وأَنَّ مُعاوِيَةَ بَذَلَ لَهُ فيها عَشْرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ: ما كُنْتُ لأُوثِرَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّه ﷺ أَحداً، فَلَمَّا ماتَ كَعْبٌ، بَعَثَ مُعاويةُ(٢) إِلى وَرَثَتِه بعشْرِينَ أَلفاً، فأَخَذَها منْهُمْ، وهي البُرْدَةُ التي كانَتْ عِنْدَ الخُلَفاءِ مِنْ بني أُمَيَّةَ وبَني العَبَّاسِ، رُضوانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ(٣).

---

(١) في الأصل: «إن كعب» وهو لحن من الناسخ.

- انظر الخبر في قصيدة البردة شرح أبي البركات بن الأنباري ص١٢١.

(٢) «معاوية» ساقطة من ض.

(٣) سبق أن ذكر السيوطي هذه الرواية مسندة إلى أبي بكر الأنباري في مقدمة شرح هذه القصيدة (انظر ص١١٠ هامش رقم ٢) وانظر التعليق على البردة ص١١١ هامش رقم ١.



البَيْتُ الحَادِي والخَمْسُونَ(١)

في فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ لما أَسْلَموا زُولُوا(٢)

قَوْلُهُ: «في فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ»، والفِتْيَةُ بِكَسْرِ الفَاءِ، وَسُكون تاءِ التَّأْنيث، وفَتْحِ الياءِ المُثَنَّاة تَحْتُ: جَمْعُ فَتيٍّ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿**وقالَ لفتْيَانه اجعلوا بضَاعتَهُمْ في رِحالِهِمْ**﴾(٣)، ويُروَى: «في عُصْبَةٍ»، وَهِيَ الجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ ما بَيْنَ العَشَرَةِ والأَرْبَعينَ، و«قُرَيْشٌ»: اسمُ قَبيلَةٍ، وَقَد اخْتُلفَ في أَبيْها(٤)، فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلى أَنَّهُ النَّضْرُ ابنُ كِنَانَةَ(٥)، والرَّاجحُ عِنْدَ أَهْلِ النَّسَبِ أَنَّهُ فِهْرُ بنُ مالِكِ بنِ النَّضْرِ المَذْكُورُ(٦)، وَقَوْلُهُ: «قَالَ(٧) قائِلُهُمْ»: مَعْنَاهُ قالَ قائلُ تِلْكَ الفِتْيَةِ.

---

(١) في ك: «البيت الحادي والخمسين».

(٢) كذا «في فتية» في رواية ابن سلام الجمحي (١/١٠١) وأبي الفرج الأصفهاني (١٧/٨٨) وابن رشيق (العمدة ١/٣٠٣) وعبد القاهر الجرجاني (ص١٧). والبغدادي (ص١٦٦) وابن هشام الأنصاري (٢٠٢) والسبكي (١/٢٤٢) وابن بشران والحاكم (٣/٥٨١) وابن منظور (مادة زول ١٣/٣٣٥).

– روى ابن هشام في السيرة (٤/١٣٦٤) والسكري (ص٢٣) والتبريزي (ص٣٧) وأبو البركات بن الأنباري (ص١١٦) والقرشي (٢/٧٩٧) والسهيلي (٤/١٦٠) وابن سيد الناس (٢/٢٨٥): «في عصبة».

– قال التبريزي: «ويروى في فتية».

– ورواية «في عصبة» أي جماعة، تفوت ما في «فتية» من مدح للرسول ﷺ وللمهاجرين على الرغم من أن العصبة في تعدادها من العشرة إلى الأربعين.

(٣) في النسخ جميعاً: «وقال لفتيته» وهو تحيف.

– سورة يوسف: آية رقم ٦٢.

– تمام الآية: ﴿**وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون**﴾.

(٤) زاد في ك: «وقد اختلف الناس في أبيها».

(٥) في ظ، ك: «النضير» وهو تحريف.

– هو النَّضْرُ بن كِنانة بنُ مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر. قال ابن سيده: «النضر بن كنانة أبو قريش خاصة، من لم يلده النضر فليس من قريش» (اللسان مادة نضر ج٧/٧٠).

(٦) في اللسان: «وفهر قبيلة، وهي أصل قريش، وهو فهرُ بن غالب بن النضر بن كنانة، وقريش كلهم ينسبون إليه» (مادة فهر ج٦/٣٧٤).

(٧) «قال» زيادة في ك.

و«**بطَنُ مَكَّةَ**»: واديها، ومَكَّةُ: اسمٌ لِلْبَلَدِ الحَرامِ، ويُقالُ لها أَيْضاً: «بَكَّةُ» بإِبْدالِ المِيْمِ بَاءً، وَبِهِما جاءَ القرآنُ الكريمُ، قالَ تَعَالى: ﴿**وهو الذي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ**﴾[1] وقالَ عَزَّ وَجلَّ:[2] ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُباركاً**﴾[3] وقيلَ: بالمِيمِ الحَرَمُ كُلُّهُ، وبالباءِ المَسْجِدُ، وقيلَ بالباءِ اسمٌ لِمَوْضِعِ الطَّوافِ خاصَّةً[4].

وقَوْلُهُ: «لَمَّا أَسْلَموا» أَيْ: دَخلوا في الإِسْلامِ[5]، وَقَوْلُهُ: «زُولُوا» أَيْ: هاجروا عَنْ مَكَّةَ إِلى المَدينَةِ.

لَمَّا فَرَغَ مِنْ مَدْحِ النَّبيِّ ﷺ أَخَذَ في مَدْحِ المُهاجِرينَ مِنْ أَصْحابِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعالى عَنْهُمْ، وعَبَّرَ عَنْهُمْ بِقُرَيْشٍ؛ لأَنَّ غالِبَ الصَّحابَةِ كُلِّهِمْ مِنْهُمْ.

والمَعْنى: أَنَّهُ لَمَّا أَسْلَمَ بِمَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ مَنْ أَسْلَمَ، اختاروا الهِجْرَةَ مِنْ أَوْطانِهِمْ[6] بِمَكَّةَ والخُروجَ إِلى غَيْرِها[7] مِنَ البُلْدانِ، لِيَفوزُوا بينهمْ، وَقَد اتَّفَقَ المؤرِّخُونَ وأَصْحابُ السِّيَرِ؛ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ خَديجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ اختُلِفَ فِيمَنْ أَسْلَمَ

---

(١) سورة الفتح: آية رقم ٢٤.
– تمام الآية: ﴿**وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً**﴾.

(٢) في ظ، ل: «جل وعز».

(٣) سورة آل عمران: آية رقم ٩٦.
– تمام الآية: ﴿**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين**﴾.

(٤) قال يعقوب: «بكة: مابين جبلي مكة؛ لأن الناس يبك بعضهم بعضاً في الطواف، أي: يزحم، وقال الزجاج: قيل: إن بكة موضع البيت وسائر ما حوله مكة.. وقيل: بكة اسم بطن مكة، وفي حديث مجاهد: قيل بكة موضع البيت ومكة سائر البلد، وقيل: هما اسما البلد والباء والميم يتعاقبان» (لسان العرب مادة بك ج١٢/٢٨٣).

(٥) في ظ، ل: «دخلوا دين الإسلام».

(٦) في هامش ب: «أي: بدل أوطانهم، فمن للبدل، وقوله بمكة، أي: التي في مكة، فالباء بمعنى في، والجار والمجرور متعلق بأوطانهم».

(٧) زاد في الأصل: «والخروج منها إلى غيرها».

بَعْدَها[١]، فَقيلَ: عَليُّ بنُ أَبي طَالِب، وَعُمُرُهُ تِسْعُ سِنِينَ، وَقِيْلَ: عِشْرونَ[٢] سَنَةً، وَقيلَ: إحدَى عَشْرَةَ سَنَةً[٣]، وكانَ في حِجْرِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَبْلَ الإِسْلامِ يُرَبِّيه، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ[٤] عَليٍّ، زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وكانَ قَد اشْتراهُ وأعْتَقَهُ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ ذلكَ أَبو بَكْرٍ الصِّديقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقيلَ: أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ[٥]، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَهُ عُثْمانُ بنُ عَفَّانَ، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وسَعْدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ، والزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ، وطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ الله، ثُمَّ أبو[٦] عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، وعُبَيْدَةُ بنُ الحارِث، وسَعْدُ ابن زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيْلٍ، وعَبْدُ الله بنُ مَسْعودٍ، وعَمَّارُ بنُ ياسرٍ، ثُمَّ أَسْلَمَ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلب بَعْدَهُ، وهو الباعثُ لَهُمْ بالهِجْرَة، والحاثُّ[٧] لَهُمْ عَلَيْها، فَإليه الإِشارَةُ بِقَوْلِه في البَيْتِ: «قالَ قائِلُهُمْ»[٨]، وهذا البَيْتُ في الحَقيقَةِ مَدْحٌ. واللّهُ أَعْلَمُ بالصَّواب[٩].

---

(١) كذا في ظ، ل: «وفي بقية النسخ» في إسلام من بعدها».

(٢) في ظ، ك، ل: «عشرين».

(٣) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ: «أحد عشر سنة» وهو لحن من الناسخ.

(٤) زاد في ك: «ثم أسلم من بعد علي».

(٥) كذا في الأصل: «أبو بكر الصديق»، والصديق ساقطة في بقية النسخ.

(٦) «أبو» ساقطة من النسخ جميعاً.

(٧) في ض: «والحاثث» وذكرت في هامش ل «نسخة» وفي هامش ض «الحاث» نسخة.

(٨) في ض: «ئلهم» بسقوط «قا» من كلمة «قائلهم».

(٩) «والله أعلم بالصواب» زيادة في ظ، ل، وسقطت من ب، ك.

– في ض: «والله سبحانه وتعالى أعلم».



(١٦٤أ)

/ البيتُ الثَّاني والخَمْسُون

زَالُوا فَما زَالَ أَنْكاسٌ ولا كُشُفٌ عِنْدَ الِّلقَـاءِ ولا مِيْلٌ مَعَازِيلُ(١)

قَـوْلُهُ(٢): «زالوا» أيْ ذَهَبُـوا، يُقـالُ زالَ يَزولُ، إذا ذَهَبَ، وَقَـوْلُهُ: «فَـمـا زالَ أَنْكاسٌ»، أيْ فما ذَهَبَ أَنْكاسٌ ولا كُشُفٌ، والأَنْكاسُ بفَتْحِ الهَمْزَة وإسْكان النُّون(٣)، وَسينٌ مُهْمَلَةٌ في الآخرِ(٤): جَمْعُ نكسٍ بكَسْرِ النُّون، وهو الرَّجُلُ الضَّعيْفُ المَهينُ، شُبِّهَ بالنُّكْسِ مِنَ السِّهامِ، وهو الذي أُنكِسَ فَوْقُهُ(٥)، فَجُعِلَ أَعْلاهُ أَسْفَلَهُ، و«الكُشُفُ» بضَمِّ الكافِ والشِّين المُعْجَمَةِ وَفَـاءٌ في آخرِهِ(٦): جَـمْعُ أَكْشَفَ(٧)، وهو الذي لا تُرْسَ مَعَهُ في الحَرْبِ(٨).

وَقَوْلُهُ: «ولا مِيلٌ مَعَازِيلُ» أيْ: وما زالَ أَيْضاً مِيلٌ مَعَازِيلُ، والمِيْلُ بكَسْرِ الميمِ وسُكون الياءِ المُثَنَّاةِ تَحْتُ(٩)، ولامٌ في الآخرِ، جَمْعُ أَمْيَلَ، ولَهُ مَعْنَيانِ كُلٌّ منْهُما يَصْلُحُ هُنا، أَحَدُهُما: أَنَّهُ الذي لا سَيْفَ مَعَهُ، الثَّاني: الذي لا يُحْسِنُ الرُّكُوبَ، ولا

---

(١) روى ابن سلام: «يوم اللقاء ولا سود معازيل» ١ / ١٠٢) وكذلك رواه ابن قتيبة (٦٨) وروى الأصفهاني «ولا خور معازيل» (١٧ / ٨٨).

– كذا وقع البيت في رواية ابن هشام في السيرة (٤ / ١٣٦٤) والسكري (ص٢٣) وابن قتيبة (ص٦٨) وأبو أحمد العسكري (ص٣٠٢) والتبريزي (ص٣٧) وعبد القاهر الجرجاني (دلائل ص١٧) وابن بشران (ص٨١) والحاكم (٣ / ٥٨٢) وابن الأنباري (ص١١٦) والقرشي (٢ / ٧٩٩) وابن هشام الأنصاري (٢٠٣) والسبكي (١ / ٢٤٢) والبغدادي (١٦٧) وابن كثير (٤ / ٤٣٠) والسهيلي (٤ / ١٦٠) وابن سيد الناس (٢ / ٢٨٥) وابن منظور (مادة زول ٣١ / ٣٥٣).

(٢) في ل: «وقوله».

(٣) في الأصل: «وسكون النون».

(٤) في الأصل: «في الآخرة».

(٥) في ض: «انكسر فوقه» وهو لفظ ابن هشام في شرحه (ص٤٠٢).

(٦) في ظ، ل: «في الآخر».

(٧) كذا «جمع أكشف» في ظ، ل، وفي بقية النسخ «جمع كشف».

(٨) قوله: «جمع نكس... وهو الذي لا ترس معه في الحرب» من شرح ابن هشام (ص٢٠٤).

(٩) «تحت» ساقطة من ظ، ل.

يَسْتَقِرُّ على السَّرْجِ، و«المَعازِيلُ»، بِفَتْحِ المِيمِ والعَيْنِ المُهْمَلَة، وأَلِفٌ ثُمَّ زايٌ مَكْسُورَةٌ وياءٌ مُثَنَّاةٌ مِنْ تَحْتُ[١] ساكِنَةٌ ولامٌ في الآخِرِ: جَمْعُ مِعْزالٍ بِكَسْرِ المِيمِ، وهو الذي لا سِلاحَ مَعَهُ، والمَشْهورُ فيه أَعْزَلُ، ومِنْهُ سُمِّيَ النَّجْمُ المَشْهورُ السِّمَاكَ[٢] الأَعْزَلَ[٣]، لِمُقابَلَتِه[٤] السِّماكَ الرَّامِحَ، والرَّامِحُ في هَيْئَتِه: رَجُلٌ بِيَدِه رُمْحٌ، والأَعْزَلُ لا رُمْحَ مَعَهُ، وقالَ المَعَرِّيُّ في ذلكَ[٥]:

لا تَطْلُبَنْ بِغَيْرِ حَظٍّ رُتْبَةً ... قَلَمُ البَلِيغِ بِغَيْرِ حَظٍّ مِغْزَلُ[٦]

سَكَنَ السِّماكانِ السَّماءَ كِلاهُما ... هذا لَهُ رُمْحٌ، وهذا أَعْزَلُ[٧]

ومَعْنَى البَيْتِ: أَنَّهُمْ زالوا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ، ولم يَكُنْ فيهِمْ مَنْ هذه صِفَتُهُ، بل كانوا أَقْوِياءَ، وسِلاحَ فُرْسانٍ عِنْدَ اللِّقاءِ، والمَدْحُ فيه مِنْ وَجْهَيْنِ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: أَنَّهُمْ خَرَجوا مِنْ أَوْطانِهِمْ، وفارَقُوا أَحِبَّتَهُمْ مِنَ الأَهْلِ والوَلَدِ، فِراراً بِدينِهِمْ، مَعَ ما في ذلكَ مِنَ المَشَقَّةِ العَظِيمَةِ[٨]، إلاَّ مَنْ وُقِيَ بِوِقايَةِ اللَّهِ تَعالَى، وناهِيكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعالَى قَرَنَ خُروجَ الإِنْسانِ مِنْ بَيْتِه بِقَتْلِ نَفْسِه، فَقالَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ: ﴿**ولو أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنْ اقتلوا أَنْفُسَكُمْ أو اخرُجوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهْ إلاّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ**﴾[٩]،

---

(١) «من تحت» ساقطة من ظ، ل.

(٢) في ظ: «الشمال» وهو تحريف.

(٣) «الأعزل» ساقطة من ظ، ل، وفي هامش ل «نسخة».

(٤) في ض: «لمقابلة».

(٥) البيتان: من بحر الكامل.

– البيتان في شرح ابن هشام قدم لهما بقوله: «وما أحسن قول المعري» (ص٤٠٢).

(٦) في ك، ل: «خط».

– في ظ، ض: «معزل» بعين مهملة.

(٧) قوله: «والميل... جمع أميل... سكن السماكان... وهذا أعزل» من شرح ابن هشام (ص٢٠٤).

(٨) في الأصل: «من المشقة والعظيمة».

(٩) سورة النساء: آية رقم ٦٦.

– تمام الآية: ﴿**ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً**﴾.

وكَفَى بذلكَ مُبالَغةً في شدَّة فراقِ الوطَنِ، ومُفارَقَةِ المَنْزِلِ المَألُوف.

الوَجْهُ الثَّاني: أَنَّهُم لم يخرجوا منْ مَكَّةَ عَنْ خَوْفٍ ولا فَشَلٍ، إذْ كانوا أَقْوياءَ ذَوي هَيْبَةٍ[١] لِلْحَرْبِ والقِتال، وإنَّما خَرَجوا لِطاعَةِ اللَّه ورَسُولِه.

واعْلَمْ أَنَّ لِلْمؤمنينَ هجْرَتَيْنِ؛ الأُولى: إلى أَرْضِ الحَبَشَةِ[٢]، فهاجَرَ منْهُمْ جَماعةٌ، وذلكَ أَنَّهُ لَمَّا اشْتَدَّ أَذى قُرَيْشٍ[٣] بمَنْ أَسْلَمَ بمَكَّةَ، أَذنَ رَسُولُ اللَّه ﷺ لمَنْ لَيْسَتْ لَهُ عَشيرَةٌ تَحْميه بالهجْرَة إلى أَرْضِ الحَبَشَة، فهاجَرَ منْهُمْ جَماعَةٌ[٤]، وأَقاموا في جوارِ النَّجَاشيِّ، فَأَحْسَنَ نُزُلَهُمْ[٥]، وعامَلَهُمْ بالكَرَامَة، وكانَ منْ جُمْلَة مَنْ هاجَرَ منْهُمْ إلى أَرْضِ الحَبَشَة على التَّتابُعِ ثلاثَةٌ وثَمانونَ رَجُلاً[٦]، منْهُمْ عُثْمانُ بنُ عفانَ، والزُّبَيْرُ بنُ العَوَّام، وعُثْمانُ بنُ مَظْعونٍ، وعَبْدُ اللَّه بنُ مَسْعودٍ، وعَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ عَوْفٍ، وجَعْفَرُ بنُ أبي طالبٍ، وَجَماعَةٌ منَ النِّسْوَة، منْهُمْ رُقَيَّةُ بنْتُ رَسولِ اللَّه ﷺ مَعَ زَوْجِها[٧] عثمانَ بنِ عَفَّانَ، وأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ للنَّجاشيِّ في طَلَبِهِمْ، وهادُوهُ على ذلكَ، فَلَمْ يُمَكِّنْ منْهُمْ.

الهجْرَةُ الثَّانيَةُ: إلى المَدينَة الشَّريفَة، وهيَ التي بُنيَ عَلَيْها التَّاريْخُ الإسْلاميُّ، وكانَ[٨] ابتداءُ أَمْرِها أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ على القبائلِ في مَوْسمِ الحَجِّ[٩] ويَدْعوهُمْ إلى اللَّه تَعالى، ويَقُولُ: يا بَني فُلانٍ إنِّي رَسُولُ اللَّه إليكم، أَنْ تَعْبدوا اللَّهَ وَحْدَهُ، ولا تُشْركوا به شَيْئاً، وأَنْ تَخْلَعوا[١٠] ماتَعْبدونَ منْ دُونه، وأَنْ تُؤْمنوا بي

---

(١) في ظ: «ذوا هيئة» وفي ك، ل: «ذوا هيبة» وفي ب، ض: «ذو هيبة» وفي هامش ل: «ذو أهبة» نسخة.

(٢) انظر تفصيلاً بأسباب هذه الهجرة ومن هاجر إليها من الرجال وأزواجهم ومحاولة قريش ردّهم من الحبشة، وما قيل من الشعر فيها في سيرة ابن هشام (١/٣٣٤-٣٥٤).

(٣) كذا «أذى قريش» في ظ، ك، وفي ب، ل، ض: «أذى المشركين».

(٤) قوله: «ذلك أنه لما اشتد . . . فهاجر منهم جماعة» ساقط من متن ظ، ل، ومستدرك في هامشيهما.

(٥) في الأصل: «فأحسن نزولهم».

(٦) وهذا العدد سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها. (السيرة ١/٣٤٣).

(٧) في ك: «وزوجها».

(٨) في ض: «فكان».

(٩) في ظ، ل: «في مواسم الحج».

(١٠) في ب: «وأن لا تخلقوا» وفي ض: «وأن تخلقوا».

وتُصدِّقوني، فاتَّفقَ أنْ[1] خرجَ منَ المَوْسِمِ فَلَقِيَ ستَّةَ رجالٍ منَ الخَزْرَجِ منْ أَهْلِ المَدينَةِ[2]، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ الإِسلامَ، وتلا عَلَيْهِمْ القُرآنَ، فآمَنوا به، ثُمَّ انصرَفوا إلى المَدينَةِ، فَدَعوا قَوْمَهُمْ إلى الإِسْلامِ، فَأَسْلَمَ منْهُمْ الكَثيرُ[3]، وفَشَا الإِسْلامُ فيْهِم[4]، ولم يَبْقَ دارٌ[5] إلاّ وَفيها ذِكْرُ الرَّسول ﷺ، فَلَمَّا كانَ في العامِ الآخَرِ، لَقِيَ الرَّسولُ ﷺ بالمَوْسمِ[6] اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً منَ الأَنْصارِ[7]، فَبايَعَهُمْ على أَنْ لا يُشْركوا[8] باللَّه شَيْئاً، ولا يَسْرقوا، ولا يَزْنُوا، ولا يَقْتُلُوا[9] النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللَّهُ إلاّ بالحَقِّ[10]، وبَعَثَ مَعَهُمْ رَسولُ اللَّه ﷺ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرِ بنِ هاشمِ بنِ[11] عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدَّارِ [ابنِ قُصَيٍّ][12]، يُعَلِّمُهُمْ[13] شرائعَ الإِسْلامِ والقُرآنَ، فَلَمَّا قَدِمَ مُصْعَبٌ المَدينَةَ وَدَعا مَنْ بها إلى الإِسْلامِ، كانَ مِمَّن أَسْلَمَ على يَدَيْهِ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ سَيِّدُ الأَوْسِ، وَحَمَلَ قَوْمَه

---

(١) في ب، ض: «أنه».

(٢) انظر أسماء هؤلاء النفر وبطونهم في سيرة ابن هشام (٢/٤٥٣-٤٥٤).

(٣) «فأسلم منهم الكثير» ساقطة من ب، ض.

(٤) في ب، ض: «وفشا فيهم الإسلام».

(٥) في ب: «ولم تبق دار» وكذلك السيرة (٢/٤٥٤).

(٦) «بالموسم» زيادة في ظ، ل.

(٧) لقي هؤلاء الرجال رسول الله ﷺ بالعقبة، وهي العقبة الأولى (انظر أسماء رجال بيعة العقبة الأولى في السيرة ٢/٤٥٤-٤٥٦).

(٨) في ب، ض: «على ألا تشركوا».

(٩) في ب، ض: «ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس».

(١٠) أخرج ابن اسحاق بسنده عن عبادة بن الصامت قال: «كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب: على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه بمعروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل، إن شاء غفر، وإن شاء عذب». (السيرة النبوية ٢/٤٥٦).

(١١) «بن» ساقطة من ك.

(١٢) زيادة يقتضيها النسب.

(١٣) في النسخ جميعاً «فعلمهم» ولعل ما أثبته الصواب.

على الإيمان بالنَّبيِّ ﷺ، فآمَنوا به على آخرهِمْ، وفَشَا الإسْلامُ بالمدينَة حَتَّى لم يَبْقَ[١] فيْها[٢] دارٌ مِنْ دورِ الأَنْصارِ إلاّ ودَخَلَها الإسْلامُ، ثُمَّ عادَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ إلى مَكَّةَ بَعْد ذلكَ في ثَلاثَةٍ وَسَبْعينَ[٣] رَجُلاً مِمَّن أَسْلَمَ منَ الأَنْصارِ، بَعْضُهُمْ منَ الأَوْسِ وبَعْضُهُمْ منَ الخَزْرَجِ، فاجْتَمعوا بالنَّبيِّ ﷺ عنْدَ العَقَبَة وَمَعَهُ عَمُّهُ العَبَّاسُ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، فاسْتَوْثَقَ منْهُمُ العَبَّاسُ للنَّبيِّ ﷺ، على أَنَّهُمْ لا يَخْذُلُونَهُ[٤]، ولا يُسْلمونَهُ[٥]، فَقَالوا[٦]: ما لَنَا إنْ قُتِلْنا دُونَكَ يا رسولَ اللَّه؟ قالَ: الجَنَّةُ، قالوا: ابسُطْ[٧] يَدَكَ/ لنُبَايِعَكَ، فَبَايَعُوهُ على (١٦٤ب) ذلكَ، وانْصَرَفوا راجعينَ إلى المَدينة.

وأَمَر رسولُ اللَّه ﷺ أَصْحابَهُ بالهجْرَة إلى المَدينَة، فَخَرجوا مُتَتابعينَ، وأَقامَ رسولُ الله ﷺ بمَكَّةَ، يَنْتَظِرُ حَتَّى يَأْذَنَ لَهُ رَبُّهُ في الخُروجِ مِنْ مَكَّةَ، وَمَعَهُ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وعَليُّ بنُ أبي طالبٍ.

ثُمَّ خَرَجَ النَّبيُّ ﷺ منْ مَكَّةَ لَيْلاً[٨] وَمَعَهُ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وأَقاما بغارِ جَبَلِ ثَوْرٍ أَسْفَلَ مَكَّةَ ثلاثَةَ أَيَّامٍ[٩]، ثُمَّ خَرَجا منَ الغارِ وتَوَجَّها إلى المَدينَة، وَجَدَّتْ قُرَيْشٌ فـي طَلَبِهما، فَلَحِقَهُما سُراقَةُ بنُ مالكٍ المُدْلِجيُّ[١٠]، فَدَعا عَلَيْه رسولُ اللَّه ﷺ،

---

(١) في ب، ض: «لم تبق».

(٢) «فيها» ساقطة من ض.

(٣) في ض: «في ثلاثة وسبعون» وهو لحن من الناسخ.

– أخرج ابن اسحاق بسنده عن كعب بن مالك: «... ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا، نسيبة بنت كعب، أم عمارة، وأسماء بنت عمرو، أم منيع" السيرة ٢/٤٦٤).

(٤) في الأصل: «حتى أنهم لا يخذلونه».

(٥) أحب العباس بن عبد المطلب أن يتوثق أمر ابن أخيه (محمد ﷺ). ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم. (انظر نص خطبته في السيرة ٢/٤٦٤).

(٦) في ب: «فقال».

(٧) في ب، ل، ض: «فابسط».

(٨) قوله: «ومعه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب، ثم خرج النبي ﷺ من مكة ليلاً» ساقط من ب، ض.

(٩) في النسخ جميعاً «أقاما .. بثلاثة أيام».

(١٠) في السيرة: «سراقة بن مالك بن جعشم» (٢/٥١٢). وفي التهذيب سراقة بن مالك المدلجي أحد الصحابة (اللسان مادة سرق ٢١/٢٣).

فَغَاصَتْ فَرَسُهُ في الأَرضِ إلى بَطْنِها، فَرَغِبَ إلى[1] النَّبيِّ ﷺ في أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ في خَلاصه[2]، فَفَعَلَ، فَتَرَكَهُما ورَجَعَ، وَرَدَّ كُلَّ مَنْ لَقِيَهُ عَنْ رَسولِ اللَّه ﷺ. وأَقَامَ[3] عليٌّ بَعْدَ النَّبيِّ ﷺ بِمَكَّةَ إلى أَنْ أَدَّى وَدَائِعَ للنَّاسِ كَانَتْ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ المَدِينَةَ على رَسولِ الله ﷺ، ثم كانَ بَعْدَ ذلكَ فَتْحُ مكةَ وغَيْرَها. واللَّهُ تَعَالى أَعْلَمُ بالصَّوابِ[4].

(١) «إلى» ساقطة من الأصل.

(٢) في ض: «في أن يسأله في خلاصه».

(٣) في الأصل: «وبقي».

(٤) «والله تعالى أعلم بالصواب» ساقطة من الأصل.
- في ب، ض: «والله أعلم».
- في ل: «والله تعالى أعلم».

البَيْتُ الثَّالثُ والخَمْسونَ

شُمُّ العَرانِينِ أَبْطالٌ لَبُوسُهُمُ   مِنْ نَسْجِ دَاودَ في الهَيْجا سَرابيلُ[1]

قَوْلُهُ[2]: «شُمُّ العَرانِينِ أَبْطالٌ، لَبُوسُهُمُ في الهَيْجا، سَرابيلُ مِنْ نَسْجِ داودَ»[3].

والشُّمُّ بِضَمِّ الشِّينِ المُعْجَمَةِ؛ جَمْعُ أَشَمَّ، وهُوَ الذي في قَصَبَةِ أَنْفِه عُلُوٌّ مَعَ استواءِ أَعْلاهُ، و«العَرانِينُ»: جَمْعُ عِرْنِينَ، وهو الأَنْفُ، و«الأَبْطالُ» جَمْعُ بَطَلٍ، وهو الشُّجَاعُ الذي يُبْطِلُ الدِّماءَ[4]، وتَذْهَبُ هَدْراً[5]، ولا يُدْرَكُ عِنْدَهُ الثَّأْرُ[6]، و«اللَّبوسُ» بفَتْحِ اللَّامِ: ما يُلْبَسُ مِنَ السِّلاحِ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى[7]: ﴿**وعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ**﴾[8]، و«النَّسْجُ»: المَنْسوجُ، و«داودُ»: النَّبِيُّ ﷺ، والمُرادُ بِنَسْجِه: الدِّرْعُ[9]، و«السَّرابِيلُ»: جَمْعُ سِربالٍ، و«الهَيْجَاءُ» مِنْ أَسْماءِ الحَرْبِ[10].

---

(١) كذا وقع البيت في رواية ابن هشام في السيرة (٤/ ١٣٦٥) والسكري (ص٢٣) وابو أحمد العسكري (المصون ص٢٠٤) والتبريزي (ص٣٨) وعبد القاهر الجرجاني (ص١٧) وابن الأنباري (ص١١٧) والقرشي (٢/ ٧٩٩) وابن هشام الأنصاري (ص٢٠٥) والسبكي (١/ ٢٤٢) والبغدادي (ص١٦٨) وابن كثير (٤/ ٤٣١) وابن سيد الناس (٢/ ٢٨٥) والسهيلي (٤/ ١٦٠) والحاكم (٣/ ٥٨٢) وابن منظور (مادة سربل ١٣/ ٣٥٦)، وروى ابن بشران: «أبطال لباسهم».

(٢) «قوله» ساقطة من ض.

(٣) في ب، ض: «شمّ العرانين أبطال لبوسهم من نسج داود».

– قوله «شم العرانين... من نسج داود» كأنه يعيد ترتيب البيت تبعاً لنظام الجملة النثرية.

(٤) في ض: «الذي تبطل الدما» وهو قريب من قول ابن هشام: «وهو الذي تبطل عنده الدماء» (ص٢٠٥).

(٥) في ك: «وتذهب هدر» وهو لحن من الناسخ.

(٦) قوله: «والشمّ: جمع أشم... عنده الثأر» منقول بتمامه من شرح ابن هشام (ص٢٠٥).

(٧) «تعالى» ساقطة من الأصل.

(٨) سورة الأنبياء: آية رقم ٨٠.

– تمام الآية: ﴿**وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون**﴾.

(٩) في ب، ض: «والمراد نسجه الدرع».

– قوله: «والنسج المنسوج.. والمراد بنسجه الدرع» من شرح ابن هشام إلا أن عبارة ابن هشام: «ومنسوجه الدروع» (ص٢٠٥).

(١٠) في ض: «من أسماء العرب».

ومَعْنَى البَيْت: أَنَّهُم في النَّاسِ ذوو رِفْعَةٍ[١] وعُلُوِّ مِقْدارٍ، وفي الحَرْبِ في غايَةٍ مِنَ الشَّجاعَةِ[٢]، ومَنَعَةٍ[٣] مِنَ السِّلاحِ، وقَدْ وَقَعَ المَدْحُ لَهُمْ مِنْ ثَلاثَةِ أَوْجُهٍ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: كَوْنُهُمْ شُمَّ العَرانينِ، وهو مُحْتَمِلٌ لِمَعْنَيَيْنِ[٤]؛ أَحَدُهُما: أَنْ يَكُونَ[٥] شَمَمُ العَرانينِ[٦]، التي هِيَ الأُنُوفُ حَقيقَةً، وهو[٧] مِنَ الأَوْصافِ الحَميدَةِ[٨] في تَكْوِينِ خُلُقِ الإِنْسانِ، وقَدْ جاءَ في وَصْفِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كانَ: «أَشَمَّ العِرْنِينِ»[٩].

والثَّاني: أَنْ يكونَ اسْتِعارَ ذلكَ لِرِفْعَةِ القَدْرِ والعُلُوِّ؛ لأَنَّهُ يُقالُ ذلكَ لِلرَّجُلِ المُرْتَفِعِ القَدْرِ[١٠]، في أَنْفِهِ شَمَمٌ، ويَجُوزُ أَنْ يُقالَ ذلكَ لِلرَّفيعِ القَدْرِ في نَفْسِ الأَمْرِ.

الوَجْهُ الثَّاني: كَوْنُهُمْ أَبْطالاً، وهو مِنْ أَوْصافِ الشُّجْعانِ المُبْرِزِينَ لِلشَّجاعَةِ، ولا يُشَكُّ[١١] أَنَّ الشَّجاعَةَ مِنْ أَحْمَدِ[١٢] الأَوْصافِ التي يُتَمَدَّحُ بِها[١٣]، ويَقَعُ الإِطْراءُ[١٤]

---

(١) في ل «ذووا رفعة» وفي بقية النسخ «ذو رفعة». إلا أن ض: «ذوا رفعة».

(٢) في الأصل: «في غاية الشجاعة».

(٣) في ض: «وصنعة».

(٤) كذا «محتمل لمعنيين» في ل، وفي بقية النسخ «يحتمل لمعنيين».

(٥) زاد في ب، ك: «أراد أن يكون».

(٦) في ل: «شم العرانين».

(٧) في ب، ض: «وهي».

(٨) في ض: «الجميلة».

(٩) هذا جزء من حديث طويل، أخرجه الترمذي في الشمائل (ص١٠) والبيهقي في دلائل النبوة (١/٢٨٧، ٣٠٣) بلفظ أقنى العرنين، وابن عدي في الكامل (٢/٥٩) وابن سعد في ا لطبقات (١/٤٢٢-٤٢٣) فيه أبو عبد الله التميمي مجهول كما قال ابن حجر.

قال ابن حجر في الإصابة (٣/٦١١-٦١٢) وصف النبي ﷺ فاحسن وأتقن، من حديث هند بن أبي هالة.

- في ب، ض: «أشفر العرنين».

(١٠) «القدر» ساقطة من ظ، ل، وفي هامش ل: «القدر نسخة».

(١١) كذا «ولا يشك» في ظ، ك، وفي بقية النسخ «ولا شك».

(١٢) في ض: «من أحد».

(١٣) في الأصل: «يمدح بها».

(١٤) في الأصل: «ويقع الإعراب» وفي ك: «يقع الإظهار» وفي ل: «يقع الإطراب».

بِسَبَبِها، وفيه تَقَرُّرٌ[1] لما تَقَدَّمَ مِنْ مَعْنَى البَيْتِ الذي قَبْلَهُ؛ مِنْ أَنَّهُمْ لم يَخْرُجوا مِنْ مَكَّةَ عَنْ ضَعْفٍ ولا مَهانَةٍ[2]، وإِنَّما خَرَجوا طاعَةً[3] لله ورَسُولِه.

الوَجْـهُ الثَّـالثُ: أَنَّ لَبُـوسَـهُـمْ في الحَـرْبِ كـانَـتْ مِنْ أَصْنَعِ الدُّروعِ وأَمْنَعِـهـا؛ لأَنه أَضافَهـا لنَسْجِ داودَ، نَبيِّ الله صَلَواتُ اللَّه وسَلامُهُ[4] عَلَيْـه، ولا شَكَّ أَنَّ دُروعَـهُ[5] أَحْكَمُ الدُّروعِ صَنْعَةً وصَيْرورَةً[6]، لُيِّنَ[7] الحَديدُ لَهُ، وصُدُورُ تَعْليمِه لَهُ مِنْ قبَلِ اللَّه تَعالى، قالَ تَعالى: ﴿ **وعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ، فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرونَ** ﴾[8] وقالَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ: ﴿ **وأَلَنَّا لَهُ الحَديدَ أَنِ اعْمَلْ سابغَاتٍ وَقَدِّرْ في السَّرْدِ** ﴾[9]، وفيه إِشارَةٌ إِلى امتثال أَمْرِ اللَّه تَعالى بقَوْله: ﴿ **وأَعِدُّوا لَهُمْ ما استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ومِنْ رباطِ الخَيْلِ تُرْهِبونَ بهِ عَدوَّ اللَّهِ وعَدُوَّكُمْ...** ﴾الآية[10].

فَإِنْ قيلَ: كَيْفَ حَسُنَ مَدْحُهم بِلِبْسِ الدُّروعِ، والقِتالُ دُونَ لِبْسِها[11] أَعْلَى في رُتْبَةِ

---

(١) في ض: «وفيه تقرير».

(٢) «مهانة» ساقطة من ض.

(٣) في الأصل: «خرجوا لطاعة الله».

(٤) «وسلامه» ساقطة من ظ، ل.

(٥) في ظ، ل: «درعه».

(٦) في الأصل: «وضرورة».

(٧) في الأصل: «لان» وسقطت الكلمة من ك.

(٨) في ل، ض: «ليحصنكم» وهو تحريف.

– سورة الأنبياء: آية رقم ٨٠.

– سبق أن استشهد السيوطي بها (انظر ص٢٣٠ هامش رقم ٨).

(٩) سورة سبأ: آية رقم ١٠–١١.

– تمام الآيتين: ﴿ **ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد، أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير** ﴾.

(١٠) سورة الأنفال: آية رقم ٦٠.

– تمام الآية: ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوّف إليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾.

(١١) في ض: «دون لبسهما».

الشُّجْاعَةِ(١)، وَقَدْ أَنْكَرَ عَبْدُ المَلكِ بنُ مَروانَ عَلى كُثَيِّرٍ حِينَ امتدَحَهُ بِقَوْلِهِ(٢):

على ابنِ أَبي العاصِي دِلاصٌ حَصِيْفَةٌ أَجَـادَ المُسَدِّيُّ سَرْدَهَـا فَأَذالَهـا(٣)

يَؤُمُّ ضَعِيْفُ القَوْمِ حَمْـلَ قَنَـاتِه وَيَسْتَضْلِعُ القِرْمُ الأَشَمُّ احْتِمالَهـا(٤)

وَلَمْ يَمْدَحْهُ بِمِثْلِ قَوْلِ الأَعْشَى في قَيْسِ بنِ مَعْد يكَرِبٍ(٥):

وإِذا أتَـى بِكَتِيْبَـةٍ مَلْمومَـةٍ شَهْباءَ يَخْشَى الدَّارِعُونَ نِهَالَها(٦)

كُنْتَ المُكَـرَّمَ غَيْرَ لابسِ جُبَّـةٍ بالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِماً أَبْطالَها(٧)

فالجَوابُ: ما أَجابَ بِهِ كُثَيِّرٌ عَبْدَ المَلِكِ في قَوْلِهِ: «يا أَميرَ المُؤْمِنِينَ قَدْ وَصَفْتُكَ

---

(١) في ك، ب، ض: «الشجعان».

(٢) البيتان: من بحر الطويل.

– البيتان هما التاسع والخمسون والستون من قصيدة عدد أبياتها ثمان وسبعون بيتاً (ديوان كثير ص٨٥).

(٣) في ض: «حصيّة».

– كذا «سردها» في ظ، ل، وبها روى الديوان، وفي بقية النسخ «نسجها».

– في رواية الديوان: «وأذالها».

(٤) في الأصل: «قينة».

– في الديوان: «يؤود» بدل «يؤم» و«حمل قتيرها» بدل «حمل قناته». و«الطرف» بدل «القرم».

(٥) البيتان: من بحر الكامل.

– البيتان هما الحادي والخمسون والثالث والخمسون من قصيدة عدد أبياتها أربعة وخمسون بيتاً (ديوان الأعشى ص٣٣).

(٦) في الأصل: «وإذا أتى كتيبة».

– في ل: «مأمومة».

– في ض: «يخشى الرائدون».

– في رواية الديوان:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة خرساء تغشى من يذود نهالها

– وفي رواية ابن سلام الجمحي (طبقات فحول الشعراء ١/٥٤٢).

وإذا تجيء كتيبة ملمومة شهباء يخشى الذائدون نهالها

(٧) في رواية الديوان وابن سلام:

كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب مُعْلِماً أبطالها

بالحَزْمِ، وَوَصَفَ الأَعْشَى صاحِبَهُ بالجُنون»[١]، على أَنَّ بَعْضَ الشُّعراءِ قَدْ[٢] رَجَّحَ قَوْلَ كُثَيِّرٍ مِنْ حَيْثُ إِنَّ المُبالَغَةَ[٣] أَحْسَنُ مِنَ الاختصارِ على الأَمْرِ الأَوْسَطِ، وإِنَّما[٤] وَقَعَ مِنْ كُثَيِّرٍ لِعَبْدِ المَلِكِ هو مِنْ بابِ المُبالَغَةِ، وَفيْما قَالَهُ يُرِيْدُ[٥] نَظَرَ الحَزْمِ، فَإِنَّ الحَزْمَ دَليلُ القُوَّةِ، الذي هو أَشْرَفُ ما مُدِحَ به مِنَ الخِصالِ الشَّرِيفَةِ، ومِنْ تَمَامِ الحَزْمِ الاحْتِرازُ، كَمَا أَشارَ إِليه كُثَيِّرٌ، ولِذلكَ[٦] أَمَرَ اللَّهُ تَعالَى في قَوْلِه[٧]: ﴿ **وَلْيَأْخُذوا حِذْرَهُمْ وأَسْلِحَتَهُمْ** ﴾[٨]، فيكونُ المَدْحُ بِلُبْسِ الجُبَّةِ أَتَمَّ، ولِذلكَ ذَهَبَ إِليه كَعْبٌ في مَدْحِ المهاجِرينَ. واللَّهُ المُوَفِّقُ للصَّوابِ[٩].

---

(١) في رواية طبقات فحول الشعراء: «وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم».

(٢) «قد» زيادة في ل، ك، ض.

(٣) زاد في ض: «من حيث إن المبالغة في المدح أحسن من الاختصار».

(٤) في الأصل: «وأما».

(٥) في ب، ض: «يزيد» بزاي معجمة.

(٦) في الأصل: «وكذلك».

(٧) في ظ، ل: «أمر الله في قوله تعالى».

(٨) في النسخ جميعاً ﴿ **خذو حذركم وأسلحتكم** ﴾ وهو تحريف.

– سورة النساء: آية رقم ١٠٢.

– تمام الآية: ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم، إن الله أعدّ للكافرين عذاباً مهيناً** ﴾.

(٩) «للصواب» ساقطة من ض.



البَيْتُ الرَّابِعُ والخَمْسونَ

بيضٌ سَوابغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حلَقٌ كَأَنَّهــا حلَقُ القَفْعاءِ مَجْدولُ(١)

قَوْلُهُ: «بيضٌ سوابِغُ»، والبِيْضُ بكَسْرِ الباءِ: جَمْعُ أَبْيَضَ، والمُرادُ المَجْلُوَّةُ، و«السَّوابِغُ» بالسِّينِ المُهْمَلَةِ وبالغَيْنِ(٢) المُعْجَمَةِ: جَمْعُ سَابِغٍ، والمُرادُ الطِّوالُ السَّوابِلُ(٣)، وقَوْلُهُ: «قَدْ شُكَّتْ لَهَا حلَقٌ» بضَمِّ الشِّينِ المُعْجَمَةِ، مِنْ شَكَّتْ، أَيْ: دَخَلَ(٤) بَعْضُها في بَعْضٍ، ويُرْوَى: «سُكِّتْ» بالسِّينِ المُهْمَلَةِ، إذا ضُيِّقَتْ(٥)، و«الحلَقُ» بفَتْحِ الحاءِ / المُهْمَلَةِ واللَّامِ: جَمْعُ حَلْقَةٍ بإِسْكانِ اللَّامِ، (١٦٥أ) وخالَفَ الأَصْمَعيُّ فَكَسَرَ الحاءَ مِنْ حلَقٍ، وخالَفَ أَبوعمرو فَفَتَحَ الحاءَ مِن حلَقٍ، والصَّحيحُ عِنْدَ المُحَقِّقِينَ ما تَقَدَّمَ فيْهِما(٦)، وقَوْلُهُ: «كَأَنَّها»، أَيْ تِلْكَ

---

(١) يروى «سكت» بالسين ذكر ذلك التبريزي في شرحه (ص٣٨) وعبد اللطيف البغدادي في شرحه (ص١٧٠) وابن هشام الانصاري في شرحه (ص٢٠٦).

- قال التبريزي: «ويروى سكت بالسين غير معجمة وبالشين معجمة، فمن روى بالشين فإنه أراد إدخال حلقة في حلقة، وإنما يكون ذلك في الدروع المضاعفة.. ومن رواه بالسين فهو من الضيق، وأصل السكك الضيق كأنه ضايق بين حلق الدرع ومنه أذن سكاء، قالوا: هي التي لا يتبين لها نتوء كآذان الطير» (ص٣٨).

- في رواية ابن منظور: «كأنه حلق القفعاء مجدول» (مادة قفع ج١٠/٣٢٩).

- كذا وقع البيت في رواية ابن هشام في السيرة (٤/١٦٠) والسكري (ص٤٢) وابن الأنباري (ص١١٨) والتبريزي (ص٣٨) وابن هشام الأنصاري (٢٠٥) والقرشي (٢/٧٩٩) وابن بشران (ص٨١) والحاكم (٣/٥٨٢) وابن كثير (٤/٤٣١) والسهيلي (٤/١٦٠) وابن سيد الناس (٢/٥٨٢) والبغدادي (ص١٧٠) وابن منظور (مادة قفع، شكك).

- سقط هذا البيت من رواية السبكي (انظر طبقات الشافعية ١/٢٤٢) ومن رواية أبي احمد العسكري في المصون ص٢٠٤).

(٢) في الأصل: «والغين».

(٣) في ل: «الطوال السوابيل».

(٤) كذا «دخل» في ظ، ل وفي بقية النسخ «أدخل».

(٥) قوله: «ويروى ... ضيقت» منقول من شرح ابن هشام (ص٢٠٦).

(٦) في شرح ابن هشام: «والحلق بفتحتين: جمع حلْقة بالإسكان على غير قياس، هذا هو الصحيح، وخالف الأصمعي في الجمع، فقال: حلَق بكسر الحاء كبدرة وبدر وقصعة وقصع، وخالف أبو عمرو في المفرد فقال: حَلَقة جمع حالق» (ص٢٠٦).

وقال أبو عبيد: «أختار في حَلَقة الحديد فتح اللام ويجوز الجزم وأختار في حَلْقة القوم الجزم» (اللسان مادة =

الحَلَق[١]، و«حَلَقٌ» الثانيةُ كالأُولَى، و«القَفْعاءُ» بفَتْحِ القافِ وسُكونِ الفاءِ بَعْدَها، وبالعَيْنِ المُهْمَلَةِ وبالمَدِّ: شَجَرٌ يَنْبُتُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُتداخِلٌ بَعْضُها في بَعْضٍ، فَشَبَّهَ به حَلَقَ الدُّروعِ، و«المَجْدولُ» بفَتْحِ الميمِ وسُكونِ الجيمِ: [المُحْكَمُ][٢] الصَّنْعَةِ.

ومَعْنَى البَيْتِ أنَّ دُروعَهُمْ مَجْلُوَّةٌ صافيَةٌ طَويلَةٌ، مُشْتَكَّةُ الصَّنْعَةِ[٣]، تَداخَلَتْ بَعْضُها في بَعْضٍ أَشَدَّ تَداخُلٍ. ويكُونُ المَدْحُ قَدْ وَقَعَ فيهِمْ من ثلاثَةِ أَوْجُهٍ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: أَنَّهُمْ مُسْتَقْبِلونَ الحَرْبَ[٤]؛ لأَنَّ الحَديدَ كُلَّما استُعْمِلَ انْصَقَلَ وابْيَضَّ، ولم يَرْكَبْهُ الصَّدأُ[٥]، بخِلافِ ما إذا تُرِكَ بلا اسْتِعْمالٍ فإِنَّهُ يَسْوَدُّ ويَرْكَبُهُ الصَّدأُ.

الوَجْهُ الثَّاني: أَنَّهُمْ في غايَةِ القُوَّةِ؛ لأَنَّ الدُّروعَ إِذا كانَتْ طَويلَةً تامَّةً، كانَتْ أَثْقَلَ ضَرورةً، وحَمْلُها في الحَرْبِ مَعَ ثِقَلِها يَدُلُّ على الشِّدَّةِ والقُوَّةِ.

الوَجْهُ الثَّالثُ: أَنَّ لَهُمْ اعتناءً بآلَةِ الحَرْبِ، حَيْثُ لم يَتَّخِذوا مِنْها إلا المُحْكَمَ الصَّنْعَةِ، العَزيزَ الوُجُودِ. واللهُ أَعْلَمُ بالصَّوابِ[٦]

= حلق ج١١/٣٤٧)، قال الرضي في شرح الشافية: «قال سيبويه: وقد جاء ذو التاء فَعْلَة بسكون العين، والمجرد بفتحها، نحو حَلْقة وفَلْكَة، والجنس حَلَق وفَلَك، قال خففوا الواحد بتسكين العين لما الحقوه الزيادة، أي التاء، كما غيروا نحو نمري لما لحقه ياء النسب. وحكى عن أبي عمرو في ذي التاء حَلَقة بفتح العين فليس بشاذ» انظر تفصيل ذلك في حاشية على بانت سعاد ج٢/٢/٨٧-٩٠).

(١) قوله: «من حلق وخالف»... أي تلك الحلق" ساقط من ك.

(٢) زيادة يقتضيها المعنى (انظر شرح التبريزي ص٣٨ وشرح أبي البركات بن الأنباري ص١١٨ وشرح ابن هشام الأنصاري ص٢٠٦).

(٣) كذا «مشتكة الصنعة» في ظ، ك، ل، وفي ب، ض: «مشتبكة الصنعة» وفي هامش ب: «مستحكمة».

(٤) في ب، ض: «مستعملون الحرب».

(٥) في ض: «لم يركبه الصد».

(٦) «والله أعلم بالصواب» زيادة في ب، وفي ض: «والله سبحانه وتعالى أعلم».

البَيْتُ الخَامِسُ والخَمْسُون

لا يَفْرَحُونَ إذا نَالَتْ رِماحُهُمْ قَوْماً، ولَيْسوا مَجازِيعاً إذا نِيْلُوا[1]

قَوْلُهُ: «لا يَفْرَحونَ إذا نَالَتْ رِماحُهُمْ»، الفَرَحُ: مَعْروفٌ، وكذلكَ الرِّماحُ، وقَوْلُهُ: «نَالَتْ» أَيْ: أَصَابَتْ، والقَوْمُ تَقَدَّمَ أَنَّهمُ الجماعَةُ منَ الرِّجالِ، و«المَجازِيعُ» بِفَتْحِ الميمِ والجيمِ وبزايٍ مُعْجَمَةٍ وسُكُونِ الياءِ المُثَنَّاةِ، وعَيْنٌ مُهْمَلَةٌ في الآخرِ: جَمْعُ مَجزاعٍ بِفَتْحِ الميمِ، وهو الكَثيرُ الجَزَعِ وهو الخَوْفُ، وقَوْلُهُ: «نِيْلوا» أَيْ: أُصِيبوا.

والمَعْنَى: أَنَّهُمْ إذا أَصابوا وغَلَبوا عَدُوَّهُم لا يَفْرَحُونَ، وإذا غُلِبوا[2] منْهُ لا يَجْزَعُونَ مِنْ لِقائه ثانياً، ويَكُونُ المَدْحُ قَدْ وَقَعَ فيه مِنْ وَجْهَيْنِ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: أَنَّهُم كَثيرو الظَّفَرِ[3] بالأَعْداءِ، فإذا وَقَعَ لَهُمْ ظَفَرٌ بقَدَرٍ[4] لا يَفْرحونَ بِهِ؛ لأَن ذلكَ مِنْ عادَتِهِمْ، والفَرَحُ إِنَّما يَقَعُ بالشَّيْءِ النَّادِرِ والقَليلِ[5] الوُقوعِ.

---

(١) كذا «لا يفرحون إذا نالت رماحهم» في رواية السكري (٢٥) والتبريزي (ص٣٩) وابن بشران (ص٨١) وأبي أحمد العسكري (المصون ص٢٠٤) وابن الأنباري (ص١١٨) والبغدادي (ص١٧١) والقرشي (٢/٧٩٩) وابن هشام الأنصاري (٢٠٦) وفي رواية السبكي «إذا نالت سيوفهم» (١/٢٤٣).
– في رواية ابن هشام في السيرة (٤/١٣٦٥) وابن سيد الناس (٢/٢٨٥) والسهيلي (٤/١٦٠) وابن كثير (٤/٤٣١): «ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم».
– وقع هذا البيت في ترتيب روايته بعد قول الشاعر: «يمشون مشي الجمال الزهر» في رواية كل من السكري (ص٢٥) وابن بشران (ص٨١) والحاكم (٣/٥٨٢). والبيهقي (٣/٥٨١) والسبكي (١/٢٤٢) والقرشي (٢/٧٩٩) خلافاً لبقية الرواة.

(٢) في ل: «علبوا» بعين مهملة.

(٣) في النسخ جميعاً: «إنهم كثيرون الظفر» وهو لحن من النساخ.

(٤) في ك، ل: «ظفر بعد».

(٥) في ب، ض: «القليل» بدون الواو.

الوَجْهُ الثَّاني: أَنَّهم كَثيرُو الهِمَمِ[1]، وَفيهِمْ الصَّبْرُ والجَلادَةُ[2] على الحَرْبِ، بِحَيْثُ إِنَّهُمْ إِذا ظَفر عَلَيْهِمُ العَدُوُّ[3] وغَلَبَهُمْ، لا يَمْنَعُهُمْ ذلكَ مُلاقاته مَرَّةً ثانيةً خَوْفاً وَجَزَعاً؛ لِقلَّةِ تَقَلُّباتِهِمْ بالخُطُوبِ[4]، وَتَأَثُّرِهِمْ بِمُكابَدَةِ الحُروبِ. واللَّهُ تَعالَى أَعْلَمُ بالصَّوابِ[5].

---

(١) في النسخ جميعاً: «انهم كثيرون الهمم» وهو لحن من النساخ.

(٢) في ب: «والجلاد».

(٣) في ب، ض: «إذا ظفر العدو عليهم».

(٤) في ب، ض: «لقلة مبالاتهم».

(٥) كذا «والله تعالى أعلم بالصواب» وفي ظ، ل: «والله أعلم» وفي ب، ض: «والله أعلم بالصواب».

البَيْتُ السَّادسُ والخَمْسُونَ

يَمْشُونَ مَشْيَ الجِمالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إِذا عَـرَّدَ السُّودُ التَّنَـابِيْـلُ[١]

قَوْلُهُ[٢]: «يَمْشُونَ مَشْيَ الجِمالِ» أَيْ: كَمَشْيِ الجمالِ، و«الزُّهْرُ» بِضَمِّ الزَّايِ المُعْجَمَةِ وسُكُونِ الهاءِ: جَمْعُ أَزْهَرَ، وهو الأَبْيَضُ، وقَوْلُهُ: «يَعْصِمُهُمْ» أَيْ: يَمْنَعُهُم، والمُرادُ: أَنَّهُمْ يَمْنَعُون أَنْفُسَهُمْ مِنَ العَدوِّ عِنْدَ اللِّقاءِ بِصَبْرِهِمْ لَهُ[٣].

وَقَوْلُهُ: «عَرَّدَ» بِفَتْحِ العَيْنِ وتَشْدِيدِ الرَّاءِ المُهْمَلَةِ المَفْتُوحَةِ وَدَالٌ مُهْمَلَةٌ في الآخِرِ، مَعْنَاهُ: فَرَّ[٤] وأَعْرَضَ، ويُرْوَى: «غَرَّدَ» بِفَتْحِ الغَيْنِ المُعْجَمَةِ[٥]، قالَ التَّبْرِيزِيُّ: «وهو الطَّيْرُ الشَّدِيدُ الدَّاءِ مِنَ الطَّرَبِ»[٦]، قالَ ابنُ هِشَامٍ في شَرْحِهِ: «ولا مَعْنَى لِهذهِ

---

(١) كذا وقع هذا البيت في ترتيب روايته قبل البيت الأخير في رواية ابن هشام (السيرة ٤ / ١٣٦٥) والتبريزي (ص٣٩) وابن هشام الأنصاري (ص٢٠٧) وأبو البركات بن الأنباري (ص١٢٠) والسهيلي (٤ / ١٦٠).

– وجاء البيت آخر أبيات القصيدة في رواية عبد اللطيف البغدادي (ص١٧٣) ورواه السكري برقم (٥٣) من (٥٥) بيتاً هو تعداد القصيدة (ص٢٤) ورواه ابن كثير برقم (٥٠) من (٥٤) بيتاً (٤ / ٤٣١) وكذلك السبكي (١ / ٢٤٢) ورواه ابن سيد الناس برقم (٥١) (انظر ٢ / ٢٨٥) ورواه القرشي برقم (٥٦) من ٥٨١ بيتاً (٢ / ٧٩٩).

– روى ابن قتيبة «الجمال البُهم» (ص٦٨) والبهم: السود، أو الذي لا يخالط لونه لون آخر، وروى القرشي: «الجمال البزل» والبزل: جمع بزول، وهو البعير الذي بزل نابه، أي انشق في سن التاسعة أو الثامنة، وهو آخر الأسنان. (اللسان مادة بزل ج١٣ / ٥٤).

– قال السكري: «ويروى الجمال الجرب» قال أبو سعيد: الجرب: المطلية بالقطران، فأراد أن عليها الدروع فهم يشبهون الجُرْب» (ص٢٤–٢٥).

(٢) في ل: «وقوله».

(٣) في ل: «وبصبيرهم له».

(٤) كذا" فرَّ" في ظ، ل، ض، وشرح التبريزي (ص٣٩) وابن هشام (ص٢٠٧) وفي ب، ك: «تمرد».

(٥) ذكر هذه الرواية ابن منظور في اللسان (مادة عرد ج٤ / ٢٧٩).

(٦) في شرح التبريزي: «ومن روى غرّد، أراد طرب» (ص٣٩).

الرِّوايةِ[١]». و«السُّودُ»: جَمْعُ أَسْوَدَ، وهو اللَّونُ المَعْروفُ، و«التَّنابِيْلُ» بفَتْحِ التَّاءِ المُثَنَّاةِ فَوْقُ[٢]، ثُمَّ نُونٌ وأَلِفٌ بَعْدَها باءٌ مُوَحَّدَةٌ مَكْسورةٌ، وياءٌ مُثَنَّاةٌ تَحْتُ[٣] ساكِنَةٌ ولامٌ، وهي جَمْعُ تِنْبالٍ[٤]، والتَّنابيلُ: القِصارُ، والمُفْرَدُ تِنْبالٌ، والتَّاءُ[٥] فيه زائِدَةٌ، وهو أَحَدُ ما جاءَ مِنَ الأَسْماءِ على تِفْعَالٍ بالكَسْرَةِ كالتِّمْساحِ، والأَكْثَرُ تِمْسَحُ بالقَصْرِ، والتِّبْراكُ والتِّعْشارُ لِمَوْضِعَيْنِ[٦]، والتِّلْقاءُ والتِّقْصارُ للْقِلادَةِ الشَّبِيْهَةِ[٧] بالمِخْنَقَةِ، ويُقالُ تِقْصَارَةٌ أَيْضاً، وَجَمْعُها تَقاصِيرُ، وإذا[٨] كانَ التَّفْعالُ مَصْدَراً[٩] فهو بفَتْحِ الأَوَّلِ كالتَّحوالِ[١٠] والتَّطْوالِ، إلا كَلِمَتَيْنِ:[١١] التِّبْيانُ والتِّلْقاءُ، قالَ اللَّهُ تَعالى: ﴿**تِبْياناً لكُلِّ شَيْءٍ**﴾[١٢]، وتَقُولُ[١٣] لَقِيْتُهُ تِلْقاءً، أَيْ: لِقاءً، وأَمَّا قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿**تِلْقاءَ أَصْحابِ النَّارِ**﴾[١٤]، فهو من بَابِ الأَسْماءِ، وانتِصابُهُ على الظَّرْفِيَّةِ، وقَدْ

---

(١) انظر شرحه ص٢٠٧.

(٢) «فوق» زيادة في ب، ك، ض.

(٣) «تحت» زيادة في ب، ك، ض.

(٤) قوله: «والتنابيل بفتح التاء ... وهي جمع تنبال» ساقط من ض.

(٥) في ظ، ك: «والياء».

(٦) في ض: «لموصفين».

(٧) في النسخ جميعاً: «الشبيه» وما أثبته من شرح ابن هشام (ص٢٠٧) وهو الصواب.

(٨) كذا «وإذا» في شرح ابن هشام أيضاً، وفي ب، ك، ض: «وإن».

(٩) في ظ، ك، ل: «مصدر» وهو لحن من الناسخ.

(١٠) في ض: «كالنحوال» بالنون.

(١١) في ض: «إلا الكلمتين».

(١٢) سورة النحل: آية رقم ٨٩.

- تمام الآية: ﴿**ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**﴾.

- في ض: «بياناً لكل شئ» وهو تحريف.

(١٣) في ل: «ويقول».

(١٤) سورة الأعراف: آية رقم ٤٧.

- تمام الآية: ﴿**وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين**﴾.

خُطِّئَ مَنْ يُنْشِدُ قَوْلَهُ(١):

وما زالَ تَشْرابي الخُمورَ، ولَذَّتي وبَيْعِي، وإنْفاقي طَرِيْفِي ومُتْلَدِي(٢)

بِكَسْرِ التَّاءِ(٣). واللَّهُ أَعْلَمُ بالصَّوابِ(٤).

---

(١) البيت: من بحر الطويل.

– قائله: طرفة بن العبد.

– البيت هو الحادي والخمسون من معلقة طرفة بن العبد التي عدتها ثلاث أبيات ومائة. (انظر ديوان طرفة ابن العبد بشرح الأعلم (ص٥–٤٨).

(٢) في ب، ض: «وما زلت».

– في الأصل: «وما زال شرب» وفي ض: «تشرب».

– في ب، ض: «طريفي ومأربي» وفي ل: «طريفي ومسكري».

(٣) من قوله: «والتنابيل: القصار... بكسر التاء» مأخوذ من شرح ابن هشام (ص٢٠٧–٢٠٨).

(٤) في ب، ض: «انتهى».



البَيْتُ السَّابِعُ والخَمْسونَ

لا يَقطَعُ الطَّعْـنُ إلا في نُحورِهِـــمْ وما لَهُمْ عَنْ حِياضِ المَوْتِ تَهْليلُ(١)

وَصَفَهُمْ بأَنَّهم لا يَنْهَزِمونَ فَيَقْطَعُ الطَّعْنُ(٢) في ظُهورِهِمْ، بَلْ يُقْدِمونَ عَلَى أَعْدائِهِمْ، فَيَقْطَعُ الطَّعْنُ(٣) في نُحورِهِم(٤).

رُوِيَ أَنَّه لَمَّا أَنْشَدَ هذا البَيْتَ، نَظَرَ عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ إِلى مَنْ كانَ بِحَضْرَتِه مِنْ قُرَيْشٍ؛ أَنْ اسْمَعوا(٥)، ومِثْلُ هذا البَيْتِ قَوْلُ الحُصَيْنِ بنِ الحُمامِ(٦):

---

(١) كذا «لا يقطع الطعن» في رواية السبكي (طبقات الشافعية ١/٢٤٣).
– في رواية ابن بشران والحاكم «ما يقع الطعن» (المستدرك ٣/٥٨٢) وروى القرشي «لا يثبت الطعن» وروى بقية الرواة «لا يقع الطعن».
– في رواية السكري: «ما إن لهم» (ص٥٢) وفي رواية ابن كثير: «ولا لهم» (٤/٤٣١) وفي رواية ابن سلام الجمحي: «وما بهم» (طبقات ١/١٠٢).
– في رواية أبي أحمد العسكري: «ليس لهم» (المصون ص٢٠٤).
– وقع هذا البيت آخر أبيات القصيدة في رواية ابن الانباري (ص١٢١) والبغدادي (ص١٧٣) خلافاً لبقية الرواة المعتمدين في هذا التحقيق الذين تباينت روايتهم له كما سبقت الإشارة إليه في هوامش البيت السابق.

(٢) في ب، ض: «فيقع الطعن».

(٣) في ب، ض: «فيقع الطعن».

(٤) قوله: «وصفهم بأنهم... فيقع الطعن... فيقع الطعن في نحورهم» من شرح ابن هشام ص٢٠٨ وابن هشام نقله من شرح التبريزي (ص٣٩).

(٥) روى هذا الخبر عبداللطيف البغدادي (ص١٧٧) وأبي البركات بن الانباري (ص١٢١) وابن هشام في شرحه (ص٢٠٨)، قال عبدالقادر البغدادي: «ولم أقف على تخريجه». (ج٢/٢/١٠٣).
– قال عبداللطيف البغدادي في توجيه الرواية: «يريد عليه الصلاة والسلام بذلك تحريضهم على الثبات في الهيجاء، وتحريضهم على ملاقاة الأعداء، وترغيبهم في اقتحام الأهوال، وترهيبهم من الإدبار في القتال، ليحصل لهم الذكر الجميل والأجر الجزيل». (ص١٧٨).

(٦) الأبيات: من بحر الطويل.
– الأبيات الثلاثة حماسية تخيرها أبو تمام للحصين بن الحمام في باب الحماسة (انظر تخريج الأبيات في الحماسة تحقيق د.عبدالله عسيلان ج١/١١٤).
– الحصين بن الحمام المري: من بني سهم بن مرة، شاعر جاهلي فارس شريف، روى صاحب الاغاني بسنده عن أبي عبيده أنه أدرك الإسلام، وفي شعره ما يدل على إسلامه، وهو احد ثلاثة كانوا أشعر المقلين في الجاهلية.
(طبقات فحول الشعراء ١/١٥٥ والشعر والشعراء ص٤١٠ والأغاني ١٤/١٤).

تَأَخَّرْتُ اسْتَبْقِي الحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّما[1]

فَلَسْنا عَلَى الأَعْقابِ تَدْمى كُلُومُنا وَلكِنْ على أَقْدامِنا تَقْطُرُ الدِّما[2]

نُفَلِّقُ هاماً مِنْ رِجالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كانُوا أَعقَّ وأَظْلَما[3]

يُرْوَى «تَقْطُر» بالتَّاء المُثَنَّاة مِنْ فَوقُ[4]، فالدَّمُ إِمَّا مَفْعُولٌ بِه؛ لأَنَّهُ يُقالُ قَطَرَ الدَّمُ وَقَطَرْتُهُ، والمَعْنَى تَقْطُرُ الكُلُومُ الدَّمَ، وإِمَّا تَمْييزٌ، عَلَى أَنَّ الأَلِفَ واللَّامَ زائدةٌ كَقَوْلِه[5]:

رَأَيْتُكَ لَمَّا أَنْ عَرَفْتَ وُجوهَنَا صَدَدتَ وَطِبْتَ النَّفْسَ يا قَيْسُ عَنْ عَمْرِو[6]

(١٦٥ب) /ويُرْوَى بالتاءِ المُثَنَّاة مِنْ أَسْفَلُ[7]، فالدِّماءُ فاعلٌ اسْتَعْمَلَهُ مَقْصوراً، وهو الأَصْلُ فيه، وعَلَيْهِ [قِيلَ][8] في التَّثْنِية دَمَيَان، قالَ الشَّاعِرُ[9]:

فَلَوْ أَنَّا على حَجَرٍ ذُبِحْنا جَرَى الدَّمَيَانِ بالخَبرِ اليقينِ[10]

---

(١) في ض: «أن اتقدم» وهو تحريف.

(٢) في رواية الحماسة: «ولسنا».

(٣) في ظ، ل، ك: «نفرق».

(٤) كذا «من فوق» في ظ، ل، وشرح ابن هشام (ص٢٠٩). وفي بقية النسخ «فوق». بدون (من).

(٥) البيت: من بحر الطويل.

– البيت لراشد بن شهاب اليشكري وهو من قصيدة عدتها ثمانية أبيات يخاطب فيها فتيان قبيلته من بني يشكر، وهو شاعر جاهلي. (المفضليات ج٢/١١٠).

– والبيت من شواهد شرح ابن هشام (ص٢٠٩).

(٦) «وطبت» ساقطة من ظ، ل.

(٧) أي «يقطر».

(٨) ما بين المعكوفتين زيادة من شرح ابن هشام (ص٢٠٩).

(٩) البيت: من بحر الوافر.

– البيت من شواهد ابن هشام اللغوية (انظر ص٢٠٩).

– والبيت هو آخر ثلاثة أبيات رواها ابن دريد في كتابه المجتبى عن عبدالرحمن عن عمه الأصمعي لعلي بن بدال من بني سليم. (انظر حاشية على شرح بانت سعاد ج٢/٢/١٠٨).

(١٠) في ل: «فلو أن حجر ذبحنا».

ولكنَّ الاسْتِعْمالَ على الكَثْرَةِ بحَذْفِ[1] لامِهِ في الإِفرادِ والتَّثْنِيَة.

وقولُه: «تَهْليلُ» مَصْدرُ هَلَّلَ عَنِ الشَّيْءِ، أَيْ: تَأَخَّرَ عَنْهُ، يَقُولُ لا يَتَأَخَّرونَ عَنْ حِياضِ المَوْتِ إذا تَأَخَّرَ غَيْرُهُمْ عَنْها ونَكَصَ، و«عَنْ» مُتَعَلِّقَةٌ بالتَّهْليلِ، وإِنْ كانَ مَصْدراً، وقَدْ مَضَى القَوْلُ عَلَى ذلكَ[2] غَيْرَ مَرَّةٍ[3]. واللَّهُ أَعْلَمُ بالصَّوابِ وإليهِ المَرْجِعُ والمآبُ[4].

تَمَّ شَرْحُ بانتْ سُعادُ

وَصَلَّى اللّهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وَسَلَّمْ تَسْليماً كثيراً

وَوافَقَ الفَراغُ من نَسْخِهِ في نَهَارِ الأَحَدِ الحادي والعِشْرينَ

مِنَ المُحَرَّمِ الحَرامِ سَنَةَ إِحدَى وثَلاثِينَ بَعْدَ الأَلْفِ

عَلَى يَدِ أَفْقَرِ عِبادِ اللّهِ وأَحْوجِهِمْ إلى مَغْفرةِ رَبِّهِ

العزيزِ الغفَّارِ، مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عليٍّ

المَغربيِّ المِكْنَاسيِّ غَفَرَ اللّهُ لَهُ

ولِوالِدَيْهِ ولِجَميعِ المُسْلِمينَ

آمين

وَصَلَّى اللّهُ عَلَى سَيِّدِنَا ونَبِيِّنا ومَوْلانا مُحَمَّدٍ والِهِ وصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسليماً كثيراً

والحَمْدُ للّهِ رَبِّ العالمينَ

---

(١) في ظ، ل: «تحذف».

(٢) في ل: «وقد مضى المضي في غير ذلك».

(٣) كذا «غير مرة» في الأصل وفي شرح ابن هشام، وفي بقية النسخ: «مرة واحدة».

- قوله: «روى أنه لما أنشد هذا البيت.. غير مرة» منقول بحرفيته من شرح ابن هشام (ص٢٠٨-٢٠٩).

(٤) في ظ، ل: «والله أعلم».

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

٧- الأعراف

٨- الأنفال

٩- التوبة

١٠- يوسف

٣٤- سبأ

٣٦- يس

٣٧- الصافات

٣٩- الزمر

٤٠- غافر

٤٢- الشورى

٤٣- الزخرف

٤٥- الجاثية

٥٩- الحشر

٦٠- الممتحنة

٦٢- الجمعة

٦٤- التغابن

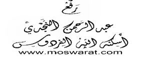
٦٧- الملك

٦٨- القلم

٧٥- القيامة

٧٨- النبأ

٨٠- عبس



فهرس الأحاديث النبوية

رقم الحديث المتسلسل | الصفحة

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو

حرف الياء



٣- فهرس الأشعار

الهمزة

صدر البيت	القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
دع عنك لومي فإن اللوم إغراء	الداءُ	البسيط	أبونواس	١٦٤
وقال الله قد أعددت جنداً	اللقاءُ	الوافر	حسان بن ثابت	٢٦٣
إن المحب إذا توفي صابراً	الشهداءِ	الكامل	أبوالقاسم القشيري	١٣٧
عندي لكم يوم التواصل دعوة	والندماءِ	الكامل	–	٣٣٢
أشوي قلوب الحاسدين بها	الرقباءِ		–	–
والبحر يمطره السحاب وما له	مائِهِ	الكامل	(البديع الأسطرلابي)	١٨٥

الباء

صدر البيت	القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
واصرف بصرف الراح عنك الأسى	تكتئبْ	السريع	(الحريري)	١٦٩
تفتر عن لؤلؤ رطب وعن بَرَد	حببْ	البسيط	(الحريري)	١٥٩
كهز الرديني تحت العجاج	اضطربْ	المتقارب	(أبودؤاد الإيادي)	٢٩٠
هل يُبْلِغَنِّي إليها جسرة أُجدٌ	والخَبَبْ	البسيط	الصرصري	٢٥٨
العذر يلحقه التحريف والكذب	أدبُ	البسيط	بعض أهل العصر	٣٦٤
وقد أسأت فبالنعمى التي سلفت	سببُ	–	(محمد بن داود الظاهري)	–
ما الكأس عندي بأطراف الأنامل	الهربُ	البسيط	صدر الدين بن الوكيل	١٧٢
شججت بالماء منها الرأس موضحة	عجبُ	–	الشافعي	–
ألا أيها الجاني ونسأله الرضى	نتوبُ	الطويل	أبوفراس الحمداني	٢٢٤
لحا الله من يلحاك في القرب وحده	تغيبُ	–	–	–
أساء فزادته الإساءة حظوة	حبيبُ	الطويل	أبوفراس الحمداني	٢٢١
يعد علي الواشيان ذنوبه	ذنوبُ	–	–	–

أهيم إلى العذيب من ريقه	العُذَيبُ	المتقارب	–	١٥٧–١٥٨
شهدت عليه وما ذقته	غَيْبُ	–	–	–
أجارتنا إن الخطوب تنوب	عسيبُ	الطويل	امرؤ القيس	٢٩٩
أجارتنا إنا غريبان هاهنا	نسيبُ	–	–	–
فإن تصلينا فالقرابة بيننا	غريبُ	–	–	–
احرص على طرد الرقيب وبعده	تلاعبُهْ	الكامل	السيوطي	٢٠٦
كم ليلة بات الحبيب بجانبي	أجانبُهْ	–	–	–
قالوا عشقت كثير التيه ممتنعاً	أطيَبُهْ	البسيط	ابن وكيع	١٩٧
لو جادها وإن الجود عادته	مَطْلَبُهْ	–	–	–
وإذا المزاج علا فشبح جبينها	حُبَابا	الكامل	عُكاشة العَمِّي	١٧١
مقلحة أسنانهم فكأنما	كَهْرَبا	الكامل	الأبوصيري	١٦١
وأكثر أفعال الغواني إساءة	كواذبا	الطويل	(مسلم بن الوليد)	٢٠٥
وكدت وهو ضجيعي أن أقول له	فاقتربِ	البسيط	–	٢٥٣
أوعدتني ما لا أحاول نفعه	بيثربِ	الطويل	الشماخ	٢٣٩
وعدت وكان الحلف منك سجية	بثيربِ	الطويل	علقمة الأشجعي	٢٣٩
شكوت فقالت : أكل هذا تبرماً	حُبِّي	الطويل	بعض الأعراب	٢١٥
فلما كتمت الوجد قالت تعنتاً	القلبِ	–	–	–
وأدنو فتعصيني فأبعد طالباً	ذَنْبي	–	–	–
فشكواي يؤذيها وصبري يسؤوها	قُرْبي	–	–	–
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها	رَبِّي	–	–	–
ولما رمت باللحظ غيري حسبتها	بالقلبِ	الطويل	–	٢٠٩
وإني لأرجو أن تدوم بعهدها	الحبُّ	–	–	–

الراء

القاف

الكاف

البيت	القافية	البحر	القائل	الصفحة
إذا لم يكن وصل إلى الحب مسعف	والضنكِ	الطويل	السيوطي	٢٢٦
ولم أستطع صبراً على الذل والهوى	منكِ	–	–	–
أيا ربة القرط التي حسنت هلكي	منكِ	الطويل	ابن الأحمر	٢٢٥
فإما بذل فهو أليق بالهوى	بالملكِ	–	–	–

اللام

البيت	القافية	البحر	القائل	الصفحة
فقل لخيال الحنظلية ينقلبْ	وَصَلْ	الطويل	طرفه بن العبد	٢٣٤
زار الخيال نحيلاً من مرسلِه	والقُبَلُ	البسيط	ابن القطان البغدادي	٢٣٤
ما زارني قط إلاّ كي يوافقني	ويرتَحلُ	–	–	–
وعش سالماً فالحب راحته عنا	قَتْلُ	الطويل	ابن الفارض	١٢٩
زادت على كحل العيون تكحلاً	قتولُ	الكامل	–	١٤٩
ودع هريرة إن الركب مرتحل	الرجلُ	البسيط	الأعشى	٢٢٨
أليس قليلاً نظرة إن نظرتها	قليلُ	الطويل	ابن الطثرية	٢٤٦
عديني بوصل وامطلي ينجازه	المطلُ	الطويل	ابن الفارض	٣٤١
لا تطلبن بغير خط رتبة	مغزلُ	الكامل	المعري	٤٠٦
سكن السماكان السماء كلاهما	أعزلُ	–	–	–
أحنو عليك وفي فؤادي لوعة	مقبلُ	الكامل	البحتري	١٩٥
وإذا هممت بوصل غيرك ردّني	أولُ	–	–	–
وأعز ثم أذل ذلة وامقٍ	وتذللُ	–	–	–
إذا رضي المحبوب صحّ لك الوصل	سهلُ	الطويل	بعضهم	٢٣٢
لو أن الباخلين وأنت منهم	المطالا	الوافر	(كثير عزة)	٢٤٠
لو حار مرتاد المنية لم يجد	دليلا	الكامل	أبو تمام	١٢٥
إني نظرت إلى الفراق فلم أجد	سبيلا	–	–	–

الميم

لنكهتها تحكي المدامة ريقها	ريقُها	الطويل	بعضهم	١٦٢
قضى كل ذي دين فوفى غريمه	غريمها	الطويل	كثير عزة	١٩٨
تأخرت استبقي الحياة فلم أجد	أتقدما	الطويل	الحصين بن الحمام	٤٢٦
فلسنا على الأعقاب تدمي كلومنا	الدما	—	—	—
نفلق هاماً من رجال أعزة	وأظلما	—	—	—
أنزه في روض المحاسن مقلتي	مُحَرَّما	الكامل	(محمد بن داود الظاهري)	١٣٦
كيف الدعاء على من خان أو ظلما	حَكَما	البسيط	ديك الجن	١٩٥
لا واخذ الله من أهوى بجفوته	انتقما	—	—	—
بطل كأن ثيابه في سرحة	بتوأمِ	الكامل	(عنترة)	٣٠٠
وصل الخيال ووصل الجود إن بخلت	بالدمِ	البسيط	التهامي	٢٣٥
الطيف أحسن وصلاً إن لذته	والندمِ	—	—	—

النون

من منصفي من فتاة قد علقت بها	وهجرانُ	البسيط	الرشيد	٢٠٧
تبدي صدوداً بطرف تحته شغفٌ	غضبانُ	—	—	—
تقيم معاذيراً وتزعم صدقها	فألينُ	الطويل	السيوطي	٢٠٧
وتحلف لو تستطيع جادت بوصلها	يمينُ	—	—	—
أنم بما استودعته من زجاجةٍ	باطنُ	الطويل	—	٣٣٤
بطلاقة أبدت بصفحة وجهه	عينان	الكامل	(ابن قلاقس)	١٥٧
في المنى راحة وإن عللتنا	يكونُ	الخفيف	بعضهم	٢٣٢
مشعشعة كأن الحص فيها	سخينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	١٧٣
إن العيون التي في طرفها حور	قتلانا	البسيط	جرير	١٤٧
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به	إنسانا	—	—	—

الهاء

الياء

الألف اللينة



٦- فهرس اللغة

* * * *

* * * *



٤- فهرس الأعلام والقبائل

الباء

التاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الذال

الراء

الزاي

الغين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الياء



٥- فهرست الأماكن



٧- فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم :

- الهمزة -

- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (ت٩١١) تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ط مكتبة دار التراث - مصر.

- الآحاد والمثاني للإمام ابن أبي عاصم (٢٠٦-٢٨٧) تحقيق باسم فيصل جوابرة، دار الراية - الرياض ط١، ١٤١١هـ.

- الأحاديث المشكلة في الرتبة د. محمد بن درويش الحوت، عالم الكتب - بيروت ط أولى ١٤٠٣هـ.

- إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن الغزالي (ت٥٠٥هـ) ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر (ب. ت).

- أخلاق النبي ﷺ وآدابه - لأبي الشيخ الأصبهاني - تحقيق د. السيد الجميلي - دار الكتاب العربي - بيروت - ط١، ١٤٠٥هـ.

- الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة - جلال الدين السيوطي - تحقيق خليل الميس - المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي النمري (ت٤٦٣هـ) تصحيح عادل مرشد. ط دار الأعلام ط أولى ٢٠٠٢.

- إسلام كعب وقصيدته لابن بشران، تحقيق د. عبدالعزيز بن ناصر المانع، عالم الكتب - المجلد الثاني - العدد الأول ١٤٠١ - ١٩٨١.

- الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ط دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٢٨هـ.

- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) مصور عن طبعة دار الكتب المصرية، ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر.

- الأمثال في الحديث النبوي لأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ) تحقيق د. عبدالعلي عبدالحميد - الدار السلفية - الهند ١٤٠٢هـ.

- أمثال الحديث للإمام أبي محمد الحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزي، تحقيق أمة الكريم القرشية، باكستان ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

- الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تصحيح محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ط أولى ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

- الأمالي لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.

- ابناه الرواة، للقفطي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ط دار الكتب المصرية - الأولى ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.

- الأوائل لأبي هلال العسكري تحقيق محمد المصري ووليد قصّاب - ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق ١٩٧٥م.

- الباء -

- البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ) ط دار أبي حيان، القاهرة، الأولى ١٤١٦ - ١٩٩٦ وط دار الفكر العربي - القاهرة.

- بغية المتلمّس في تاريخ رجال الأندلس للضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد ابن عميرة ت٥٩٩هـ) ط دار الكاتب العربي ١٩٦٧م.

- بغية الوعاة، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ط أولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

– بهجة المجالس وأنس المجالس – لأبي عمر بن يوسف بن عبدالبر القرطبي النمري (ت٤٦٣هـ) تحقيق محمد مرسي الخولي – ط دار الكاتب العربي – القاهرة.

– التاء –

– تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، د. إحسان عباس، ط دار الثقافة بيروت ١٩٨٥م.

– تاريخ بغداد، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب، ط – دار الكتاب العربي – بيروت.

– تاريخ الخلفاء، للإمام جلال الدين السيوطي، علّق عليه محمود رياض الحلبي – دار المعرفة – بيروت ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

– تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر، ط المكتبة العلمية – بيروت (د. ن).

– تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطي، (مقدمة التحقيق للدكتور محمد لطفي الصباغ) ط المكتب الإسلامي، الثانية ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

– تخريج أحاديث الإحياء، للحافظ العراقي، مطبوع بهامش كتاب الإحياء، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٥٨ – ١٩٣٩م.

– التفسير الكبير ، الفخر الرازي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثانية ١٩٧٧.

– التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، لأبي عبدالله محمد بن الكتاني الطبيب، تحقيق د. إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت (ب. ت).

– التلخيص الجيد في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، عني بتصحيحه السيد عبدالله هاشم اليماني، ط المدينة المنورة ١٣٨٤ – ١٩٦٤م.

- الثاء -

- ثمرة الأوراق في المحاضرات لابن حجة الحموي (أبي بكر علي بن محمد)، ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣ .

- الجيم -

- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧-١٩٦٧م.

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس،لأبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي ت ٤٨٨هـ ط الدار المصرية للتاليف والترجمة ١٩٦٦م.

- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (محمد بن الخطاب)، تحقيق علي الهاشمي، ط جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ١٤٠٠هـ.

- جمهرة الأمثال للعسكري (أبي هلال الحسن بن عبدالله ت ٣٩٥هـ) تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ود. عبدالمجيد قطامش ط دار الفكر - ١٩٨٨م.

- الحاء -

- حاشية على شرح بانت سعاد، عبدالقادر بن عمر البغدادي، تحقيق نظيف محرم خواجه، شتوتغارت، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

- حسن المحاضرة ، لجلال الدين السيوطي (ت٩١٢هـ) ط دار الكتب العلمية، بيروت.

- الحماسة، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق د. عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان، ط جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

- حماسة الظرفاء من أشعار القدماء والمحدثين لأبي محمد عبدالله بن محمد العبدلكاني (ت٤٣١هـ) تحقيق محمد جبار المعيبد، ط وزارة الثقافة ، بغداد، ١٩٧٨ .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، ط دار الكتب العلمية، بيروت - ط١٤٠٩هـ.

- الخاء -

- خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني، قسم شعراء مصر - تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس، ط دار نهضة مصر، القاهرة (ب. ت).

- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

- الخصائص الكبرى لجلال عبدالرحمن السيوطي، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

- الدال -

- درة الخواص في أوهام الخواص للحريري ط مكتبة المثنى، بغداد.

- دقائق التفسير، لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد عبدالحليم (ت٧٢٨هـ) ط. بيروت (ب. ت).

- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، صحّحه محمد رشيد رضا، مكتبة المنار بالقاهرة.

- دلائل النبوة، للإمام أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ.

- ديوان الأعشى الكبير ميمون قيس، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، ط مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة.

- ديوان ابن الرومي شرح أحمد حسن بسج، ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م.

- ديوان ابن خفاجة تحقيق الدكتور سيد غازي ط منشأة المعارف، الاسكندرية ١٩٧٩.

- ديوان ابن سناء الملك تحقيق إبراهيم نصر وحسين نصار، دار الكتاب العربي.

- ديوان ابن نباتة المصري (ت ٧٦٨هـ)، ط دار إحياء التراب العربي، بيروت.

- ديوان ابن الفارض تحقيق د. عبدالخالق محمود، ط عين للدراسات والبحوث الأنسانية والاجتماعية، مصر ١٩٩٥.

- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، ط دار المعارف ١٩٨٢.

- ديوان أبي نواس، اسكندر آصاف، دار العرب، القاهرة ١٩٩٢.

- ديوان ابن الدمينة، تحقيق أحمد راتب النفاخ، مكتبة دار العروبة، القاهرة ١٩٥٩م.

- ديوان ابن قلاقس (٥٦٧هـ) تحقيق سهام الفريح، مكتبة المعلا، الكويت ١٩٨٨.

- ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق د. سامي الدهان، بيروت ١٣٠٣هـ.

- ديوان أبي طالب، جمع وشرح د. محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٤م.

- ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣.

- ديوان بشار بن برد، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية والوطنية بالجزائر ١٩٧٦م.

- ديوان البوصيري (شرف الدين أبي عبدالله محمد بن سعيد) تحقيق محمد سيد كيلاني ط مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٥م.

- ديوان تأبط شرّاً، تقديم طلال حرب، دار صادر، بيروت ١٩٩٦.
- ديوان التهامي، تحقيق الدكتور علي نجيب عطوي، ط دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦م.
- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف بمصر ١٩٧١.
- ديوان جميل، تحقيق د. حسين نصار، مكتبة مصر. (ب.ت).
- ديوان الحارث بن حلزة اليشكري، شرح مجيد طراد، دار الجليل بيروت ١٩٩٨.
- ديوان حسان بن ثابت تحقيق د. سيد حنفي، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣.
- ديوان الخالديين (أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدي) تحقيق د. سامي الدهان، دار صادر بيروت ١٩٩٢.
- ديوان ديك الجن تحقيق د. أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري، مكتبة الثقافة - بيروت.
- ديوان السري الرفاء تحقيق د. حبيب حسين الحسني، ط وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد بغداد، ١٩٨١م.
- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق د. صلاح الدين الهادي، ط دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.
- ديوان الصبابة لشهاب الدين أحمد بن حجلة المغربي، ط مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٤م.
- ديوان الصرصري تحقيق د. مخيمر صالح، مطبعة جامعة اليرموك، اربد (ب.ت).
- ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

- ديوان الطغرائي (أبي إسماعيل الحسين بن علي ت ٥١٥هـ) تحقيق د. علي جواد الطاهر ود. يحيى الجبوري، ط دار القلم، الكويت ١٩٨٣م.

- ديوان عامر بن الطفيل رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق هدى جهنور، دار البشير، عمّان ١٩٩٧.

- ديوان العباس بن الأحنف شرح أنطوان نعيم، ط دار الجيل، بيروت ١٩٩٥م.

- ديوان العذريين شرح يوسف عيد، ط دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م.

- ديوان العجاج رواية عبدالملك بن قريب الأصمعي، تحقيق د. عزة حسن، مكتبة دار الشرق، بيروت.

- ديوان عمرو بن كلثوم، شرحه عمر فاروق الطباع، دار القلم، بيروت ١٩٩٤م.

- ديوان عنترة شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق محمد سعيد مولوي، ط المكتب الإسلامي، دمشق.

- ديوان الفرزدق، ضبطه وشرحه إيليا حاوي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٣م.

- ديوان كثير عزة، تحقيق د. إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت ١٩٧١م.

- ديوان كشاجم (محمود بن الحسين) تحقيق. د. النبوي عبدالواحد ط مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٩٧م.

- ديوان مجنون ليلى، شرح د. يوسف فرحات، ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

- ديوان محمد بن حازم الباهلي، مجلة المورد، المجلد السادس، العدد الثاني ١٩٩٧.

- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري، تحقيق د. كرنكو، مكتبة الأندلس، بغداد ١٣٥٢هـ.

- الذال -

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بشام الشنتريني (ت٥٤٢هـ) تحقيق د. إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت ١٣٩٩، ١٩٧٩م.

- ذكر من تكلم به وهو ثقة، شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي، تحقيق محمود شكور امرير، مكتبة المنار، الزرقاء ١٤٠٦هـ.

- ذم الهوى لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق د. مصطفى عبدالواحد ط ١٣٨١هـ.

- الراء -

- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي (أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد ت ٥٨١هـ) تحقيق حامد أمين شعبان، الانجلوالمصرية، القاهرة.

- الروض الداني إلى المعجم للطبراني (أبي القاسم سليمان بن أحمد الشامي ت٣٦٠هـ) تحقيق محمد شكور محمود الحاج امرير، دار عمّار - عمّان ١٩٨٥م.

- الزاي -

- الزهرة، لأبي بكر محمد بن داود، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، ط مكتبة المنار، الزرقاء، الثانية ١٩٨٥م.

- زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق بن علي الحصري القيرواني (ت٤٥٣هـ) شرح زكي مبارك، ط دار الجيل، بيروت الرابعة ١٩٧٢م.

- السين -

- سلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ط٤، ١٣٩٨هـ.

- السنن ، لأبي داود (سليمان بن الأشعث السجستاني)، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، ط دار الحديث، بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

- السنن للدارقطني (علي بن عمر)، حديث أكاديمي، باكستان.

- السنن الكبرى للبيهقي (أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي). مصوّرة في بيروت عن الطبعة الأولى بحيدر آباد ١٣٤٤هـ.

- السيرة النبوية ، لأبي محمد عبدالملك بن هشام، علّق عليها نخبة من العلماء، ط دار الفكر ، القاهرة.

- السيرة النبوية لابن كثير (عماد الدين أبوالفدا إسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ) شرح محمد علي قطب، ط دار المسيرة، بيروت ١٩٨٢م..

- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ط القدسي، مصر.

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، (ب. ت).

- شرح ديوان كعب بن زهير، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبدالله السكري، ط الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٥، ١٩٦٥م.

- شرح معاني الآثار للطحاوي (أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة) تحقيق محمد زهري النجار، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

- شرح الشمائل النبوية للمناوي.

- شرح شواهد المغني للسيوطي ط المطبعة البهية بمصر ١٩٣٦م.

- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، جلال الدين السيوطي ط القاهرة ١٣٥٨ - ١٩٣٩م.

- شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام الأنصاري (أبي محمد جمال الدين عبدالله بن هشام ت ٧٦١هـ) ضبطه د. محمد الصباح، ط المكتب العالمي

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

- شرح قصيدة بانت سعاد للتبريزي (أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب) تحقيق ف. كرنكو، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨١.

- شرح قصيدة بانت سعاد لعبداللطيف البغدادي، تحقيق هلال ناجي، ط بغداد.

- شرح مقامات الحريري لأبي العباس الشريشي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ط المؤسسة العربية الحديثة (ب. ت).

- شعب الإيمان للبيهقي (أحمد بن الحسين) تحقيق أبي هاجر محمد السعيد زغلول دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- شعر عروة بن أذينة (مقدمة التحقيق) تحقيق د. يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد (ب.ت).

- شعر نصيب بن رباح جمع وتقديم د. داود سلوم، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٧م.

- الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري، ط دار صادر مصوّرة عن طبعة ليدن ١٩٠٢م.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩ - ١٩٧٩م.

- الشمائل المحمدية للترمذي (أبي عيسى محمد بن سورة) تعليق عزت عبيد الدعاس، ط دار الحديث، بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- الصاد -

- صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول تركيا ١٩٨٢م.

- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق د. محمد فؤاد عبدالباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- الطاء -

- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (تاج الدين عبدالوهاب بن علي) تحقيق محمود الطناحي، ط مكتبة ابن تيميّة، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود شاكر، ط المدني، القاهرة.

- العين -

- العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية، القاهرة ١٩٦٣م.
- عيون الأثر في فنون المغازي والسير، لابن سيد الناس اليعمري (أبوالفتح محمد بن محمد ت ٧٣٤هـ)، تحقيق د. محمد بن العيد الخاطري ومحي الدين مستو، ط دار التراث بالمدينة المنورة ١٩٩٢م.
- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ط دار الكتاب العربي، بيروت مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥م.

- الغين -

- غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة لأبي إسحق برهان الدين اللتبي المعروف بالوطواط، ط، دار صعب، بيروت (ب. ت).
- غريب الحديث لابن قتيبة عبدالله بن مسلم الدينوري ط دار الكتاب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ.

- الفاء -

- فردوس الأخبار بمأثور الخطاب على كتاب الشهاب الديلمي (أبي شجاع شيرويه ابن شهردار ت ٥٠٩هـ) تحقيق فواز أحمد الزمرلي.

- فهرسة ابن خير الإشبيلي، لأبي بكر محمد بن خير بن خليفة الإشبيلي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، مؤسسة الخانجي، القاهرة ١٣٨٢هـ.

- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق د. إحسان عباس ط دار صادر، بيروت (ت. ت).

- القاف -

- قراءة في قصيدة بانت سعاد، د. عبدالعزيز المانع، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الثاني والثالث، المجلد الثالث والثلاثون رجب ١٤٠٢هـ نيسان ١٩٨٢م.

- قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، د. السيد إبراهيم محمد، المكتب الإسلامي، دمشق ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.

- قصيدة البردة لكعب بن زهير، شرح أبي البركات بن الأنباري، دراسة وتحقيق د. محمود زيني - دار تهامة، جدة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

- القول المستجاد في بيان صحة قصيدة بانت سعاد لاسماعيل بن محمد الأنصاري (ت ١٤١٧هـ) ط دار الصميعي، الرياض.

- الكاف -

- الكامل في ضعفاء الرجال لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني، ط دار الفكر، بيروت، الثانية ١٤٠٥هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨) ط دار الريان للتراث، القاهرة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي)، الأولى، ١٣٧١هـ-- ١٩٩٢م.

- كتاب الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٩هـ) تحقيق دكتور محمد عبدالقادر أحمد ، ط القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة.

- كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ، لابن الأجدابي (أبي إسحق إبراهيم بن إسماعيل)، ط المكتبة المحمودية التجارية، القاهرة ١٢٨٧هـ.

- كنز العمال في سنين الأقوال والأفعال لعلاء الدين النقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت٩٧٥) ضبطه الشيخ بكري جياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

- اللام -

- لسان العرب لابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ت ٧٢١هـ) ط الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر بالقاهرة مصورة عن طبعة بولاق.

- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن علي الكناني ت ٨٥٢هـ)، ط حيدر أباد ١٣٣١هـ، ومؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٧١م.

- لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة لأبي الفيض محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥هـ.

- الميم -

- المؤتلف والمختلف للآمدي (الحسن بن بشر ت٣٧٠هـ) تحقيق عبدالستار فراج، ط عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦١.

- المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات لفخر الدين الرازي، طبعة مكتبة الأسد، طهران ١٩٦٦م.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (محمد بن محمد بن

عبدالكريم بن عبدالواحد الجزري ٦٢٢هـ) تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة ط دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٢م.

- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين للإمام محمد بن حيان البستي، تحقيق محمود إبراهيم زايد، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.

- مجمع الزوائد للهيثمي (نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي) ط دار الكتاب العربي بيروت، الثالثة - ١٤٠٢هـ.

- المحبر لابن حبيب (أبي جعفر محمد بن حبيب الهاشمي، رواية أبي سعيد السكري، ط المكتب التجاري، بيروت مصور عن طبعة حيدر أباد ١٩٤٢م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي (عبدالرحمن جلال الدين) شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم ط دار الفكر (ب. ت).

- مختصر زوائد مسند البزار شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق صبري عبدالخالق أبوذر، ط مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الأولى ١٤١٢هـ.

- المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله بن محمد بن عبدالله الحاكم، ط دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ.

- المسند للإمام أحمد بن حنبل، ط المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ.

- مسند الشهاب لأبي عبدالله محمد بن سلامة القضاعي، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى ١٤٠٥هـ.

- مسند البزار شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق صبري عبدالخالق أبوذر، ط مؤسسة الرسالة الكتب الثقافية، بيروت، الأولى ١٤١٢هـ.

- مصارع العشاق لابن السراج (أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين) ط دار صادر، بيروت ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.
- المصنف للصنعاني (أبي بكر عبدالرزاق بن همام) ط المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
- المصون في الأدب للعسكري (أبي أحمد الحسن بن عبدالله) تحقيق عبدالسلام هارون، ط مكتبة الخانجي، القاهرة، الثانية ١٤٠٢هـ.
- معاني القرآن لأبي جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبدالرحيم أحمد العباسي (ت٦٩٣هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة ١٩٤٧-١٩٤٨م.
- المعجم الأوسط للطبراني (أبي القاسم سليمان بن أحمد) تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي.
- معجم الشعراء للمرزباني (أبي عبيد محمد بن عمران ت ٣٨٤هـ) تحقيق عبدالستار فراج، القاهرة ١٩٦٠م.
- معجم المصطلحات البلاغية د. أحمد مطلوب، ط المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- معجم ما استعجم للبكري (عبدالله بن عبدالعزيز ت٤٨٧هـ) تحقيق مصطفى السقا، ط عالم الكتب، بيروت (ب. ت).
- معجم الأدباء لياقوت الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبدالله ت٦٢٦هـ) تحقيق د. إحسان عبّاس ط دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣.
- معرفة الصحابة رضي الله عنهم لأبي نعيم (أحمد بن عبدالله الأصبهاني) تحقيق د. محمد راضي بن حاج عثمان، ط مكتبة الدار - المدينة المنورة ١٤٠٨هـ.

– المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني (سهل بن محمد ت ٢٥٠هـ) تحقيق عبدالمنعم عامر، ط عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦١م.

– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري (أبي محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله ت٧٦١هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة المدني، القاهرة (ب. ت).

– المفضليات للمفضل الضبي (محمد بن يعلى بن عامر بن سالم (ت١٧١هـ – ١٧٨هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، ط دار المعارف بمصر ١٣٦١هـ.

– المقاصد الحسنة للإمام السخاوي (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن) تحقيق عبدالله بن محمد الصديق، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩ – ١٩٧٩م.

– مناقب الشافعي للإمام فخر الدين الرازي (محمد بن عمر بن الحسين ت٦٠٦هـ) تحقيق. د. أحمد حجازي السقا، ط مكتبة الكليّات الأزهرية بالصنادفية، القاهرة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

– المنتقى شرح الموطأ لأبي سليمان بن خلف طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٣م.

– الموطأ، لمالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) تحقيق عبدالمجيد التركي، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤م.

– ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي.

– النون –

– النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردى ط دار الكتب المصرية ١٩٣٥م.

– نزهة الأبصار في محاسن الأشعار لشهاب الدين العنابي (أحمد بن محمد ابن محمد بن علي ت ٧٧٦هـ) تحقيق مصطفى السنوسي وعبداللطيف أحمد

لطف الله، ط دار القلم، الكويت ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

- نصب الراية لأحاديث الهداية للزيلعي (جمال الدين عبدالله بن يوسف) ط دار المأمون بالقاهرة، الأولى، ١٣٥٧هـ.

- نصرة الاغريض في نضرة القريض للمظفر بن المفضل العلوي (ت ٦٥٦هـ) تحقيق عارف الحسن ط دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

- نظم المتناثر من الحديث المتواتر لأبي الفيض جعفر الحسني الإدريسي، مصور عن الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ - دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٠هـ.

- نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ) مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية، ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصرية.

- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (أبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري) تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.

- النوافح العطرة في الأحاديث المستترة لمحمد بن أحمد بن جابر الصعدي اليمني، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤١٢هـ.

- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، نشر بعناية محمد الحجيري، دار فرانز شتاينر، شتوتغارت، ألمانيا ط٢ ١٩٩١م.

- وفيات الأعيان لابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ) تحقيق د. إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت.

- الياء -

- يتيمة الدهر للثعالبي (أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل ت٤٢٩هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط دار الفكر ، بيروت، الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٩٣م.



فهرس المحتويات